كتاب فتوح الشام نسخه ١٢

كتاب فتوح الشام



قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع ونظر واعتبر وتذكر اجزل الله تعالى ثوابه واوفر حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما





بسم الله الرحمن الرحيم وبه أكتفي
قال أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي رحمة الله عليه ● حدثني أبو بكر
ابن أحمد بن الحسن بن سفين النحوي ● قال حدثني أحمد بن عبيد ● قال حدثني عمر
ابن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن يربوع المخزومي ● ونوفل بن ابراهيم
ابن الحارث التيمي ● ومحمد بن عبد الله بن محمد بن ميسرة بن رويم العامري وربيعة
ابن عثمان ويونس بن محمد المظفري ● وعلي بن محمد بن عبد الله الزرقي ومحمد بن
عمر الواقفي ● ومعاذ بن محمد الأنصاري ● وعبد الرحمن بن عبد العزيز بن
عبد الله بن عثمان بن حنين المحاربي ● وعبد الله بن عبد المجيد بن جعفر الأنصاري
ومحمد بن يحيى بن سهل وعبد الرحمن بن أبي الزناد مولى رملة ابنة شيبة بن ربيعة
وأبو سعيد نجيح مولى هاشم ● ومالك بن أبي الحيس ● واسمعيل بن ابرهيم بن
عبيد مولى ابن الزبير ● وعمر بن محمد بن أبي بكر الأنصاري ● ويعقوب بن
محمد بن صعصعة المازني ● ومازن من بني النجار كل حدث عن فتوح الشام
رضي الله عنه بما كان ● قالوا جميعا أو من قال منهم رضي الله عنهم أنه لما مات
محمد صلى الله عليه وسلم استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه ● وقتل
في خلافته مسيلمة بن قيس الذي ادعى النبوة وقتل أيضا شجاع والأسود
العنسي وهرب طلحة الى الشام ● ثم افتتحت اليمامة وقتل أبو حنيفة ●
وأطاعت العرب أبا بكر رضي الله عنه وعول على أن يبعث جيوشه الى الشام

وصرف

وصرف وجهه الى قتال الروم فجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسجد وقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي عليه السلام
وصلى عليه ● وقال أيها الناس رحمكم الله اعلموا أن الله تعالى فضلكم
بالإسلام ● وجعلكم من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ● وزادكم
إيمانا ويقينا ● ونصركم نصرا مبينا فقال فيكم اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا واعلموا
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد عول أن يصرف همته الى الشام
فقبضه الله اليه ● واختار له ما لديه ● وإني عازم أن أوجه المسلمين
الى الشام بأهليهم وما لهم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأني
بذلك قبل موته فقال زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فما قولكم في ذلك فقالوا يا خليفة
رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت فإن الله فرض طاعتك علينا
قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأولي الأمر منكم ● ففرح أبو بكر بقولهم ونزل من المنبر وكتب الكتب
الى ملوك اليمن وأمراء العرب وأهل مكة ● وكانت الكتب كلها نسخة
واحدة ● وهي بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق بن أبي قحافة الى
سائر المسلمين سلام الله عليكم فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي

على نبيه وقد عولت أن أوجهكم إلى الشام لتأخذوها من يد الكفار الطغاة
فمن عول منكم على الجهاد فليبادر إلى طاعة الملك العلام ۝ ثم كتب
انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم الآية ۝ ثم بعث
الكتب إليهم وأقام منتظرا جوابهم وقدومهم وكان الذي بعثه
بكتب اليمن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
جابر بن عبد الله فما مرت إلا أيام حتى قدم أنس بن مالك يبشرهم بقدوم
أهل اليمن ۝ وقال لأبي بكر رضي الله عنه ما قرأت كتابك على أحد إلا وبادر
إلى طاعة الله وأجاب دعوتك وقد تجهزوا بالعدد العديد والزرد
النضيد وقد أقبلت إليك يا خليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال
وأي رجال وقد أجابوك شعثا غبرا وهم أبطال اليمن وأقيالها ۝
وشجعانها وفرسانها ۝ وقد ساروا إليك بالذراري والأموال ۝
والنسا والأطفال ۝ وكأنك بهم قد أشرفوا عليك ۝ ووصلوا
إليك ۝ فتأهب للقائهم فسر أبو بكر رضي الله عنه بقوله سرورا
شديدا وأقام يومه ذلك حتى إذا كان من غداة غد لاحت غبرة القوم
لأهل المدينة فأقبلوا إلى أبي بكر رضي الله عنه وأخبروه بذلك فركب
وأمر الناس بالركوب لاستقبالهم فركب المسلمون من أهل المدينة وغيرهم
وأظهروا زينتهم وعددهم ونشرت الأعلام ورفعت الألوية

فما كان إلا هنيهة حتى أشرفت الكتائب والمراكب يتلو بعضها بعضا قوم
في أثر قوم وقبيلة في أثر قبيلة ۝ فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن
حمير بالدروع السابرية ۝ والبيض العادية ۝ وقد اتشحوا بالقسي العربية
وأمامهم ذو الكلاع الحميري وهو متعجر بعمامته فلما قرب من أبي بكر رضي الله
عنه أحب أن يعرفه بمكانه وقومه وأشار بالسلام إليه وقال شعر

إني لمن حمير فيمن تراه معي ۝ أهل السوابق والعالون في الحسب ۝
أسد غطارفة شوش عمالقة ۝ يردوا الكماة غداة الروع بالقضب ۝
الحرب عادتنا والضرب همتنا ۝ وذو الكلاع مداع عند ذي الرتب ۝
قدم كتائبنا فالروم بغيتنا ۝ والشام مسكننا بالرغم للصلب ۝
دمشق لي ولكل الناس أجمعهم ۝ وساكنيها ساهو بهم إلى العطب ۝

قال فتبسم الصديق رضي الله عنه وقال لعلي يا أبا الحسن سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أقبلت حمير ونساؤها معها
تحمل أولادها فأبشروا بنصر المسلمين ۝ على أهل الشرك أجمعين قال
علي صدقت وأنا أيضا سمعت مثل ما سمعت أنت قال أنس وسارت حمير
بنسائها مع الأطفال والأموال ۝ وأقبل من وراء حمير كتائب مذحج
أهل الخيل العتاق ۝ والرماح الدقاق ۝ وأمامهم قيس بن هبيرة
المرادي ۝ فلما وصل إلى أبي بكر أسفر لثامه ۝ وعرف مكانه ۝

وأشار إلى الصديق رضي الله عنه وقال

أتتك كتائب منا سراعا ◉ ذووا النجائب أغنى من مراد ◉ ◉
فقدمنا أمامك كي ترانا ◉ نبيد الروم بالقضب الحداد ◉ ◉

قال فجزاهم أبو بكر خيرا وتقدم بكتائبه ومواكبه وأقبلت من
ورائهم طي يقدمها جابر بن سعد الطائي فلما وصل همَّ أن يترجل فأقسم
أبو بكر أن لا يفعل فدنا منه فصافحه وأكرمه ومن طي ثم أقبلت من
بعدهم الأزد في جموع كثيرة وقائدهم جندب بن عمرو الدوسي وفيهم
أبو هريرة فلما نظر أبو بكر إلى أبي هريرة وهو متوشح قوسه متقلد
كنانته تبسم وقال يا أبا هريرة ما الذي أقدمك وأنت رجل قليل
التجارب بالحرب ◉ قال أبو هريرة يا صديق رغبت في ثواب الله
عز وجل وأريد أكل من فواكه الشام إن شاء الله تعالى فزاد أبو بكر من
قوله تبسما ◉ وجاءت من بعدهم بنوا عبس يقدمهم أميرهم ميسرة
ابن مسروق العبسي ◉ وأقبل في آثارهم كنانة يقدمهم قثم بن أسلم
الكناني وتتابعت قبائل اليمن يتلوا بعضهم بعضا ومعهم نساؤهم
وأولادهم ومواشيهم فلما نظر أبو بكر الصديق إلى كثرتهم سر
بهم وشكر الله تعالى ◉ ونزل القوم حول المدينة كل قبيلة وحدها
وتزايد القوم وأضر بهم المقام من قلة الزاد وعليق الخيل وجدب

الأرض فاجتمع أكابر القوم وتشاوروا فيما بينهم وقالوا انطلقوا إلى
أبي بكر نسأله أن يسرح بنا إلى الشام فقد أضر بنا المقام ثم أقبلوا بأجمعهم
إلى أبي بكر الصديق فسلموا عليه ثم جلسوا فنظر بعضهم إلى بعض أيهم
يخاطبه ◉ فكان أول من تكلم قيس بن هبيرة المرادي فقال يا خليفة
رسول الله إنك أمرتنا بأمر فأسرعنا إلى طاعة الله وطاعتك ورغبة في
الجهاد وقد تكامل جيشنا وفرغنا من أهبتنا والمقام قد أضر بنا لأن بلدك
ليس ببلد خف ولا حافر ولا عيش لعسكر نازل فإن يك قد بدا لك فيما كنت
عزمت عليه أمر فأمرنا بالرجوع إلى بلادنا وأقبل كل يخاطبه بمثل ذلك
ونحوه فلما فرغوا من كلامهم قال أبو بكر يا أهل اليمن ومن حضر من غيرهم
أما والله ما أريد بكم ضرارا وإنما أريد تكاملكم فقالوا إنه لم يبق أحد
وراءنا فاعزم على بركة الله وعونه ◉ **قال الواقدي** ولقد بلغني
أن أبا بكر الصديق قام من ساعته ومشى على قدميه وحوله جماعة من
المؤمنين منهم عمر وعثمان وعلي وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وأمثالهم من الأوس والخزرج فخرجوا إلى ظاهر المدينة ووقع النداء
في الناس فكبروا بأجمعهم فرحا بخروجهم فأجابتهم الجبال لدوي
أصواتهم وكثرتهم وعلا أبو بكر على رابية عالية حتى أشرف على الناس
ونظر إليهم ملء الأرض فتهلل وجهه فرحا وقال اللهم أنزل عليهم الصبر

وأيدهم بالنصر ولا تسلمهم إلى عدوهم وكان أول من دعا به
أبو بكر رضي الله عنه وعقد له الراية يزيد بن أبي سفيان
وأمره على ألف فارس ● ودعا من بعده برجل من بني عامر بن
لؤي يقال له ربيعة بن عامر وكان فارسا مشهورا في الحجاز
فعقد له راية وقدمه على ألف فارس من سائر الناس ● ثم
أقبل أبو بكر على يزيد بن أبي سفين وقال له هذا ربيعة بن عامر
من ذوي العلا والمآثر والشرف والمفاخر قد علمت شوكته
وشجاعته وقد ضممته إليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمتك
وشاوره في أمرك ولا تخالفه قال يزيد حبا وكرامة وأسرعت
الألفان إلى لبس السلاح وركب يزيد وربيعة وأقبلا بقومهما
وصحبهما إلى أبي بكر رضي الله عنه فأقبل أبو بكر يمشي مع القوم
فقال يزيد يا خليفة رسول الله إنا نستحي من غضب الله أن
نركب وأنت تمشي فإما أن تركب وإما أن ننزل ● فقال أبو بكر
ما أنا براكب وما أنت بنازل فإني احتسبت خطاي هذه عند الله
وسار إلى أن وصل إلى ثنية الوداع فوقف هناك وتقدم إليه
يزيد وقال يا خليفة رسول الله أوصنا فقال أبو بكر إذا سرت
فلا تعنف على أصحابك في السير ولا تغضب قومك وشاورهم

في الأمر

في الأمر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم فإنه ما أفلح قوم
ظلموا ولا نصروا على عدوهم وإذا لقيتم العدو فلا تولوهم
الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا
إلى فئة فقد باء بغضب من الله فإذا نصرتم على عدوكم فلا
تقتلوا وليدا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا طفلا ولا تحرقوا
نخلا ولا زرعا ولا تقطعوا شجرا ولا تعقروا بهيمة إلا لمأكل
ولا تغدروا وإذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم وستمرون
على أقوام في الصوامع رهبان يزعمون أنهم ترهبوا لله فدعوهم
وما انفردوا له وارتضوه لأنفسهم ولا تهدموا صوامعهم ولا
تقتلوهم ● وستجدون آخرين حزب الشيطان وعبدة
الصلبان قد حلقوا أوساط رؤوسهم حتى كأنهم أفاحيص
القطاة فاعلوا بسيوفكم أوساط رؤوسهم حتى يرجعون إلى
الإسلام أو يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون وقد
استودعتكم الله تعالى ثم صافحهم وعانقهم وصافح ربيعة بن
عامر وقال يا بن عامر أظهر شجاعتك وبراعتك على بني الأصفر
بلغكم الله آمالكم وغفر لنا ولكم قال وسار القوم
ورجع أبو بكر بمن معه إلى المدينة ولما بعد يزيد بمن معه عن

المدينة اعتنف في السير الشديد فقال له ربيعة ما هذا السير
وقد أمرك أبو بكر أن ترفق في سيرك ۞ فقال يزيد إن أبا بكر
سيعقد العقود ويؤمر أمراء الجيوش ويسرحهم في أعجازنا
فأردت أن أسبق الناس إلى الشام ولعلنا أن نفتح فتحا قبل تلاحق
الناس بنا فنجمع بذلك ثلاث خصال رضا الله ورضا خليفتنا
وغنيمة نأخذها فقال ربيعة سر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم وجد القوم في السير على وادي القرى على الأقرع ليخرجوا
على تبوك ثم على الجابية إلى دمشق **قال الواقدي** رحمه
الله واتصل الخبر بالملك هرقل من قوم من العرب المتنصرة كانوا
بالمدينة فلما صح ذلك عند الملك هرقل جمع بطارقته وحجابه
وقال لهم يا بني الأصفر اعلموا أن دولتكم على الانصرام وملككم
على الانهدام ولقد كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتقيمون حدود الله كما أمركم في إنجيله لا جرم ما قصدكم
ملك من ملوك الدنيا إلا قهرتموه وغلبتموه ولقد قصدكم كسرى
ابن هرمز بجيوش فارس فانكسروا على أعقابهم وقصدكم الترك
فولوا منهزمين وكذلك الجرامقة والآن فقد غيرتم وبدلتم
وظلمتم وجرتم فبعث الله عليكم قوما لم يكن في الأمم أضعف

منهم ولم تكن أنفسنا تحدثنا أنهم يبارزونا على ملكنا وقد رمى
بهم كلب الجوع والقحط إلى بلادهم ثم حدثهم بما سمع من جواسيسه
فقالوا أيها الملك ابعث بنا إليهم لنصدهم عن مرادهم ونصل
إلى مدينة نبيهم ونهدم كعبتهم ولا ندع منهم أحدا ۞ فلما
رأى الملك نشاطهم وتبين له مرادهم جرد منهم ثمانية آلاف
فارس من أشجع فرسانهم وأمر عليهم أربعة من بطارقته وهم
وهم البطاطليق وأخيه جرجير وصاحب شرطته لوقا بن
سمعان والرابع صاحب غزة وعسقلان وهو صليبا وكان
هؤلاء الأربعة تضرب بهم الأمثال في الشجاعة ثم تدرعوا
وأظهروا زينتهم وعددهم وصلت عليهم الأقسة صلاة
النصر وقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق وبخروهم
ببخور الكنائس ورشوا عليهم من ماء المعمودية وودعوا الملك
وساروا وسيروا أمامهم العرب المتنصرة ليدلوا بهم
قال الواقدي رحمه الله حدثني رفاعة بن عامر عن
جده ياسر بن الحسين قال بلغنا أن أول من وصل إلى تبوك
كان يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر ومن معهما من
المسلمين قبل وصول الروم بثلاثة أيام فلما كان في اليوم

الرابع همّ الضحاك بالرحيل الى الشام اذ اقبل العدو فلما رأى
المسلمون ذلك وغبرة القوم اخذوا فى الاهبة وكمن يزيد الالف
فارس اصحابه وظهر للقوم فى الف وكان المقدّم على الكمين
ربيعة بن عامر رحمه الله ورتّب يزيد الالف فارس ووعظهم
وذكّرهم آلاء الله ونعمه ۝ وقال اعلموا ان الله وعدكم
بالنصر وايّدكم بالملائكة فى مواطن كثيرة والله تعالى مع
الصابرين ۝ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة
تحت ظلال السيوف وانتم اول جيش دخل الشام وتوجه
لقتال بنى الاصفر وكانّكم بجيوش المسلمين وقد لحقتكم
فتكونوا على يقظة وبصيرة عند ظنّ المسلمين بكم وايّاكم
ان تطمعوا العدوّ فيكم وانصروا الله ينصركم ۝ قال
فبينما يزيد يعظ اصحابه واذا بطلايع الروم قد اقبلت
وجنودها قد اتت فلما رأوا قلة العرب طمعوا فيهم وظنوا
ان ليس وراهم احد فبربر بعضهم على بعض بالرومية وقالوا
دونكم ومن يريد بلادكم وهتك حريمكم وقتل
ملوككم واستنصروا بالصليب فهو ينصركم ثم حملوا
فالتقتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمم عالية

وقلوب

٧

وقلوب غير وانية ودام القتال بينهم وتكاثرت الروم عليهم
وظنوا انهم فى قبضتهم اذ خرج فيهم ربيعة بن عامر وقد اعلن
اصحابه بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير
وحملوا على خيولهم العربية واعلنوا بتوحيد رب البرية ولما
عاين الروم من خرج عليهم تقهقروا الى ورائهم ونظر ربيعة
ابن عامر الى بطريق وهو يزجر قومه ويحرّضهم على القتال
فعلم انه طاغية الروم وحامية القوم فحمل عليه بقلب قوي
وجنان جري وطعنه طعنة صادقة طلعت من الناحية الاخرى
وانجدل صريعا فلما نظر الروم الى ذالك ولّوا الادبار
وركنوا الى الفرار ۝ ونزل النصر على اصحاب النبي المختار
قال الواقدي رحمه الله حدثني عمرو بن عثمان عن
جده سعيد بن يربوع عن ابيه مؤمّل بن محمد عن جده ابرهيم
ابن الحارث عن ابيه عبد الله بن مسلم عن جده شدّاد بن اوس
قال كنت فى الخيل الذي انفدها ابو بكر الصديق رضى الله
عنه مع يزيد بن ابى سفين وربيعة بن عامر فلقينا القوم
فى اطراف ارض تبوك وهزمهم الله تعالى على ايدينا وكان
جملة من قتل منهم الف ومايتا فارس وقتل منا مائة وعشرون

رجلا أكثرهم من السكاسك قال وإن الروم لما انهزموا
قال لهم جرجس وهو أخو الناطليق يا ويحكم بأي وجه نرجع
إلى الملك وما لاقينا إلا طليعة القوم وقد فتكوا فينا وقتلوا
كبارنا وملؤوا الأرض من قتلانا وما كنت بالذي أرجع حتى
آخذ بثار أخي أو الحق به ● قال فلما استقروا في خيامهم بعثوا
رجلا من المتنصرة اسمه القداح بن واثلة التنوخي وقالوا له
امض إلى بني عمك وقل لهم يبعثوا لنا رجلا من كبرائهم
وعقلائهم حتى ننظر ما الذي يريدون منا ● قال
فركب القداح بن واثلة جواده وأقبل إلى جيش المسلمين
فلما رأوه مقبلا استقبله رجال من الأوس وقالوا له ما
الذي تريد فقال إن بطارقة الروم يريدون رجلا من
عقلائكم ليخاطبوه بما يعود به صلاح الفيئتين ● قال
فأخبروا يزيد وربيعة بما قال المتنصر فقال ربيعة بن
عامر أنا أسير إلى القوم فقال له يزيد يا ربيعة إني أخاف
عليك من القوم لأنك قتلت كبيرهم بالأمس فقال
ربيعة قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله
فليتوكل المؤمنون وإني أوصيك والمسلمين أن تكون

همتكم عندي فإن رأيتم القوم قد غدروا بي وقد حملت عليهم
فاحملوا ● ثم ركب وسار حتى أتى جيش الروم وقرب من سراد ق
ملكهم فقال له القداح بن واثلة عظم جيش الملك وانزل
عن جوادك فقال له ربيعة ما كنت بالذي أنزل من العز إلى
الذل ولست أسلم جوادي لغيري وما أنا بنازل إلا على باب
السرادق وإلا رجعت من حيث جئت لأنا لم نبعث إليكم
وإنما أنتم بعثتم إلينا ● قال فأعلم القداح الروم بما تكلم
به ربيعة فقال بعضهم لبعض صدق العربي في قوله دعوه
ينزل حيث أراد فنزل عامر بن ربيعة على باب السرادق
وجثا على ركبتيه ومسك عنان جواده بيده فقال له
جرجس يا أخا العرب لم تكن أمة أضعف منكم عندنا وما كنا
نحدث أنفسنا أنكم تغزونا فما الذي تريدون منا فقال
ربيعة نريد منكم أن تدخلوا في ديننا وتقولوا بقولنا
فإن أبيتم ذلك فأدوا الجزية فإن أبيتم فالسيف حكما
بيننا وبينكم ● فقال جرجس فما منعكم أن تقصدوا
الفرس وتدعوا الصداقة بيننا وبينكم فقال ربيعة إنما
بدأنا بكم لأنكم أقرب إلينا منهم وأيضا فإن الله تعالى أمرنا

بذلك في كتابه فقال عز وجل قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ۝ فقال جرجس ألكم كتاب أنزل عليكم قال نعم كما أنزل الإنجيل على نبيكم فقال جرجس هل لك أن تعقد الصلح بيننا وبينكم ونعطي كل واحد منكم دينارا أو وسقا من بر ونعطي أميركم مائة دينار ومائة وسق من طعام وخليفتكم ألف دينار ومائة وسق من طعام وتكتبوا بيننا وبينكم كتاب الصلح على أن لا تغزونا فقال ربيعة لا سبيل إلى ذلك أو نهلك عن آخرنا وما بيننا وبينكم إلا السيف أو أداء الجزية أو الإسلام ۝ قال جرجس أما ما ذكرت من دخولنا في دينكم فلا سبيل إلى ذلك أو نهلك عن آخرنا لأننا لا نرى بديننا بدلا وأما أداء الجزية فالموت أهون علينا من ذلك وأما أنتم أشهى منا إلى القتال والحرب والنزال ونحن فينا البطارقة وأولاد العمالقة رجال الحرب وأرباب الطعن والضرب ۝ ثم قال جرجس علي بصقيلة القس حتى يناظر هذا البدوي وكان هرقل قد بعث معهم قسا عظيما عارفا بدينهم مجادلا عن شريعتهم قال فأتى الحاجب به فلما استقر به الجلوس قال له جرجس يا أبانا استخبر هذا البدوي

عن دينهم وعن شريعتهم فقال القس يا أخا العرب إنا نجد في علمنا وفي كتبنا أن الله يبعث نبيا عربيا هاشميا وعلامته أن الله تعالى يسري به إلى السماء أكان ذلك أم لا قال نعم قد أسري به وقد ذكر ذلك في كتابه فقال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ۝ قال القس إنا نجد في كتبنا أن الله يفرض عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان أكان ذلك أم لا قال ربيعة قد فرضه علينا وقد ذكر ذلك في كتابه فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم الآية ۝ وقال شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ۝ فقال القس إنا نجد في كتبنا أن الرجل من أمته إذا عمل حسنة كتبت له عشرة وإذا عمل سيئة كتبت عليه سيئة ۝ فقال ربيعة نعم ذكر ذلك في كتابه العزيز فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ۝ فقال القس إنا نجد في كتبنا أن الله يأمر أمته بالصلوة عليه ۝ فقال ربيعة نعم قد ذكر ذلك في كتابه فقال إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ۝ قال فتعجب القس من كلامه

وقال للبطارقة ان الحق مع هؤلاء القوم قال فقال بعض الحجاب لجرجس
هذا الذي قتل اخاك بالامس قال فلما سمع جرجس ازورتا عيناه
غضبا وهم ان يثب عليه ففهم ربيعة ذلك فوثب من مكانه
اسرع من البرق وضرب بيده الى قايم سيفه وعاجل جرجس
بضربة غادره قتيلا وركب جواده وحمل على الروم ● ونظر
يزيد بن ابي سفين الى ذلك فقال ان اعداء الله قد غدروا
بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدونكم واياهم
فحمل المسلمون على المشركين واختلط الجيش بالجيش وصبروا
لقتال المسلمين فبينما هم في القتال اذ اشرفت عليهم جيوش
المسلمين مع شرحبيل بن حسنة فلما نظر المسلمون الى اخوانهم
في القتال مع الروم حملوا عليهم وداروا بهم وتحكمت
اسيافهم في تمهيهم **قال الواقدي** رحمه الله ولقد
بلغني ان الثمانية الاف لم ينج منهم احد لان العرب التقطوهم
بسوابق خيولهم ثم ان المسلمين احتووا على اموالهم وخيامهم
وسرادقاتهم وخزاينهم ثم سلموا على شرحبيل بن حسنة ومن
معه من المسلمين ● ثم نزلوا وجمع شرحبيل الغنايم كلها
واستشار يزيد بن ابي سفين وربيعة في الغنايم فقالا

نبعث بجميع ما اخذناه من الروم الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حتى يري المسلمون قلايع الروم واموالهم فيبادرون الى الجهاد
في الروم فاستصوب شرحبيل رايهم وبعث الغنايم الى ابي بكر
الصديق رضي الله عنه الا السلاح فانه ترك ذلك ليتقوي به
المسلمين على قتال اعداء الله ونفذوا مع الغنايم شداد بن
اوس ومعه خمسمائة فارس واقاموا في ارض تبوك حتى
تلاحقت بهم الجيوش ● قال وان شداد بن اوس وصل
بالغنايم الى المدينة فلما عاين المسلمون اموال الروم وقلايعهم
رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير فسمع ابو بكر ضجة
القوم فسال عن ذلك فاعلم بقدوم شداد بن اوس ومعه
قلايع الروم ● ثم اقبل شداد ومن معه فترجلوا على باب
المسجد وحيوا المسجد بركعتين وسلموا على قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ● ثم اقبلوا الى ابي بكر الصديق رضي الله
عنه وسلموا عليه وهنوه بالفتح والنصر واعلموه بقصة
الروم وما كان منهم فسجد ابو بكر شكرا لله تعالى
وتفاءل بالنصر ثم حضر المسلمين بما وصل اليه من مال الروم
ثم كتب كتابا الى اهل مكة يستدعيهم الى الجهاد وكان كتابه

بسم الله الرحمن الرحيم من عتيق أبي قحافة إلى المسلمين من أهل مكة
وما حولها سلام عليكم فإني أحمد الله الذي لآ إله إلّا هو وأصلي
على نبيه ● أما بعد فإني استنفرت من قبلي من المسلمين إلى قتال
عدوهم وفتوح بلاد الشام وقد كتبت إليكم لتسرعوا إلى ما
أمركم به ربكم سبحانه وتعالى حيث يقول انفروا خفافا
وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم
خير لكم إن كنتم تعلمون وهذه الآية نزلت فيكم وأنتم أحق
بها وأولى من صدق بقولها وقام بحكمها فمن نصر دين الله
فالله ناصره ومن بخل عن ذلك بنفسه استغنى الله عنه والله
غني حميد ● فسارعوا إلى جنة عالية قطوفها دانية أعدها
الله للمهاجرين والأنصار ومن اتبع سبيلهم وحسبي الله ونعم
الوكيل وختم الكتاب بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودفعه إلى عبد الله بن حذاقة فأخذه عبد الله وسار حتى
وصل إلى مكة وصرخ في أهلها فاجتمعوا إليه فدفع لهم
الكتاب فقراوه على جمعهم فلما سمعوا ما فيه قام سهيل بن
عمرو والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وقالوا أجبنا
داعي الله وصدقنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما

الحارث بن هشام فإنه قال والله لا نتخلف عن نصرة رسول الله
ودين الله وأما عكرمة بن أخيه فقال إلى متى ما ننشط بأنفسنا وقد
سبقنا في المواطن كلها وفاز من فاز بالسبق وإن كنا قد تأخرنا
في السباق فلعلنا نكتب في اللحاق ● ثم خرج الحارث وعكرمة
في اثنا عشر من قومهما من بني مخزوم وخرج سهيل بن عمرو
في أربعين رجلا من قومه من بني عامر بن لوي وتلاحق القوم بهم
من أهل مكة وكان جميع من سار من أهل مكة خمس مائة رجل
وكتب الصديق كتابا إلى هوازن والطايف فخرجوا في أربعمائة
رجل **قال الواقدي** حدثني عبد الله بن سعيد الجمحي عن ابن
عامر الهوازني قال كنا بالطايف إذ قدم علينا كتاب أبي بكر رضي الله
عنه فأجاب منا أربعمائة كل من هوازن وثقيف فسرنا حتى
وصلنا وفد مكة فكان جملتنا تسع مائة فارس ما منا إلا من
يقول إلا أنه يلقا تسع مائة فارس من الروم وسرنا حتى أتينا
المدينة ونزلنا البقيع وأخبر أبو بكر بقدومنا فبعث لنا رسوله
يقول لنا انتقلوا إلى مواضع إخوانكم يعني شرحبيل ويزيد وربيعة
ابن عامر وكانت منزلتهم الجرف فتحولنا إليه وأقمنا هنالك
نازلين ليلتنا والوفد يقدم إلينا ● قال شداد بن أوس ثم خرج

علينا أبو بكر رضي الله عنه في جمع من المهاجرين والأنصار وهو
يمشي بين القبائل ثم قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم • ثم قال أيها الناس إن الله
جعل عليكم الجهاد فريضة من فرائضه والثواب عند الله عظيم
فلتحسن نياتكم لتعظم حسناتكم وسارعوا عباد الله إلى فريضة
ربكم وسنة نبيكم ما هي إلا إحدى الحسنيين إما الشهادة
فتلحقوا بسلفكم ومن مات أو قتل فأجره على الله **قال الواقدي**
رحمه الله قلت لأبي عامر صف لنا أبا بكر قال كان رجلا أسمر
نحيفا طويلا خفيف اللحية • قال وقدمت حضرموت في أربعمائة
رجل وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى الأصيد بن مسلمة وإلى بني
كلاب يدعوهم إلى غزوة الروم فقام فيهم الضحاك بن
سفين بن عوف بن بكير الكلابي فقال يا معشر بني كلاب
اتقوا الله وانفروا إلى طاعة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونصرة هذا الدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم
فقال رجل من بني كلاب وكان شيخا كبيرا قد دخل الشام
مرارا يا ضحاك إنك تدعونا إلى قوم لهم عز وقوة وعدة وعدد
وخيول جعدة وإن العرب تلقاهم مع قلة عددهم وجوعهم

وضعفهم فقال له الضحاك بن سفين كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم ينصر بعدد ولا سلاح ولكن نصر لإظهار دين الله الذي
بعث به وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا في ثلاثمائة
وثلاثة عشر رجلا فكفى قريشا في عددها وعددها وسلاحها
ولم تزل رايته تعلوا حتى قبض صلى الله عليه وسلم وقد قام بالأمر
خليفته أبو بكر رضي الله عنه وقد رأيتم إقدامه على أهل الردة
وكيف قهرهم بالسيف وقد كنتم في ذلك عنده وعند المسلمين
غير محمودين إذ لم تنصروا المسلمين كما نصرهم غيركم من بحيرة
وطي فناشدتكم الله أن لا تجعلونا سنة في العرب فإنه ليس في
العرب أعد منكم من الإبل والخيل والعدد والسلاح فانهضوا
وأجيبوا الخليفة أبي بكر • قال فلما سمعت كلاب كلام صاحبهم
انفتحت بصائرهم وسمحوا للخروج فامتطوا الإبل وقادوا خيلا
عرابا ووردوا المدينة فهناك لبسوا السلاح وركبوا الخيل
ودخلوا المدينة فلقوا الصديق وقد خرج لتوجيه الناس إلى الشام
فلما رآهم سر بقدومهم وأمرهم أن يلحقوا بالمسلمين وعقد
لهم راية وسلمها إلى ابن سفين وكان قد قدم بخيل وإبل
ودفع ذلك لأبي بكر يستعين به على غزو الروم • قال ونظر

أبو بكر إلى خيلهم وسلاحهم ففرح فرحا شديدا وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول خيل اليمن مجلّلة قال وتقدمت الصارخة من العرب
وخرج لها المهاجرون والأنصار وتكامل الناس بالجرف وقد عزم أبو بكر
أن يقدم على جيوشه أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح وأراد أن
يقدم على طلايع جيشه أميرا فعقد الراية لسعيد بن خالد بن سعيد بن
العاصي وكان غلاما نجيبا وذلك أن سعيد بن خالد أتى أبا بكر
فقال يا خليفة رسول الله إنك أردت أن تعقد لأبي خالد راية ويكون
قايدا من قواد جيوشك فتكلم فيه المسلمون فعزلته حين تراجع في
بيعتك وقد حبس نفسه في سبيل الله ولم أزل مجيبا لدعوتك وبيعتك
فهل لك أن تقدمني على هذا الجيش فوالله لا يراني الله وانيا
ولا عايدا عن الحرب ● وكان سعيد بن خالد غلاما نجيبا في الحرب
أنجب من أبيه وأبر فعقد له أبو بكر راية وأمره على ألفين
من العرب قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد بن خالد
وقد حرص على أن يكون أميرا كره له ذلك وأقبل على الصديق
وقال يا خليفة رسول الله عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد
على من هو خير منه ولقد سمعته يقول عند ما عقدتها له على رغم
الأعادي والله إنك لتعلم ما يريد بهذا القول غيري والله ما تكلمت

في أبيه ولا عاديته قط فثقل ذلك على أبي بكر وكره أن يعزله
وكره أيضا خلاف عمر لعلمه بمحبته له ونصحه ومنزلته عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووثب أبو بكر قايما ودخل على عايشة رضي الله عنها
وأخبرها بخبر عمر وما كان من كلامه فقالت له عايشة رضي الله
عنها قد علمت أن أبا حفص عمر ينظر للدين ويريد بقوله النصح للمسلمين
ولرب العالمين وما في قلب عمر بغض لأحد من المسلمين فقبل قول
عايشة ● ثم دعا أبو بكر بأروى الدوسي وقال له امض إلى
سعيد بن خالد وقل له إن أبا بكر يقول لك رد إلينا رايتنا ● قال
عبد الله بن عمر بن خالد كنت في ذلك الجيش وقد صلى بنا سعيد بن
خالد بالجرف إذ أقبل أروى الدوسي فقال لسعيد إن الصديق
يقول لك رد إلينا رايتنا فردها وقال والله لا نامن تحت راية
أبي بكر حيث كانت وبيد من كانت فإني قد حبست نفسي في
سبيل الله ● قال وإن أبا بكر أجال فكره فيمن يقدمه
طليعة الجيش أبي عبيدة فتقدم إليه سهيل بن عمرو وعكرمة
ابن أبي جهل والحرث بن هشام وهم شاكون في السلاح ●
يريدون أن يعقد لهم الصديق وأقبل الحارث بن هشام على
عمر وقال يا أبا حفص إنك كنت في شدتك علينا سيفا قاطعا

وأما اليوم فقد هدانا الله لدينه وما نراك إلا قاطعا لرحمنا وإن الله عز
وجل أمر بصلة الرحم فقال عمر ألا لم نقدم إلا أهل السابقة لسبقهم
فقال سهيل بن عمرو وإذا كنتم لا تقدمون إلا أهل السابقة لسبقهم
فوالله لا بغض وكل نفقة أنفقتها على حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتنفقن مكانها نفقتين في سبيل الله ومكان كل وقفة وقفتها
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفتين في سبيل الله قال
عكرمة يا معشر المسلمين أشهدكم أني قد جعلت نفسي حبسا في
سبيل الله أنا ومن معي بأهلي ومالي والله لا نرجع عن القتال أبدا
فقال أبو بكر اللهم بلغ بهم أفضل ما يؤملون ثم إن الصديق
ادعى بعمرو بن العاصي السهمي وسلم الراية إليه وقال قد وليتك
على هذا الجيش يعني أهل مكة وثقيف وهوازن وبني كلاب
وحضرموت وسر إلى الشام إلى أهل فلسطين وكاتب أبا عبيدة
وانجده ولا تقطع أمرا إلا بمشورته امض بارك الله فيك وفيهم
فأقبل عمرو بن العاصي على عمر بن الخطاب وقال له يا أبا حفص
أنت تعلم شدتي على العدو وصبري في الحرب فلو كلمت الخليفة
أن يجعلني أميرا على أبي عبيدة وقد رأيت منزلتي عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وإني أرجو أن تفتح على يدي البلاد وتهلك

الأعادي فقال له عمر ما كنت بالذي أكلمه في ذلك وما يسرني أن
تكون على أبي عبيدة أميرا وأبو عبيدة عندنا أفضل منك وأقدم سابقة
والنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه أبو عبيدة أمين هذه الأمة فقال
عمرو وما ينقص من فضل أبي عبيدة إذ كنت أميرا عليه فقال له عمر
ويحك يا عمرو إنك ما قصدت بقولك إلا الرياسة في الدنيا والشرف
فاتق الله تعالى ولا تطلب إلا شرف الآخرة ووجه الله تعالى فقال
عمرو الأمر على هذه ● ثم أمر الناس بالمسير تحت رايته فساروا
وتقدمت أهل مكة وتبعتها كلاب وطي وهوازن وثقيف
وتخلف المهاجرون والأنصار ليسيروا مع أبي عبيدة بن الجراح وقدم
عمرو بن العاصي على المقدمة قال سعيد بن جبير بن سعيد قال
أبو الدرداء كنت مع عمرو بن العاصي في جيشه سمعت أبي بكر
يوصيه ويقول له اتق الله في سريرتك وعلانيتك واستح منه في
خلواتك فإنه يراك وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك
سابقة وأعظم حرمة فكن من عمال الآخرة ولا ترد بعملك إلا
وجه الله وكن والدا لمن معك وارفق بهم في سيرك وتعاهدهم
بنفسك فإن فيهم أهل ضعف وسيرك سيرا بعيدا والله ناصر
دينه ليظهره على الدين كله فإذا سرت بجيشك هذا فلا تسر

في الطريق الذي سار فيه يزيد وربيعة بن عامر وشرحبيل واسلك
الطريق التي تليه حتى ترد أرض فلسطين إن شا الله تعالى واترك
أبا عبيدة فإن كان ظافرا فكن أنت لقتال من في فلسطين وإن
كان يريد نصرتك فنفذ له جيشا في أثر جيش وقدم سهيل بن عمرو
وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد وإياك أن
تكون وانيا أو متهاونا وإياك والوهن وأنت تقول رماني أبو بكر
في نحر العدو ولا قوة لي بهم وأنت رأيت يا عمرو في مواطن
كثيرة كنت نلاقي من نلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة
من عددهم ثم رأيت كيف ينصرنا الله عليهم • واعلم يا عمرو
أن معك من المهاجرين والأنصار من أهل بدر فأكرمهم واعرف
حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا يداخلك نخوة الشيطان
فتقول إنما ولاني أبو بكر لأني خير منكم وإياك وخدايع النفس
وكن كأحدهم وشاورهم في الأمر والصلاة ثم الصلاة
أذن بها إذا دخل وقتها ولا تصل صلاة إلا بأذان يسمعه أهل
عسكرك ثم ابرز فصل بمن يرغب في الصلاة معك فذلك
أفضل له ومن صلاها في رحله أجزأته صلاته وكن أنت المتولي
لكلام الرسل واغسل يديك وأمر أصحابك بالحرس ثم كن أنت

بعد ذلك متطلعا عليهم متعضدا لهم في أمر الجلوس في الليل في
أصحابك وإذا عاقبت فلا تلح في العقوبة ولا تهملهم فيتجرأوا عليك
ولا تضربن سوطا وأنت تجد السبيل إلى تركه فإنك لا تأمن من
رجل يلحق بالعدو فيكون عليك عونا ويدل على عورتك ولا تكشف
أستار الناس واكتف بعلانيتهم وكن مجدا في أمرك واصدق الله
إذا لاقيت وقدم الوصية في القول ومرهم أن لا يغلوا وعاقب
عليه • وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك
رعيتك فإنما الإمام منفرد إلى الله بفعله وعمله في رعيته وإذا
قد وليتك على من مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على
جهتها ومنزلتها وكن لهم كالوالد الرفيق وتعاهد عسكرك
في مسيرك وقدم بين يديك طلايعك يكونوا أمامك وخلف
خلفا على الناس ممن ترضاه • وإذا لاقيت عدوك فاصبر
ولا تتأخر فيكون ذلك عجزا منك والزم أصحابك قراءة القرآن
وامنعهم من ذكر الجاهلية وما كان منها فإن ذلك
يورث العداوة بينهم وأعرض عن زهرة الدنيا حتى تلقى من
مضى من سلفك الخمص البطون وكونوا من الأيمة الممدوحة
في القرآن إذ قال الله تعالى وجعلنا هم أيمة يهدون بأمرنا

لما صبروا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة
وكانوا لنا عابدين ● قال أبو الدرداء رضي الله عنه كان أبو بكر
يوصي عمرًا وأبا عبيدة يسمع قال سيروا على بركة الله وعونه
وأوصيكم بتقوى الله والغزو في سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله
فإن الله ناصر من نصره فسار المسلمون في تسعة آلاف ممن ذكرنا
مع عمرو بن العاصي يريد أرض فلسطين فلما أبعد بيوم عقد
العقود والألوية والرايات لأبي عبيدة بن الجراح وأمره على
عساكر المسلمين وأمره أن يقصد بمن معه أرض الجابية ثم
قال أبو بكر يا أمين الأمة قد سمعت ما وصيت به عمرو بن العاصي
وودع المسلمين وسار ● فلما فرغ أبو بكر من وداع أبا
عبيدة والمسلمين دعا بخالد بن الوليد فعقد له راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم العقاب وكانت راية سودا وأمره على
لخم وجذام وضم إليه جيش الزحف وهم تسع مائة فارس ما منهم
إلا من شهد الوقايع وخاض المعامع بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا أبا سليمن قد أمرتك على هذا الجيش فاقصد
بهم أرض العراق وفارس وأرجو أن الله عز وجل ينصرك
ويفتح على يديك ثم ودعه ومن معه وسار خالد بن الوليد بمن

معه يطلب العراق **قال الواقدي** حدثني رويم بن علي عن
سعيد بن عبد الرحمن بن يسار عن الواثق بن سيف مولى ربيعة بن
قيس اليشكري قال كنت في الجيش الذي وجه به أبو بكر رضي الله
عنه مع عمرو بن العاصي إلى أيلة وأرض فلسطين وكان صاحب
رايته سعيد بن خالد بن سعيد فرأيته وقد هز الراية وهو ينشد

نؤم بعصبة من خير قوم ● إلى الطاغين من أهل الشام ●
وعباد الصليب وشر جيل ● سأمنحهم جلادًا من حسام ●
ونطعن بالمقومة العوالي ● ولا نخشى البوايق في الزحام ●
وما أملي سوى جنات عدن ● لعلي أن أفوز يوم المقام ●

قال الواقدي رحمه الله ولما بعث الصديق رضي الله عنه
جيش المسلمين مع أمرائهم إلى الشام والعراق رجع إلى المدينة
وهو يدعو لهم بالنصر أخذه القلق على المسلمين حتى عرف ذلك في
وجهه فقال له عثمن لم هذا الغم الذي نزل بك قال أغتم على جيش
الموحدين وأنا أرجو أن ينصرهم الله على عدوهم ولا يلحق إلي
مخافة بسببهم غم فقال له عثمن والله ما خرج جيش سررت به
مثل هذه الجيوش التي قد سارت إلى الشام وذلك مما أوحى الله
إلى نبيه صلى الله عليه وسلم وليس لقوله خلف فقال له أبو بكر

لقد أعلم أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وليس فيه خلف
وإنا سنظهر على الروم وفارس ولكنا لا ندري متى يكون ذلك
أفي هذا البعث أو في غيره فقال عثمان أما هذا فلا أدري ولكن
أحسن الظن بالله ● قال وبات أبو بكر رضي الله عنه فرأى
في منامه عمرو بن العاصي في حرة شديدة هو وأصحابه فحمل
ترسه فيها وتبعه أصحابه وإذا هم في أرض واسعة سهلة خضرة
نضرة فساروا فيها وراحوا فانتبه أبو بكر من منامه فرحا
بما رأى فلما صلى بالمسلمين واستند حدثهم بما رأى في منامه
وقال عثمان إنها تدل على فتح إلا أنه يوشك أن يلقى عمرو من
قتال المشركين مشقة كبيرة ثم تخلص منها **قال الواقدي**
وكانت الساقطة تنزل في المدينة في الجاهلية والإسلام
يقدمون بالبر والزيت والزبيب والخروب والتين وما يكون
في الشام من الخيرات فقدمت بعض الساقطة إلى المدينة وأبو
بكر يستنفر العرب وينفذ الجيوش وسمعوا كلامه لعمرو
ابن العاصي عليك بأيلة وفلسطين فساروا بالخبر إلى الملك
هرقل ومن قبل من الروم بتبوك فلما سمع الملك ذلك جمع
أرباب دولته وبطارقته وأساقفته وأعلمهم بالحديث

الذي وصل إليه وقال يا بني الأصفر هذا الذي كنت أحدثكم به
قديما وإن أصحاب هذا النبي لا بد أن يملكوا ما تحت سريري هذا
وقد قرب الوقت وإن أصحابكم قد قتلوا في أرض تبوك وإن خليفة
محمد قد بعث إليكم الجيوش وكأنكم بهم قد أتوا نحوكم فخذوا
على أنفسكم وقاتلوا عن دينكم وشريعتكم وأهليكم وأموالكم فإن
تهاونتم ملكت العرب بلادكم وأموالكم ● قال فبكى القوم
على من فقد من أصحابهم فقال لهم الملك دعوا البكا فإنه لا يصلح
إلا للنساء واجتمعوا بأجيادين قال وزيره أيها الملك الهمام
قد اشتهينا أن تدعو لنا بعض من قدم بهذا الخبر عليك فأمر
هرقل بعض حجابه أن يأتي برجل من العرب المتنصرة ممن قدم
عليه بالأخبار من لخم وجذام فأتي برجل من لخم فقال له الملك
كم لك عن يثرب قال منذ خمسة وعشرين ليلة قال فمن المتولي
عليهم قال رجل يقال له أبو بكر الصديق وقد وجه جنوده
إلى بلدك وقد رأيت أقواما مجدين مشمرين قال وهل رأيت أبا
بكر قال نعم وإنه ابتاع مني شملة بأربعة دراهم فألقاها على
كتفيه ونظرت إليه كأحدهم يمشي في ثوبين في الأسواق
يأخذ الحق من القوي للضعيف والقوي والضعيف عنده سواء

قال هرقل صفه لي قال هو رجل طويل آدم خفيف شعر العارضين بادي الأساجع حسن الشيبة ● قال فضحك هرقل وقال هو صاحب أحمد الذي نجد في كتبنا أنه يقوم بهذا الأمر من بعده ونجد أن بعد هذا الرجل رجل آخر أحور طويل كالأسد الوثاب يكون على يديه الدمدمة والجلا قال فشهق المتنصر من قول هرقل وقال إن الرجل الذي وصفته رأيته معه لا يفارقه فقال هرقل قد دعوت الروم إلى الرشد والفلاح فأبت تطيعني وإن الروم سوف تخرج من صورية ● ثم عقد صليبا من الذهب وسلمه إلى قايد جيوشه وهو روبيس وقال له قد وليتك على جيوشي فسر وامنع العرب من فلسطين فإنها بلد مباركة كثيرة الخصب وهي تاجنا وعزنا قال فتسلم روبيس الصليب وسار من يومه إلى أجنادين وتبعته الروم

قال الواقدي

ولقد بلغني أن عمرو بن العاصي سار إلى أيليا حتى ورد إلى أرض فلسطين هو ومن معه فقدموا وقد عجفت ركابهم فوقعوا في بلد طيب ونبت وزرع فرعت خيولهم فيه وزال عجفها فلما نزل فلسطين جمع المهاجرين والأنصار إليه وشاورهم في أمره فبينما هم في المشورة إذ أقبل إليه عامر بن عدي وكان من خيار المسلمين وكان كثيرا ما يغشى عشيرته بأرض الشام وكان قد عرف بلادهم وداس أرضهم وقد عرف مسالكهم فلما أشرف على المسلمين داروا به وأوقفوه بين يدي عمرو بن العاصي فنظر إليه عمرو وقد ازبد وجهه فقال ما وراك يا عامر قال ورائي عساكر النصرانية وجنودها على جياد الخيل فقال له عمرو يا ذا الرجل لقد ملأت قلوب المسلمين رعبا وإنا نستعين بالله عليهم فبكم حزرت القوم قال أيها الأمير علوت على شرف من الجبال عال ونظرت القوم فرأيت من الصلبان والأعلام والرماح ما قد ملأ وادي الأحمر وهو أعظم واد بأرض فلسطين وهم زها على مائة ألف وهذا ما عندي من الخبر وقد أعذر من أنذر ● فلما سمع عمرو ذلك قال استعنا بالله عليهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم أقبل على من حضر من كبراء المسلمين وقال أيها الناس إني وإياكم في هذا الأمر سواء فاستعينوا بالله على أعداء الله وقاتلوا عن دينكم وعن شريعتكم فمن قتل منا كانت له الشهادة ومن عاش عاش سعيدا فما أنتم قايلون رحمكم الله ● قال فتكلم كل رجل بما معه من الرأي فقالت طايفة منهم وهم البادية من

العرب وكان عمرو قد استنفرهم في طريقه ايها الامير ارجع بنا
الي البرية لنكون في بطن الوادي فان الروم لا قدرة لهم علي
الدهماء ولا يقدرون على مفارقة القرى والحصون فاذا جاءهم
الخبر انا توسطنا البرية يتفرق جمعهم فحينئذ نعطف عليهم وهم
على غفلة فننتهز غرتهم ان شاء الله تعالي فقال سهيل بن عمرو
هذه مشورة رجل عاجز وقال رجال من المهاجرين والانصار
لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم الجمع الكثير
بالجمع اليسير وقد وعدكم الله بالنصر وايدكم بالصبر وما
وعد الله الصابرين الا خيرا وقد قال الله عز وجل قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ونحن في نحر العدو وقد
سار يريد قتالنا فقال عبد الله بن عمر بن الخطاب اما انا فوالله ما
رجعت عن قتال من كفر بالله ولا رددت سيفي عنهم فمن شاء
فلينهض ومن شاء فليرجع ومن نكص على عقبيه فان الله من ورايه
بالمرصاد فلما سمع عمرو كلام المسلمين من اهل مكة وكلام
عبد الله بن عمر فرح وقال احسنت يا ابن الفاروق كانك والله
قد علمت ما في نفسي ونطقت عن غامض سري وقد رايت ان
اقدمك في رجال من المسلمين فتكونوا لنا طلايع وتعرفوا لنا

خبر

١٩

خبر هذا الجيش الثقيل وننظر هل نجد الى حربهم من سبيل قال عبد الله
ابن عمر افعل ما تريد فاني لا ابخل ان ابذل نفسي في طاعة الله
عز وجل فعقد له راية وضم اليه الف فارس من الصحابة وغيرهم
وفيهم رجال من بني كلاب واهل الطايف من ثقيف وامر
بالسير وسار عبد الله بن عمر باصحابه وجعل يجد في السير بقية
يومه وليلته الى الصباح واذا بغبرة لاحت فقال عبد الله
لاصحابه هذه غبرة عسكر واظنها طليعة القوم ثم وقف
ووقف المسلمون امامه فقال قوم من البادية اتركنا نرى
ما هذه الغبرة فقال لا يفترق بعضكم من بعض حتى نرى ما هي
فوقف الناس واذا بالغبرة قد قربت من المسلمين وانقشعت عن
عشرة الاف فارس من الروم قد بعث بهم روبيس مع بطريق
من اصحابه طليعة لجيشه ليكشف لهم اخبار المسلمين فلما نظرهم
عبد الله بن عمر قال لاصحابه لا تمهلوهم فلا بد لهم منكم
فالله ينصركم عليهم واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف
فاعلن القوم بذكر لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله فلما جهروا بها ضجوا وبتهم الجبال
والشجر فكان اول من حمل عكرمة بن ابي جهل وتبعه سهيل بن

عمرو وحمل الضحاك بن سفين وصاح برجاله واتبعه المهاجرون
والانصار والتقى الجمعان وعمل السيف فى الفريقان • قال
عبد الله بن عمر فبينما انا فى الوقعة اذ نظرت الى فارس من الروم
عظيم الخلقة وهو كالحاير البليد وهو يركض مرة يمنة ومرة
يسرة فقلت ان يكن للقوم عميد فهو عميدهم وصاحب طاغيتهم
وقد فزع من الحرب وجبن منها قال ابن عمر وهو كالجبل العظيم
من خلقته فحملت عليه ومددت قناتى اليه فنفر فرسه من الرمح
فقربت الرمح منى فتوهم انى اريد الانهزام فحقق على حملته
قال عبد الله فادرت القناة فطعنته واذا به قد مال بقنطاريته
قال فرميت قناتى واعتمدت على سيفى وضربت قناته فبريتها
وبقيت فى يده كانها العصى ثم عطفت عليه بضربة هايلة
فوالله لقد خيل لي انى ضربت بسيفى حجرا وسمعت طنين السيف
حتى خشيت على سيفى ان يكون قد انفصل واذا هو على حالته
ونظرت الى عدو الله واذا به دايخ من شدة الضربة والسيف
لم يعمل فيه شيا فثنيته بضربة اخرى فانجدل صريعا ثم
عطفت فاخذت لامته • فلما راي المشركون صاحبهم
منجدلا داخلهم الفزع وصدقهم المسلمون الضرب والقتال

فلله در الضحاك بن سفين والحارث بن هشام لقد ابليا بلا حسنا
فما كان الا قليلا حتى منح الله المسلمين اكتاف المشركين فانقلبوا
على اعقابهم منهزمين وقد قتل المسلمون المشركين قتلا واسروهم
اسرا • واجتمع المسلمون بعضهم الي بعض وجمعوا الاسلاب
والغنايم وقال بعضهم لبعض ما فعل عبد الله بن عمر فقال قايل
قتل وقال قايل اسر وقال اخر ما كان الله ليصنع بعبد الله الا
خيرا لحسن زهده وعبادته وقال بعضهم ان كنا اصبنا بعبد الله بن
عمر فما يسوى هذا الفتح شعرة من راسه • قال عبد الله
ابن عمر وانا خلف الراية اسمع كلامهم قال فاعلنت بالتكبير
والتهليل والصلاة على البشير النذير وهززت الراية فلما
نظر المسلمون الى الراية انعطفوا الي وقالوا اين كنت ايها الامير
فقلت اني شغلت بقتال صاحبهم فقالوا افلح وجهك فهذا والله
فتحا رزقنا الله اياه ببركتك فقال عبد الله وبوجوهكم والله وحاز
المسلمون الاموال والخيل والاسلاب وستماية اسير وقتل
من المسلمين سبعة نفر سراقة بن عدي ونوفل بن عامر وسعيد
ابن قيس وسالم مولى عامر بن بدر اليربوعى وعبد الله بن
خويلد المازنى وجابر بن اسد بن عمرو الحضرمى واوس

ابن أبي سلمة الهوازني فواراهم المسلمون التراب بعد أن صلى عليهم
عبد الله بن عمر • ورجعوا إلى عمرو بن العاص وحدثوه بما كان
ففرح وشكر الله على نعمه بنصره واستدعى بالأسرى واستنطق
من يعرف بالعربية فلم يعرف أحد منهم بالعربية إلا ثلاثة
نفر من أنباط الشام فسألهم عن خبرهم وخبر صاحبهم فقالوا
يا معاشر العرب إن هذا روبيس قد أقبل في مائة ألف فارس
وقد أمره الملك أن لا يدع أحدا من العرب يصل إلى أيلة وإن
روبيس بعث بهذا البطريق طليعة له وقد قتل وكان به
وقد أشرف عليكم وأبادكم لأنه ليس في أصحاب الملك
بطريق يعرف قتال العرب مثله • قال عمرو يوشك أن الله
يقتلهم كما قتل صاحبهم ثم عرض عليهم الإسلام فما أسلم
أحد منهم فقال عمرو للمسلمين كأنكم بصاحبهم وقد أتى
لأخذ ثاره وهؤلاء بلاء علينا ثم أمر بضرب أعناقهم وصاح
بالمسلمين استعدوا فإني أظن القوم إليكم سائرون فإن
أتوا إلينا فإنهم في قوة وشدة وسنلقى منهم تعبا في القتال
وإن لم يأتوا إلينا فتضعف قوتهم وإن سرنا إليهم رجوا من الله
الظفر بهم كما ظفرنا بغيرهم وما عودنا الله سبحانه إلا

خيرا قال أبو الدرداء وبتنا في مكاننا فلما أصبح الصبح رحلنا
فما أبعدنا غير قليل حتى أشرف علينا تسع صلبان تحت كل صليب
عشرة آلاف فلما أشرف الجيش أقبل عمرو كالفحل يرتب أصحابه
فجعل على الميمنة الضحاك بن سفين وفي الميسرة سعيد بن خالد
وأقام على الساقة أبي الدرداء وثبت عمرو في القلب ومعه
أهل مكة من المهاجرين والأنصار وأمر الناس بالقراءة وقال
لهم اعلموا أن الله عز وجل يريد أن يبلو أخباركم فاصبروا
على بلاء الله وارغبوا في ثواب الله وجنته وجعل يصفهم
ويعبيهم تعبية الحرب ونظر روبيس بطريق الروم إلى عسكر
المسلمين وقد صفهم عمرو ولا يخرج عنان عن عنان ولا ركاب
عن ركاب كأنهم بنيان مرصوص يقرؤون القرآن والنور
يلمع من نواصي خيولهم فشم منهم رائحة النصر وتبين من نفسه
الجزع وعلم أن كل من معه داخله الهلع ونظر ما يكون من
المسلمين وانكسرت حميته • قال أبو الدرداء وكان
أول من برز من جيشنا سعيد بن خالد وهو ابن أخي عمرو بن
العاص من أمه فلما برز نادى برفيع صوته ابرزوا يا أهل
الشك والشرك ثم حمل على الميمنة ألقاها على الميسرة وقتل

رجالاً وجدّل أبطالاً ثم حمل فيهم فشوّش صفوفهم وزعزع جيشهم
فاجتمعوا عليه فقتلوه قال فحزن المسلمون على قتله حزناً شديداً
وكان أكثرهم حزناً عمرو وقال مضى سعيد فوا سعيداه لقد
شرى نفسه من الله ثم قال يا فتيان العرب من يحمل معي هذه
الحملة حتى ننظر ما يكون من أمرنا قال فأسرع بالإجابة الضحاك
ابن سفين وذو الكلاع الحميري وعكرمة بن أبي جهل والحارث
ابن هشام ومعاذ بن جبل وأبو الدردا وعبد الله بن عمرو الأصيد
ابن سلمة ونوفل بن دارم وسيف بن عباد الحضرمي من بني النجار
وسالم بن رويم من حضرموت والأصهب بن شداد الهوازني
والأوس بن الصامت أحد بني مدركة بن عبد الله ورجال
من المهاجرين من أهل بدر وعمرو بن جندب وسعيد بن زيد
ابن عمرو بن نفيل فحملوا حملة واحدة قال عبد الله بن
عمر وحملت مع القوم وكنا تسعين رجلاً حتى دنينا من القوم
وحملنا عليهم وهم لا يكترثون بحملتنا لأن فيهم رجالاً من حديد
قال فلما رأينا ثباتهم صاح بعضنا على بعض اعقروا دوابّ
هؤلاء العلف فما هلاكهم غير ذلك فكنا فيهم كالشامة في
البعير وكان شعار المسلمين يوم فلسطين لا إله إلا الله محمد

رسول الله يا رب محمد انصر أمة محمد قال أبو الدرداء فلقد
اشتغلنا بالحرب عن ما شددنا الأشعار وكان أحدنا يضرب
فلا يدري أيضرب أخاه أم عدوه من كثرة القتام وظهر
المشركون على المسلمين وثبت المسلمون في حملتهم وفوضوا أمرهم
إلى الله عز وجل وما كان في المسلمين من يضرب إلا وضميره
ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرنا على من يتخذ معك شريكاً قال
عبد الله بن عمر فلم يزل الحرب بيننا وبينهم إلى وقت الزوال
وهبت الرياح والناس في القتام إذ نظرت إلى السماء ودعوت
الله تعالى بدعاء علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانفرجت
السماء وخرج منها خيول شهب عليها رجال تحمل رايات خضر
أسنتها تلمع ومنادي النصر ينادي أبشروا يا أمة محمد فقد
أتاكم النصر من الله عز وجل قال ابن عمر نصرت الأمة
بدعاء نبيها صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة فما كان غير
بعيد حتى نظرت إلى الروم منهزمة على أعقابها والمسلمون في
آثارهم لأن خيل العرب أسبق من خيل الروم فقتلنا في وقعة
فلسطين ووادي الأحمر أكثر من عشرة آلاف فارس
وأكثر ولم نزل في آثارهم إلى الليل وعمرو قد فرح بالنصر

وقلبه متعلق بالمسلمين لإسراعهم خلف عدوهم قال ابن غياث
ونظرت إلى عمرو والراية بيده وهو يقول من يرد الناس إلى رد الله
ضالته فنظرت إلى العرب وقد عطفت راجعة كرجعة الأم على
أولادها فاستقبلهم عمرو وهو يقول بأبي هذه الوجوه التي
تعبت في طاعة الله عز وجل أما كان لكم كفاية فيما خولكم الله
حتى تبعتم القوم فقالوا إنا أردنا الغنيمة بالقتل والجهاد فلما
رجع المسلمون لم تكن لهم همة إلا افتقاد بعضهم بعضا ففقد من
المسلمين مائة وثلاثون رجلا منهم سيف بن عباد الحضرمي
ونوفل بن دارم وسالم بن رويم والأصهب بن شداد والبقية
من اليمن وبوادي المدينة ● قال واغتم عمرو لفقدهم
ثم راجع نفسه ثم قال يريد الله أمرا وأنت تأبى ذلك ثم أمر
الناس بالصلاة كما أمره أبو بكر فصلوا ما فاتهم من الصلوات
بأذان وإقامة قال أقسم إن كان صلى خلفه إلا اليسير من
الناس بل صلى الناس في رحالهم من التعب ولم تجمعوا من الغنائم
إلا القليل وبات الناس فلما أصبحوا أذن المؤذنون وصلى عمرو
بالناس وأمر الناس بجمع الغنائم وأن يخرجوا إخوانهم من الروم
فأخرجوا مائة وثلثون رجلا وطلبوا سعيد بن خالد في القتلى

فلم يعرف ثم قام عمرو فوجده وقد وطئته الخيل بسنابكها
حتى رض عظمه وهشم وجهه فلما نظر إلى ما نزل به بكا وقال
رحمك الله يا سعد فلقد نصحت لدين الله وأديت النصيحة ثم
جعله مع المسلمين وصلى عليهم ثم أمر بدفنهم من قبل أن يميز شيئا
من الغنائم ● ثم كتب كتابا إلى أبي عبيدة يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص إلى أمين الأمة سلام
عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم أما بعد فإني وصلت إلى أرض فلسطين فلقينا عسكر
الروم مع بطريق يقال له روبيس في مائة ألف فمن الله علينا بالنصر
وقتل من الروم أحد عشر ألفا وفتحت فلسطين على أيدي المسلمين
بعد أن قتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا أكرمهم الله تعالى
بالشهادة ونحن مقيمين بأرض فلسطين فإن احتجت إلينا سرنا
إليك والسلام عليك وعلى جميع إخواننا من المسلمين ● ودفع
الكتاب إلى أبي عامر الدوسي وأمره بالمسير إلى أبي عبيدة فأسرع
أبو عامر بالكتاب فوجد أبا عبيدة وهو نازل بأول الشام
وما قدم على الدخول إليه غير أنه فرق أمراءه كما أمره أبو بكر
الصديق رضي الله عنه فلما نظر أبو عبيدة إلى أبي عامر قال له

ما وراءك يا أبا عامر قال خير يا أمين الأمة هذا كتاب من عمرو
ابن العاصي إليك يخبرك بخبر ما فتح الله على يديه ثم سلم إليه الكتاب
فلما قرأه خر لله ساجدا بظهور المسلمين ثم قال والله قتل من المسلمين
رجال أخيار فيهم سعيد بن خالد قال أبو عامر الدوسي وكان
خالد بن سعيد حاضرا فلما سمع أن ولده سعيد قتل جمع نفسه
وصرخ صرخة عظيمة وقال وا ولداه وجعل يبكي حتى بكا المسلمون
لبكائه ثم أسرع إلى فرسه فركبه وعزم على المسير إلى أرض
فلسطين لينظر إلى قبر ولده سعيد فقال له أبو عبيدة إلى أين
يا خالد وإنك لركن من أركان المسلمين كيف تسير وتدعهم
قال إنما أنظر إلى قبر ولدي وأرجو أن ألحق به قال فسكت
عنه أبو عبيدة • وكتب إلى عمرو جواب كتابه يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم إنما أنت يا عمرو مأمور فإن كان
أبو بكر أمرك أن تكون معنا فسر إلينا وإن كان أمرك بالثبات
في موضعك فاثبت والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه لخالد بن سعيد
مع أبي عامر الدوسي إلى أن أتيا عمرو بن العاصي فدفع إليه
خالد بن سعيد الكتاب وهو يبكي فوثب إليه عمرو وصافحه

ورفع منزلته وعزاه في ولده وعزاه المسلمون فقال خالد
أيها الناس هل أروى سعيد رمحه وسيفه من دم الكفار قالوا
نعم لقد قاتل وأبلى بلاء حسنا وجاهد في سبيل الله قال خالد
أروني قبره فأروه القبر فأقام عليه وقال يا ولدي رزقني
الله الصبر عليك وألحقني بك فإنا لله وإنا إليه راجعون • فوالله
لئن أمكنني الله لآخذن بثارك يا بني احتسبتك عند الله ثم قال
لعمرو وإني أريد أن أسري بسرية في طلب القوم فلعلي آخذ منهم
فرصة أو غنيمة أو رجا لا أقتلهم فأكون قد أخذت ثاري قال
له عمرو وإن الحرب أمامك يا ابن أم فإذا لقيت الروم فلا
تبقي على أحد • قال خالد والله لأسيرن إليهم ولو لم يكن
لي مساعد ثم أخذ خالد أهبته للمسير وعزم على أن يسير وحده
فركب معه ثلاثمائة فارس من فتاك حمير واستأذنوا عمرا
في المسير فأذن لهم فساروا يومهم ذلك ثم أرادوا النزول
في بعض الأودية ليعلفوا خيولهم ثم يسيروا ليلتهم إذ نظر
خالد بن سعيد أشباحا على جبل هناك عال منيع فقال خالد إني
أرى أشباحا على ذروة هذا الجبل وأظن أنهم عيون للمشركين
وأخاف أن يبدروا علينا فقال بعض أصحابه كيف لنا

بالوصول اليهم وهم على ذروة جبل عال منيع ونحن في هذا
الوادي فقال خالد كونوا في مكانكم ثم نزل عن فرسه وتقلد
سيفه وتنكب حجفته والتحف ازاره ثم قال اعلموا ان القوم ما
نظروا الينا ولا دروا بنا ولو نظروا الينا ما ثبتوا في مواضعهم
فمن كان منكم يبذل نفسه فليصنع كما اصنع فابتدر اليه
عشرة رجال فصنعوا كما صنع وتسلقوا في الجبل حتى اشرفوا
على القوم وهم في اماكنهم فصاح خالد باصحابه خذوهم بارك
الله فيكم فاسرع المسلمون اليهم فقتلوا اثنين واسروا
اربعة فاستنطقهم خالد بن سعيد فاذا هم من انباط الشام
فسألهم عن حالهم فقالوا انا من اهل دير القيقع والجامعة
وكفر العزيزة وقد عظمت علينا المصيبة بدخول العرب
الى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا شديدا وقد هرب اكثرنا
الى القلاع والحصون وقد اعتصمنا بهذا الجبل لان ما في الرستاق
اعظم منه ولا احصن منه فعلونا عليه نتوقع الاخبار فاخذتمونا
فقال لهم خالد فاين بلغكم جيش الروم قالوا بلغنا انه يدخل
من حمص الى فلسطين ليذب عن بيت المقدس وقد اجتمع
جيشه وهذا بطريق من بطارقته قد اقبل الينا لياخذ

الميرة والعلوفة وهم مع ذلك خائفون وجلون ان تلحقهم خيل العرب
وهذا اخبر ما عندنا ولا شك انهم رحلوا في يومهم هذا فلما سمع
خالد بن سعيد ذلك من قولهم قال غنيمة ورب الكعبة ثم قال
اللهم انصرنا عليهم ثم سأل على اي طريق اخذوا فقالوا
على هذا الطريق الذي انت عليه لانها اوسع الطرق فقال لهم
خالد ما تقولوا في ديننا قالوا ما نعرف الا دين الصليب ونحن
من الانباط يعني فلاحين وما لكم في قتلنا فايدة فقال لهم
خالد دلونا على الميرة الى ان نتوسط الطريق فان راينا القوم
واخذناهم خليت سبيلكم فقالوا نعم ثم بعث الى اصحابه الذين
في الوادي فجاؤا وجعلوا يجدون في السير والانباط امامهم
يدلوهم على التل الاعظم فوافوا الروم وهم يحملون دوابهم
وحول التل ستمائة لابس من الروم فلما نظر اليهم خالد
ابن سعيد حمل عليهم وكبر وحمل اصحابه الحميريون قال
حذافة بن سعيد فلما راينا خيل الروم استقبلونا انهزم من
كان مع الدواب من الفلاحين والغلمان وصبرت الروم
لقتالنا ساعة من النهار واذا بصاحب الكتيبة ومقدم
الجيش لقيه خالد بن سعيد فعرفه وهو يحرض الروم على

القتال فاستقبله خالد وزعق في وجهه زعقة ارعبه ثم قال
وانا رايت سعيد ثم طعن عدو الله فانجدل عن جواده كانه
برج حديد وما بقي احد من اصحابه الا انجدل فارسا من الروم
فقتل منهم ثلاثمائة وعشرون فارسا وولت البقية منهزمين
وتركوا الاثقال والبغال والميرة فاحتووا على الكل باذن الله
ونصره ودعا خالد بالانباط وخلى سبيلهم • ورجع خالد
بالغنايم الى عمرو بن العاصي ففرح المسلمون بسلامتهم وغنيمتهم
وكتب كتابا اخر الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فلما قراه
على المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير ثم سال ابو بكر
عن ابي عبيدة فقال له ابو عامر قد اشرف على اوايل الشام
ولم يجسر على الدخول لانه سمع ان جيوش الملك هرقل قد
اجتمعوا في اجنادين في امم لا تحصى وقد جزع على المسلمين
ان يتوسط بهم عدوهم • فلما سمع ابو بكر الصديق ذلك
علم ان ابا عبيدة لا يصلح لقتال الروم فعول ان يكتب الى
خالد بن الوليد المخزومي ويوليه على جيوش المسلمين وقتال
الروم فاستشار المسلمين في ذلك فقالوا الراي ما تراه فكتب
الى خالد كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق

ابي قحافة الى خالد بن الوليد سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله
الا هو واصلي على نبيه واني قد وليتك على جيوش المسلمين
وامرتك بقتال الروم فسارع الى مرضات الله وقتال اعدا الله
وكن ممن يجاهد في الله حق جهاده ثم كتب يا ايها الذين امنوا هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون • وقد جعلتك الامير على ابي عبيدة ومن معه
والسلام وبعث الكتاب مع نجم بن مفرج الكناني فركب مطيته
وتوجه الى العراق فوافا خالدا وقد اشرف على فتح القادسية
فلما قراه قال السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ارتحل عن القادسية ليلا واخذ طريقه على عين
التمر وكتب كتابا الى ابي عبيدة رضي الله عنه بعزله ويخبره
بمسيره الى الشام وقد ولاني ابو بكر على جيوش المسلمين فلا
تبرح من مكانك حتى اقدم عليك والسلام وبعث الكتاب مع
عامر بن الطفيل وهو احد ابطال المسلمين فاخذه عامر واقبل
يطلب الشام وان خالدا لما وصل الى ارض السماوية قال
ايها الناس ان هذه الارض لا تدخل الا بالروايا والماء الكثير

لأنها قليلة الماء ونحن في جيش فكيف يكون الأمر فقال له رافع بن
عميرة الطائي أيها الأمير أنا أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع
افعل أرشدك الله ووفقك فقال رافع خذ ثمانين جملا وعطشها
تسعة أيام ثم أوردها الماء فلما رويت خزم أفواهها ثم ركبوا
المطايا وجنبوا الخيل وساروا فكانوا كلما نزلوا منزلا نحروا
عشرة من الإبل وشقوا بطونها وأخذوا الماء فيجعلوه في أحواض
من الأدم فإذا برد سقوه الخيل وأكلوا اللحم ولم يزالوا
حتى فنيت الإبل ونفد الماء وقطعوا مرحلتين بغير ماء وأشرف
خالد ومن معه على الهلاك فقال لرافع بن عميرة يا رافع قد أشرفنا
على الهلاك أتعرف لنا ما ننزل عليه وكان رافع بن عميرة قد
رمدت عيناه فقال أيها الأمير إذا أشرفتم على قواقر وسوى
فأعلموني قال فجد الناس في السير وقد انقطع أكثرهم من العطش
فلما أشرفوا على قواقر وسوى أعلموا رافعا بذلك فرفع طرف
عمامته من على عينيه وسار على راحلته يضرب يمينا وشمالا
حوله إلى أن قصد شجرة من الأراك فكبر وكبر المسلمون ثم قال
احفروا ها هنا فحفرت العرب وإذا الماء قد طلع كالبحر فنزل
الناس عليه وشكروا الله وأثنوا على رافع خيرا وسقوا إبلهم

وخيلهم ثم جدوا في طلب من انقطع من المسلمين ومعهم السطائح
والقرب فسقوهم وارتجعت قوتهم إليهم ثم لحقوا بالجيش
وأراحوا واستراحوا ثم جدوا في السير إلى أن بقي بينهم وبين
أدركة مرحلة واحدة فبينما هم كذلك إذا أشرفوا على حلة
عامرة وأغنام وإبل قد سدت الأرض فأسرع المسلمون إلى
الراعي يستخبرونه عن القوم وإذا بالراعي يشرب الخمر وإلى
جنبه رجل من العرب مشدود بالقد فتأملوه فإذا هو عامر
ابن الطفيل فأسرع القوم إلى خالد وعرفوه بأمر عامر بن الطفيل
فأقبل خالد على جواده مسرعا حتى وقف على عامر فلما رآه تبسم
وقال يا عامر كيف كان سبب أسرك فقال عامر أيها الأمير
إني أشرفت على هذه الحلة وقد أصابني الحر والعطش فملت إلى هذا
الراعي ليسقيني من اللبن فوجدته يشرب الخمر فقلت يا عدو الله
أتشرب الخمر وهي محرمة فقال يا مولاي ليست بخمر وإنما
هو ماء فانزل كي تراه واستنشق رائحته فإن كانت خمرا
فاصنع بي ما شئت فلما سمعت كلامه أنخت المطية ونزلت
عن كورها وجثيت على ركبتي لأستنشق ما في الجفنة وإذا
بهذا العبد قد عاجلني بعصاة كانت معه مخفية إلى جانبه

فعلا بي بها فشجني شجة موضحة فانقلبت على جانبي فأسرع العبد الي
وشدني كتافا وأوثقني رباطا فلما افقت قال لي أظنك من اصحاب
محمد بن عبد الله ولست أطلقك من يدي أو يقدم سيدي من عند
الملك قلت ومن سيدك من العرب قال القداح بن واثلة
ولي عنده أياما كلما شرب أحضرني كما ترى ويلقي على
فضلة كاسه • فلما سمع خالد كلام عامر اشتد غضبه
ومال على العبد فضربه بالسيف على هامته فانجدل صريعا ونهب
المسلمون الإبل والأغنام والحلة بما فيها وأطلق عامر بن الطفيل
رضي الله عنه وقال لعامر أين رسالتي قال في طرف عمامتي
لم يعلم بها العبد فقال له خالد انطلق بها الى أبي عبيدة ومن معه
والبس من الحدر جلبابا قال فركب عامر وودع خالدا وسار
يطلب الشام **قال الواقدي** رحمه الله وارتحل خالد
من موضعه ذلك ونزل أدركة وهي رأس المفازة لمن يخرج
من العراق وكانت الروم تكثر فيها القوافل وكان عليها
بطريق من قبل الملك فغار عليها وأخذ ما كان حولها وتحصن
أهلها بحصنهم وكان يسكنها حكيم من حكما الروم قد طالع
الكتب والملاحم فلما رأى جيش المسلمين انخطف لونه وقال

قرب الوقت وحق ديني فقال أهل أدركة وكيف ذلك فقال
ان عندي ملحمة فيها ذكر هؤلاء القوم وان أول راية تطلع من
العراق هي الراية المنصورة وقد دني هلاك الروم فانظروا ان كانت
رايتهم سودا وأميرهم عريض اللحية طويل ضخم بعيد المناكب
واسع الهيكل في وجهه أثر جدري أسمر فهو صاحب جيوشهم
وعلى يديه تفتح الشام • قال فنظر القوم واذا بالراية على
رأس خالد وهو كما قال حكيمهم فاجتمعوا الى بطريقهم وقالوا
له أنت تعلم ان الحكيم سمعان لا ينطق الا بالحكمة ولا يقول
الا الحق وقد قال كذا وكذا والذي وصفه رأيناه عيانا
ونحن نرى من الرأي أن نعقد بيننا وبين العرب الصلح فنأمن
على أنفسنا وحريمنا فلما سمع ذلك بطريقهم قال أخروني
لصبيحة غد لأرى رأيا قال فانصرفوا وبات البطريق يحدث
نفسه ويدبر أمره وكان عاقلا عارفا فقال ان أنا خالفت
هؤلاء القوم أسلموني للعرب برقبتي وقد تحقق عندي أن
روبيس سار في مائة ألف فارس الى شرذمة قليلة فهزموه
بفلسطين وقد وقع رعب العرب في قلوب الروم ولن يفلحوا
بعدها أبدا ولم يزل يردد نفسه ويجيل فكره الى أن أصبح

فعند ذلك دعا قومه وقال لهم على ماذا عولتم قالوا عولنا على صلح
العرب ونقيم ببلدنا فقال انا واحد منكم ومهما فعلتم لا اخالفكم
فيه قال فخرج مشايخ اذركة الى خالد وكلموه في الصلح فاجابوه
الى ذلك والان لهم كلامه وتلقاهم بالرحب ليسمع بذلك
اهل تدمر والقريتين والسخنة فيسلموا وقال لهم خالد اصالحكم
على ان اذب عنكم ومن دخل في ديننا قبلناه ومن بقي على دينه تبعنا
منه بالجزية **قال الواقدي** ولقد بلغني انه صالح اهل
اذركة على الفي درهم من الفضة والف دينار وكتب لهم
كتاب الصلح ولم يبرح حتى صالحه اهل السخنة وبلغ الخبر اهل
تدمر وكان الوالي عليها بطريق يقال له كركر فجمع رعيته
اليه وقال قد بلغني ان هؤلاء العرب فتحوا اذركة والسخنة صلحا
وان قومنا يحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم لا يطلبون الفساد
وهذا حصننا مانع ولا سبيل لاحد علينا ولكنا نخاف على نخلنا
وزرعنا ولا يضرنا ان نصالح العرب فان كان قومنا الظافرون
فسخنا الصلح وان كانت للعرب كنا امنين منهم ففرح قومه
بقوله وهيؤوا العلوفة والضيافة حتى نزل خالد عليهم فاخرجوا
اليه الضيافة فقبلها منهم وصالحهم على ثلاثمائة اوقية

من الذهب والفضة وكتب لهم كتاب الصلح ثم اشترى منهم زادا
وعلفا وارتحل عنهم الى ارض حوران **قال الواقدي**
رحمه الله ووصل عامر بن الطفيل ودفع كتاب خالد الى ابي عبيدة
فلما قراه تبسم وقال السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اعلم المسلمين بعزله وولاية خالد بن
الوليد وكان ابو عبيدة قد وجه شرحبيل كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى بصرى في اربعة الاف فارس فسار
حتى نزل بفنائها وكان على بصرى بطريق عظيم القدر
عند الملك وعند الروم وكان اسمه روماس قد قرا
الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان عظيم الخلقة يجتمع
الروم من اقصى بلاد الشام ينظرون الى عظم خلقته •
ويستمعون من الفاظ حكمته وكانت بصرى اهلة بالخلق
عامرة بالناس وكان فيها اثنا عشر الفا وكان العرب
يقصدون اليها ببضائعهم وتجاراتهم من اقصى بلاد الحجاز
فاذا كان ايام الموسم ينصب لبطريقهم كرسي من الحديد
ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه لعظم خلقته ويستفيدون
من علمه فبينما هم قد اجتمعوا اليه اذ وقعت الضجة بقدوم

شرحبيل بن حسنة فخرج روماس ونادى يا معشر العرب أنا
روماس وأنا أريد صاحبكم فخرج إليه شرحبيل رضي الله عنه
فلما قرب منه قال له البطريق من أنتم قال له شرحبيل نحن من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الأمي المنعوت في التورية
والإنجيل قال روماس وما فعل قال له شرحبيل قبضه الله إليه
واختار له ما لديه • فقال روماس من ولي الأمر من بعده
فقال له شرحبيل ولي الأمر من بعده عبد الله أبو بكر الصديق
عتيق أبي قحافة من تيم بن كعب بن مرة فقال روماس وحق ديني
لقد أعلم أنكم على الحق ولا بد لكم أن تملكوا الشام والعراق
ونحن نشفق عليكم لأنكم في نفر يسير ونحن في جمع كثير
ولكن ارجعوا إلى بلادكم فإنا لا نتعرض لكم واعلموا يا أخا
العرب إن أبا بكر صاحبي وصديقي ولو كان حاضرا ما قاتلني
قال شرحبيل لو كان ابن عمه أو ولده ما عفى عنه إلا أن
يكون من أهل ملته وليس له من الأمر شيء لأنه مكلف وقد
أمره الله في القرآن أن يجاهدكم ولسنا نبرح عنكم إلا بإحدى
ثلاث خصال إما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية أو
السيف فقال روماس وحق ديني لو كان الأمر إلي ما قاتلتكم

لأني أعلم أنكم على الحق وهؤلاء طاغية الروم قوم مجتمعة وإني
أريد أن أرجع إليهم وأعظهم وأعلم ما عندهم فقال له شرحبيل
عجل فلا بد لكم من الذي ذكرت إما الإسلام وإما الجزية
وإما القتال فمال روماس إلى قومه وجمعهم حوله وقال يا أهل
دين النصرانية وبني ماء المعمودية اعلموا أن الذي كنتم تجدونه
في كتبكم من خروج العرب إلى بلادكم ونهب أموالكم وقتل
بطارقتكم وملوككم قد قرب وهذا وقته وزمانه ولستم
أعظم قدرا وصيتا من البطريق روبيس سار إلى شرذمة من
هذا العرب بأرض فلسطين فقتل وقتل أكثر من كان معه
وانهزم الباقون • وقد بلغني أن رجلا منهم خرج من أرض
السماوة صوب العراق اسمه خالد بن الوليد وقد فتح أذركة
والسخنة وتدمر وحوران وهو عن قليل يصل إليكم والصواب
أن نؤدي الجزية إلى هؤلاء العرب وينصرفون عنا فلما سمع
قومه ذلك شاشوا عليه وهموا بقتله • فقال روماس
يا قوم ما أردت إلا لأنظر حميتكم لدينكم والآن دونكم
والقوم وها أنا أولكم قال فرجعت في عددها وعددها
وتظاهروا بالدروع والبيض وقادوا الجنائب وتهيأوا للحملة

فلما رأى ذلك شرحبيل وعظ أصحابه وقال اعلموا أن المصطفى
صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف وأحب ما
إلى الله قطرة دم في سبيل الله أو دمعة جرت من خشية الله
جاهدوا العدو وارموا السهام ولتكن مجتمعة فإنها لا تخب يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
ثم حمل وحمل المسلمون على جيش بصرى قال ماجد بن رويم العبسي
وكنت في جيش شرحبيل حين قاتلنا أهل بصرى ولقد طمع فينا
العدو وحملوا علينا في اثني عشر ألفا من الروم ونحن فيهم كالشامة
البيضا في جلد البعير الأسود قال وصبرنا لهم صبر من يروم الموت
والدار الآخرة ولم يزل القتال بيننا وبينهم إلى أن توسطت
الشمس قبة الفلك وقد طمع العدو فينا ولقد رأيت شرحبيل
قد رفع كفيه إلى السماء وهو يقول يا حي يا قيوم يا بديع السموات
والأرض يا ذا الجلال والإكرام اللهم قد وعدتنا على لسان
نبيك فتح الشام وفارس اللهم انصر من يوحدك على من يكفر
بك اللهم انصرنا على القوم الكافرين قال ماجد بن رويم
فوالله ما استتم شرحبيل دعاه حتى جا النصر وذلك أن الروم
داروا بنا وقد حدثتهم أنفسهم بالوصول إلينا إذ رأينا

غبرة قد أشرفت علينا من صوب حوران كأنها قطع الليل فلما قربت
منا رأينا تحتها سوابق الخيل ولاحت لنا الأعلام والرايات وقد
سبق إلينا فارسان من القوم وأحدهما يقول يا شرحبيل أبشر
بنصر الله أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد والآخر يقول
أنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق • قال وأقبلت لخم
وجذام وجاءت مواكب جيش الزحف وأشرفت راية العقاب
يحملها رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه قال الواقدي
حدثني سالم بن عدي عن ورقة بن حسان العامري عن ميسرة بن
مسروق قال والله لقد خمدت أصوات الروم عند زعقة خالد
وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض وأقبل شرحبيل يسلم على
خالد وقال خالد يا شرحبيل أما علمت أن بصرى موسم الشام
والحجاز والعراق وفيها عساكر الروم وبطارقتهم فكيف
غررت بنفسك وبمن معك قال شرحبيل ذلك بأمر أبي عبيدة
فقال أما أبو عبيدة رجل مستسلم يحسب أن كل الحرب سواء
ولا يعلم بمواقعها ثم أمر الناس بالراحة وزود الناس بعضهم بعضا
من أزوادهم فلما كان من الغد زحفت جيوش بصرى إليهم
فقال خالد إن القوم قد زحفوا علينا لعلمهم بتعبنا وتعب خيولنا

اركبوا على بركة الله وعونه قال فركب المسلمون وأخذوا أهبتهم
للحرب وجعل في الميمنة رافع بن عميرة الطائي وفي الميسرة ضرار
ابن الأزور بن طارق وكان غلاما فاتكا في الحرب قد ذكرت
شجاعته وعرفت براعته في المواطن وعلى الرجالة عبد الرحمن بن
حميد الجمحي ثم قسم جيش الزحف فجعل على الميمنة المسيب بن
عيينة الفزاري وجعل على الميسرة مذعور ابن غنم الأشعري
وبقي يعظ الناس ويوصيهم هو وعبد الرحمن ابن الصديق وقال
قال وإن الناس على مثل ذلك وقد عزموا على الحملة وإذا بصفوف
الروم قد انشقت وخرج منها فارس عظيم الهيكل كبير الزينة
يلمع ما عليه من الذهب والجوهر والياقوت فلما توسط ما بين
الجمعين قال بلسان عربي كأنه بدوي يا معاشر العرب لا
يبرز إلي إلا الأمير فأنا صاحب القوم قال فبرز إليه خالد
رضي الله عنه وقرب منه فقال له البطريق أنت كبير هذا الجيش
قال خالد أنا كذلك ما دمت على طاعة الله تعالى فإن عصيته
فلا ثم قال له خالد من أنت قال أنا بطريق القوم وملكهم
أو قال من عقلا الروم وملوكهم وإن الحق لا يخفى على صاحب
بصيرة وعلم وإني قرأت في الكتب السالفة والأخبار الماضية

فوجدت فيها أن الله يبعث نبيا قرشيا هاشميا اسمه محمد قال خالد
هو نبينا فقال هل أنزل عليكم كتابا قال نعم اسمه القرآن
قال روماس أحرم عليكم الخمر قال نعم ومن شربها منا حددناه
ومن زنا جلدناه وإن كان محصنا رجمناه قال أفرضت عليكم
الصلاة قال نعم خمس صلوات في اليوم والليلة قال وتحجون
قال نعم من استطاع إليه سبيلا قال أفرض عليكم الجهاد قال نعم
ولولا ذلك ما جئناكم نبتغي قتالكم قال روماس والله إني
أعلم أنكم على الحق وإني أحبكم وقد حذرت قومي منكم فأبوا
وإني خائف منهم فقال له خالد قل أشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله حتى يكون
لك ما لنا وعليك ما علينا • فقال له روماس إن أنا أسلمت
أخاف أن يعجلوا قومي بقتلي ويسبوا حريمي ولكني أسير إليهم
وأرعبهم وأحذرهم ولعل الله أن يهديهم فقال له خالد إن
رجعت إلى قومك بغير قتال يكون بيني وبينك خفت عليك
منهم ولكن أحمل عليك وتحمل علي حتى لا يتهموك وبعد ذلك اطلب
قومك قال فحمل بعضهم على بعض وأظهر خالد أبوابا من الحرب
حتى انهزم روماس وذلك بعد أن قال لخالد إني خائف عليكم

من بطريق بعثه الملك معونة لي واسمه الدرنجان فقال له أن الله تعالى
ينصرنا عليه فلما وصل روماس الى أصحابه فقالوا له ما الذي رأيت
قال يا قوم إن العرب أجلاد وما فيكم للقائهم وقتالهم ولا بد
أن يملكوا الشام وما تحت سرير الملك فاتقوا الله وكونوا تحت
طاعتهم وكونوا كأهل أذرعة وتدمر وإني ناصح لكم فلما
سمعوا ذلك من كلامه زجروه وأرادوا قتله لولا خوفهم من
الملك وقالوا له ادخل المدينة والزم قصرك ودعنا لقتال
العرب قال فانصرف عنهم روماس وكان ذلك بغيته
ومراده وقال لعل الله أن ينصر خالدا فأسير معه بأهلي حيث سار
ثم إن أهل بصرى ولوا عليهم الدرنجان وقالوا له أدن من
المسلمين حتى إذا سرنا إلى الملك سألناه أن يعزل عنا روماس
ويوليك علينا وأنت أعظم حالا منه وعقلا فقال لهم الدرنجان
فما الذي تريدون قالوا تحمل أنت وتطلب قتال أمير القوم
فإن أميرهم إذا انهزم انهزم القوم قال فخرج الدرنجان
بلامته وزينته. وطلب خالدا فقال عبد الرحمن ابن ابي بكر
يا أبا سليمان أنت الأمير علينا وقوامنا بك وأنا لهذا العدو
دونك ثم خرج عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه وحمل

عل

على الدرنجان وأطبق بعضهما على بعض ونظا ولث أعين الفريقين اليهما
فما لبث الدرنجان مع عبد الرحمن ساعة أو أقل إلا وقد أحس عدو الله
من نفسه التقصير فولى منهزما وكان جواده أسبق من جواد عبد
الرحمن فلت من يده إلى قومه فقالوا له أيها السيد وما الذي ردك
عن قتال عدوك قال أخذني الخوف فلم أقدر على الثبات ولكن احملوا
أنتم قال فألقى الله في قلوبهم الرعب والجزع فلم يقدروا على
الخروج وجبنوا وعلم خالد ما عند القوم من الجزع فحمل وحمل
عبد الرحمن ابن ابي بكر وتبعهما رافع بن عميرة والمسيب بن نجبة
الفزاري وعبد الرحمن بن حميد الجمحي وضرار بن الازور وقيس
ابن هبيرة وشرحبيل بن حسنة وسائر المسلمين ولما نظر أهل
بصرى إلى المسلمين وحملتهم لم يكن لهم بد من قتالهم فاستقبلوهم
وفشى القتل في الروم وضربت الأجراس على سور بصرى والنواقيس
وضج الرهبان والأقسة بكلمة الكفر فقال شرحبيل اللهم إن هؤلاء
الأرجاس يبتهلون إليك بكلمة الكفر ويجعلون معك إلها غيرك
لا إله إلا أنت ونحن نبتهل إليك بأنه لا إله إلا أنت وبحق نبيك
عليك إلا نصرت هذا الدين على أعدائك المشركين قال وأمن
الناس على دعائه ثم حملوا حملة واحدة خيل لأهل بصرى أن السور

قد انهدم فلم يكن للروم ثبات مع العرب فولوا الادبار وركنوا
الى الفرار وبقيت الارض مملوة من القتلى وقتل بعضهم بعضا على
الابواب فلما حصلوا داخل المدينة غلقوا الابواب وتحصنوا بالسور
وجعلوا مراكزهم على الابدان والابراج ووضعوا البوارق
والصلبان وحصنوا انفسهم وعولوا ان يكتبوا للملك بمددهم بالخيل
والرجال قال عبد الله بن رافع فلما تحصن القوم منا وعلوا على سورهم
ارتجعنا عنهم وافتقدنا اصحابنا فوجدنا قد قتل منا مايتان وثلاثون
فارسا اكثرهم من بجيلة وهمدان وقتل من اعيان المسلمين
بذر بن حرملة وكان حليفا لثقيف وزغزغ بن رفعة ومازن
ابن عوف وسهل بن باسط وجابر بن مرارة والربيع بن حامد
وعباد بن بشر ختم الله لهم بالشهادة • قال وغنم المسلمون
الغنايم والاموال والشهاري وصلى خالد على الشهداء وامر بدفنهم
فلما جن الليل تولى الحرس عبد الرحمن بن ابى بكر ومعمر بن رافع
والاشتر النخعي وماية من جيش الزحف فبينما هم يدورون حول
الجيش اذ حددت الخيل اذانها وحمحمت فاستيقظ المسلمون
ونظروا واذا برجل من الروم عليه مسوح الشعر فاسرع اليه
عبد الرحمن بن ابى بكر وهم به فقال له امسك عليك يدك

فانا صاحب بصرى فاخذه واتى به الى خالد واوقفه بين يديه
فلما راه خالد عرفه فقال ايها الامير ان قومى طردونى وقالوا
الزم قصرك والا قتلناك فلزمت قصرى وهو بجانب السور فلما
جن الليل امرت اولادى وغلمانى فحفروا السور حتى فتحوا فيه
بابا فخرجت منه وجئت اليك لتبعث معى من اصحابك من تثق به
حتى تسلموا المدينة ان شاء الله تعالى • فلما سمع خالد قول
روماس سجد شكرا لله تعالى وامر عبد الرحمن بن ابى بكر ان ياخذ
معه ماية ممن يثق بهم ويسير مع روماس وامره عليهم قال
ضرار بن الازور وكنت فيمن دخل بصرى قال فلما صرنا فى قصر
روماس فتح لنا خزاينه وقال البسوا وادخلوا فى زي الروم قال
فلبسنا زيهم فى الحرب ثم قسمنا فى اربعة اركان المدينة
فى كل جانب خمسة وعشرون رجلا وقال لهم عبد الرحمن اذا سمعتم
تكبيرنا فكبروا قال فلما صرنا حيث امرنا اخذنا على انفسنا
الاهبة لحملتنا على الروم قال وان عبد الرحمن لما فرق اصحابه على
جوانب المدينة لبس وتدرع واشتمل بشملة خمرية وكذلك
روماس واعطى لعبد الرحمن برنسا فالقاه على لباسه ومسك
بسيفه تحت البرنس وصعد كل منهما يريد البرج الذى عليه

الدريجان وأصحابه فلما قرب عبد الرحمن وروماس من البرج نظر إليهما
أصحاب الدريجان فتشخصوا نحوهما فقال الدريجان من أنتما قال
أنا روماس البطريق قال لا أهلاً بك ولا سهلاً ولا مرحبا ما جاء بك
ومن هذا الذي معك قال روماس إن الذي معي صديق لك مشتاق
إلى لقائك قال ويلك ومن هو قال هو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
وهو من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقبل
نحوك يريد أن يبعث بروحك إلى الهاوية ۝ قال فلما سمع الدريجان
قول روماس هم أن يثب فعاجله عبد الرحمن بسيفه وضربه
عبد الرحمن على عاتقه أطلع السيف من علايقه ثم كبر عبد الرحمن
فلما سمعه روماس أجابه وسمع أصحابه فأتوه بالتكبير من
جوانب بسري ووضعوا السيف في الروم وأجابهم خالد بن
الوليد بمن معه من ظاهر المدينة وزحف وإذا بغلمان روماس
وأولاده قد فتحوا لهم باب بسرى فدخل خالد ومن معه فلما
نظر أهل بسري إلى مدينتهم قد فتحت بالسيف قهراً ضجوا بأجمعهم
كفون كفون يعنون الأمان الأمان فرفع خالد السيف عنهم
وأقام حتى أصبح فاجتمع إليه أهلها وقالوا لو صالحناكم ما كان
شيء من هذا ونحن نسألك بالذي أيدك علينا ونصرك من فتح لك

مدينتنا فاستحى خالد يقول روماس فوثب روماس قايما وقال أنا
يا أعداء الله فعلت ذلك ابتغاء مرضات الله فقالوا له أو لست منا قال
اللهم لا تجعلني منهم أنا كافر بالصليب ومن عبده ورضيت بالله
ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالمسلمين إخوانا فغضبوا من
كلامه وأضمروا له شرا فعلم بذلك روماس فقال لخالد أريد
السير معك حيث تسير فإذا فتح الله على أيديكم وصار الشام
لكم تردوني إليها لأن الوطن مألوف والمرء بحبه مشغوف

قال الواقدي

رحمه الله حدثني معمر بن سالم عن
جده نجيحة بن مفرج قال كان روماس معنا في المواطن كلها
يجاهد جهادا حسنا حتى فتح الله علينا الشام فكتب أبو عبيدة يخبر
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أيامه فولاه بسرى ثم عاده
إليها فلم يلبث بها إلا يسيرا حتى مات رحمه الله وترك عقبا
يذكر به قال وسأل روماس خالدا أن يعينوه على إخراج ماله
ورحله من المدينة ففعلوا ذلك قال وإذا بزوجة روماس
تخاصمه فجاؤوا بها إلى خالد فاستغاثت به بالرومية فقال خالد
للترجمان قل لها ما تريد قالت كنت البارحة نايمة فرأيت
شخصا ما رأيت أحسن من طلعته وكأنه يقول لي إن المدينة

تفتح على يدي هؤلاء القوم والشام والعراق فقلت له من أنت فقال
أنا محمد رسول الله ثم دعاني إلى الإسلام فأسلمت وعلمني سورتين
من القرآن قال فتعجب خالد من ذلك وقال للترجمان قل لها تقرأ
فقرأت الحمد لله رب العالمين وقل هو الله أحد وجددت الإسلام
على يد خالد وقال سبحان من وفقها وهداها ثم قال للترجمان
قل لها إن زوجها قد أسلم ففرحت بذلك ثم إن خالد صالح أهل
بصرى على ما أراد وأراد أن يكون له وزير يلجأ إليه ثم أمر عليهم
من اتفق رأيهم عليه ثم كتب كتابا إلى أبي عبيدة يبشره بالفتح
ويقول له قد ارتحلت إلى دمشق فالحقني ثم كتب كتابا إلى أبي
بكر الصديق رضي الله عنه يخبره برحيله عن العراق بعد أن أشرف
على فتح القادسية وقد سرت كما أمرتني إلى الشام وقد فتح الله
على يدي أذرعة وتدمر وحوران وبصرى ويوم كتبت لك
هذا الكتاب ارتحلت إلى دمشق والله أسأله النصر والسلام عليك
وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم ارتحل إلى دمشق
فأشرف على موضع يقال له الثنية وركز بها راية العقاب فسميت
ثنية العقاب ثم انحدر منها إلى الغوطة ونزل بالدير وهو معروف
إلى يومنا هذا بدير خالد وكان أهل السواد قد التجأوا إلى دمشق

وقد اجتمع فيها أمم لا تحصى من الرجالة وأما الخيل فكانوا اثنا عشر
ألفا وقد زينوا أسوارهم بالطوارق والأعلام والصلبان وأقام
خالد على الدير ينتظر قدوم أبي عبيدة ومن معه من المسلمين قال
وإن الأخبار اتصلت بالملك هرقل وما فتح خالد وكيف توجه إلى
دمشق قال فجمع البطارقة إليه وقال يا بني الأصفر قد قلت لكم
وحذرتكم فأبيتم وهؤلاء العرب قد ملكوا حوران وبصرى وتدمر
وأذرعة وقد توجهوا إلى الشام فإن فتحوها فوا كرباه ويا غماه
لأنها جنة الشام وقد نفذت إلى أهلها الجيوش والعساكر وهم
أضعاف العرب فأيكم يتوجه إلى قتالهم ويكفيني أمرهم وأعطيه
كلما فتحوه من المدن خراجا فقال بطريق من بطارقته اسمه كلوص
ابن حنة من أبطال الشام وشجعانها وقد بين شجاعته في عساكر
الفرس لما قصدوهم أيها الملك أنا أكفيك أمرهم وأردهم
على أعقابهم فسلم إليه الملك صليبا من الذهب وضم إليه خمسة
آلاف فارس وقال قدم صليبك أمامك فهو ينصرك قال
فأخذه كلوص وسار من يومه من أنطاكية إلى أن وصل حمص
فوجدها مزينة بالسلاح والعدد فلما بلغ أهلها قدومه خرجوا
للقائه وقدموا الأقسة والرهبان أمامهم معهم المباخر بالعود

والند والإنجيل على صدورهم فتقدموا أمام موكبه ورشوا من ماء
المعمودية ودعوا بالنصر وأقام على حمص يوما وليلة ثم ارتحل إلى
مدينة حوسية ففعل أهلها كما فعل أهل حمص ثم ارتحل منها إلى
بعلبك فخرج إليه أهلها ونساؤها لاطمات الخدود ناشرات
الشعور فقالوا ما وراءكم فقالوا إن العرب فتحوا أذرعة وتدمر
وحوران وبصرى وقد بلغنا أنهم يطلبون دمشق فقال كلوص
قد بلغني أنهم على الجابية فكيف قدروا أن يتوسطوا القرى
والحصون فقالوا أيها السيد أولئك لم يبرحوا من مواضعهم وإنما
هو رجل من قوم العراق وهو الذي فتح أذرعة وتدمر وحوران
وبصرى قال وما اسمه قالوا خالد بن الوليد قال في كم يكون
قالوا في ألف وخمسمائة فارس فقال كلوص وحق ديني
لأجعلن رأسه على سنان قنطاريتي هذه ثم رحل ولم ينزل إلا دمشق
وكان والي دمشق والمتولي عليها بطريقا من قبل هرقل كبير
الشأن عند الروم اسمه عزرايل وكان في ثلاثين ألف ما بين
خيال وراجل فلما دخل كلوص اجتمع إليه أكابر الروم من
أهل دمشق والبطارقة وعزرايل وأصحابه وقرأوا منشور الملك
ببعث كلوص إليهم وبطارقته وقتاله إليهم فلما فرغوا من قراءته

قال لهم كلوص أنا أقاتل عنكم وأصد عدوكم عن بلدكم ولكن
تخرجون عزرايل عنكم حتى أكون وحدي لهذا الأمر فقالوا أيها
الصاحب وكيف ينبغي لنا أن نبعد صاحبنا ونخرجه من بلادنا
وهذا العدو قاصد إلينا ولو كان منكم عشرة ملوك أردناهم
لنقوى بهم على قتال العرب فقال عزرايل إذا قربت العرب منا
خرجنا لقتالهم وكل واحد منا يخرج بجيشه يقاتل العرب يوما
فمن هزم العرب كانت المدينة له فقال شيوخ البلد قد أنصف
البطريق قال وتواصوا على ذلك وانفصل القوم وقد نشبت
عداوة عزرايل في قلب كلوص وعداوة كلوص في قلب عزرايل
قال الواقدي رحمه الله وكان القوم يخرجون
كل يوم إلى باب الجابية بفرسخ ينتظرون قدوم أبي عبيدة حتى
جاءهم خالد بن الوليد من نحو الثنية كما ذكرنا قال حدثني أبو معمر
ابن طلحة قال حدثني أبو ياسر بن محمد قال أخبرني رفاعة بن مسلم
العدوي قال كنت في خيل خالد لما نزل على الدير المسماه بالغوطة
وإذا بجيش دمشق قد زحف إلينا كالجراد المنتشر فلما رآه
خالد تدرع بدرع مسيلمة بن قيس وشد وسطه بعمامته وتو شح
بطرفها ثم صرخ في المسلمين وقال أيها الناس رحمكم الله

هذا يوم له ما بعده وهذا العدو قد زحف الينا بخيله ورجله فدونكم
واياه وانصروا الله ينصركم واصبروا فان النصر مقرون بالصبر
وكونوا كمن باع نفسه من الله سبحانه فان الله سبحانه قد اشترى
نفوس المؤمنين المجاهدين كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة • وكانكم باخوانكم المسلمين
قد قدموا عليكم مع ابي عبيدة قال فاسرع المسلمون الى خيولهم
فركبوها واستقبلوا جيش الروم قال فوقف الروم عن قتالهم
ووقفوا بجيشهم بازا جيش المسلمين فعندها رتب خالد اصحابه
فجعل في الميمنة رافع بن عميرة الطاي وفي الميسرة المسيب بن
نجبة الفزاري وفي الجناح الايمن شرحبيل بن حسنة وفي الجناح
الايسر عبد الرحمن بن حميد الجمحي وعلى الساقة سالم بن نوفل
اليشكري واقام خالد في القلب معه عبد الرحمن ابن ابي بكر
وضرار ابن الازور بن طارق العبسي فلما رتب خالد اصحابه
وعباهم تعبية الحرب قال لضرار بن الازور اتبع سبيل ابيك
وقومك في الحرب وانصر دين الله فان الله ينصرك وارعب
الروم بحملاتك وزعزعهم بشجاعتك قال فخرج ضرار بن الازور
كانه شعلة نار وهو لابس ثوب وسخ وعلى راسه عمامة رثة

وتحته مهرة عجفا الا انها تسبق الريح فحمل على جيش الروم بشدة عزم
ولم يلو عنهم حتى صدم جيوشهم وبلبل مصافهم وقتل في حملته
اربعة فوارس من علوج الروم ثم اثنى حملته على الرجالة فقتل
منهم ستة ولولا سهام الروم وحجارتهم عليه لما رجع عن قتالهم
قال فلما عاد شكر له خالد والمسلمون ثم ان خالدا قال لعبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق ارهب اعدا الله بحملاتك بارك الله فيك
قال ففعل عبد الرحمن ما امره وحمل على الروم وفعل كما فعل ضرار
ابن الازور وقتل وجندل بشجاعته وخفته فلما نظر اليه كلوص
علم انه امير الجيش وقايده وتحقق ان خالدا يقصده بحملته
لاجل زينته وصليبه الذي على راسه فتاخر البطريق الى خلفه
من مخافته • فلما نظر خالد الى تقهقر البطريق وتزعزعه
جعل يريده فزعقت عليه البطارقة ورموه بسهامهم فلم
يلتفت اليهم ولا عبا بهم وجواده كالبرق الخاطف بين
صفوفهم وحمل ولم يرجع عن حملته حتى قتل عشرة من الروم
ثم انثنى راجعا واراهم ابوابا من الحرب الى ان انهرهم ثم
طلب البراز فلم يجبه احد منهم فقال يبرز منكم فارسان
لقتالي فلم يجبه احد فقال يبرز اربعة فلم يجيبوه الى ان قال

عشرة فسكتوا فقال يا ويلكم هل انا الا واحد من العرب وكلنا في الحرب سوا

قال الراوي

فمنهم من فهم ومنهم من لم يفهم فعندها أقبل عزرايل على كلوص بن حنة وقال أليس الملك قدمك على جيوشه وبعث بك إلى هؤلاء العرب فدونك وإياهم وحامي عن بلدك ورعيتك فقال له كلوص انت احق مني بذلك لأنك أقدم مني في البلد وقد زعمت انك لا تخرج منها الا بأمر الملك هرقل فما لك لا تخرج الى العرب فقال عزرايل قد جرى الشرط بيني وبينك أن تقاتل أنت وعسكرك يوما وأنا وعسكري يوما فقاتل أنت اليوم حتى أقاتل انا غدا فقال كلوص أبدا انت اليوم وانا غدا وتخاصما وارتفع الكلام بينهما فقال لهم الفريقان تقارعا فمن خرجت القرعة عليه اليوم قاتل فقال كلوص بل نحمل بجمعنا فهو أهيب لنا وأوفق ولا نقترع فقال عزرايل ما لي فيما ذكرت من حاجة فخاف كلوص أن يبلغ الملك الخبر فقال نقترع فمن وقعت القرعة عليه خرج قال فاقترعا فخرجت القرعة على كلوص • فقال له عزرايل اخرج وبين شجاعتك كما فعل أمير العرب وأخرج انا غدا وينظر الجمعان من هو أشجع وأفرس قال فعندها تدرع كلوص

وتاهب وقال لأصحابه أريد أن تكون همتكم عندي فإن رأيتموني تقصيرا فاحملوا وخلصوني فقال أصحابه إن هذا كلام خايف جزع لن يفلح قال يا قوم إن الرجل بدوي ولغته غير لغتي وإني أريد أن أخاطبه وأحذره زرع منيع وإني أريد رجلا يكون بيني وبينه فخرج إليه رجل نصراني اسمه جرجس وكان من أهل الفصاحة والنجدة فقال انا أترجم عنك ثم سار معه فقال كلوص اعلم أن هذا البدوي من أشجع العرب فإن رأيتني قد جبنت عن قتاله فأعني حتى تكون صاحبي وأتخذك وزيري ومشيري وهذا الكلام يكون مكتوم عندك وها انا أماطل في الخروج إليه اليوم وأرجع فعسى في غد يخرج إليه عزرايل ويقتله وأستريح من صورته • فقال له جرجس ما انا بصاحب حرب وإنما أنا أعينك بكلامي ما قدرت وأخادعه ما استطعت فإن أبا فانظر لنفسك فقال له كلوص ويحك وتطيب نفسك أن تسلمني الى عدوي فقال له جرجس ولا يطيب قلبي أن أقتل في رضاك وما ينفعني نيلك وبرك إن انا مت قال فسكت عنه وسار حتى قرب من خالد ونظر المسلمون إليهما فهم أن يخرج إليه رافع بن عميرة الطاي

فزعق عليه خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال له مكانك لا تبرح
فإني أهل للنظر **قال الواقدي** رحمه الله فلما دنا من خالد
قال كلوص لصاحبه جرجس ادن من خالد وكلمه فدنا منه وكلمه
وقال له يا عربي إني أضرب لك مثلاً وذلك أن مثلنا ومثلكم كمثل
رجل كان له قطيع من الغنم فسلمه إلى راع يرعاه وكان الراعي
فشلاً قليل الجراءة على الصيد فأقبل إليهم سبع فجعل يفترس في كل
يوم منها رأساً إلى أن نقصت الغنم والسبع قد استطابها ولا يجد
لها مانعاً فلما نظر صاحب الغنم إلى ما حل بغنمه علم أنه لم يؤت
عليها إلا من الراعي وفشله فانتدب لغنمه غلاماً جرياً حازماً
خبيراً وسلم إليه الغنم فكان لا يهدى من الجولان حول
غنمه طول ليلته فبينما الغلام كذلك إذ أقبل إليه السبع
كعادته الجارية له واخترق الغنم فنظر الغلام إلى السبع وقد
اخترق الغنم فهجم عليه وضربه بمنجل كان معه فقتله ولم
يقرب الغنم وحش بعدها • وكذلك أنتم لها ونا بكم
لأنه لم تكن أمة أضعف عندنا منكم لأنكم جياع مساكين
حفاة عراة تعودتم أكل الذرة والشعير والزبيب ومص
النوى فلما خرجتم إلى بلادنا وأكلتم من طعامنا كلبتم علينا

ووصلتم إلى ما وصلتم إليه وفعلتم ما فعلتم وقد بعث إليكم الملك
رجلاً لا يقاس بالرجال وبطلاً لا يقاس بالأبطال وهو الذي الجابي
فاحذروا منه أن ينزل بكم ما أنزله الغلام الجري بالأسد وإنه
سألني أن أخرج إليك وأتلطف معك في الكلام رحمة بك وشفقة
عليك فأخبرني ما الذي تطلبوه منا وغاية ما تريدون فقد
توسطتم بحراً من دخله غرق في تياره ومن شرب منه شرق
بأجاجه فإن كنت أميرهم فقد تكلمت عنك وعنهم قبل أن يهجم
عليك هذا الليث فيفترسك بمخالبه • قال فلما سمع خالد
ذلك من كلام جرجس وما أتى به من فصاحته قال يا عدو الله
ألنا تضرب الأمثال والله ما نحسبكم عندنا في الحرب إلا كقابض
الطير بشبكته يقبضها يميناً وشمالاً ولا يجزع من كثرتها ولا
يمل من قبضها وأما ما ذكرت من بلدنا وقحطه فهو كما ذكرت
إلا أن الله أبدلنا ما هو خير منه أبدل لنا خبز الذرة بالحنطة
والسمن والعسل وهذه أرض قد وعدها لنا ربنا على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم وأما قولك ما الذي تريدون منا فالإسلام
أو الجزية أو القتال حتى يحكم الله بحكمه وأما قولك هذا الرجل
الذميم هو عندكم مكين عظيم فهو عندنا أقل من قليل وإن يكن

ركن الملك فانا ركن الإسلام انا صاحب تدمر وأركة وحوران وبصرى
انا خالد بن الوليد فلما سمع جرجس كلامه تأخر الى ورائه وتغير لونه
فقال له كلوص ويلك رأيتك في بادية الامر تهدر كالاسد
فما لي اراك قد جزعت وتأخرت الى وراك فقال جرجس وحق
ديني لقد ظننت انه من اوباش العرب ولم اعلم انه كبشهم النطاح
هذا صاحب تدمر وحوران هذا الذي ملأ الارض شرا فتقدم
اليه واظهر شجاعتك عليه • قال فلما سمع البطريق بذكر
خالد انتفض كالسعفة في يوم ريح عاصف ثم قال يا جرجس
اسأله ان يقطع الحرب بيننا وبينهم الى صبيحة غد قال ما اظنه
يقبل ذلك وسوف اسأله ثم التفت جرجس الى خالد وقال
يا سيد قومه ان صاحبي يقول لك انه يرجع الى قومه ليشاورهم
فيما ذكرت فقال خالد يا ويلك اتخدعني بقولك وانا جرثومة
الخداع وان السلامة منكم بعيدة ثم اقلب رمحه نحو جرجس
فلما نظر الى الرمح اعتقل لسانه وولى هاربا فلما نظر خالد الى
هروبه طلب البطريق كلوص وحمل عليه مما يلي عسكر الروم
ليمنعه من الهرب فلما نظر البطريق الى فعل خالد لزمه حربه
فحمل وصبر لقتاله وتطاعنا طعانا احر من الجمر فاحترز البطريق

من حملات خالد فلما نظر خالد الى احترازه اقرن عنانه بعنانه وبدك
قناته من اليمين الى الشمال وضرب بيده في مخانق درعه وجذبه
اليه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم سله بيده
واقتلعه من سرجه • فلما نظر المسلمون الى فعل خالد رضي الله
عنه كبروا تكبيرة عظيمة اذهلوا بها المشركين وتسابق اليه
الابطال والاقيال فلما قربوا منه سلم اليهم البطريق وقال لهم
استوثقوا من كتافه فاني اظنه صاحب القوم ففعلوا ذلك وهو
يتكلم بكلام لا يفهمه احد فأتوا به المسلمون الى روماس
صاحب بصرى وقالوا له انظر ما الذي يقول هذا البطريق
فلما فهم كلامه قال انه يقول يا قوم لم تكتموني وقد احتجت الى ما
قال صاحبكم ألستم تطلبون الجزية والمال على رأسي وانا الضامن
لكم ما سألتم ودافع اليكم ما طلبتم فأعلموا خالدا بقوله فقال
استوثقوا به ثم ان خالدا نزل عن فرسه وركب شهريا كان
اهداه له صاحب تدمر وتهيا للحملة على القوم فقال له ضرار
ابن الازور ايها الامير انك قد تعبت في اسر البطريق فدعني
احمل عنك حتى تستريح قال يا ضرار انما الراحة في الدار الآخرة
ومن تعب اليوم استراح غدا ثم قال الله الخليفة عليكم ثم

هم بالحملة فصاح به البطريق بحق نبيك الا رجعت لاكلمك فصاح
الناس يا خالد ان البطريق يدعوك ويقسم عليك فرجع خالد وقال
لروماس قل له ما الذي تريد فتكلم معه ساعة ثم قال لخالد انه
يقول لك انا صاحب الملك وقد بعث بي اليك مع خمسة الاف
فارس وقد تخاصمت مع عزرايل والي دمشق وجرى لي معه كذا
وكذا وقد اسرتني انت وملكت قيادي فبحق دينك ان هو خرج
اليك فلا تبقي عليه وان لم يخرج اليك فاطلبه حتى يخرج اليك
فاذا خرج اليك اقتله فانه امير القوم وقد ملكت دمشق فهل انت
فاعل ما قلت لك فقال خالد يا روماس قل له انني لا ابقي على احد
ممن كفر بالله ويتخذ له ندا ثم ان خالدا حمل وهو يقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة ۝ وشكر لما اوليت يا سابغ النعم ۝
مننت علينا بعد كفر وظلمة ۝ وكشفت عنا ما نلاقي من البهم ۝
وايدتنا بالنصر والعز والهدى ۝ وشرفتنا بالطهر من خيرة الامم ۝
فيتمم اله العز ما قد نرومه ۝ ويعجل لاهل الشرك بوسا من النقم ۝

ثم قرب من صفوف المشركين وطلب البراز **قال الواقدي**
رحمه الله ولقد بلغني انه لما ولي جرجس من حرب خالد عاد الي
قومه وهو يرتعد فقالوا له ما وراك قال يا قوم وراى الموت

الذي لا يغالب والليث الذي لا ينازل وهو امير القوم وقد الا على نفسه
ان لا يقصر في طلبنا حيث ما سلكنا ولا يقصر في قتلنا وما خلصت
بنفسي الا بعد جهد كبير فصالحوه قبل ان يحمل علينا باصحابه فقالوا
له ويلك ما يكفيك انك انهزمت حتى فزعت قلوبنا وهموا بقتله
والتفتوا الى عزرايل حين اسر خالد البطريق كلوص وقالوا له
اعلم ان صاحب الملك قد اسر وقد جرى بينكما من الشرط ان
يخرج هو يوما وانت يوما فاخرج الى هذا البدوي واقتله فقال
يا قوم اعلموا ان هذا الرجل المدعو خالد ان قتل فواحد من العرب
يقوم مقامه وانا ان قتلت بقيتم كالغنم التي لا راعي لها
فدعونا نحمل بانفسنا جميعا فقالوا لا نفعل ذلك لان في حملتنا
تقتل الرجال وترمل النسوان فبينما هم في المحاورة اذ اقبل
اصحاب كلوص وهم الخمسة الاف الذين وجههم الملك معه
وصاحوا على عزرايل وقالوا اما انت عند الملك باعز من صاحبنا
وقد كان بينك وبينه شرط وقد وفي الشرط واسر فابرز
انت ايضا والا ناشبناك القتال فقال يا ويلكم لا تظنوا اني
جزعت من الخروج والساعة اخرج اليه وينظر الفريقان اينا
اشجع واصبر واثبت ثم ترجل ولبس لامته وركب جوادا يصلح

بالجولان وخرج الى قتال خالد فلما قرب من خالد قال له بلسان العرب
يا خالد ادن مني حتى اسالك وكان الملعون يعرف بلسان العرب
فلما سمعه خالد قال يا عدو الله ادن انت على امر راسك وهم ان يحمل
عليه فقال يا اخا العرب على رسلك انا ادنو امنك فعلم ان الخوف
قد دخله فامسك عنه حتى قرب منه فقال يا اخا العرب ما حملك
ان تحمل بنفسك دون قومك فلو قتلت بقي اصحابك كالغنم
بعدك قال يا عدو الله قد رايت ما فعل الرجلين من اصحابي ولو تركتهما
لمزقا اصحابك كل ممزق وان وراي رجال من اصحابي يرون
الموت مغنما والحياة مغرما لكن من انت فقال اما سمعت باسمي
انا فارس الشام انا فيل الروم انا قاتل الفرس ومبيدهم انا
القتال بجيوش الترك والجرامقة فقال له خالد ما اسمك فقال
انا الذي سميت باسم ملك الموت عزرايل قال فضحك خالد من
كلامه فقال يا عدو الله ما اخوفني ان الذي سميت باسمه
مشتاق الى قبض روحك لتروح الى الهاوية فقال عزرايل بحق
دينك ما فعلت باسيرك كلوص قال خالد ها هو موثوق
بالقد فقال وما الذي منعك من قتله فانه داهية القوم قال
منعني من قتله حتى اقتلكما جميعا فقال له عزرايل فهل لك ان تاخذ

الف

الف مثقال وعشرة اثواب من الديباج وخمس رؤس من الخيل وتقتله
وتاتيني براسه فقال له خالد فهذه ديته فما الذي تعطيني انت
في ديتك فغضب عدو الله وقال ما الذي تاخذ قال الجزية عن
راسك صاغرا ذليلا فقال عزرايل يا اخا العرب كلما زدنا
في اكرامكم زدتم في اهانتنا وبسطتم السنتكم المتحرفة
علينا فخذ الان لنفسك فاني قاتلك ● فلما سمع خالد ذلك
من كلام البطريق حمل عليه كانه شعلة نار واستقبله
البطريق وقد اخذ حذره منه وتجاولا طويلا وكان
عزرايل ممن يذكر بالشام لشجاعته وبراعته فلما نظر خالد الى
ما اظهره عدو الله من الشجاعة والبراعة واحترز منه واخذ حذره
ثم قال عزرايل لخالد يا خالد وحق ديني لو اردت الوصول
اليك لوصلت وقدرت عليك ولكني ابقيت عليك لاني اريد
الصلح والابقا عليك وعلى قومك ولكن استاسر لي حتى تعلم
الناس انك اسيري وبعد ذلك اطلقك على شرط انك تسير في
غد لبلادك وتسلم لنا ما اخذت لنا من البلاد ● قال فلما
سمع خالد رضي الله عنه كلام عزرايل قال له يا عدو الله انت
اذركك الطمع فينا وهذه العساكر التي فتحت بها اريكة

وتدمر وحوران وبصري وهم ممن باعوا انفسهم في سبيل الله واختاروا
البقا السرمدي وستعلم يا عدو الله اينا يملك صاحبه ويدرك جانبه
ثم ان خالدا اظهر شجاعته وشدته وايقظ خاطره واورى البطريق
فنونا من الحرب لم يرها قط قال فندم على كلامه لخالد وقال
يا اخا العرب ما تحل المداعبة قال مداعبة الطعن والضرب ورضى
الرب فخذ لنفسك ثم داخله ولوح اليه بسيفه وقنعه بضربة قال
فانثنى السيف ولم يعمل شيا فاندهل عدو الله من صولات خالد وولى
هاربا واقبل خالد اليه طالبا قال عامر وكنت من اهل القلب وانا
انظر الى ما جرى من امر خالد وعزرايل فلما ولى عدو الله وتبعه
خالد كان جواده اسبق من جواد خالد فلم يلحقه فلما نظر عزرايل
الى تخلف خالد عنه اذ ركبه الطمع وقال ان البدوي قد خاف
مني وما لي لا افوز باسره ولعل المسيح يعينني على اخذه فلما وقع ذلك
في نفسه وقف حتى لحق به خالد وقد تكلل فرسه بالعرق
وجلله الكلال فلما قرب منه صاح به البطريق يا عربي لا تظن اني
انهزمت من الخوف وانما اردت ان ابعدك عن اصحابك وانفرد
باسرك فقال خالد الله اعلم بذلك فقال يا اخا العرب ارحم
نفسك ولا يحملك اللجاج على اتلاف مهجتك واستسلم الي ولو اردت

اسرك لاسرتك ولكن خذ حذرك فانني قاتلك لا محالة فقال له خالد
يا عدو الله اذ ركبك الطمع حين قصر بي جوادي عن طلبك وانا قاتلك
ان شا الله تعالى فارسا وراجلا ما لم تول هاربا ثم ترجل عن جواده وخطا
اليه وهز سيفه وصار كالاسد البازل فلما نظر اليه عزرايل
قد ترجل زاد طمعه فيه وحام حوله حومة القشعم وداخله
يريد ان يعلوه بسيفه فزاغ خالد عنه وغافله وصرخ به وضرب
قوايم فرس البطريق فقطعهما بقوة ضربته وسقط عدو الله الى
الارض وولى هاربا يطلب جيشه فتبعه خالد وقال يا عدو الله
ان الذي سميت باسمه قد غضب عليك وها هو قد اقبل لقبض
روحك فتاهب للقايه ثم مال عليه بشدته واختطفه من الارض
فلما نظرت الروم الى صاحبهم في يد خالد وهموا ان يحملوا لخلاصه
واذا قد طلعت رايات المسلمين وتحتها جيوش الموحدين مع ابي
عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وكان رسول خالد قد
سبق اليه من بصري فوجده في الطريق مقبلا فرده معه الى دمشق
واشرف ابو عبيدة رضي الله عنه عندما اسر خالد البطريق
عزرايل فلما نظر اهل دمشق الى جيوش المسلمين قد اقبلت داخلهم
الرعب وتوقفوا عن الحملة **قال الواقدي** رحمه الله

حدثني همام بن عوف عن قيس بن سعد عن عامر ابن عجرة قالوا انه لما
قدم جيش ابى عبيدة سال ابو عبيدة عن خالد فاخبر انه اسر بطريقين
من الروم وهما كلوص وعزرايل فدنا اليه وهم ان يترجل
فاقسم عليه خالد ان لا يفعل وكان ابو عبيدة رضي الله عنه يحبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا شديدا فسلم بعضهما على بعض
وقال لقد فرحت بكتاب ابى بكر حين قدم الى وامرك على وما تغير
خاطري عليك لانى اعرف مواقفك عند العرب والفرس فقال
خالد والله لا فعلت امرا الا بمشورتك ولا اخالف لك امرا ولا
قولا ولولا ان امر الامام طاعة لما كنت افعل ذلك لانك سبقتنى
الى الاسلام وانت خاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انهما
تصافحا وقدم لخالد جواده فركبه وسار مع ابى عبيدة يحدثه
بما وقع له مع البطريقين وكيف نصره الله عليهما الى ان اتيا للدير
فنزلا هنالك واقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض فلما كان من
الغد ركب العسكران وترتبت المواكب وزحفت جيوش دمشق
الى القتال وقد امروا عليهم توما صهر الملك فلما اقبلوا قال
خالد لابى عبيدة ان القوم قد انخذلوا وقد وقع رعب الاسلام
فى قلوبهم وضعفوا لاسر البطريقين فاحمل بنا على القوم فقال

ابو عبيدة لخالد احمل وانا لك تبعا فحمل المسلمون حملة واحدة وكبروا
باجمعهم تكبيرة واحدة فارتجت الغوطة لدوي اصواتهم ووقع
القتل في الروم وجاهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
جهادا اذهلت منه الكفار وارضوا به الجبار • قال عامر بن الطفيل
ولقد كان الواحد منا يهزم من الروم عشرة فما لبثوا معنا ساعة
حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وترك الصبر على امة النبى
المختار واقبلنا نقتلهم من الدير الى الباب الشرقي فلما نظر اهل
المدينة الى انهزام جيوشهم غلقوا الابواب فى وجوه من بقي من
اصحابهم قال قيس بن هبيرة فمنهم من قتلناه ومنهم من اسرناه
ثم رجعنا عنهم فقال خالد لابى عبيدة انا نرى من الراي ان انزل
انا على الباب الشرقى وانت على باب الجابية قال ابو عبيدة هذا
هو الراى **قال الواقدي** رحمه الله حدثني معمر بن
الحارث قال حدثني سهل بن عبد الله بن رافع التميمي عن اوس بن
الخطاب ان الذى قدم مع ابى عبيدة من الحجاز واليمن وحضرموت
وساحل عمان والطايف وما حول مكة سبعة وثلاثون الفا
وكان مع عمرو بن العاصي بارض فلسطين تسعة الاف والذي قدم
به خالد من العراق الف وخمسمائة غير ما جهزه عمر فى خلافته

وسنذكرهم ان شاء الله تعالى في موضعهم قال فنزل خالد على الباب
الشرقي بنصف المسلمين ونزل ابو عبيدة بالنصف الثاني على باب
الجابية فلما نظر الى ذلك اهل دمشق وقع الرعب في قلوبهم ثم ان
خالدا احضر البطريقين بين يديه وهما كلوص وعزرايل فاعرض
عليهما الاسلام فابيا فامر ضرار بن الازور بضرب اعناقهما ففعل
ذلك **قال الواقدي** رحمه الله ولقد بلغني ممن اثق به
ان ضرارا قتل عزرايل ورافع بن عمر قتل كلوص فلما نظر اهل دمشق
الى ما فعل خالد بالبطريقين كتبوا كتابا الى الملك هرقل يخبرونه بما
جرى عليهم وعلى عزرايل وكلوص وقد نزل العرب على الباب الشرقي
وعلى باب الجابية بنسائهم واولادهم يحاصرونا وقد اقتطعوا من
ارض البلقا الى ما ملكوا من البلاد فادركنا والا سلمنا اليهم والسلام
ثم دفعوا الكتاب الى رجل منهم واعطوه اوفى اجرة ودلوه من
السور في الليل فسار الى ان وصل الى هرقل وهو بانطاكيه فاخذ
اذنا في الدخول فاذن له فلما دخل وسلم اليه الكتاب وقراه
ارماه من يده وقال يا بني الاصفر لقد حذرتكم من هولاء
العرب واخبرتكم انهم يملكون ما تحت سريري هذا فاتخذتم
كلامي هزوا واردتم قتلي وهولا العرب خرجوا من بلاد الجوع

والقحط واكل الذرة والشعير ومص النوى الى بلاد خصبة كثيرة
الاشجار والانهار والفواكه فانحطوا عليها وراوا بلادنا وخصبها
وليس يردهم عنها الا الحزم القوي او الحرب الشديد ولولا اخشى
العار لتركت الشام ودخلت الى القسطنطينية ولكن اخرج اليهم
واقاتل عن اهل ديني وبيتي فقالوا ايها الملك وما بلغ من شان
العرب حتى تخرج اليهم بنفسك وقعودك اهيب لك قال هرقل فمن
نبعث اليهم قالوا ايها الملك عليك بوردان صاحب حمص فانه
ليس فينا مثله في القوة ومعرفة الحرب وملاقات الرجال ولقد
بين شجاعته امامك في عسكر الفرس لما قصدونا فامر الملك
باحضاره فلما حضر قال له يا وردان تهيا للمسير الى قتال العرب
فقال وردان يا ملك الروم لولا اني اخشى من غضبك علي لما سرت
اليهم لانك اخرتني وقدمت امرايك وبطارقتك فقال له الملك
انما اخرتك لانك سيفي وسندي فاخرج من وقتك هذا ولا تتاخر
وقد امرتك على اثنا عشر الفا فاذا وصلت الى بعلبك فينفذ الي
من باجنادين من الروم ان يتفرقوا في ارض البلقا وارض
السواد فيكونوا هنالك ولا يتركوا احدا من العرب يلحق باصحابهم
يعني اصحاب عمرو بن العاص فقال وردان السمع والطاعة

لأمرك وسوف يبلغك الخبر واني لا اعود اليك الا براس خالد ومن
معه واهزمهم وبعد ذلك ادخل ارض الحجاز ولا ارجع حتى اهدم
مكة والمدينة • فلما سمع الملك قوله قال وحق المسيح لئن
وفيت بقولك لاقطعنك ما فتحوا من البلاد واكتب لك كتاب
العهد انك الملك من بعدي ثم توجه ومنطقه واعطاه صليبا من
الذهب في جوانبه اربع يواقيت لا قيمة لهن وقال له اذا لاقيت
العرب فقدمه امامك فهو ينصرك فلما تسلم وردان الصليب
قام من وقته وساعته ودخل كنيسة القسيان وانغمس في ماء
المعمودية وبخروه ببخور الكنايس وصلوا عليه صلاة النصر
وخرج من وقته فضرب خيمته على باب فارس وتهيات الروم
للرحيل فلما تكامل جيشهم خرج الملك هرقل لوداعهم مع ارباب
دولته الى جسر الحديد ثم ودعهم الملك وسار وردان
على طريق المغارات الى ان وصل الى حماه فنزل هناك ونفذ
من وقته وساعته كتابا الى من باجنادين من الجيوش فامرهم
ان يتفرقوا على ساير الطرقات ليمنعوا عمرو بن العاصي
وعسكره ان يصلوا الى خالد فلما نفذ الرسول والكتاب جمع اليه
روس البطارقة وقال لهم اني اريد ان اسير على حين غفلة على

طريق داريا واكبس على هولا العرب على حين غفلة فلا ينجو منهم احد
فاستصوبوا رايه فلما كان من الليل رحل على طريق سلمية
ووادي الحيات • قال حدثني رفاعة بن النعمان المازني قال
حدثني سليمان بن خويلد اليشكري قال اخبرني شداد بن اوس
قال لما امر خالد بقتل البطريقين كلوص وعزرايل فقتلوا ثم حرض
الناس على الحرب والحصار على ابواب دمشق قال فزحفت العرب
بايديهم الجحف والسهام فلما نظر اهل دمشق الينا وقد زحفنا
رمونا بالحجارة بمناجيقهم وسهامهم قال وعادة العرب من اهل
اليمن ترميهم بنبالهم ووقع الضجيج وارتفع العجيج وضيقنا عليهم
بالحصار وايقن الروم بالدمار قال شداد بن اوس واقمنا على
حصارهم عشرين ليلة فلما كان بعد هذه المدة جانا باري
ابن مرة يخبرنا بجمع الروم باجنادين ويخبرنا بعظم جيشهم
وكثرة عددهم قال فركب خالد نحو باب الجابية الى ابي
عبيدة بن الجراح واستشاره وقال يا امين الامة اني قد
بدا لي رايا ان نرحل الى اجنادين ونلقى من هناك من الروم فاذا
نصرنا الله عليهم عدنا لقتال هولا القوم فقال ابو عبيدة ليس
هذا رايي فقال له خالد ولم ذلك قال لانا قد اذقناهم شرا

وضيقنا عليهم في الحصار ورعبنا قد حصل في قلوبهم فان رجعنا
عنهم نفروا وحصلوا الاطعمة والازواد ولا نقدر ان ننزل
في منازلنا هذه ولسنا بارحين فقال خالد والله لا عصيت لك
امرا ثم ركب وبعث الى امرايه الذين على الابواب ان شدوا القتال
على اهل دمشق ثم زحف خالد من الباب الشرقي بنفسه وحرض
الناس على القتال وجعل يقول

فمن مبلغ عنا عتيق باننا ... نلاقي جموع الروم مع من يشينها
ابا الله الا ان ادمر جمعهم ... وازوي سناني من دماء عيونها
فكم من قتيل قد تركت مجندلا ... وذات قرين سوف تبكي قرينها

قال فهش الناس للحرب وتقدموا للكفاح والضرب
ولم يزالوا كذلك الى تمام احدى وعشرين ليلة فتضعضع
اهل دمشق ونقصت ميرتهم وطال عليهم الامر ولم يروا
جيشا من قبل الملك هرقل فعزموا على الصلح وبعثوا اجاليقا لهم
الى خالد بن الوليد بان يعطوه الف اوقية من الفضة وخمسماية
اوقية من الذهب ومائة ثوب من الديباج ويرحل عنهم فامتنع
خالد من ذلك وقال لست ابرح الا بالجزية او تسلموا او القتال
فعاد الجاليقوس الى قومه واخبرهم بذلك فاشتد الامر عليهم

وكان اهل دمشق يميلون الى ابي عبيدة اكثر من ميلهم الى خالد
لان خالدا كان صاحب سيف وقتل وكان ابو عبيدة شيخا
عفيفا يعدهم بالصلح وخالد يعدهم القتل • قال فبينما
خالد قدام الناس يجد بالقتال اذ نظر الى اهل دمشق وهم
يصفقون ويرقصون ويعطعطون فنظر خالد ما الخبر فاذا اهل
السور يشيرون الى نحو الجبل فنظرنا فاذا بغبرة قد اظلم لها
الافق فعلم خالد ان طاغيتهم قد امدهم بالجيوش فصاح
بالمسلمين وامرهم بالركوب فركبوا كالشلاهب وشهروا
سلاحهم واجتمع كل قبيلة مع صاحبتها واقبلت الكتايب الى
خالد يخبرونه انهم قد راوا نحو الثنية عسكرا جرارا ولا
شك انه عسكر الروم فقال خالد لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ثم ترك خالد الناس على الباب الشرقي وركب
جواده واتى ابا عبيدة على باب الجابية فاجتمع به واعلمه
بالامر وقال يا امين الامة ما الذي ترى من الراي اترى
ان نسير بجمعنا للقايهم ونتعاون عليهم فقال له ابو عبيدة
ليس هذا راي قال ولم قال لئلا يخرج اهل المدينة من مواضعها
ويتزايد الخطب علينا قال خالد فما الراي قال نندب لهذا

الأمر رجلا شجاعا عارفا بالحرب فإن يكن فيهم مطمع قاتلهم وإلا يرسل
إلينا رسولا نمده بقوم بعد قوم ولا نبرح من مواضعنا قال فلما سمع
خالد ذلك من كلام أبي عبيدة رضي الله عنهما قال يا أمين الأمة
إني أعرف رجلا لا يخاف في الله لومة لائم خبير بملاقات الرجال
ونزال الأبطال لا يرهب الموت ولا يخاف الفوت تقدمات أبوه
وعمه في الجهاد فقال أبو عبيدة من هذا يا أبا سليمان قال ضرار
ابن الأزور المزني فقال أبو عبيدة والله لقد وصفت رجلا بازلا
معروف السيرة فافعل ذلك فرجع خالد إلى بابه ودعا بضرار بن
الأزور فجاء إليه وسلم عليه فقال له يا ابن الأزور إني أريد
أن أقدمك على خمسة آلاف فارس قد باعوا أنفسهم من الله
بجنته واختاروا دار البقا على دار الفنا والآخرة على الأولى
وتسير إلى لقاء هؤلاء القوم الذين وردوا إلينا فإن رأيت
فيهم مطمعا فقاتلهم وإن رأيت أن لا مطمع ولا قدرة عليهم
فارجع إلينا فقال ضرار وافرحاه والله يا ابن الوليد ما أدخلت
على قلبي مسرة أكبر من هذه ولو تركتني أسير إليهم وحدي
فقال خالد لعمري إنك لجلد ولكن ما أمرك الله أن تلقي بنفسك
إلى التهلكة ولكن سر مع من ندبتهم معك قال فأخذ ضرار على

نفسه وأسرع فقال له خالد أرفق بنفسك حتى يجتمع لك الجيش فقال
والله لا وقفت من علم الله فيه خيرا أدركني ثم سار ضرار إلى أن
وقف إلى بيت لهيا وهو موضع كان آزر يصنع فيه الأصنام
فمكث هناك إلى أن لحق به أصحابه فلما تكاملوا نظر ضرار وإذا بجيوش
الروم فتنحدر من الثنية مثل الجراد المنتشر وهم لابسون الدروع
متقلدون بالسلاح وقد أشرقت الشمس عليهم وعلى دروعهم
وبيضهم ولامتهم وطوارقهم فلما نظر إليهم أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا لضرار بن الأزور أما والله إن هذا
الجيش عظيم والصواب أن نرجع فقال ضرار والله لا زلت أضرب
في سبيل الله أتبع سبيل من أناب إلى الله ولا يراني الله متوانيا
ولا منهزما أولي الدبر لأن الله عز وجل قال ولا تولوهم الأدبار
فإن أنا وليت فقد عصيته قال وتكلم رافع بن عميرة الطائي
وقال يا قوم ما الخيفة من هؤلاء العلوج أما نصركم الله في مواطن
كثيرة والنصر مقرون بالصبر ولم تزل طايفتان تلتقي الجمع الكثير
بالجمع القليل فاتبعوا سنن الأولين وتفرغوا للرب العالمين
وقولوا كما قال أصحاب طالوت يوم لقياهم لجالوت ربنا أفرغ
علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ كَلَامَهُمْ وَأَنَّهُمْ آثَرُوا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا كَمَنَ بِهِمْ عِنْدَ بَيْتِ لَهْيَا وَأَخْفَى أَثَرَهُ وَهُوَ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ عَارِي الْجَسَدِ وَسَرَاوِيلُهُ فِي وَسَطِهِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ عَرِيٍّ بِغَيْرِ سَرْجٍ وَبِيَدِهِ قَنَاةٌ تَامَّةُ الطُّولِ وَهُوَ يَرْمُقُ الْقَوْمَ **قَالَ الْوَاقِدِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ هَكَذَا حَدَّثَنِي تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ عَنْ جَدِّهِ عَمْرِو بْنِ دَارِمٍ عَنْ أَبِيهِ سَلَامَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ قَالَ كُنْتُ يَوْمَ بَيْتِ لَهْيَا فِيمَنْ صَحِبَ ضِرَارَ بْنَ الْأَزْوَرِ وَهُوَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ رَغْبَةً مِنْهُ فِي الشَّهَادَةِ فَلَمَّا قَارَبَهُ الرُّومُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَرَزَ وَكَبَّرَ وَأَجَابَهُ الْمُسْلِمُونَ بِتَكْبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ عَظِيمَةٍ أَرْعَبُوا بِهَا قُلُوبَ الْمُشْرِكِينَ وَفَاجَؤُهُمْ بِالْحَمْلَةِ قَالَ فَنَظَرَتِ الرُّومُ إِلَى ضِرَارِ بْنِ الْأَزْوَرِ وَهُوَ فِي أَوَّلِ الْقَوْمِ بِحَالَتِهِ الَّتِي وَصَفْنَاهَا فَهَالَهُمْ أَمْرُهُ وَكَانَ وَرْدَانُ فِي الْمُقَدِّمَةِ وَالْأَعْلَامُ وَالصُّلْبَانُ مُشْتَبِكَةٌ عَلَى رَأْسِهِ وَالْمَدْبَجَةُ مُحْدِقَةٌ بِهِ فَمَا طَلَبَ ضِرَارٌ غَيْرَهُمْ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُمْ هُنَالِكَ وَصَمَّمَ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِمْ وَحَمَلَ عَلَى الْقَلْبِ فَطَعَنَ فَارِسًا كَانَ يَحْمِلُ عَلَمًا فَأَصَابَ نَحْرَهُ فَانْجَدَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَقَطَ الْعَلَمُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ عَطَفَ عَلَى آخَرَ فِي الْمَيْمَنَةِ فَطَعَنَهُ فَأَرْدَاهُ عَنْ فَرَسِهِ وَحَمَلَ يُرِيدُ الْقَلْبَ وَقَدْ عَايَنَ وَرْدَانَ وَالصَّلِيبُ عَلَى رَأْسِهِ يَحْمِلُهُ

فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ أَشْهَبَ وَالْجَوْهَرُ يَلْمَعُ مِنْ أَرْبَعِ جَوَانِبِهِ فَعَارَضَهُ ضِرَارٌ وَطَعَنَ حَامِلَهُ طَعْنَةً عَظِيمَةً فَخَرَقَ السِّنَانُ خَاصِرَتَهُ إِلَى أَنْ خَالَطَ أَمْعَاءَهُ فَسَقَطَ الصَّلِيبُ مُنْتَكِسًا إِلَى الْأَرْضِ فَلَمَّا نَظَرَ وَرْدَانُ إِلَى الصَّلِيبِ قَدِ انْتَكَسَ هَاوِيًا أَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ وَهَمَّ أَنْ يَتَرَجَّلَ لِأَخْذِهِ أَوْ يَمِيلَ فِي رِكَابِهِ فَلَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا مِمَّا أَحْدَقَ بِهِ وَتَرَجَّلَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيَأْخُذُوهُ وَقَدِ اشْتَغَلَ الْقَوْمُ بِضِرَارِ بْنِ الْأَزْوَرِ وَمَنْ مَعَهُ فَلَمَّا نَظَرَ ضِرَارٌ إِلَيْهِمْ قَالَ فِي مَا هُوَ مِنْ كَرْبِ الْحَرْبِ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ الصَّلِيبَ لِي دُونَكُمْ وَأَنَا صَاحِبُهُ فَلَا تَطْمَعُوا فِيهِ وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهِ إِذَا فَرَغْتُ مِنْ كَلْبِ الرُّومِ وَمَنْ مَعَهُ قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ وَرْدَانُ ذَلِكَ وَكَانَ يَفْهَمُ بِالْعَرَبِيَّةِ عَطَفَ مِنَ الْقَلْبِ يُرِيدُ الْهُرُوبَ فَقَالَتْ لَهُ الْبَطَارِقَةُ إِلَى أَيْنَ تَهْرُبُ أَيُّهَا السَّيِّدُ قَالَ أَفِرُّ مِنْ هَذَا الشَّيْطَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ أَدْنَى مِنْ مَنْظَرِهِ أَوْ أَهْوَلَ مِنْ خَطَرِهِ قَالَ فَنَظَرَ ضِرَارٌ إِلَيْهِ وَقَدْ عَطَفَ رَاجِعًا فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْهُرُوبِ فَصَاحَ بِقَوْمِهِ وَمَدَّ رُمْحَهُ وَسَاقَ جَوَادَهُ وَتَصَابَّتْ بِهِ الرُّومُ وَعَطَفَتْ عَلَيْهِ الْكَتَائِبُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ **يَقُولُ**

الْمَوْتُ حَقٌّ لَيْسَ لِي مِنْهُ مَفَرّْ ۰ وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ خَيْرٌ مِنْ سَقَرْ ۰

ثُمَّ اخْتَرَقَ الْقَوْمَ وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ وَحَمَلَ النَّاسُ فِي أَثَرِهِ وَاخْتَرَقُوا

رخت

عسكر الروم واحدقوا به من كل جانب ونظروا الى حمران بن
وردان وقد قصد ضرار بن الازور عندما علم انه اخترق الصفوف
ومد ضرار رمحه وقد احدقت به بطارقة الروم وهو يمانع عن
نفسه يمينا وشمالا لا يطعن احدا الا اباده ولا يقرب منه فارس
الا جدله الى ان قتل من الروم خلق كثير وصاح بقومه ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
قال واكبت عليهم جيوش الروم وتصارخت بهم من كل
جانب ومكان واشعل الحرب بينهم نارا ووصل حمران بن
وردان الى ضرار بن الازور ورماه بسهم فاصاب عضده
الايسر فاوهنه وحس ضرار بالالم فحمل على حمران بحمية وصمم
عليه برمحه وطعنه فاصابت الطعنة فواده فقتله ووصل
السنان الى فقار ظهره ثم جذب الرمح اليه فلم يخرج واذا به
قد اشتبك في عظم ظهره وخرج الرمح بغير سنان فلما نظر
الروم الى الرمح قد ظهر من صاحبهم بغير سنان طمعوا فيه
وصمموا عليه وبادروا اليه فاخذوه اسيرا فلما نظر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسر ضرار عظم الامر عليهم
وقاتلوا قتالا شديدا ليخلصوه فلم يجدوا الى ذلك سبيلا وارادوا

الحروب فقال رافع بن عميرة يا اهل الحفايظ وحماة الدين الى اين
بكم اما علمتم انه من ولى ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله فان
الجنة لها ابواب لا تفتح الا للمجاهدين الصابرين يا اهل الدين كروا
على عبدة الصلبان وها انا معكم وفي اوايلكم فان كان صاحبكم
قد اسر او قتل فان الله حي لا يموت وهو يراكم بعينه قال
فرجعوا الى قوله وحملوا معه وقتلوا رجالا ووجدوا ابطالا
قال ووصل الخبر الى خالد بن الوليد ان ضرارا اسره الروم وقد
قتل من المسلمين والمشركين خلق كثير فعظم ذلك على خالد وقال
في كم يكون العدو فقالوا في اثني عشر الفا فقال والله ما ظننت
العدو الا في نفر يسير ولقد غررت بقومي ثم سالهم عن مقدمهم
فقالوا بطريق اسمه وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار
ابن الازور ولده فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم بعث الى ابي عبيدة يستشيره في ذلك فبعث اليه ابو عبيدة
يعرفه ان انزل على الباب الشرقي من تثق به وسر انت
بنفسك اليهم وان شا الله تعالى تطحنهم طحن الحصيد وتتركهم
صرعى في الصعيد ۞ قال فلما وصل الجواب الى خالد
قال والله ما انا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله ثم جعل مكانه

ميسرة بن مسروق في ألف فارس وقال احذر ان يؤتى المسلمون من
قبلك ولا تزل عن مكانك واستعن بالله وتوكل عليه فقال
ميسرة حبا وكرامة ثم اخذ خالد عسكر المسلمين وقال لهم اطلقوا
الأعنة وقوموا الأسنة واذا اشرفتم على العدو فاحملوا عليهم
حملة واحدة فلعلنا نخلص ضرارا ان كانوا ابقوا عليه وان كانوا
قتلوه لناخذن بثاره ان شاء الله تعالى ثم تقدم أمام القوم وهو يقول
أليوم يوم فاز فيه من سبق • لا خوف من الموت اذ الموت طرق •
لأروين الرمح من دم الحدق • لأهتكن البيض هتكا والدرق •
حتى اكون في غد ممن سبق • أرجو الخلود في النعيم المرتفق •
قال وخالد يترنم بهذه الأبيات اذ نظر الى فارس على
كثيب طويل الركاب قصير العنان بيده رمح طويل لا يرى
منه الا الحدق والفروسية تلوح من شمائله والشجاعة ظاهرة
من معاطفه وقد اطلق عنان فرسه وهو ثابت في سرجه كأنما
صب في رصاص وعليه ثياب من فوق لامته سود وقد حزم
وسطه بعمامة خضرا ووشح بها صدره وهو أمام الناس
كأنه شعلة من نار فلما نظره خالد قال ليت شعري من
الفارس ثم تبعه خالد فكان الفارس أسبق الناس الى المشركين

قال الواقدي رحمه الله وكان رافع بن عميرة الطاي
رضي الله عنه في قتال المشركين وصبر لهم هو ومن معه اذ نظر
الى خالد وقد انجده في كتايب الموحدين قال ورأوا الى الفارس
الذي وصفناه وقد حمل في عسكر الروم فزعزع كتايبهم وحطم
مواكبهم ثم غاب في وسط القوم فما كان الا جولة الجايل
حتى خرج وسنانه مضمخ بدم الروم وقد قتل رجالا وجندل
ابطالا وهو كالملهوف يظهر الاحتراق والقلق وقد
عرض نفسه للمهالك ثم اخترق القلب غير مكترث ولا مهيب
وعطف على كراديس الخيل وغاب عن اعين الناس وكثر
قلقهم عليه فاما رافع بن عميرة ومن معه فلم يظنوا الا انه
خالد بن الوليد وقالوا لا تكون هذه الحملات الا لخالد
وهم في مثل ذلك اذ اشرف عليهم خالد في كبكبة من الخيل
فصاح رافع بن عميرة بخالد وقال له ايها الأمير من الفارس
المقدم امامك لقد بذل نفسه في سبيل الله وفتك باعدا الله
فقال خالد اني اشد منكم انكارا له وقد اعجبني ما ظهر
من شمايله فقال رافع ايها الأمير انه منغمس في عسكر الروم
يطعن يمينا وشمالا فقال خالد يا معشر المسلمين احملوا باجمعكم

وَساعِدُ والمحامي عَنْ دِينِ الله قالَ فاقرنوا الاعنة واصفوا الاسنة
وَسار القوم جميعا وخالد امامهم متاهب للحملة اذ نظر الناس الى
الفارس وقد خرج من القلب كانه شعلة نار والخيل سابقة في اثره
وهو كلما لحقه قوم من الروم الوى اليهم راجعا فيجندل منهم رجالا
فعند ذلك حمل خالد ومن معه واستنقذوه من ايدي المشركين
فلما وصل اليهم تاملوه واذا به مخضب بالدما فصاح به خالد لله
دَرّك من رجل بذل نفسه ومهجته في سبيل الله واظهر حنقه على
اعدا الله اكشف لنا عن لثامك قال فمال الفارس عنه ولم يكلمه
وانغمس في الروم فصاحت به العرب وقالوا ايها الرجل الكريم
اميرك يكلمك وانت عنه معرض امض اليه وكلمه عن حسبك
ونسبك لتزداد اعظاما فلم يرد عليهم جوابا وبعد عن القوم
فسار خالد اليه بنفسه وقال ويحك قد اشغلت قلوب القوم وقلبي
معهم بفعلك فمن انت فلما الح عليه خالد بالكلام خاطبه
الفارس من تحت لثامه بلسان التانيث وقال اني لم اعرض عنك
تهاونا بك واستهزاء بحقك ولكن حيا منك واعتفا عن مسالتك
لاني من ذوات الخدور وممن تسبل عليه الكلل والستور
وما حملني على فعلي هذا الا اني حزينة الكبد مقروحة الفؤاد

فقال لها ومن انت فقالت انا خولة بنت الازور والماسور اخي
واني كنت مع بنات العرب ونساء مذحج اذ اتاني الساعي بان اخي
اسر فركبت وفعلت ما فعلت قال فبكى خالد رحمة لها وقال
نحن نحمل باجمعنا حملة واحدة ونرجوا ان نصل الى اخيك ونفكه
من اسره قالت وانا في اولكم قال عامر بن الطفيل وكنت
عن يمين خالد حين حمل وحملت خولة امامه وحمل المسلمون قال
وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا ان
يكن القوم مثل هذا الفارس فما لنا بقتال العرب طاقة فلما حمل
خالد ومن معه اضطرب جيش الروم فنظر وردان اليهم فقال
اثبتوا للقوم فاذا راوا ثباتكم ولوا فاذا ولوا فاخرج اهل
دمشق يعينوكم على قتالهم ولا يفلت احد منهم قال فثبتت
الروم لقتال العرب وحمل خالد والمسلمون حملة منكرة
واخترق خالد صفوف الروم وفرقهم يمينا وشمالا وقصد خالد
وردان عند اشتباك الاعلام وتكاثف الصلبان واذا حوله
المذبحة والهرقلية واصحاب الحديد والزرد النضيد وهم
محدقون به فحمل خالد عليهم حملة منكرة رام بها الوصول
الى طاغيتهم فلم ير له وصولا وتفرق المسلمون على قتال الروم

كل قرن مشتغل بقرنه وقاتل رافع بن عميرة قتالا شديدا واما خولة
فانها اخترقت الروم وجعلت تجول يمينا وشمالا لا تطلب الا اخاها
وهي تنادي برفيع صوتها • اين ضرار لا اراه يومي • ولا يراه
معشري وقومي • يا واحدي ويا اخي وابن امي • كدرت
عيشي وازلت نومي • قال فبكا المسلمون لقولها ولم تزل كذلك
ولم تر له اثر قال ولم يزل الناس الى وقت الظهيرة فافترق القوم
بعضهم من بعض وقد اظهر الله المسلمين على المشركين وقتلوا منهم مقتلة
عظيمة وتراجعت كل فرقة الى مكانها وانكسرت قلوب الروم
مما ظهر لهم من المسلمين وهموا بالهروب لولا خوفهم من وردان
واقبلت خولة تسال القوم عن اخيها فلم تر من يخبرها انه
راه قتيلا او اسيرا فلما يئست بكت وجعلت تقول يا بن امي ليت
شعري في البيداء طرحوك ام بيد ما بك صحبوك ليت شعري بالسنان
طعنوك ام بالحسام ذبحوك يا ليت اختك لك الفدا تخلصك من
يد الاعدا اتراني اراك بعدها ابدا لقد تركت في قلبي جمرة لا يخمد
لهيبها ولا تطفى لحقت بابيك المجندل امام المصطفى عليك مني
السلام الى يوم اللقا قال فبكا خالد والمسلمون لبكايها •
قال الراوي فهم خالد ان يعاود الحملة اذ نظر الى كردوس

من الروم قد خرجوا من ميمنة القوم وقد اطلقوا الاعنة وقوموا
الاسنة كانهم العقبان فتاهب المسلمون لحربهم وتقدم خالد
وخولة وابطال المسلمين فلما قاربوا القوم رموا الرماح من ايديهم
والقنطاريات والسيوف ونادوا الغوث الغوث يعنون الامان
الامان فقال خالد لمن معه تقدموا اليهم وامنوهم واتوني بهم
فاتوا بهم اليه فقال لهم خالد من انتم فقالوا نحن من جند وردان
ومقامنا بحمص وقد تحقق عندنا انكم الغالبون لا محالة وانا
لا نطيقكم ولا نستطيع حربكم فاعطنا الامان لنا ولقومنا واهلنا
وبلدنا وما والاها واجعلنا من جملة من صالحتموه من المدن
حتى نؤدي لك من المال في كل سنة ما شئت وكل من بمدينة
حمص يرضى بقولنا ويأتمر بامرنا فقال لهم خالد اذا وصلنا
الى بلدكم ان شا الله تعالى يكون ذلك ان كان لكم فيه ارب
واما ها هنا فلست بمصالحكم ولكن كونوا معنا حتى يقضي الله تعالى
بحكمه ثم امر خالد باعتقالهم ثم اقبل عليهم وقال لهم هل عندكم
علم من صاحبنا الذي قتل ابن وردان فقالوا لعله العاري
الجسد الذي قتل منا من قتل وفجع وردان في ولده فقال
خالد نعم وعنه سالت فقالوا بعث به وردان للملك هرقل

وكل به مائة فارس قال ففرح خالد بقولهم ودعا برافع بن عميرة الطائي
وقال يا رافع ما أعلم أن أحداً أعرف منك بالمسالك وأنت الذي قطعت
بنا المفازة من أرض السماوة حتى وصلنا اريكة وما وطئها جيش
قبلنا وأنت أوحد أهل الأرض في الحيل والتدبير فخذ معك من
أحببت واتبع آثار القوم فعسى أن تلحق بهم وتخلص صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن فعلت ذلك فهي الفرحة الكبرى
فقال رافع حباً وكرامة ثم انتخب مائة فارس وعزم على المسير
قال الراوي وأتت البشارة إلى خولة بمسير رافع ومعه
مائة فارس في طلب ضرار ففرحت واستبشرت وأسرعت إلى
عدتها فلبستها وركبت جوادها وأتت إلى خالد وقالت له أيها
الأمير سألتك بالطاهر المطهر محمد خير البشر سرحني مع من
سرحت في طلب أخي وقطعة كبدي فقال لها خالد سيري على
بركة الله وعونه ثم قال لرافع أنت قد رأيت شجاعتها فخذها
معك فقال السمع والطاعة ثم ارتفع خالد بمن معه وسارت
خولة تتبع آثار القوم ولم تختلط معهم وسار القوم بين التقر
والجبب إلى أن وصلوا إلى السالمية فنظر رافع وإذا ليس للقوم
أثر فقال لأصحابه أبشروا فإن القوم لم يصلوا بعد ثم كمنهم

في وادي الحيات فبينما هم مكمنون وإذا بغبرة قد لاحت لهم فقال
رافع لأصحابه أيقظوا خواطركم فأخذ القوم أهبتهم في انتظار
العدو وإذا بهم قد أقبلوا وهم محدقون بضرار بن الأزور وهو
يقول • ألا بلغا قومي وخولة أنني • أسير رهين موثق اليد بالقد •
• وحولي علوج الشام من كل كافر • وما منهم إلا محصن بالسرد •
• فيا قلب مت غماً وحزناً وحسرة • ويا دمعتي جودي بفيض على خد •
قال فأجابته خولة لقد أجاب الله دعاك وقبل تضرعك
ونجواك ها أنا أختك خولة ثم كبرت وحملت وكبر أصحاب رافع
وحملوا على الروم قال سالم ابن جبير وكنا إذا كبرنا صهلت
خيولنا إلهاماً من الله عز وجل وقصد كل فارس منا فارساً من
الروم فما كان أكثر من ساعة أو أقل حتى قتل كل واحد منا
خصمه وخلص الله تعالى ضراراً وأخذنا خيلهم وسلاحهم قال
رافع التنوخي لما قتلنا المائة فارس وخلص ضرار بن الأزور
وسلمت عليه أخته خولة ركب جواداً وجده عارياً وأخذ قناة
وجدها مطروحة وحمل وهو يقول •

يا رب حمداً قد أجبت دعوتي • فرجت عني وأزلت كربتي •
أعطيتني المأمول قبل منيتي • وجمعتني يا رب مع أحبتي •

اليوم اشفي في العداة غلتي وابلغ منهم غاية امنيتي **قال الواقدي**
رحمه الله فبينما هم يجمعون السلب ويقبضون الخيل واذا بالروم
قد اقبلت منهزمة واولهم لا يلتفت الى اخرهم فعلم رافع ان
القوم قد انهزموا وجعل يلتقطهم بمن معه قال وكان خالد لما
بعث رافع في طلب ضرار وتخليصه من ايدي الروم حمل على وردان
وصدمه صدمة من يريد الشهادة ويبتغي السعادة وكذلك
فعل المسلمون مع الروم فما لبثوا ان ولوا الادبار وركنوا الى
الفرار وكان اول من انهزم وردان وتبعهم المسلمون
واخذوا اسلابهم ولم يزالوا في اثرهم الى وادي الحيات
واجتمع المسلمون برافع بن عميرة وضرار بن الازور وسلموا عليه
وهنوه بالسلامة واثنى خالد على رافع خيرا ثم عادوا الى دمشق
وفرح المسلمون بالنصر وايقن اهل دمشق بالقهر والغلبة قال
واتصل الخبر بالملك هرقل ان وردان قد انهزم وقتل ولده
فايقن بزوال ملكه فكتب الى وردان كتابا يقول فيه اما
بعد فانه قد بلغني ان العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد
قد هزموك وقتلوا ولدك فلا رحمه المسيح ولا رحمك ولولا انى
اعلم انك فارس الحرب ومجيد الطعن والضرب وان النصر ليس

اليك لحل عليك سخطي والان قد مضى ما مضى وقد ارسلت الى اجنادين
تسعين الفا وقد امرتك عليهم فسر نحوهم واترك اهل دمشق وانفذ
بعض اصحابك الى فلسطين ليمنعوها من العرب وليحل بينهم وبين
اصحابهم وانصر دينك وصاحبك والسلام وبعث الكتاب مع
خيل البريد فلما ورد عليه الكتاب وقراه اطمان خاطره واخذ
في اهبة المسير الى اجنادين فلما كان بعد ثلاث من ورود
الكتاب ارتحل بمن معه الى اجنادين فوجد من هنالك من الروم
قد اظهروا العدد والزرد والقنطاريات والبوارق وخرجوا
الى لقايه وسلموا عليه وخدموا بين يديه وعزوه بولده فلما
استقر في سرادقه قرا عليهم كتاب الملك فاجابوه بالسمع
والطاعة واخذوا الاهبة على انفسهم **قال الواقدي**
رحمه الله حدثني رفاعة بن قيس اخبرنا زياد بن عبد الله الثقفي
حدثني ابو زيد ورقة بن عامر الزبيدي عن ابيه روح ابن
طريف قال كنت مع خالد بن الوليد على الباب الشرقي حين رجعنا
من هزيمة وردان واذا قد ورد علينا عباد بن سعيد الحضرمي
وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخبر ان الطاغية هرقل ولى وردان على من

تجمع باجنادين من الروم وهم تسعون الفا فما الذي ترى من الراي
يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو عبيدة رضي الله
عنه اعلم يا ابا سليمان ان كل اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم نائون عنا مثل شرحبيل بن حسنة بارض بصرى ومعاذ بن
جبل بحوران ويزيد بن ابي سفيان بالارض البلقا والنعمان بن
مغيرة بارض تدمر وادركة وعمرو بن العاصي بارض فلسطين
والصواب ان نكتب اليهم ان يسيروا الينا فكتب خالد الى عمرو
ابن العاصي كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان
اخوانك المسلمين قد عولوا على المسير الى اجنادين وهو موضع
بارض بيسان وما حولها فان هنالك من الروم تسعين الفا
يريدون المسير الينا يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله
متم نوره ولو كره الكافرون فاذا وصل اليك كتابي هذا
فاقدم بمن معك من المسلمين والسلام عليك وعلى من معك
ورحمة الله وبركاته وكتب نسخة الكتاب الى جميع الامراء الذين
ذكرناهم ثم بعث بهم وامر الناس بالرحيل فعقدت القباب على
ظهور الجمال وساقوا الاموال فقال خالد لابي عبيدة رايت
رايا وهو اني اكون على الساقة مع الغنايم والنسا والولدان

وكن انت على المقدمة في خاصة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابو عبيدة بل اكون انا على الساقة وكن انت على المقدمة مع
الجيش فان وصل جيش الروم مع وردان يجدوك على اهبة
فتمنعهم من الوصول الى الحرم والولدان والغنايم فلا يصلوا
الينا وان كنت انا في المقدمة كنت انا ومن معي غنيمة فقال خالد
لست اخالفك فيما ذكرت ثم ان خالدا قال يا ايها الناس انكم
سايرون الى عسكر كبير وجم غفير فايقظوا همتكم واعلموا ما
اعد الله لكم فان الله عز وجل قد وعدكم النصر ثم قرا كم من فية
قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم
اخذ خالد الجيش وسار في المقدمة وبقي مع ابي عبيدة الف
رجل من المسلمين قال ونظر اهل دمشق اليهم فطعطعوا عليهم
وصاحوا واقبلوا بسيوفهم وهم يظنون انهم يتبعوا العرب
لما بلغهم ان جيوشهم باجنادين فقال عقلاؤهم ان ساروا
على جادة بعلبك فهم يريدون فتحها وفتح حمص وان ساروا
على مرج واسط فالقوم لا شك هاربين الى الحجاز ويتركوا
ما اخذوا من البلاد **قال الواقدي** رحمه الله وكان
بدمشق يوميذ بطريق عظيم يقال له بولص وكان معظما

عند النصرانية واذا ورد على الملك هرقل رسول وعجز عن جوابه
او اجتماعه بالملك جاء بولص هذا وفرج عنه وكان ارمى اهل
بلاده بالسهام وكان بداريا شجرة عظيمة فرماها بسهم
فغاص السهم في الشجرة من قوة ساعده وكتب عليها من كان
يدعي الشجاعة فليرم سهمه الى جانب سهمي وكان قد شاع ذكره
بذلك ولم يكن قاتل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ
دخلوا الشام فلما راوا اهل دمشق رحيل المسلمين اتوا اليه
فقال لهم ما الذي جاء بكم فاعلموه برحيل المسلمين وقالوا له ان
كنت تريد فخر الابد والجاه العظيم عند الملك وعند كل من في
الشام فاخرج بنا نخطف ما تخلف منهم وان راينا لنا مطمعا فيهم
قاتلناهم فقال لهم بولص ما كان سبب تخلفي عن نصرتكم
الا انكم قليلون الهمة في قتال عدوكم فجمعت نفسي عنكم والان
ولا حاجة لي في قتال فقالوا له وحق المسيح والانجيل ان سرت
مقدمنا لنثبتن معك وما منا من ينهزم وقد حكمناك فيمن ينهزم
ان تضرب عنقه ولا نعارضك في ذلك فلما استوثق منهم دخل الى
منزله ولبس لامة الحرب فقالت له زوجته الى اين تريد قال
اخرج الى لقاء العرب وقتالهم فان اهل دمشق ولوني عليهم

فقالت له لا تفعل والزم قصرك ولا تطلب ما ليس لك به حاجة فاني
رايت في النوم كانك قابض على قوسك ترمي طيورا وقد
سقط منها الى الارض ثم عادت صاعدة بعد سقوطها فانا متعجبة
مما رايت ثم رايت سحابة من الجوارح اقبلت نحوك وانقضت
من الهوى عليك وعلى من معك فجعلت تضرب هامتكم ووجوهكم
فوليتم منها هاربين ورايتها لا تضرب احدا الا صرعته ثم
انتبهت فزعة مرعوبة باكية عليك فقال لها رايتيني فيمن
صرع قالت بلى وقد نقرك جارح عظيم فصرعك قال فلما سمع
ذلك منها لطم وجهها وقال لها لا بشرت بخير يا ويلك قد دخل
رعب العرب في قلبك حتى صرت تحلمين بهم لا خوف عليك ولا
فزع ساجعل امير العرب لك خادما واصحابه رعاة الغنم
والخنازير • فقالت له زوجته افعل ما شئت فقد نصحتك
قال فلم يعبا بكلامها وخرج من منزله متاهبا وركب معه من
كان بدمشق من الروم وعرضهم فاذا هم ستة الاف فارس
وعشرة الاف راجل من اهل النجدة والباس وسار بهم وكان
خالد قد ابعد في المقدمة عن السواد والعيال وابو عبيدة سائر
على مشي الاغنام والاباعر واذا برجل من اصحاب ابي عبيدة

نظر الى غبرة فاعلم ابا عبيدة فقال اظنها غبرة اعدائنا اهل دمشق
وقد طمعوا فينا ثم وقف حتى تلاحق الظعن والاغنام هذا والغبرة
تنمو والاصوات تعلو فقال يا معشر المسلمين خذوا على انفسكم
فان العدو واصل اليكم فما استتم كلامه حتى بدت الخيل
كانها قطع الليل وبولص على المقدمة فلما نظر الى ابى عبيدة
قصده ومعه الستة الاف فارس وقصد اخوه بطرس والرجاله
الى الحرم فاخذوا منها جانبا ورجع بها بطرس الى نهر استرباق
وهو الكسوة فجلس هناك ينظر ما يكون من امر اخيه بولص واما
ابو عبيدة رضى الله عنه فانه لما نظر الى من جاء من الروم قال
والله لقد كان الراى مع خالد اذ قال دعنى فى الساقة فلم ادعه
قال واشرف عليه بولص وقصده والاعلام والصلبان على
راسه والنسا يولولون والصبيان يزعقون قال فاستقبلهم
الالف فارس من المسلمين بالقتال الشديد وقصد واعدو الله
بولص وقصد بولص ابا عبيدة وقام الحرب بينهم ووقع القتال
بين الصحابة والروم وارتفعت الغبرة عليهم واقبلوا فى الكر
والفر على ارض سحورا قال ونال ابو عبيدة من قتال بولص
مشقة كبيرة وصبر له صبر الكرام قال سهيل بن الصباح

كان تحتى جواد من خيل اليمن اغر محجل من نسل العرب سابق لاحق
فاطلقت عنانه فخرج من تحتى كالبرق فما كان غير بعيد حتى
لحقت بخالد والمسلمين واقبلت صارخا بهم فعطف على خالد
وقال ما وراك يا ابن الصباح فقلت ايها الامير ادرك ابا عبيدة
والحريم فان عسكر الروم الذي في دمشق لحق بهم واخذوا
جماعة من النسوان وقد بلى ابو عبيدة بما لا طاقة له به قال
فلما سمع خالد ذلك من سهيل بن الصباح قال انا لله وانا اليه
راجعون ثم قال والله لقد قلت لابى عبيدة دعنى اكون على
الساقة فما رضى ليقضى الله امرا كان مفعولا ثم امر رافع بن
عميرة الطاى على الف فارس وقال له الحق الظعن فلما ابعد امر
عبد الرحمن بن ابى بكر على الفين وقال الحق ابا عبيدة ثم
اردفه بضرار بن الازور فى الفين وقال له ادرك القوم
واتبعه بقيس بن هبيرة فى الف وتبعهم خالد فى بقية الجيش
قال فبينما ابو عبيدة فى القتال مع بولص اذ تلاحقت به
جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وحملوا على اعداء الله
وداروا بهم من كل جانب ونكست الصلبان وايقن الروم
بالدمار واقبل ضرار بن الازور كانه شعلة نار وقصد

بولص فلما رآه عدو الله قصده تبلد خاطره وأخذته الرعدة وقال لأبي عبيدة يا عربي بحق دينك مر هذا الشيطان لا يقربني فقال له ضرار أنا الشيطان إن قصرت في طلبك ثم فاجاه بطعنة فلما رأى بولص الطعنة واصلة إليه رمى بنفسه عن جواده وطلب الهرب فترجل ضرار عن جواده وطلبه وقال له إلى أين تهرب والشيطان في طلبك ثم لحقه وهم أن يعلوه بسيفه فقال له بولص يا بدوي إبق علي ففي بقاي بقا نسايكم فلما سمع ضرار قوله أمسك عنه وأخذه أسيرا هذا والمسلمون قد أحاطوا بأعدا الله تعالى وقتلوهم قتلا وأسروهم أسرا **قال الواقدي** رحمه الله حدثني أسلم بن فاتك اليربوعي قال حدثني جردان ابن قبيصة العامري قال أخبرني سيف بن واجد العبسي قال حدثني أبو رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعة تجورا مع المسلمين وكنت مع خيل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودرنا بالروم من كل مكان وبذلنا أسيافنا فيهم وكانوا ست فرق كل فرقة ألف فارس قال رفاعة بن قيس وحق الله لقد أعلمنا يوم فتح دمشق أنه ما رجع منهم فوق المائة نفر أحد قال وبلغ ضرار أن أخته مع النسا المأسورات فعظم الأمر عليه وأقبل

إلى خالد وأخبره بذلك فقال له خالد لا تجزع فإنا قد أسرنا أمة منهم وأسرنا صاحبهم وسوف نأخذ بهم من أسر من حريمنا ولا بد لنا من طلبهم ثم أمر خالد أبا عبيدة يسير مع الناس حتى يرى ما يكون من أمر النسا ثم سار خالد في ألفي فارس جريدة وبعث العسكر كله مع أبي عبيدة مخافة أن يلحقهم وردان بجيوشه فسار القوم وتوجه خالد بمن معه في طلب المأسورات وتقدم أمامه رافع بن عميرة الطاي وميسرة بن مسروق العبسي وضرار بن الأزور وسار القوم وجدوا في سيرهم وضرار **يقول**

يا رب فرج ما ترى من كربتي • ولا تمتني عاجلا بحسرتي •
حتى أرى بناظري أحبتي • ذاك مناي وذاك بغيتي •
سيروا بنا إلى العدا يا إخوتي • عسى أنال بغيتي ومنيتي •
إن لم أقاتل فاحلقوا الى لحيتي

قال فضحك خالد من قوله وساروا إلى أن قربوا من نهر أسترياق فرأوا غبرة طالعة في خلالها البوارق تلمع فقال خالد هذا أعجب فقال قيس بن هبيرة أظن أن هؤلاء الذين تخلفوا من عسكر دمشق قد جاؤوا لنصرة إخوانهم فقال خالد قوموا الأسنة وأطلقوا الأعنة حتى ننظر ما الخبر قال فقوموا الأسنة وساروا قال

حدثني سنان بن عامر اليربوعي قال سمعت حبيب بن مصعب يقول لما
اقتطعت الروم ما ذكرنا من نساء العرب وسار بهم بطرس اخو
بولص الى حيث ذكرنا قال لهم بطرس اني لا ابرح من ها هنا حتى
انظر ما يكون من امر اخي بولص ثم اعرض النسا فلم ير في الحريم
احسن من خولة اخت ضرار فقال بطرس هذه لي وانا لها فلا يعارضني
فيها احد منكم فقالوا له اصحابه هي لك وانت لها قال واقتطع القوم
النسا كل واحد يسبق الى واحدة يقول هذه لي ثم ضموا الغنيمة
ووقفوا ينتظروا ما يكون من امر بولص وكان في النسا عجايز
من حمير من نسل العمالقة وبنات التبابعة وكن قد اعتدن ركوب
الخيل وخوضات الليل والهجوم على قبايل العرب قال فاجتمع
النسا بعضهم الى بعض فقالت لهم خولة بنت الازور يا بنات
تبع وبقية حمير اترضون ان يطاكن علوج الروم وتكن خدما
لاهل الشرك والكفر فاين شجاعتكن وبراعتكن التي يتحدث
بها عنكن في احيا العرب ومجالس الحضر وما اراكن الا بمعزل
عن ذلك واني اري القتل اهون عليكن من هذا المصاب وما
ينزل بكن من خدمة الروم فقالت عفيرة بنت عفار الحميرية
يا بنت الازور وايم الله اننا كما ذكرت في الشجاعة والبراعة

وان لنا المواقف العظام والمشاهد الجسام وقد اعتدنا ركوب الخيل
والهجوم في الليل غير ان القوس يحسن رميه بالنبل والرمح يحسن
فعله بالطعن والسيف بالضرب ولولا هذه الادوات ما نفع
حمل السلاح شيا فما حيلة من لا يملك لا سيفا ولا رمحا ولا قوسا
وقد دهمنا العدو ونحن على غير اهبة ونحن كالغنم بلا راعي
وكالابل اذا شردت فقالت لهم خولة يا بنات العمالقة فاين
انتم من اعمدة الخيم واوتاد الطنب ونحمل على هولا اللئام ولعل
الله ان ينصرنا عليهم او نقتل فنستريح ولا يعيرونا نسا العرب
فقالت لها عفيرة والله ما دعوتينا الى شي هو احب الينا مما
ذكرت ثم تناولت كل واحدة عمود خيمة وصحن صيحة واحدة
وبرزن الى الروم وخولة بنت الازور على مقدمتهن وقد
احتزمت والقت على عاتقها عمود خيمة ومن ورايها عفيرة بنت
عفار وام ابان بنت ربيعة وسلما بنت زارع ولبنا بنت سوار
ومزروعة بنت عملوق وسلما بنت النعمان ومثل هولا فقالت
لهم خولة لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدايرة
ولا تفترقن فتهلكن ويقع بكن التشتيت وحطمن الرماح
وكسرن السيوف واهلكن الجماجم قال وتقدمت خولة وضربت

رَجُلًا مِنَ الرُّومِ فَأَصَابَتْ هَامَتَهُ فَانْجَدَلَ صَرِيعًا فَقَامَتِ الرُّومُ تَنْظُرُ
مَا الْخَبَرُ وَإِذَا بِالنِّسْوَةِ قَدْ أَقْبَلْنَ وَالْعُمُدُ فِي أَيْدِيهِنَّ فَصَاحَ بِهِنَّ
الْبِطْرِيقُ يَا وَيْلَكُنَّ مَا هَذَا فَقَالَتْ عُفَيْرَةُ هَذَا فِعْلُنَا لِنَرُدَّ عَنْ أَنْفُسِنَا
وَلَنَضْرِبَنَّكُمُ الْيَوْمَ بِهَذِهِ الْأَعْمِدَةِ حَتَّى نَخْسِفَ أَدْمِغَتَكُمْ قَالَ فَضَحِكَ
الْبِطْرِيقُ مِنْ كَلَامِهَا ثُمَّ صَاحَ بِقَوْمِهِ يَا وَيْلَكُمْ تَفَرَّقُوا عَلَى النِّسْوَانِ
وَلَا تَضْرِبُوهُنَّ بِالسُّيُوفِ وَخُذُوهُنَّ أَسْرَى وَمَنْ وَقَعَ مِنْكُمْ
بِصَاحِبَتِي فَلَا يَنَالُهَا بِمَكْرُوهٍ قَالَ فَافْتَرَقَ الْقَوْمُ عَلَيْهِنَّ وَأَحْدَقُوا
بِهِنَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَرَامُوا الْوُصُولَ إِلَيْهِنَّ فَلَمْ يَجِدُوا إِلَى ذَلِكَ
مِنْ سَبِيلٍ وَجَعَلَتِ النِّسْوَةُ لَا يَدْنُو إِلَيْهِنَّ أَحَدٌ مِنَ الرُّومِ إِلَّا ضَرَبْنَ
قَوَائِمَ فَرَسِهِ فَيَقَعُ الْفَارِسُ فَيُبَادِرُوا إِلَيْهِ بِالْأَعْمِدَةِ فَيَقْتُلُوهُ

قَالَ الْوَاقِدِيُّ

رَحِمَهُ اللهُ وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ النِّسْوَةَ قَتَلْنَ
ثَلَاثِينَ فَارِسًا مِنَ الرُّومِ فَلَمَّا نَظَرَ بُطْرُسُ إِلَى ذَلِكَ غَضِبَ غَضَبًا
شَدِيدًا وَتَرَجَّلَ عَنْ جَوَادِهِ وَتَرَجَّلَ أَصْحَابُهُ لِتَرَجُّلِهِ وَزَحَفُوا إِلَى
النِّسْوَةِ بِالسُّيُوفِ وَالْقُطَا رِيَاتُ وَالنِّسَا يَقُلْنَ لِبَعْضِهِمْ مُتْنَ
كِرَامًا وَلَا تَمُتْنَ لِيَامًا وَأَظْهَرَ بُطْرُسُ بَأْسَهُ وَشِدَّتَهُ عِنْدَمَا نَظَرَ
إِلَى فِعْلِهِنَّ وَنَظَرَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ الْأَزْوَرِ تَزْأَرُ مِثْلَ الْأَسَدِ

وَهِيَ تَقُولُ

نَحْنُ بَنَاتُ تُبَّعٍ وَحِمْيَرِ ۞ وَضَرْبُنَا فِيكُمْ لَيْسَ مُنْكَرِ
لِأَنَّنَا فِي الْحَرْبِ نَارٌ تُسْعَرِ ۞ الْيَوْمَ تَلْقَوْنَ الْعَذَابَ الْأَكْبَرِ

قَالَ

فَلَمَّا سَمِعَ بُطْرُسُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهَا وَتَأَمَّلَ حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا
وَاعْتَدَّ لَهَا قَرُبَ مِنْهَا وَصَارَ بِإِزَائِهَا وَقَالَ لَهَا يَا عَرَبِيَّةُ أَقْصِرِي
مِنْ فِعَالِكِ فَإِنِّي مُكْرِمٌ لَكِ وَمُضْمِرٌ لَكِ مَا يَسُرُّكِ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ
أَكُونَ مَوْلَاكِ وَأَنَا الَّذِي تَهَابُنِي النَّصْرَانِيَّةُ كُلُّهَا وَلِي رَسَاتِيقُ
وَضِيَاعٌ وَأَمْوَالٌ وَمَوَاشِي وَلِيَ الْمَنْزِلَةُ الْعَظِيمَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ هِرَقْلَ
وَجَمِيعُ مَا أَنَا فِيهِ مَرْدُودٌ إِلَيْكِ فَلَا تَقْتُلِي نَفْسَكِ بِيَدِكِ فَقَالَتْ
لَهُ يَا بْنَ الْكَافِرِ اللَّئِيمِ الْفَاجِرِ أَنَا مَا أَرْضَى بِكَ أَنْ تَرْعَى الْإِبِلَ
وَالْغَنَمَ فَكَيْفَ أَرْضَى بِكَ أَنْ تَكُونَ لِي كُفُوًّا وَوَاللهِ لَئِنْ ظَفِرْتُ
بِكَ لَأَضْرِبَنَّ مُخَّكَ بِهَذَا الْعَمُودِ قَالَ فَحَرِدَ مِنْ قَوْلِهَا وَحَرَّضَ أَصْحَابَهُ
عَلَى الْقِتَالِ وَقَالَ مَا تُرِيدُونَ عَارًا أَكْبَرَ مِنْ هَذَا فِي الشَّامِ وَالْبِلَادِ
وَعِنْدَ شُعَرَاءِ الْعَرَبِ إِنَّ النِّسْوَةَ غَلَبُوكُمْ فَاتَّقُوا غَضَبَ الْمَسِيحِ وَالْمَلِكِ
هِرَقْلَ قَالَ فَاهْتَزُّوا لِقَوْلِهِ وَحَطَمُوا حَطْمَةً وَاحِدَةً وَصَبَرَ
النِّسْوَةُ لَهُمْ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ وَنَظَرَ
الْغُبَارَ وَبَرِيقَ السُّيُوفِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِالْخَبَرِ
فَقَالَ رَافِعُ بْنُ عُمَيْرَةَ أَنَا لَهَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ثُمَّ أَطْلَقَ لِجَوَادِهِ الْعِنَانَ

حتى اشرف على النسوة وهن يقاتلن فانثنى راجعا الى خالد واخبره بما
راى فقال له خالد اتعجب من ذلك وهن بنات العمالقة ونسل التابعة
الذي منهم تبع الاكبر وتبع بن ابي كرب وذو رعين وذو حزن وعبد
الكلاع المعظم وسيف بن ذي يزن وتبع بن حسان بن تبع
الذي ذكر في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر قبل ظهوره
وقبل خروجه وبعثه وشهد له بالنبوة قبل مولده وهو الذي قال

شهدت على احمد انه ◦ رسول من الله باري النسم ◦
له امة سميت في الزبور ◦ بامة احمد خير الامم ◦
فلو مد في عمري الى عصره ◦ لكنت وزيرا له وابن عم ◦

ثم قال يا رافع ان هولاء النسوة لهن الحروب والمواقف
المشهورة ولئن كن فعلن ما ذكرت فلقد سدن على ساير
العرب الى اخر الابد وازلن عنهن الريب قال فتهلل وجوه الفرسان
بالفرج ووثب ضرار بن الازور وازرى اطماره واقتلع
رمحه من مركزه ومسك بعنان فرسه يريد بذلك المبادرة
الى نصر النسوة عندما سمع كلام رافع بن عميرة فقال له
خالد مهلا يا ضرار ولا تعجل فانه من تانى في اموره بلغ المامول
من مامولة ولا ساد عجول ولا افلح مطول فقال ايها الامير
لا صبر لي عن ابنة ابي وامي فقال خالد ما كنت الى الفرج اقرب
من وقتك هذا ان شا الله تعالى ثم ان خالدا رتب اصحابه واقرن
روس الخيل ونشر الاعلام وتقدم في القلب وقال يا معشر
المسلمين اذا وصلتم الى القوم فتفرقوا عليهم واحدقوا بهم
فعسى الله ان يخلص حريمنا ويرحم صبياننا فقالوا له حبا وكرامة
ثم تقدم خالد فبينما الروم في القتال مع النسوة اذ اشرفت
عليهم الكتايب والمواكب والاعلام والرايات فصاحت خولة
بنت الازور يا بنات التابعة ونسل العمالقة ابشروا فقد
جاكم الفرج ◦ قال ونظر بطرس الى كتايب المسلمين قد
اشرفت عليهم والرماح مشتبكة كاجام القصب والسيوف
تلمع كانها البرق فخفق فواده وارتعدت فرايصه واقبل
القوم ينظر بعضهم الى بعض فصاح بطرس يا معشر النسوة قد
وقع في قلبي لكم الرحمة والشفقة لان لنا بنات واخوات
وقد وهبتكن للصليب فاذا قدم رجالكم فاخبروهم ثم
عطف يريد الهروب واذا بفارسين قد خرجا من العسكر
احدهما مكفن في لامته والاخر عاري الجسد من الاطمار
اخضر اللون كانه الشن البالي وهو على فرس عري بغير سرج

وبيده رمح قد أطلقا عنانيهما كأنهما أسدان وكان الفارسان
خالد بن الوليد وضرار بن الأزور فلما رأت خولة أخاها قالت إلي
يا ابن أمي إلي وإن كان في الله كفاية عن نصرتك ومعونتك وصاح
بها بطرس انطلقي إلى أخيك فقد وهبتك له وإن كنت لا أحب
فراقك ثم ولى يطلب الهروب فقالت له خولة وهي تهزأ به لعمري هذا
من شيم الأحرار تظهر لنا الود والحيا مع التباعد والجفا ثم أنها
خطت إليه فقال لها ليس لي حاجة برؤيتك فقد زال عني ما كنت
أجده من محبتك فقالت له خولة لا بد لي منك على كل حال ثم
أسرعت إليه وقد قصده ضرار وخالد فصاح بطرس حين نظر
إلى ضرار يا عربي خذ أختك مباركة عليك وهي هدية مني إليك
فقال له ضرار قد قبلت هديتك وشكرتك عليها وإني لا أجد
لك مكافاة على ذلك إلا سنان رمحي فخذه هدية مني إليك
ثم حمل عليه ضرار وهو يقرأ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها
أو ردوها ثم صمم عليه فوصلت خولة إليه وضربت قوائم فرسه
بعمودها فكبا به الجواد وذهب عدو الله يسقط إلى الأرض فأدركه
ضرار قبل سقوطه وطعنه في خاصرته أطلع السنان من الجانب
الأيسر فانجدل صريعا فصاح به خالد لله درك هذه طعنة لا

يجيب

يجيب طاعنها ثم حمل على الروم وحمل خالد معه والألف فارس فما كانت
إلا جولة الجايل حتى قتل من الروم خلق كثير قال حامد بن عوف
الربعي عددت لضرار بن الأزور ثلاثين رجلا قتلها وقتلت أخته
بعمودها عدة رجال وانهزم بقية الروم ولم يزل المسلمون في
أدبارهم إلى أن وصلوا دمشق فلم يخرج إليهم أحد من أهلها بل
زاد خوفهم فرجع المسلمون وجمعوا الغنايم والخيل والسلاح ثم
إن خالدا قال يا معشر المسلمين سيروا إلى أبي عبيدة لئلا يكون
وردان وجيوشه قد لحقوا به فسار القوم وقد جعل ضرار رأس
بطرس على سنان رمحه ولم يزل القوم سايرون إلى أن وصلوا إلى
أبي عبيدة فوجدوه قد تخلف عن المسير وهو مقيم بوادي الصفا
فلما رأى المسلمون كبر هو وأصحابه وسلم بعضهم على بعض ورأوا
المأسورات ففرحوا بإطلاقهن وأخبرهم من حضر الوقعة بفعل
النساء فاستبشروا بنصر الله وعلموا أن الشام لهم ثم إن خالدا طلب
بولص وقال له أسلم وإلا فعلت بك مثل ما فعلت بأخيك بطرس
فقال وما الذي فعلت بأخي فقال قتلته وهذا رأسه فجا بها ضرار
ووضعها بين يديه فلما رأى رأس أخيه بكى وقال لا خير في
الحياة بعدك فألحق بي أخي فقام إليه المسيب بن نجبة الفزاري

فأمره خالد فضرب عنقه **قال الواقدي** رحمه الله حدثني
سعيد بن مالك الحضرمي قال اخبرني سنان بن مرة المازني قال حدثني
يونس بن عبد الاعلى قال لما بعث خالد الكتاب الى شرحبيل بن حسنة
والى يزيد بن ابي سفين والى عمرو بن العاصي وقرا كل امير
كتابه سارعوا باجمعهم الى اجنادين بعددهم وعديدهم قال
سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشرفنا باجمعنا
على اجنادين وكانا كنا على ميعاد واحد وذلك في مستهل جماد
الاول سنة اثنى عشر من الهجرة وتبادر المسلمون وسلم بعضهم
على بعض قال ورأينا جيوش الروم في عدد لا يحصى قال فلما
اشرفنا عليهم اظهروا زينتهم وعددهم وصفوا صفوفهم فكانت
تسعين صفا في كل صف الف راجل قال الضحاك بن عروة والله
لقد دخلت العراق ورأيت جنود كسرى وجنود الجرامقة
فما رأيت اعظم من جنود الروم باجنادين ولا اكثر من عددهم
قال فنزلنا بازايهم فلما كان من الغد تبادرت الروم نحونا
قال الضحاك بن عروة فلما رأيناهم قد كثروا اخذنا على انفسنا
وتاهبنا قال وركب خالد وجعل يتخلل الصفوف ويقول اعلموا
انكم لستم ترون جيشا من جيوش الروم مثل هذا فان هزمهم الله

على ايديكم فما تقوم لهم قايمة ابدا فاصدقوهم في الجلاد وعليكم بنصر
دينكم واياكم ان تولوهم الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار
واقرنوا المواكب وهزوا القواضب ولا تحملوا حتى امركم بالحملة
وايقظوا هممكم **قال الواقدي** رحمه الله ولقد بلغني
ان وردان لما راى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
اجتمعوا وعولوا على حربه جمع البطارقة والملوك اليه وقال
يا بني الاصفر اعلموا ان الملك هرقل معوله عليكم وان انكسرتم
فلا تقوم لكم قايمة بعدها ابدا وتملك العرب بلادكم وتقتل
فرسانكم وتسبى حريمكم فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة
ولا تفترقوا واعلموا ان كل ثلاثة منكم لرجل منهم فاستعينوا
بالصليب ينصركم **قال الواقدي** رحمه الله والتفت
خالد الى المسلمين وقال ايها الناس افيكم من يخرز لنا القوم ويرو زهم
فقال ضرار بن الازور انا لها ايها الامير فقال خالد انت لها ولكل
كريهة ولكن يا ضرار اذا اشرفت على القوم اياك ان تغرر
بنفسك وتحمل عليهم فما امرك الله تعالى بذلك وقد قال الله عز
وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال فاطلق ضرار عنانه
الى ان اشرف على جيوش الروم وراى رتبتهم واهبتهم وخيامهم

وشعاع البيض والطوارق والرايات كاجنحة الطيور قال وكان وردان
ينظر الى جيوش المسلمين والى طريقهم اذ نظر الى ضرار فقال للبطارقة
انى ارى فارسا قد اقبل ولست اشك انه كشاف القوم اليكم فاتونى
به قال فابتدر من القوم ثلاثون رجلا وافرغوا عليهم اسلحتهم
وركبوا خيولهم وطلبوا ضرارا فلما قربوا منه ولى من بين ايديهم
كالهارب فظنوا انه قد انهزم وانما اراد بذلك ان يبعدهم
عن اصحابهم فلما ابعد اخرف راس الجواد اليهم وصوب السنان
نحوهم وطعن فارسا من القوم ارداه وثنى باخر وصال عليهم
صولة الاسد الغضبان وصرخ فيهم فدخل الرعب فى قلوبهم منه
وانهزموا فتبعهم وهو يصرع فارسا بعد فارس الى ان صرع من
القوم تسعة عشر فارسا فلما قرب من جيش الروم رجع سابقا
جواده الى ان وصل الى خالد واعلمه بما كان فقال له الم اقل
لك لا تغرر بنفسك ولا تحمل فقال ان القوم طلبونى وخفت
ان يرانى الله منهزما فجاهدت باخلاص فنصرنى الله عليهم
ووالله لولا انى خفت من مخالفتك لما رجعت بحملتى على الجميع
واعلم ايها الامير ان القوم غنيمة لنا فعند ذلك رتب خالد
اصحابه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل فى الميمنة معاذ

ابن جبل وفى الميسرة سعد بن عامر بن غنم وفى الجناح الايمن النعمان
ابن المنذر وفى الجناح الايسر شرحبيل بن حسنة وفى الساقة يزيد
ابن ابى سفين فى اربعة الاف فارس حول الحرم والبنات والاولا د
ثم التفت الى النسوة وهن عفيرة بنت عفار الحميرية وام ابان
بنت عتبة بن ربيعة وكانت عروسا قد تزوج بها فى ذلك اليوم
ابان بن عتبة بن سعد بن العاصى والخضاب فى يديها والعطر فى
راسها وخولة بنت الازور اخت ضرار ومزروعة ابنة عملوق وسلما
بنت زارع ولبنا بنت سوار وسلما بنت النعمن ونظايرهن من
النسوان ممن عرفن بالشجاعة والاقدام فقال لهن خالد يا بنات
العمالقة ونسل التبابعة وسادات الاكاسرة قد فعلتن
بالامس فعلا ارضيتن الله به والمسلمين وقد بقى لكن بذلك
الذكر الجميل وهذه ابواب الجنة قد فتحت لكن والنار قد فتحت
لاعداكن واعلمن انى واثق بكن فان حملت طايفة من الروم
عليكن فقاتلوا عن انفسكن وان رايتن احدا من المسلمين ولى
فدونكن واياه واضربنه بالعمد واشرن اليه وقلن له الى اين
تولى عن اهلك وولدك وحريمك فانكن تحرضن بذلك المسلمين
فقالت عفيرة بنت عفار ايها الامير ما نفرح الا لو قدمتنا

أمامك لنضرب وجوه الروم ونقاتل حتى لا يبقى لنا عين وقالت خولة والله
لا نبالي بمن دهمنا كائنا من كان قال فجزاهم خيرا ثم عاد خالد إلى
الصفوف فجعل يدور بينهم بفرسه ويحرض الناس على القتال
وهو ينادي برفيع صوته يا معشر المسلمين انصروا الله ينصركم
وقاتلوا من كفر بالله واحتسبوا نفوسكم في سبيل الله واصبروا
على قتال أعداء الله وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم ودينكم فليس
لكم ملجأ تلجؤون إليه ولا مكمنا تكمنون فيه فاقرنوا المناكب وقدموا
المضارب ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ولتكن السهام إذا خرجت
من أكباد القسي كأنها تخرج من كبد قوس واحد فإنها إذا
تلاحقت السهام رشقا كالجراد لم يخل أن يكون فيها سهم صائب
واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
واعلموا أنكم لم تلقوا مثل هذه الفئة حماتهم وأبطالهم وملوكهم
قال ففرح المسلمون بقوله وانتدبوا للحرب وجردوا السيوف
وأوتروا القسي وقوموا السهام وأقبل خالد فوقف في القلب
مع عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن أبي بكر وقيس بن هبيرة
ورافع بن عميرة والمسيب بن نجبة الفزاري وذو الكلاع
الحميري وربيعة بن عامر ونظائرهم ثم زحفوا وعليهم السكينة

والوقار

والوقار فلما نظر وردان إلى جيش المسلمين قد زحف زحف أيضا بعسكره
فكانوا ملء الأرض ذات الطول والعرض من كثرتهم فتراءت
الفئتان وتقارب الجمعان وقد أظهروا أعداء الله في عسكرهم الصلبان
ورفعوا أصواتهم وأعلنوا بكلمة الكفر فلما تقارب القوم بعضهم
من بعض خرج من صفوف الروم شيخ كبير متشح بلامة سوداء وعلوج
الروم أمامه فلما قرب من عسكر المسلمين نادى بلسان عربي أيكم
الأمير يخرج إلي ويخاطبني فخرج إليه خالد بن الوليد فقال له القس
أنت أمير القوم قال كذلك يزعمون ما دمت على طاعة الله وسنة
نبيه فإن أنا غيرت وبدلت فلا طاعة الى عليهم ولا إمرة فقال له
القس بهذا نصرتم علينا ثم قال الشيخ لخالد اعلم أنك توسطت
بلادا ما جسر ملك من ملوك الروم يتعرض لها ولا يدخلها وإن الفرس
دخلوها فخرجوا هاربين وإن الجرامقة أتونا وأفنوا أنفسهم علينا
وما بلغوا ما أرادوا وكذلك الترك والآن فقد نصرتم علينا
وليست النصرة تدوم وإن صاحبنا وردان قد أشفق عليكم وأرسلني
إليكم وقال إنه يعطي لكل واحد منكم ثوبا وعمامة ودينارا
ولك أنت مائة دينار وعشرة أثواب ولصاحبكم يعني أبا بكر
ألف دينار ومائة ثوب وارجعوا عنا بجمعكم إلى بلادكم

فإنا عدد الذر فلا تظن أن هؤلاء مثل من لاقيت من جموعنا فإن الملك لم ينفذ
في هذا الجيش إلا عظماء البطارقة والأساقفة فقال له خالد أما والله ما
أرجع عنكم إلا بإحدى ثلاث إما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية
إلينا أو القتال وأما ما ذكرت من كثرتكم وأنكم على عدد الذر فإن الله
قد وعدنا النصر على لسان نبيه وأنزله في كتابه وأما ما ذكرت أن صاحبكم
يعطي كل واحد منا ثوبا وعمامة ودينارا فعن قليل إن شاء الله تعالى
نرى ثيابكم علينا ونعمكم عندنا وبلادكم ملكا فقال الراهب
أنا أرجع إلى صاحبي وأخبره بجوابك ثم انثنى القس راجعا وأخبر
وردان بجواب خالد وما قال فقال وردان أيظننا مثل من لقيه
بالأمس إنما هؤلاء العرب قد لحقهم الطمع إذ تقاصرنا عن قتالهم
والملك قد بعث إليهم الأراجية والأرجانية والهرقلية وكبار
البطارقة وما بيننا وبينهم إلا جولة الجايل وقد تركناهم
صرعى ثم رتب أصحابه وزحف وقد قدم أمامه الرجالة صفا
أمام الخيل وبأيديهم القسي والمزاريق قال فلما رأى معاذ بن
جبل ذلك صاح معاشر الناس إن الجنة تحت ظلال السيوف
والنار قد أغلقت والملائكة قد أشرفت والحور قد تزينت
فابشروا بالحياة السرمدية ثم قرأ إن الله اشترى من المؤمنين

أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الحملة بارك الله فيكم ثم قال خالد
مهلا يا معاذ حتى أوصي الناس ثم رتب صفوفهم وقال اعلموا أن هؤلاء
أضعافكم فطاولوهم إلى وقت العصر فإنها ساعة كان نبيكم
صلى الله عليه وسلم يرزق فيها النصر على أعدائه وإياكم أن تولوهم
الأدبار فإن الله يراكم وهو مطلع عليكم ازحفوا على بركة الله
تعالى قال فلما تقارب الجمعان رمت الأرمن بسهامها رمية واحدة
فقتلوا أناسا وجرحوا رجالا وخالد قد منع الناس من الحملة فقال
ضرار ما لنا وللوقوف والله قد تجلى علينا والله ما يظن أعداء الله إلا
أنا قد فشلنا وجزعنا فأمرنا بالحملة لنبارز الرجال فقال خالد أنت
لها يا ضرار فخرج ضرار وهو يقول ما شيء أحب إلى قلبي من ذلك وهو
قد تدرع بدرع كان لبطرس أخو بولص وأسبل زرده على
وجهه وركب جوادا عليه لبسا من جلود الفيلة كان ذلك
أيضا لبطرس فخفي على الروم حاله ثم أطلق عنانه وقوم سهامه
وحمل في صفوف الروم فرشقوه بالسهام ورموه بالحجارة فلم
يصل إليه منهم أذى وهو يخرق صفوفهم ويجندل أبطالهم فما
كان إلا جولة الجايل حتى قتل منهم عشرون فارسا وراجلا
قال حسان بن عوف النخعي وكان ممن يعد قتلى ضرار كلما

وقع فارس او راجل عدو فكان جملة من قتل في حملته تلك ثلاثون رجلا
قال عمرو بن سالم هكذا حدث نوفل بن زياد عن رفاعة بن اسلم
عن جده طريف بن طارف اليربوعي فجعلت فرسان الروم تتقصر
عن قتاله مما ظهر لهم من شجاعته ثم رمى البيضة عن راسه والزرد
عن وجهه وقال يا بني الاصفر انا ضرار بن الازور صاحبكم
بالامس وغريمكم اليوم انا قاتل حمران بن وردان انا
البلاء المسلط على من يشرك بالرحمن انا مفنيكم في كل موقف
ومكان فلما سمعت الروم كلامه عرفوه وتقهقروا الى ورائهم
فقال وردان من هذا البدوي فقالوا ايها الملك هذا الذي
يظهر مرة عاري الجسد ومرة مكتسي ومرة برمح ومرة بلا
رمح ومرة بالنبل هذا ضرار بن الازور فلما سمع وردان
ذكر ضرار بن الازور تنفس الصعدا فقال والله هذا قاتل ولدي
ومقلل عددي ولقد اشتهيت من ياخذ لي بثاره وله مني ما يريد قال
فبرز اليه بطريق من الاراجنة صاحب طبرية قال هلال بن مرة
كنت في الميسرة وكان عن يساري روماس صاحب بصرى
فسمعته يقول هذا ما ادر ما اسمه وقال لوردان لئن تخرج
اليه غيري فبرز اليه وردان صاحب طبرية وحمل على ضرار

فما جالا اكثر من ساعة حتى طعنه ضرار طعنة خرق بها الدرع فانجدل
صريعا فقال وردان نعم اتاني به ولو اتاني به عيانا ما صدقت بصري
وكيف تطيق الانس قتال الجن وما ارى لهذا الذميم غيري ثم انه
ترجل عن جواده ولبس لامة الحرب والقى درع من اللؤلؤ على بدنه
ولبس تاجا على راسه يريد بذلك رهبة ضرار ثم ركب جوادا من
خيل العرب وهم ان يخرج فتقدم اليه بطريق من الاراجنة اسمه
اصطفان وهو صاحب عمان فقبل ركبته وقال ايها الصاحب ان
انا اخذت بثارك من هذا الذميم وقتلته او اسرته اتزوجني
بابنتك فقال وردان هي لك وبين يديك وانا اشهد على جميع
من حضر من ملوك الشام وخواص هرقل بذلك فلما سمع ذلك
اصطفان خرج مصمما كانه شعلة نار وحمل على ضرار وقال
يا ويلك قد اتاك من لا قدرة لك به ولا بقتاله فلم يعلم ضرار
ما يقول بالرومية غير انه اخذ الحذر منه واخرج صليبا من الذهب
بسلسلة من الفضة جعله في عنقه وجعل يقبله فعلم ضرار انه
ينتصر عليه بصليبه فقال يا عدو الله تستعين علي بالصليب
وانا استعين عليك بالقريب المجيب الذي لمن دعاه قريب ثم
حمل كل منهما على صاحبه واظهرا ابوابا من الحرب حتى ضج الناس

منهما فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا التطويل والتغفل والجنة
قد فتحت والنار قد اضطرمت لعدوك واياك والفشل فانك
بعين الرب قال فايقظ خاطره وانتفض في سرجه وحمل على
خصمه فصاحت الروم بصاحبها تشجعه على خصمه وتعاركا حتى
حميت الشمس وجللهما العرق وتعب الجوادان فاشار البطريق
الى ضرار ان ترجل نتقاتل رجالة فهم ضرار ان ينزل شفقة على
جواده واذا بفارس قد خرج من صفوف الروم يقود جنيبا
وكان غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح بالجواد وسمعه
الناس يقول تجلد معي والا شكوتك عند قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فصهل جواد ضرار وجرى فاستقبل غلام البطريق
بطعنة فمات لوقته واخذ الجنيب ركبه اسرع من البرق وساق
نحو جيش المسلمين وعاد نحو البطريق فلما راه راكبا جنيبه
ايقن بالهلاك وعلم انه ان ولى اهلكه لا محالة وان وقف
اهلكه فلما نظر ضرار الى عدو الله وتبلده علم ما عنده واضمر
ان يهجم عليه واذا بعينة قليلة من عسكر الروم خرجت وذلك
ان وردان لما نظر الى البطريق اشرف على الموت علم انه
ان لم يدركه هلك لا محالة فقال لقومه يا قوم هذا الشيطان

قد اكل من قلبي قطعة وان لم اقتله اليوم قتلت نفسي ولا بد لي من
الخروج اليه ودع الملوك تعايرني بذلك قال فما زالت البطارقة
البطارقة والقياصرة والهرقلية ترجعه تحلف بالصليب لا بد له من
الخروج اليه فخرج في عشرة فوارس مدرعون وفي ارجلهم خفاف
الحديد وسواعد الحديد وبايديهم اعمدة الحديد ووردان قد
لبس لامته والتاج على راسه وهو يقدمهم كانه شعلة نار فلما
نظر الى ذلك اصطفان المنازل لضرار قوي قلبه بعد ان ايقن
بالهلاك ونشط للحرب بعد الارتباك وصاح بضرار دونك والحرب
فلم يلتفت ضرار لمن خرج اليه الا انه تاهب لهم قال فنظر خالد
الى خروج القوم والى التاج يلمع على راس وردان فقال ان التاج
لا يكون الا على راس الملوك ولا شك انه صاحب القوم فقال
خالد لمن معه هذا صاحب القوم خرج الى صاحبنا فما الذي يمنعنا
عن نصرته ثم امر خالد اصحابه ان يخرج منهم عشرة فخرج منهم
عشرة من خيار القوم واطلقوا الاعنة ووصلت الروم الى
ضرار فنسا وشهم الى ان وصل خالد بمن معه وقال ابشر يا
ضرار فقد اسعدك الملك الجبار فلا تجزع من الكفار فقال ضرار
ما اقرب النصر من الله قال والتقت الرجال بالرجال وانفرد كل

واحد منهما بخصمه وطلب خالد مقدم جيوش وردان ولم يزل ضرار مع
خصمه اصطفان وقد كل عدو الله وتبعت سواعده وارتعدت
فرايصه وعادت فرحته ترحة عندما نظر الى خالد ومن معه وجعل
ينظر يمينا وشما لا يريد الهروب وليس لفرسه نهضة فعلم ضرار
منه ذلك فهجم عليه فلما ايقن بالموت القى بنفسه عن الجواد وولى
هاربا فبادر ضرار والقى بنفسه عن جواده وطلب عدو الله حتى
لحقه ورمى ضرار الرمح من يده وتصارعا واخذوا بمناكب
بعضهما وتعاركا وكان عدو الله كالصخرة الجلمود وكان
ضرار نحيف الجسم غير ان الله اعطاه حولا وقوة فلما طال بينهما
العراك ضرب ضرار بيده الى سراويل عدو الله مع مراق بطنه اليه
فقلعه من الارض بحول الله تعالى ورفعه وضرب به الارض فصاح
صيحة سمعها اهل العسكرين وصاح بوردان بالرومية ايها
السيد انقذني مما انا فيه فقد هلكت فقال له وردان ويلك
وانا من ينقذني من هؤلاء السباع هذا وقد ركب ضرار على صدره
وحز راسه **قال الواقدي** رحمه الله فلما رات الروم
ذلك حملت باسرها فلما نظر ضرار الى ذلك قال قد دهمني العدو
واخاف ان تطاني الخيل بسنابكها ثم اسرع الى جواده وركبه

وهو مضمخ بالدما ثم كبر وكبر المسلمون في اماكنهم وحملت الروم
كما ذكرنا من قبل ميمنتهم على معاذ بن جبل وحملت ميسرتهم على
سعيد بن عامر بن خثعم وترامى الفريقان بالنبل ونادى سعيد
ابن عمرو بن نوفل معاشر المسلمين اذكروا الوقوف بين يدي
الجبار واياكم ان تولوا الادبار فتستوجبوا بذلك دخول
النار صبرا صبرا يا اهل الحفايظ وحماة الدين ويا قراء القران
قال فزاد الناس بقوله نشاطا واقداما قال واقتتل الفريقان
الى ان دنت الشمس للغروب فافترقوا وقد قتل من العسكرين
خلق كثير الا ان القتلى في المشركين اكثر واعظم وكان
من قتل بوقعة اجنادين من المسلمين سلمة بن هشام المخزومي
ونعيم بن صخر العدوي وشماس بن العاص السهمي وعنان بن
سفين وعبد الله بن عمرو الدوسي ودر بن عوف النميري وراغب
ابن كعب الخزرجي وقادم بن مقدام الزهري وذو اليسار
ابن خزرجة التميمي وحزام بن سالم العنوي وسعيد بن عاصم
ابن ابي بكر الكلابي وحازم بن بشر السكسكي وامية
ابن حبيب بن يسار احد بني عبد الدار وجميل بن رافع السلمي
ومرهف بن واثق اليربوعي وسالم بن طلحة الغفاري واثنا

عشر رجلا من اخلاط الناس قال الواقدي لم نقف على اسمايهم وجملتهم
اثنان وثلاثون رجلا وقتل من الروم ما يزيد على ثلاثة الاف
فيهم عشرة من ملوكهم وهم مارش بن بيان صاحب ارض البلقا
وما يليها ومرقش بن صليبا صاحب الصمين ونوادم بن صاحب
الحولان الي الكهف والرقيم ولاون بن حنة صاحب جبل السواد
وصاحب غزة وعسقلان ومدعور بن روبيس ويوحنا بن عبد
المسيح صاحب حلوان وجرفاس بن خبرون صاحب الرملة وصاحب
نابلس وصاحب ارض العواصم لم نقف على اسمه ثم افترق القوم
ورجع وردان الى مكانه وقد امتلا قلبه رعبا مما راى من
عسكر المسلمين وشدة صبرهم وقتالهم فجمع البطارقة اليه
وقال يا اهل هذا الدين ما تقولون في امر هولا العرب فاني
اراهم غالبين لنا غير مغلوبين وقد رايت اسيافكم كليلة
واسيافهم قاطعة وخيلكم منهزمة وخيلهم صابرة وسواعد
القوم صلبة وسواعدكم بليدة وان القوم اطوع منكم لربهم
واصدق لهجة وما خذلتم الا بالظلم والجور والغدر وما اري
لكم عليهم دولة الا ان تغسلوا ما في قلوبكم من العصيان
وتتوبوا الى ربكم من كثرة الاثام فان فعلتم ذلك رجوت

لكم النصر على عدوكم وان ابيتم ذلك فابشروا بالهلاك وان الله
قد عاقبكم باشد عقوبة تكون اذ سلط عليكم اقواما كنا لا نعدهم
ولا نفكر فيهم ولا يخطروا على افيدتنا لان اكثرهم رعاة وعراة
جياع ومساكين اخرجهم الينا قحط الحجاز وشدة الضرر والبلا
فلما اكلوا من خيرات بلادكم وفواكه ارضكم واكلوا مكان
خبز الشعير والذرة ما صفا من خبز الحنطة واكلوا مكان الخل
الزيت والعسل والسمن والزبد الطري والتين والعنب والفوا
والظرف واعظم من ذلك سبي نسايكم واخذ اموالكم
وذراريكم واولادكم فكيف صبركم على هتك حريمكم والاسر
والبلا العظيم قال فلم يبق من الروم الا من انتحب وصفق بيديه
واغتاظوا غيظا عظيما وقالوا نقتل عن اخرنا ولا يصل القوم
الى ذلك منا ونضربهم بالسيوف ونطعنهم بالرماح ونرميهم
بالنبل والنشاب ولا يصل القوم الى ذلك منا فلما سمع ذلك من
قولهم فرح فرحا شديدا وعدل عن القوم وصاح بالبطارقة
وشاورهم في ذلك وقال لهم قد سمعتم ما قال جيش الملك
فقال رجل من القوم يا وردان لا تثق بكلام الروم واعلم انك
قد بليت بقوم كالاسود الضارية وقد عاينت الفارس منهم

يحمل على عسكرنا بأسره ولا يبالي بكثرتنا ولا يرجع حتى يقتل منا وقد
وطنوا أنفسهم على ما قال لهم نبيهم أنه من قتل منا صار الى النار
ومن قتل منهم صار الى الجنة والموت والحيوة عند القوم سواء
وقد قتل منا خلق كثير ومنهم شيء يسير وما أرى لك فيهم مطمع
الا ان تصل الى صاحبهم بحيلة ومكيدة تدبرها عليه فإن
قتلته بذلك انهزم القوم عن آخرهم فقال وردان وأي حيلة
تنفذ والحيل والخداع لهم فقال البطريق اني ارى لك أن تدعوا
أميرهم الى مناظرتك ومسايلتك فإذا اخلوتما بادر اليه مسرعا
واعتنقه وصح بقومك وليكن منكم رجال مكمنون بحيث لا يراهم
فقال وردان ما أجد الى صاحبهم من سبيل لأنه صعب القياد
والوصول اليه بعيد وما انا من رجاله ولا ممن يخاطبه ولا
يتحرش به فقال له البطريق انا اقول لك شيأ ان انت
فعلته وصلت الى أمير القوم من حيث لا يصل اليك وذلك أن
تعمد الى عشرة من قتال عسكرك فتكمنهم في كمين في ناحية
من العسكر قبل خروجك فإذا دعوته فسيرا جميعا الى أن تصل
الى قرب الكمين الذي فيه أصحابك فتجلسا عنده وأشغله ساعة
بالحديث حتى يطمئن اليك ثم اهجم عليه واصرخ بقومك

فيبادروا من الكمين فيقطعوه إربا إربا ونكتفي مؤنته وتفرق
أصحابه ولا يجتمع منهم اثنان ابدا فلما سمع وردان ذلك من
كلامه تهلل وجهه فرحا وقال له نعم ما قلت ووفقت فيما
ذكرت غير ان هذا الأمر يعمل ليلا او نهارا فقال بليل ولا
يأتي الصباح الا وقد فرغنا مما نريد ثم ان وردان دعا
برجل من نصارى الشام وكان مسكنه حمص واسمه داود
فقال له اني أعلم أنك فصيح اللسان قوي الجنان خطيب مفلح
محتال واني أريد منك أن تسير الى هؤلاء العرب وتسألهم أن
يقطعوا الحرب بيننا وبينهم بقية يومنا ويخرج لنا أميرهم باكرا
ولعلنا أن نصطلح وندفع له من المال ما يريد فقال له داود
ويحك وتخالف الملك فيما أمرك به من الحرب وتصطلح أنت
والعرب وينسب اليك الفزع والجزع وما كنت بالذي أخاطب
العرب في ذلك ابدا فيبلغ الملك اني كنت الواسطة في ذلك
فيقتلني فقال له وردان يا ويلك إنما جمعنا رأينا على الحيلة
عسى أن نصل الى صاحبهم فنقتله وتفترق عنا هؤلاء العرب
ونبيدهم بالسيف ثم حدثه بما عزم عليه من المكيدة بخالد
فقال له داود يا وردان الكايد والغادر والباغي مخذول

في كل فعل فالق الجمع بالجمع ودع ما عزمت عليه فغضب وردان
من قوله وقال ما استشرتك في هذا الامر وانما امرتك ان تسير
برسالتي فافعل ما امرتك ودع اللجاج عنك فقال حبا وكرامة
ثم عطف وقد انكر ما سمع من وردان وقال انه قد عزم على
ان يلحق بولده ثم انه سار الى ان وقف قريبا من عسكر المسلمين
ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب كفوا عن القتل وسفك
الدما فان الله سائلكم عن ذلك وقد اجمعنا على امر نرجوا به
الصلح فليخرج الى اميركم حتى اخاطبه بما ارسلت به اليه او
يخرج غيره ليبلغه فما استتم كلامه حتى خرج اليه خالد كانه
شعلة نار وهو متكفن في لامة حربه وبيده رمح وقد جعله
بين اذني الحصان فلما نظر اليه داود قال على رسلك يا عربي
فما خرجت الي حربك ولا انا من رجال الحرب ولا ممن يطلب
المناصلة والضرب وانما انا رسول اليك ابلغك الرسالة من
اميرنا وردان واسمع ما تقول فرد عني رمحك حتى اخاطبك
فرد رمحه عرضا في قربوص سرجه وقرب من داود وقال له
قل وبلغ ما امرت به واستعمل الصدق تنجوا به فمن صدق نجا
ومن كذب هوى فقال صدقت يا عربي اعلم ان اميرنا

وصاحبنا وردان كاره لسفك الدما ولم يرد حربكم وقد
نظر الى من قتل منه فاحزنه ذلك وقد راى من الراي ان تكفوا
عن القتال بقية يومكم هذا ويدفع اليكم مالا بشرط ان تكتبوا
كتابا بيننا وبينكم تشهد فيه على نفسك وليشهد فيه كبرا
قومك انك لا تتعرض له ولا لاحد من اصحابه ولا تقعد في
بلده ولا تاخذ حصنا من حصونه فان فعلت ذلك وثق بقولك
ورضي بفعلك واذا اصبحت من الغد خرجت منفردا من قومك
ولا يكون معك احد لتجتمع بالامير وردان وتنظران ما تتفقان
عليه وتشيران اليه ويسمح بعضكما لبعض عسى يرتفع القتال
من بينكم ۞ قال فلما سمع خالد هذا الكلام فكر
طويلا وقال لداود اعلم ان كان ما اظهره صاحبك وارسلك
به يريد به حيلة او مكيدة فنحن والله خرثومة الخداع
ومعدن المكر ومثلنا ما يؤتى بحيلة فان كان ذلك ضميره
واعتقاده فما هو الا لاقتراب اجله وانقطاع امله وهلاك
جمعكم وان كان ما قاله حقا فلست اصالحه الا على ادا الجزية
عن جماعتكم ورؤسكم واولادكم على رؤس الزمان اخذه
منكم في كل عام فلما تم كلام خالد قال داود وقد عظم

كلام خالد عليه قال له إذا اجتمعتما في غد ما يكون الإمام ومنه
أنت وها أنا راجع إلى وردان أبلغه ما ذكرت لي ثم إن داود
التفت راجعا وقد امتلأ رعبا من خالد وفزع مما سمع منه ثم قال
في نفسه صدق والله العربي في ما قال وأنا أعلم أن وردان
أول مقتول ونحن من بعده تبعا له ثم قال في نفسه وما لي أنا
لا أصدق العربي وأذكر له ما عزم عليه وردان وآخذ
لي ولأهلي أمانا ثم التفت إلى خالد وقال له يا أخا العرب إني قد
نسيت شيئا سره إلى صاحبي فقال خالد وما هو قال خذ على
نفسك وكن مشفقا فإن وردان قد أضمر لك كيدا ثم حدثه
بالقصة وإني أريد الأمان منك لي ولأهلي فقال خالد لك الأمان
ولأهلك وولدك إن لم تخبر الروم ولم تغدر فقال داود لو
أردت أن أغدر ما حذرتك وحذرتك فقال له خالد وأين مكمن
القوم فقال عند الكثيب على يمين العسكر ثم تركه ورجع
وأخبر وردان بجواب خالد ففرح وقال الآن أرجو من
الصليب أن يظفرني به ثم دعا بعشرة من الفتاك الأبطال
وقال لهم امضوا رجالة واكمنوا عند الكثيب قال ولما رجع
خالد رآه أبو عبيدة ضاحكا فقال له يا أبا سليمان أضحك الله

سنك ما الخبر فحدثه بما قال له العلج داود فقال له أبو عبيدة وعلى
ما ذا عولت قال عولت أن أخرج إلى القوم وحدي فقال يا أبا
سليمان لعمري إنك كفؤ لذلك ولكن ما أمرك الله بالتهلكة
والله تعالى قد قال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقد أكمن لك عشرة
وهو حادي عشر ولست آمن عليك من اللعين ولكن اندب له
رجالا كما ندب لك واكمن بهم قريبا من القوم إن كان
الناصح قد أعلمك بمكانهم قال نعم قال أبو عبيدة فأمر
أصحابك أن يخرجوا عشرة من أبطال العسكر ويكمنوا قريبا من
كمينهم فإذا صرخ اللعين بقومه اصرخ أنت بقومك تكتفي
ما تحذره ونكون نحن على خيولنا متأهبين قال ثم إن خالدا دعى
بعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم رافع
ابن عميرة الطائي والمسيب بن نجبة الفزاري ومعاذ بن جبل
وضرار بن الأزور وسعيد بن زيد العدوي وأبان بن سعيد
وسعيد بن عامر بن خديج وقيس بن هبيرة وزيد بن سعيد البياضي
وعدي بن حاتم رضي الله عنهم فلما اجتمعوا إليه أخبرهم بما عزم
عليه القوم من حيلتهم وخديعتهم وقال اخرجوا بأجمعكم

واكمنوا في الموضع الواطي الذي عن يمين الكثيب فاكمنوا هنالك فاذا صرخت لكم فبادروا نحو القوم واتركوني وعدو الله فاني له كفو ان شاء الله تعالى فقال له ضرار بن الازور يا ايها الامير اني اخشى ان يكثر الشر ويعظم ويمانع القوم عن صاحبهم ويحطم هذا الجمع الكثير اليك فلا نامن من ان يصل شرهم اليك واني ارى رايا وهو ان نسير من وقتنا هذا الى كمين القوم فان وجدناهم رقودا فرغنا منهم قبل الصباح ونحن في موضعهم فاذا خلوت انت وغريمك خرجنا اليه بغير مقاتل ولا مصادم فضحك خالد من قوله وقال له افعل ما بدا لك ان وجدت اليه سبيلا نحذ هولاء العشرة الذين ندبتهم وانت الصاحب والامير عليهم وارجوا ان يبلغك الله ما ترومه منهم فان وصلت اليهم فهي الفرحة الكاملة فقال ضرار ارجو الوصول اليهم ان شاء الله تعالى ثم انهم خرجوا بليل رجالة وبايديهم السيوف وسلموا على اصحابهم وسالوهم الدعا فساروا وقد مضى ثلث الليل الاول رجالة وضرار على مقدمتهم

يقول هذه الابيات

أالجن تفزع مني في الظلام اذا ... خضت الدياجي ولم الوي على الجزع
يا ويح من وضع الارصاد يخدعنا ... ونحن جرثومة الامكار والخدع
لارضين الهي في جهادهم ... لبئس الجسور على الاهوال كالجزع

قال ثم سار باصحابه حتى وصل الى الكثيب فاوقف اصحابه وقال على رسلكم حتى اكشف لكم خبر القوم ثم نزع اثوابه واخذ سيفه وجحفته ومشى مع ذيل الجبل سيرا خفيفا فلما اشرف عليهم سمع غطيطهم في نومهم كالسكارى لما نالهم في يومهم من التعب وهم في امن من ان يقصدهم عدوا او يعرض لهم عارض وهم ان يدنوا منهم ويقتلهم فخشي ان يوقظ بعضهم بعضا باضطرابهم عند قتلهم فرجع الى اصحابه وقال ابشروا فقد نلتم ما تريدون وامنتم مما تحذرون جردوا السيوف وسيروا الى القوم واقتلوهم كيف شئتم وكل واحد منكم لواحد ولتكن ضرباتكم واحدة واخفوا اصواتكم ما استطعتم فقالوا حبا وكرامة ثم خفف القوم لامتهم وجردوا سيوفهم وتقدم امامهم ضرار بن الازور ومشوا في اثره الى ان وصلوا الى القوم فوجدوا سلاح كل واحد منهم تحت راسه فتفرق القوم عليهم وانفرد كل واحد منهم بواحد فلما تمكنوا منهم رفعوا السيوف ووضعوها على الجماجم والرقاب والاصلاب فلم يستيقظوا الا مع ضربات السيوف فقطعوهم

إربًا إربًا وأفنوهم عن آخرهم ثم أخذ والأسلابهم وسلاحهم وما كان
معهم فقال ضرار ابشروا هذا هو الفتح إن شاء الله تعالى ونرجوا من
الله إتمام الأمور وإنجاز الوعد وحمد وا ربهم بنصرهم على أعدائهم
وتموا بقية ليلتهم يبتهلون ويصلون شكرًا لله تعالى وينالونه
النصر ولم يزالوا كذلك إلى أن برق ضيا الفجر فهنالك اجتمع
القوم ونزعوا أطمارهم ولبسوا ثياب الروم وتعصبوا بالمشاد
مخافة أن يأتيهم رسول وردان فيتغير عليه لبسهم **قال**
الراوي ودفنوا القتلى في التراب وجلسوا ينتظرون الفرج
قال الواقدي رحمه الله فلما أضا الفجر صلى خالد
بالناس ورتب أصحابه كهيئة الحرب واشتهر بحريرة صفرا وعمامة
حمرا وكذلك اصطفت الروم واشهروا السلاح ورفعوا
الأعلام والصلبان فبينما القوم كذلك إذ خرج فارس من
قلب عسكر الروم وقال يا معاشر العرب غدرتم هكذا كان
بيننا وبينكم بالأمس فخرج إليه خالد وقال ما من شيمتنا
الغدر فقال الفارس إن وردان يريد منك أن تخرج إليه
حتى ينظر ما تتفقا عليه فقال خالد ارجع إليه وقل له إني
خارج إليه غير خائف ولا جزع ثم رجع البطريق وأعلم وردان

بجواب خالد فعندها خرج عدو الله وهو مكفن في لامته وقد
تظاهر بقلائد الجوهر وعصائبه وتاجه فلما رآه خالد قال هذه
غنيمة للمسلمين إن شاء الله تعالى ثم قال لأبي عبيدة أظن أن ضرارًا
وأصحابه وصلوا إلى أعداء الله فإذا رأيتني قد حملت فاحمل بمن معك
ثم سلم على المسلمين وخرج وهو **يقول**
عليك ربي في الأمور المتكل • فاغفر إلهي إن دنى مني الأجل •
ووفقني يا رب إلى خير العمل • واغفر إلهي ما عملت من زلل •
واقمع بسيفي الشرك حتى يضمحل • ما لي سواك في الأمور من أسل •
قال الواقدي رحمه الله حدثني رفاعة بن قيس
عن مروان بن هبيرة عن ماجد بن العاصي عن جده نافل بن علقمة
الرعيني قال كنت في القلب في أصحاب عياض بن غنيم الأشعري
فسمعت خالدًا يقول هذه الأبيات بعينها فلما رأى عدو الله إلى
خالد وإلى لباسه أعجبه ما رأى وظن أنه لا يصل إليه ولم يزل
خالد إلى أن قرب منه وإذا بعدو الله وردان عرج نحو الكثيب
إلى أن قرب منه فجا خالد إليه فنزل خالد وترجل عدو الله وردان
وجلسا فجعل عدو الله سيفه بين يديه حذرًا من خالد أن يهجم
عليه فقال له خالد قل ما تشا واستعمل الصدق والزم طريق

الحق واعلم انك جالس امام رجل لا يكترث بالخداع ولا يلتوي الى
الحيل الواقعة لانه جرّبها فقل ما تريد ان تقول قال وردان
يا خالد اذكر لي ما تريد وقارب الامر بيني وبينك وارفع القتال
من بيننا واعلم انك مطالب مسايل بما قتلت وفعلت بعبيد الله
وان طلبتم شيئا من دنيانا فما نبخل عليكم وتكون صدقة منا عليكم
لان ليس عندنا امة اضعف منكم وقد علمنا انكم في بلد قحط
تموتون فيه ضرا وهزالا فقل ما بدا لك واقنع منا بالقليل فلما
سمع خالد ذلك من قوله قال له يا كلب النصرانية ان الله
تعالى اغنانا عن صدقاتكم وجعل اموالكم حلالا لنا نتقاسمها
فيما بيننا واحل لنا نساءكم واولادكم وذراريكم الا ان
تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فان ابيتم ذلك فأدّوا الي
الجزية عن يد وانتم صاغرون فان ابيتم فالسيف بيننا وبينكم
وما لك عندنا الا ما سمعته فدونك والحرب والقتال والله تعالى
ينصر من يشاء ووالله ان الحرب والقتال اشهى الينا من الصلح واما
قولك انه لم تكن امة اضعف منا عندكم فانتم عندنا بمنزلة
الكلاب لان الواحد منا يستضعف منكم الفا وما هذا خطاب من
يطلب الصلح واعلم انك انما طلبت الاجتماع بي لتصل الي

بانفرادي عن اصحابي فذلك عنك بعيد فدونك القتال فها انا في
عزلة عن قومي وقومك وافعل ما تريد فاني كفولك ان شاء الله
تعالى قال فلما سمع وردان مقالة خالد وثب من مكانه من غير
ان يجرد سيفه ثقة منه باصحابه انهم ينجدوه من الكمين وقبض
على خالد فثار اليه خالد وشابكه وضرب بيده على عضد وردان
واشتبكا ووثق بعضهما ببعض وصاح عدو الله بقومه عندما
وثق بخالد وقال لهم بادروا الي فقد مكنني الصليب من امير
العرب فما استتم كلامه حتى سمع القوم صوته وخرج اليه
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الكثيب كانهم
العقبان وقد رموا الاطمار والدروع التي كانت عليهم
وجردوا السيوف وكان اول من وصل الى وردان ضرار
ابن الازور وهو عاري الجسد بسراويله قابضا على سيفه
يهدد كالاسد والقوم من ورايه تابعين له فالتفت عدو الله
فنظرنا مسارعين اليه وهو لا يشك انهم قومه فلما حقق النظر
وراى ضرار بن الازور امامهم يهز سيفه فارتعدت فرايصه
ووقف ساعة وقال يا خالد بحق معبودك اقتلني ولا يقتلني
هذا الشيطان فاني اتشاءم بطلعته فقال له خالد هو قاتلك

لا محالة فبينما هما في المحاورة إذ هز ضرار بن الأزور سيفه وقال
يا عدو الله أين خديعتكم من خديعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم لوح إليه بسيفه فصاح به خالد ويحك يا ضرار إياك أن
تصل إليه بسيفك قبل أن آمرك بقتله ووصل أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يهزون سيوفهم فكل بادر إلى قتله
فقال خالد على رسلكم وامهلوا إلى أن آمركم بقتله ونظر وردان
إلى ما دهمه فداخل قلبه الفزع وسقط إلى الأرض وهو يشير
بإصبعه وهو ينادي الأمان الأمان فقال خالد يا عدو الله إنما
نعطي الأمان لأهل الأمان وأنت رجل أظهرت لنا السلم
والمصالحة وأضمرت الخديعة والمكر والله خير الماكرين
فلما سمع ضرار ذلك من قول خالد لم يمهله دون أن ضربه
على حبل عاتقه ثم اختطف التاج من رأسه وقال من سبق إلى
شيء كان أولى به قال وتقدمت إليه المهاجرون بسيوفهم
فقطعوه إربا إربا وتبادروا إلى سلبه فأخذوه ثم إن خالدا
أقبل على أصحابه وقال يا قوم إني ما آمن من الروم أن يميلوا
عليكم لأنهم مشرفون على صاحبهم ثم إنهم حزوا رأس
وردان ولبسوا الأطمار التي كانت على الروم وتوجهوا

للقائهم وحملوا على الروم وكبروا وخالد وضرار في أوائل القوم
ورأس وردان على رأس ذؤابة سيف خالد فلما انكشفوا لأهل
العسكرين وحملوا على الروم ونظر الكفار إلى رأس صاحبهم
لم يشكوا أنه رأس خالد فعطعطوا وصفقوا وأظهروا الصلبان
وكثر ضجيجهم وعجيجهم فلما نظر المسلمون إلى ذلك داخلهم
الفزع وخيل لهم أن صاحبهم قد أصيب فهم بين خائف وراج
وباك وصارخ فلما وصل خالد إلى صفوف الروم لوح بالرأس
وقال يا أعداء الله هذا رأس صاحبكم وردان وأنا خالد بن
الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رمى بالرأس
إليهم فلما تحققوا أن أصحاب الكمين ووردان قتلوا
ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وأخذهم السيف من كل
مكان وقتلوا تحت كل حجر ومدر ولم يزل السيف يعمل فيهم
من الضحى إلى وقت صلاة العصر فتفرقوا كالإبل الشاردة
قال عامر بن الطفيل الدوسي وكنت في خيل أبي هريرة
رضي الله عنه ومعي خيل من دمشق نتبع المنهزمين إلى نحو
طريق زرع إذ أشرفت علينا غبرة ظننا أنها خيل جاءت من
قبل هرقل فأخذنا على أنفسنا وكذلك من تبعنا من المنهزمين

واذا بالغبرة قربت منا وانجلت عن عسكر انجدنا به ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فما لقوا احدا من الروم الا قتلوه واخذوا ما معه من المال
وغيره **قال الواقدي** رحمه الله حدثني عبد الله بن ازوي السلمي
قال اخبرنا سويد بن غانم الثقفي قال حدثني يونس بن عبد الاعلى قراءة
عليه في المسجد الحرام ان العسكر الذي قدم علينا يوم اجنادين
عند هزيمة المشركين كان عمرو بن العاصي السهمي ولم يكن حضر
الوقعة لا هو ولا من معه من المسلمين وكان جيش الروم يومئذ
باجنادين تسعين الفا فقتل منهم في ذلك اليوم خمسين الفا
يزيدون ولا ينقصون وقتل بعضهم بعضا تحت الغبرة وافترق
من بقي منهم فمنهم من مضى الى قيسارية ومنهم من طلب دمشق
وغنم المسلمون غنيمة عظيمة لم يغنموا مثلها في ايامهم التي مضت
واخذوا من صلبان الذهب والفضة والسلاسل الذهب ما لا
يحصى ولا يعد فجمع خالد ذلك كله مع التاج الذي اخذ
ضرار من راس وردان وقال لاصحابه لست اقسم عليكم من
ذلك شيئا الى ان نفتح دمشق **قال الواقدي** رحمه
الله وكانت وقعة اجنادين يوم السبت لثلاث بقين من جمادي
الاول سنة ثلاث عشرة من الهجرة وذلك وفاة ابي بكر الصديق

رضي الله عنه بثلاث وعشرين ليلة ثم ان خالدا كتب الى ابي بكر الصديق
رضي الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن
الوليد الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك فاني
احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ازيد حمدا وشكرا على سلامة المسلمين ودمار المشركين
واخماد نورهم وانصداع بيضتهم وقد لقينا جموع الروم باجنا ردين
مع وردان صاحب حمص الذي اختاره هرقل طاغيتهم واختاره
لقتالنا وقد نشروا كتبهم ورفعوا صلبانهم واقسموا بمعبودهم
انهم لا يفرون ولا ينهزمون فخرجنا اليهم واثقين بالله تعالى
متوكلين عليه وعلم ربنا ما اضمرناه في انفسنا وسرايرنا
فرزقنا الصبر وايدنا بالصبر وكبت اعدانا بالقهر فقاتلناهم
في كل واد وشعب وفج واحصينا من قتل من الروم فكانوا
خمسين الفا وقتل من المسلمين في اول يوم وثانيه اربعماية
وخمسة وسبعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون
رجلا من الانصار وهم سلمة بن عمرو وعوف بن مازن
وشاكر بن مزروع ووافد بن حسان ومرة بن عجلان
والمقنع بن تحية وصفوان بن خدوجة والصامت بن حميد واوس

ابن خوشبة ونعيم بن الفاطون وعبد الله بن بشر والسلول بن قدم
وحامد بن عطا وسفين بن ربيعة والاكوع بن مرة وسيف بن
جابر ومالى بن نقيع وميسرة بن ماجد وكامل بن مرتبة والعقاب
ابن اكال الدم وقتل من اهل مكة ثلاث رجال وهم قيس بن
عامر المخزومى ونعيم بن صفوان وهاشم بن حرملة من بنى عبد
الدار وقتل من حمير خمسة وعشرون رجلا وهم رفاعة بن موهوب
وعنان بن مالك وسعيد بن رافع وماجد بن الاسلع والفاطم بن
يعزب وعامر بن عوف ويزيد بن عبد الله وميثاق بن قابا
وعباد بن اوس وكلكل بن رفاعة وماقط بن سليل وانس بن
دارم والكامل بن حزم ومرتد بن طالب وحاطب بن يربوع
وعملاق بن يسار وذو المرابع بن وايل ومؤمل بن دوحارث
ومسمار بن عوف وجندل بن ربيعة وقتل من بنى سليم ستة
نفر وهم سالم بن المنذر ونعمان بن مرة وفياض بن حامد
وودقاق بن نعيم وياسر بن مقدام وسليم بن منصور والباقى
من اخلاط الناس وقد كتبت لك هذا الكتاب يوم الخميس
لليلتين خلتا من جمادي الاخرة ونحن راجعون الى دمشق
فادع لنا يا خليفة رسول الله بالنصر والسلام عليك وعلى

جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم ختم الكتاب وسلمه لعبد
الرحمن بن حميد الجمحى وامره بالمسير الى المدينة من وقته فارتحل
عبد الرحمن من ساعته وارتحل خالد الى دمشق **قال الواقدي**
رحمه الله ولقد بلغنى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخرج
كل يوم الى ظاهر المدينة يتنسم الاخبار ويسال الركبان
عن المسلمين فبينما هو كذلك اذ قدم عليه عبد الرحمن بن حميد
فلما اشرف على المدينة تسابقت اليه الصحابة رضى الله عنهم فسلموا
عليه وقالوا له من اين اقبلت فقال من الشام فبشروا الصديق
رضى الله عنه بان الله نصر الاسلام والمسلمين فسجد ابو بكر
رضى الله عنه شكرا لله تعالى واقبل عبد الرحمن وسلم على ابى
بكر وقال له يا خليفة رسول الله ابشر فقد اقر الله عينك
بالمسلمين فرفع ابو بكر راسه فسلم اليه الكتاب وكان
بخط ابى عبيدة فقراه ابو بكر سرا فلما فهم ما فيه قراه على
الناس جهرا وشاع الخبر فى المدينة فاتى الناس يهرعون فقراه
ابو بكر ثالث مرة وتسامع المسلمون من اهل مكة والحجاز
واليمن بما فتح الله على المسلمين وما ملكوا من الاموال فتسابقوا
رغبة فى الخروج للثواب والمال وسكنى الشام فاقبل الى

المدينة من اهل مكة كتايب من الخيل والعدد واللباس الحديد وعلى
أوايلهم ابو سفين صخر بن حرب والعيذاق بن هشام ونظراؤهم
ليستاذنوا أبو بكر رضي الله عنه في الخروج إلى الشام فكره
عمر بن الخطاب خروجهم إلى الشام وقال لأبي بكر هؤلاء القوم
لنا في قلوبهم احقاد فالحمد لله الذي كانت كلمة الله هي العليا
وكلمتهم السفلى وكانوا على كفرهم يريدون ليطفئوا نور الله
بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون
ونحن نقول ليس مع الله إلها آخر وهم يقولون إن معه آلهة أخرى
فلما أعز الله ديننا ونصر شريعتنا اسلموا خوفا من السيف ولما سمعوا
أن جند الله نصروا على الروم أتونا لنبعثهم إلى الأعدا ليقاسموا
السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والصواب أن لا نبعث
بهم فقال ابو بكر رضي الله عنه إني لا أخالف لك قولا ولا أعصي
لك أمرا قال فبلغ أهل مكة ما تكلم به عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فأقبلوا بأجمعهم إلى أبي بكر رضي الله عنه وهو في المسجد وحوله
جماعة وهم يتذاكرون ما فتح الله به على المسلمين وأظهرهم
على المشركين وعلي رضي الله عنه عن يمينه وعمر عن يساره والناس
حوله فسلموا عليه وجلسوا بين يديه وتطاولوا من يكون أولهم

كلاما فكان أول من تكلم ابو سفين بن حرب وأقبل على عمر وقال
يا عمر قد كنت لنا مبغضا في الجاهلية وقاليا وكنت تجد علينا ونجد
عليك فلما هدانا الله للإسلام هدم الإسلام ما كان في قلوبنا
لأن الإيمان يهدم الشرك والبغضة وأنت إلى اليوم تشنانا
وتبغضنا ألسنا إخوانك في الإسلام وبنوا أبيك في النسب فما
هذه العداوة منك يا ابن الخطاب قديما وحديثا أما آن لك أن
تغسل ما بقلبك لنا من الحقد والبغضة وإنا لنعلم أنك أفضل
وأسبق في الإيمان والجهاد ونحن بذلك عارفون غير منكرون
فسكت عمر واستحيا وجلله العرق ثم قال والله ما أردت بقولي
إلا انفصال الشر وحقن الدما لأن حمية الجاهلية في رؤسكم
وكنتم تريدون التطاول بنسبكم على من سبقكم في الإسلام
فقال ابو سفين أنا أشهدكم وأشهد خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أني قد حبست نفسي في سبيل الله وكذلك
تكلم سادات مكة فقال ابو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون
واجزهم بأحسن ما يعملون وارزقهم النصر على عدوهم ولا تمكن
الكفرة من نواصيهم قال فما مضت إلا أيام قلايل حتى قدم
أهل اليمن ومعهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي والنسوان

والصبيان يريدون الشام ثم اقبل مالك الاشتر النخعي فنزل
عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه باهله وولده وكان ملهجا
يحب علي شهد معه الوقايع وقد عزم على الخروج مع الناس الى الشام
واجتمع بالمدينة جيش عظيم زها على تسعة الاف فارس ومعهم
قوم من جرهم فلما تم امرهم كتب ابو بكر كتابا الى خالد بن
الوليد يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر الصديق
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد بن الوليد ومن معه
من المسلمين اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامرك بتقوى الله في السر
والجهر والرفق بالمسلمين والرفق بضعيفهم والتجاوز عن
مسيئهم والمشاورة لهم وقد فرحت بما افا الله عليكم من النصر
وهزيمة الروم فاجعل السرايا في نواحي الشام الى ان تطا
اقصا بلادهم وانزل على جنة الشام الى ان ياذن الله تعالى
بفتحها على يديك فاذا تم ذلك فسر الى حمص والمعرات
واطلب انطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته وقد نفذت اليك ابطال اليمن
وليوث النخع واقيال مكة وعمرو بن معدي كرب الزبيدي

ومالك الاشتر وان نزلت على المدينة العظمى ذات الجبل المطل
انطاكية فان الملك هنالك فان صالحك فصالحه وان حاربك
فحاربه ولا تدخل الدروب او تكاتبني بذلك مع ما اظن ان
الاجل قريب قد اقترب ثم كتب كل نفس ذايقة الموت ثم
طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلمه الى عبد الرحمن بن حميد الجمحي وقال انت كنت الرسول
من الشام وانت ترد الجواب فاخذه عبد الرحمن وسار على
مطيته من طريق البرية يطوي المنازل والمناهل الى ان وصل
الى الشام قال الواقدي رحمه الله حدثني
عمرو بن عبيد الباهلي عن صفوان بن بشر العدوي عن نافع
ابن عمير الجرهمي قال لما بعث خالد الكتاب الى ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ارتحل يريد دمشق وكان اهلها قد بلغهم قتل
ابطالهم وانهزام جيش الملك فخافوا واضطربوا وارتحل
اهل القرى والرساتيق وتحصنوا بها واعدوا الة الحصار
ورفعوا السيوف والطوارق والاعلام والمنجنيقات والعيدان
الى اعلى الصور ونشروا الاعلام والرايات فلما اخذوا على
انفسهم اشرف خالد بالجيش الذي كان معه وجيش عمرو

في تسعة آلاف وجيش يزيد بن أبي سفيان في ألفين وجيش شرحبيل ابن حسنة وعامر بن ربيعة في ألفين وانبسط السواد وراهم مع معاذ بن جبل في ألفين ورأى أهل دمشق عسكرا جرارا فأيقنوا بالهلاك وأقبل خالد بن الوليد فنزل على دير المعروف به وبينه وبين أهل المدينة قدر ميل فلما نزل هنالك دعا بالأمراء فأحضرهم فقال لأبي عبيدة أنت تعلم ما ظهر لنا من غدر هؤلاء القوم عند انصرافنا عنهم وخروجهم في أثرنا فامض بمن معك من أصحابك فانزل بهم مما يلي الجابية ولا تنزل من مكانك ولا تسمح للقوم بالأمان فيخدعوك أو تؤتى من مكرهم وكن متباعدا من الباب وابعث إليهم فوجا بعد فوج واجعل قتال النار دولا ولا تضجر من كثرة الحصار فإن الصبر يعقبه الظفر واحذر أن تؤتى من قبلك فقال أبو عبيدة رضي الله عنه حبا وكرامة ثم خرج ومعه ربع الجيش حتى نزل على باب الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد من المدينة ۞ قال حدثني سليمان ابن عوف عن سالم بن عاصم بن عبد الله عن أبي محمد عبد الله بن حجاج الأنصاري قال قلت لجدي رفاعة بن عاصم وكان ممن قاتل بدمشق وكان في خيل أبي عبيدة فقلت يا جداه

ما منع أبو عبيدة أن تنصب له قبة من بعض قباب الروم مما أخذوه من أجنادين وبصرى ووقعة حوران ونحورا وقد كان عندهم منها ألوف قال يا بني منعه من ذلك التواضع وأن لا يتنافسوا في زينة الدنيا وملكها وكي يرى الروم أنهم لا يقاتلون طلبا للملك وإنما يقاتلون لطلب رجا ثواب الله وطلب الآخرة ولقد كنا ننزل على بلادهم فتنصب خيامهم وسرادقاتهم بالبعد ونوقف
ق أمامها الشهاري والسلاح والدروع والقنطاريات والطوار والرايات ولا يقربها أحد منا وربما أصاب أكثرنا المطر فلا نأوي إليها لأنها لم يذكر فيها اسم الله إلا بالشرك وكنا نزحف عراة بغير سلاح وبعضنا قد صنع له شبه الدرع من نوى التمر يضم بعضه إلى بعض بخيوط ملفقة ويلبسه درعا **قال الواقدي** رحمه الله فلما نزل أبو عبيدة رضي الله عنه على باب الجابية أمر أصحابه بالزحف والقتال ثم إن خالدا رضي الله عنه ادعى يزيد بن أبي سفيان وقال يا يزيد خذ أصحابك وانزل على الباب الصغير واحفظ قومك والجهة التي بعثتك إليها وإياك أن تؤتى من قبلك وقاتل أهل الباب الذي بعثتك إليه وإن خرج إليك أحد من المدينة ولم يكن لك بهم طاقة

فابعث الي حتى انجدك ان شا الله تعالى ثم دعا بشرحبيل بن حسنة كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له امض باصحابك الى باب توما
واحذر ان يخرج اليك منه احد فانه داهية الحرب فان صاحبه
دعي الى الامارة فانف عنها تكبرا وان الملك هرقل يحبه وما
رغب في تزويج ابنته له الا لما يعلم من شجاعته قال شرحبيل ما امنا
من يوتى بحيلة ان شا الله تعالى ثم توجه بقومه وهم الفان ثم دعا
من بعده بعمرو بن العاصي وقال له يا عمرو اذهب بجندك الى
باب الفراديس والزم تلك الناحية فانه قد بلغني ان هناك
ابطال الرجال فقال عمرو السمع والطاعة ثم سار ودعا من
بعده بقيس بن هبيرة وسلم اليه جزءا من الجيش وقال له الزم
باب كيسان فتوجه قيس نحوه **قال الواقدي**
رحمه الله واما باب مرقش فانه كان مغلقا لم يكن عليه قتال
فلذلك سمته العرب باب السلامة ثم نزل خالد على الباب الشرقي
ودعا بضرار بن الازور وضم اليه الفي فارس وقال له كن في
الطلايع وطف حول المدينة كلها فان دهمك امر ولاح لك
عيون القوم فارسل الي لاعمل في تدبير ذلك فقال يا ابا سليمان
اترك الحرب والقتال واشتغل بالانتظار والتسويف ولست ارغب

فيما ذكرت فقال له خالد قاتل ما قدرت فقال له ضرار اما هذا فنعم
ثم سار بقومه وهو يقول هذه **الابيات**
دمشق قد اتاك ضرار يوما • بمن ياتيك بالويل الطويل
ساضرب في العلوج بحد سيف • قطوع باتر عضب صقيل
ساضرم في الجوانب منك نارا • وارمي القوم بالخطب الجليل
ثم سار رحمه الله تعالى وتبعه القوم وبقي خالد على الباب الشرقي
وجل القوم هناك فلما اصبحوا زحفوا للقتال وعول اهل دمشق على
ان يقتتلوا عن اخرهم ولا يدفعوا الجزية ولا يسلموا الحرم
والاولاد وتراموا بالسهام والمقاليع حتى جرح من الفريقين
من الرجال خلق كثير وقدم عبد الرحمن بن حميد بكتاب ابي
بكر الصديق رضي الله عنه وعدل الى ناحية الدير فوجد خالد على
الباب الشرقي وقد قدم للقتال طايفة من اصحابه مع رافع بن
عميرة الطاي فدفع اليه الكتاب فلما قراه فرح وبشر اصحابه
بقدوم الجيش مع ابي سفين وعمرو بن معدي كرب ومالك
الاشتر وشاع الخبر عند جميع المسلمين ولم يزل الناس يومهم
في الحرب الى ان جا الليل ودخل الظلام وافترق القوم وبقي
كل امير على حاله في موضعه الذي ندب اليه وبعث خالد كتاب

أبي بكر رضي الله عنه إلى كل باب فقرئ عليه والناس يسمعون ففرحوا
بذلك فرحا شديدا وبات الناس يتحارسون وضرار يطوف عليهم وهو
لا يقف في مكان واحد حذرا من الروم أن يخرجوا على المسلمين
من المدينة أو جيش يكبسهم من قبل هرقل **قال الواقدي**
رحمه الله وكثر التهليل والتكبير من المسلمين والروم أيضا
تزعق من الصور والأجراس تضرب والسور من المشاعل كأنه
ضوء النهار **قال الواقدي** رحمه الله ولقد بلغني أن
أهل دمشق اجتمعوا إلى كبرائهم وأرباب الدولة وتشاوروا
فيما بينهم فقال بعضهم ما نرى إلا أنا نصالح القوم على ما طلبوا
فما لنا بهم طاقة وما نحن بأشجع ممن اجتمع بأجنادين من جند
الملك من الهرقلية والبطارقة والأراجنة والقياصرة فقد
طحنوهم طحن الحصيد فقال بعض الروم اطلبوا لنا صهر الملك
توما نشاوره في هذا الأمر ونسمع ما يقول ونسأله أن يكشف
عنا ما نحن فيه فإما أن يصالحهم وإما أن يخرج فيحامي عنا قال
فمضى جماعة إلى توما تشاوره فوجدوا رجالا على الباب موكلين
به شاكين في السلاح فقالوا لهم ما الذي تريدون فقالوا
نريد صهر الملك فدخلوا استأذنوا لهم فأذن لهم بالدخول

فدخلوا عليه وسلموا وقبلوا الأرض بين يديه واستبشر بهم وأذن
لهم بالجلوس فجلسوا ونظر إليهم وهم في هم عظيم فقال لهم
ما الذي جاء بكم في هذا الوقت فقالوا له أيها السيد الملاذ بك
والغوث مما نزل بنا وأحدق بمدينتنا فقد جاءنا ما لا طاقة لنا
به فإما أن تصالح القوم على ما طلبوا منا وإما أن تكتب إلى الملك
كتابا فينجدنا أو يحامي عنا فقد أشرفنا على الهلاك فلما سمع ذلك
من قولهم تبسم ضاحكا وقال يا ويلكم أطمعتم عدوكم فيكم
وحق رأس الملك ما أراهم أهلا للقتال ولا موضعا للنضال
ولو كانوا مني ببال لألحقت أولهم بآخرهم وأخذت ثار
قومنا منهم والآن كونوا في مدينتكم مطمئنين فلو فتحت
لهم الباب ما جسروا على الدخول فقالوا أيها السيد إن
القوم أكثر مما وصفت وأجل مما ذكرت وإن صغيرهم
وأقلهم ليقاتل الرجل الواحد والعشرة والمائة وصاحبهم
وأميرهم فداهية لا يطاق فإن كنت الأمين على مدينتنا
والكالي لأموالنا والحامي عنا وعن حريمنا فاخرج إليهم
وقاتلهم فقال يا قوم إنكم أكثرتم من القول وخلفكم مثل
هذه المدينة ولكم من العدد والسلاح والدروع ما ليس

للقوم لأنهم حفاة عراة فقالوا أيها السيد ان معهم من عددنا وأسلحتنا
كثيرا وذلك أنهم أخذوا من أرض فلسطين من جند روبيس وأخذوا
من بصرى وأخذوا منا يوم كلوص وعزرآيل وأخذوا من قومنا
عند بيت لهيا وأخذوا يوم بحوران من بولص يوم بطرس
غير ما أخذوا من أجنادين وقد أخذوا ما لنا من العدد والأموال
ومع ذلك لا يتحصنون منا لقلة اكتراثهم بنا وأيضا قالوا إن
نبيهم قال لهم عن ربه انه من قتل منا صار الى النار ومن قتل
منهم صار الى الجنة والى الحياة السرمدية فلذلك يلقونا عراة
الأجساد ليصلوا بذلك الى ما قال لهم نبيهم فضحك توما من
قولهم وقال لهم لأجل ما وقع في نفوسكم من هذا الكلام
طمع هؤلاء العرب فيكم ولو صدقتموهم الحرب لغلبتموهم
لأنكم ضعفهم مرارا فقالوا أيها السيد اكفنا مؤنتهم
كيف شئت واعلم أنك إن لم تمنعهم عنا فتحنا لهم الأبواب
وصالحناهم على ما طلبوا فلما سمع توما قولهم فكر طويلا
وخشي أن يفعل القوم ذلك فقال أنا أصرف العرب عنكم
وأقتل أمراءهم الأول فالأول إلا إني أريد منكم أن تساعدوني
وتقاتلوا معي قتالا أرضاه لكم وتصلون به الى مرادكم

فقالوا نحن معك وبين يديك نقاتل فإما أن ننتصر أو نهلك عن آخرنا
قال فباكر القوم بالقتال فعند ذلك يحل بالعرب الويل قال فانصرفوا
عنه وهم له شاكرون ولأمره منتظرون قال وباتوا بقية ليلتهم
على الحرس الشديد والنيران تقد في الأبراج وعلى الأبواب
وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مراكزهم ومواضعهم
لهم ضجيج عظيم بالتهليل والتكبير وخالد عند الدير مع النساء
والحريم والأولاد والغنائم التي غنموها من أعدائهم ورافع بن
عميرة على الباب الشرقي في عسكر الزحف ولم يزالوا في الحرس إلى
ان طلع الفجر وصلى كل أمير بمن معه ولما فرغوا من الصلاة أمر
أبو عبيدة رضي الله عنه أصحابه بالزحف وقال لا تملوا من القتال
ولا يعتريكم الملال فمن تعب اليوم وجد الراحة غدا وهي الراحة
الكبرى واحذروا من السهام فإنها تخطي وتصيب واركبوا
الخيل فإن أعداء الله عالون عليكم وهم أمكن للرمي منكم وليشد
بعضكم بعضا واصبروا وصابروا قال فزحف الناس بأجمعهم رجالة
واستتروا بالدرق وزحف يزيد بن أبي سفيان من الباب الصغير
وقيس بن هبيرة من باب كيسان ورافع من الباب الشرقي
وشرحبيل من باب توما وعمرو بن العاص من باب الفراديس

قال الواقدي رحمه الله حدثني ياسر بن مسلمة قال حدثني عبد
الرحمن بن جابر الأسدي عن جده رفاعة بن قيس قال سألت قيسا وكان
ممن حضر فتوح الشام فقلت له أكنتم تقاتلون أهل دمشق خيالة
أم رجالة يوم حصاركم لها فقال ما كان أحد منا إلا فارسا إلا
ضرار بن الأزور كان معه زها على ألفي فارس يطوف بهم
حول المدينة كلما أتى بابا من الأبواب وقف عنده وحرض المؤمنين
على القتال ويقول صبرا لأعداء الله تخلصوا غدا في جوار الله ولو أن
أعداء الله ظهروا لنا من خلف سورهم لعلمنا أن الله قرب إلينا ما بعد
مع أنه القادر على أن يبعث عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت
أرجلهم وأنا مؤمل لكم الفتح إن شاء الله تعالى قال وتداعا الناس
للقتال وترامى الرماة بالنبال ونصبت المنجنيقات والمسلمون
صابرون على ما نزل بهم من المشركين وأقبل توما صهر الملك
من الباب الذي يدعى به وكان عندهم راهبا عابدا زاهدا ناسكا
ولم يكن عندهم في المشركين أعبد منه ولا أزهد في دينهم وكان
معظما عندهم فخرج ذلك اليوم من قصره والصليب الأعظم
على رأسه فأركزه على أعلى البرج الذي فوق الباب ووقف
البطارقة عنده وعظماء النصرانية والإنجيل يحمله ذو المعرفة منهم

ووضعوه بالقرب من الصليب ورفع القوم أصواتهم واشتد ضجيجهم
وتقدم توما ووضع يده على الإنجيل وقال اللهم إن كنا على
الحق فانصرنا ولا تسلمنا واخذل الظالم منا فإنك به عالم اللهم إنا
نتقرب إليك بالإنجيل والصليب ومن صلب عليه وأظهر الآيات
الربانية والأفعال اللاهوتية وهو القديم الذي منك بدا وإليك
عاد فبحقه عليك انصرنا على هؤلاء الظالمين وانصر من كان منا على
الصراط المستقيم قال وأمن الروم والبطارقة على دعائه قال
رفاعة بن قيس هكذا حدثني شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي فسر له هذا الكلام روماس صاحب
بصرى رحمه الله وكان في جيش شرحبيل على باب توما كلما
قالت الروم شيا بلغتها أعلم شرحبيل به بالعربية قال واستعاذ
المسلمون بالله من كفرهم وكذبهم على المسيح قال وزحف
شرحبيل ومن معه وقصد الباب بحملته وعظم عليه قول توما
اللعين وقال يا عدو الله كذبت إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب أحياه متى شاء ورفعه متى شاء ثم أمر بالحرب والقتال
فاظهر عدو الله في ذلك اليوم حربا شديدا وهشم الناس بالحجارة
ورمى بالنشاب رميا متداركا فجرح رجالا وكان فيمن جرح

أبان بن سعيد بن العاص أصابته نشابة فنزعها وعصبها بعمامته
وكانت النشابة مسمومة فحس دبيب السم في بدنه فتأخر وحمله
إخوانه إلى أن أتوا به العسكر وأراد واحل العمامة ليداووا جرحه
فقال لا تحلوا العمامة فإن حللتموها تبعتها نفسي أما والله لقد
رزقني الله الشهادة وما كنت آمله قال فلم يسمعوا قوله ونزعوا
العمامة عنه فما نزعوها حتى شخص إلى السماء وقال مشيرا
بإصبعه أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
فما استتمها حتى مات رحمه الله وسمعت زوجته أم أبان ابنة
عتبة ابن ربيعة بموته وكان قد تزوجها بأجنادين وهي
قريبة العهد بالعرس لم يكن الخضاب نصل من يديها ولا العطر
من رأسها وكانت من المترجلات البازلات من أهل بيت
الشجاعة فلما سمعت بموت بعلها أتت تعثر في أذيالها إلى أن
وقفت عليه فلما نظرته في مصرعه صبرت واحتسبت ولم يسمع
منها غير قولها هنيت بما أعطيت ومضيت إلى جوار ربك الذي
جمع بيننا ثم فرق لأجاهدن إلى أن ألحق بك فإني لمشوقة

م

إليك لم أرمنك ولم ترمني ثم قالت أبا الله إلا أن ينغص عيشي حرا
على أن يلمسني أحد بعدك فقد حبست نفسي في سبيل الله عسى أن
ألحق بك وأرجو أن يكون ذلك عاجلا قال فلم ير الناس أحسن
من صبرها ثم حفروا له قبرا ودفن مكانه وقبره معروف
وذلك بعد أن صلى عليه خالد بن الوليد فلما غيب في التراب لم
تبكه أم أبان ولم ترثه ولم تقعد عند قبره دون أن أتت إلى
سلاحه فأفرغته عليها وتنكرت وتلثمت وتناولت سيفه
وحجفته ولحقت بالجيش من غير أن يعلم خالد بذلك وقالت
على أي باب قتل بعلي فقيل لها قتل على باب توما صهر الملك
فسارعت إلى أصحاب شرحبيل بن حسنة فاختلطت بهم وقاتلت
مع الناس قتالا شديدا لم ير الناس مثله وكانت أرمى خلق الله
بالنبل قال شرحبيل رأيت على باب توما رجلا يحمل الصليب وهو
أمام توما ينادي اللهم انصر هذا ومن لاذ به اللهم لا تخذله
ولا تخذل من يعبده واكفنا مؤنة السحرة الكفرة اللهم
أظهر لهم نصره وأعل دينه وأنا أنظر إليه إذ رمته أم أبان
بسهم لم تخط يده برميتها فوقع الصليب من يده وكأني أنظر
إلى لمعان الجوهر فيه فما فينا إلا من تبادر إليه ليأخذه وقد

استترنا بالدرق ومطرت علينا الجنادل وتكابر بعضنا على بعض
كل يسابق اليه ونظر عدو الله توما الى انتكاس الصليب وانهواه
الى المسلمين فخز وكفر وعظم عليه ذلك وقال يبلغ الملك
عني ان الصليب الاعظم اخذ مني وملكته العرب لا كان ذلك
ابدا ثم ان توما حزم وسطه واخذ سيفه وطارقته وقال من
شا منكم فليتبعني ومن شا فليقعد فلا بد لي اليوم اما ان اشفي
صدري من هولا العرب ثم انحدر سريعا وامر بفتح الباب
ففتح له فكان اول مبادر فلما نظر الروم الى ذلك لم يكن
منهم الا من انحدر في اثره لما يعلمون من جسارته وجودة
مراسه فمنهم قوم بالقسي والنشاب ومنهم قوم بالسيوف
والطوارق وخرجوا مبادرين كالجراد المنتشر قال
والمسلمون يتجاذبون بالصليب فلما خرج الروم ووقع صايحهم
حذر الناس بعضهم بعضا فلما نظروا الى ما فاجاهم سلموا
الصليب لشرجبيل بن حسنة ورجعوا الى اعدائهم ومالوا عليهم
وحملوا في اغراضهم مهاجمين واخذهم النشاب والحجارة
من كل مكان ومن اعلى الباب فصاح شرجبيل معاشر المسلمين
تقهقروا الى ورايكم لتامنوا النشاب والجنادل من اعدا الله

العالين على الباب قال فتقهقروا الى ورايهم الى ان امنوا من
شر عدوهم وتبعهم اللعين توما يضرب يمينا وشمالا وحوله
ابطال قومه وهو يشد كالاسد فلما نظر شرجبيل الى تكاثر
الروم صرخ بقومه يحرضهم على القتال وهو يقول معاشر
المسلمين كونوا ناسين لاجالكم طالبين جنة ربكم وارضوا
خالقكم بفعلكم فان الله تعالى لا يرضى منكم بالفرار ولا
تولوهم الادبار فاحملوا عليهم بارك الله فيكم قال فحمل المسلمون
حملة منكرة والتحم القوم بالقوم واختلط بعضهم ببعض وعملت
السيوف وتراموا بالنبل وتكافحوا بالحجف وتراموا بالجنادل
وتسامع اهل دمشق ان توما خرج اليهم وان الصليب
الاعظم سقط الى المسلمين من كف صاحبهم فجعلوا يضرعون
ويخرجون الى ان تزايد امرهم وتكاثر جمعهم وجعل عدو الله
توما ينظر يمينا وشمالا ويحرض القوم لينظر صليبه فحانت
منه التفاتة فنظر اليه مع شرجبيل فلما حقق النظر اليه لم
يتمالك ان الوى وحمل مصمما اليه وقصده وهجم عليه وصا ح
به ارم الصليب لا ام لك فقد لحقك طوارقه وبوارقه
قال فلما نظر شرجبيل الى حملته عليه القى الصليب من يده

وتصدر بجحفته وامتشق سيفه ولاقاه وصادمه وحمل عدو الله حملة
منكرة حين رأى الصليب ملقا وصرخ بأصحابه صرخة هايلة فأدركوه
وأنجدوه ونظرت أم أبان بنت عتبة بن ربيعة إلى حملة عدو الله
توما على شرحبيل فقالت من هذا المدل بنفسه وبأسه فقالوا
هذا توما صهر الملك هرقل هذا قاتل بعلك أبان بن سعيد بن
العاص فلما سمعت ذلك حملت حملة منكرة إلى أن قاربته
بحملتها وجعلت نبلة في قوسها وأومت إليه فتبادرت إليها
العلوج وصرخوا بها ليرعبوها فلم تلو إليهم دون أن حررت
بالنبلة على صاحبها ونادت بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله
ثم أطلقت النبلة وعدو الله قد وصل إلى شرحبيل وكاد
يغلبه لأجل الصليب فجاءته النبلة في عينه اليمنى فاشتبكت
فيها فتقهقر إلى ورايه صارخا وهمت أن ترميه بأخرى فبادر
إليه البطارقة وستروا عدو الله بالطوارق وتبادر المسلمون
إليها يحامون عنها فلما أمنت من شر الأعدا أخذت ترمي بالنبل

• وهي • تقول •

أم أبان فاطلبي بثاركي • صولي عليهم صولة المدارك
قد ضج جمع الروم من بنالكي • أقسمت لا أحدث عن المعارك

٩١ ولم أكن ما عشت لهم بتارك **قال الواقدي** رحمه الله
ثم إنها أرمت علجا فأصابت صدره فانتكس لجبينه صريعا وكان
عدو الله توما أول من تقهقر إلى ورايه من حرارة النبلة وصار
يصرخ صراخ البعير وهو هارب إلى أن دخل الباب فلما نظر شرحبيل
إلى ذلك صاح بأصحابه ويلكم ما يوقفكم وقد تخلص كلب
الروم احملوا على الكلاب عسى أن تدركوا عدو الله قال فحمل المسلمون
حملة منكرة وحمل شرحبيل وضربوا في أعراض الروم إلى أن
وصلوا إلى الباب والبطارقة قد حموا الباب من أعلاه بالنشاب
والحجارة والجنادل فلما رأى المسلمون إلى ذلك رجعوا وقد
قتل من الروم ثلاثمائة رجل أخذ المسلمون أسلابهم وسلاحهم
وصلبانهم قال ودخل عدو الله توما إلى المدينة والنبلة في
عينه لم تخرج منها وأغلقت البطارقة الباب وأحدق بعدو الله
كبرا الروم من الأساقفة والأراجنة والعظما منهم وأخذوا
في قلع النبلة من عينه فلم تقلع لهم ولم تزل عن مكانها
وجذبوها فلم تنجذب فلما طال عليهم ذلك ولم يجدوا حيلة في
إخراجها نشروها وبقي النصل في عينه لم يزل من مكانه ثم
عصبوا عينه وسألوه المسير إلى منزله فأبى وجلس داخل الباب

إلى أن سكن ما به وخف عنه الألم قليلاً قال له امض إلى منزلك بقية
يومك فقد نكبنا في يومنا هذا نكبتين نكبة بالصليب ونكبة بك
مما وصل إليك من هؤلاء القوم اللئام وقد علمنا أن هؤلاء القوم
لا يصطلى لهم بنار وقد سألناك أن تصالح القوم على ما طلبوا
منا لما رأينا منهم ومن اختبار أفعالهم ولا نرى لهم غير ما ذكرنا
لك من الصلح وننصرف القوم عنا فغضب من قولهم وتزايد الغضب
به وقال يا ويلكم يؤخذ الصليب الأعظم مني وأصاب بعيني
اليمنى وتقتل حاشيتي وأغفل عن هؤلاء ويبلغ الملك عني ذلك
فيشهد لي بالعجز والوهن عند الملوك ولا بد لي من السير إليهم
على كل حال وأطلب صليبي وآخذ في عيني ألف عين منهم
ليعلم الملك أني قد أخذت ثاري منهم وأوقع بالقوم الحيلة
أصل بها إلى أميرهم وأملك صاحبهم وأبيد جمعهم وآخذ أموالهم
وما غنموه منا وأبعث ذلك إلى الملك ثم إني لا أرضى بذلك
حتى أجيش الجيوش وأحمل الأثقال والزاد والماء وأسير إلى ملكهم
ابن بكر الذي بالحجاز فأبيد آثاره وأخرب دياره ومساجده
وأجعل بلده مسكنا للسباع والهوام والوحوش ثم جعل الملعون
يحرض الروم وهو معصب العين لكي يزيل عنهم الرعب ثم أقبل

يقول لهم لا تجزعوا مما ظهر لكم في يومكم هذا فلا بد للصليب
أن يرميهم ببوائقه وأنا الضامن لكم ذلك قال فاطمأن القوم لقو له
وقاتلوا في ذلك اليوم قتالا شديدا وصبر المسلمون صبرا جميلا
وبعث شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد يخبره
بما صنع القوم ثم قال للرسول أخبر خالدا أن عدو الله توما
ظهر لنا منه ما لم يكن في حساب فأرسل إلينا رجالا فإن الحرب
عندنا أكثر من كل باب قال فلما وصل الخبر إلى خالد رضي الله
عنه وأن المسلمين أخذوا صليب الروم فرح فرحا شديدا وحمد
الله تعالى كثيرا وقال كيف أخذ ثم صليب القوم فقال
الرسول كان يحمله بطريق من الروم أمام عدو الله توما
فرمته أم أبان بنبلة أصابت يده فأرمى الصليب فوقع إلينا
فخرج توما ليأخذه منا ووقع القتال الشديد فرمت أم أبان
بسهم فأصاب عين توما ففقأها فقال خالد رضي الله عنه
إن توما عند الروم معظم وهو الذي يمنعهم من الصلح ونرجوا
من الله تعالى أن يكفينا مؤنته ويدفع عنا شره ثم قال
للرسول عد إلى شرحبيل وقل له كن حافظا لما أمرتك به
فكل فرقة مشتغلة عنك وأنا بالقرب منك وهذا صاحبنا

ضرار بن الأزور يطوف حول المدينة وكل وقت يكون عندك
ولن نؤتى من قبلكم إن شاء الله تعالى قال فرجع الرسول وأخبر شرحبيل
بذلك فصبر وقاتل بقية يومه وصبر الناس على مراكزهم وأخبر
خالد أمرا المسلمين أن شرحبيل أخذ الصليب من توما فسروا بذلك
سرورا عظيما وأقام الناس بقية يومهم ذلك في الحرب إلى أن
جاوز وقت الظهر وقارب وقت العصر فرفعوا القتال ورجعت
كل فرقة إلى مكانها إلى أن أدركهم المسا فحارس القوم وأضرموا
النيران وقرؤا القرآن وأذن المؤذنون وصلى العشا كل أمير
بمن معه **قال الواقدي** رحمه الله تعالى فلما جن الليل
بعث توما إلى أكابر دمشق وإلى أبطالهم فأحضرهم إليه وأقبل
عليهم وقال يا أهل هذا الدين إنه قد طاف بكم قوم لا خلاق
لهم ولا دين ولا أمان ولا عهد ولا ذمام ولو صالحتموهم
وأديتموهم الأمان ما وفوا لكم بذلك ولا صالحوكم وهذه
أولادهم ونساؤهم وصبيانهم قد أتوا بهم يسكنون بلدتكم
شئتم أو أبيتم فكيف تصبرون على سبي الحرم وهتك العذاري
والخروج من أوطانكم وتكون نساؤكم إماء لهم وأولادكم
عبيدا لهم يستعبدونهم وما وقع الصليب إليهم إلا لغضبه

عليكم لما أضمرتم من هذا الدين ومصالحة المسلمين وإذلالكم
للصليب وأنا قد خرجت لهم ولولا ما أصبت به من عيني لما عدت
أو أفرغ لكم من القوم وقد آليت بعزة الملك الرحيم لا كان لي
بد من المطالبة بثاري وأن أقلع ألف عين من العرب أبعث بها إلى الملك
ثم لا بد لي أن أطالبهم بالصليب حتى أصل إليه وآخذه فإن توانيت
أو غفلت لم آمن أن يتغير علي الملك قال فلما سمعوا ذلك من مقالته
قالوا أيها السيد إن القوم كثير وما هو إلا أن تقصد جهة من
جهات القوم حتى يعطفون إليك من ساير الأماكن ويزحف إليك
أميرهم الأكبر من الباب الشرقي في الخيل ويسير الآخر من
باب الجابية ويعظم الأمر ويأتيك ما لا طاقة لك به وبعد هذا
فنحن بين يديك رضينا بما رضيته لنفسك فإن أمرتنا بالخروج
إليهم خرجنا وإن أمرتنا بالقتال على أسوارنا قاتلنا فقال لهم
توما سأدبر لكم تدبير من خاض الحروب وعبرها ثم إنه أمر
باجتماع الناس من خاصتهم وعامتهم فاجتمعوا له إلا القليل
منهم الذين على الأبواب خوفا من المسلمين فلما اجتمعوا قال
إني قد عزمت أن أهجم عليهم في هذه الليلة وأكبسهم في أماكنهم
فإن العرب ما لهم مهرب وأنتم أخبر بالبلدة من غيركم فلا يبقى

أحد إلا ويتأهب ويخرج من بابه ويكبسوا القوم وأخرج أنا بمن معي
من بابي وأرجوا أن لا أعود إلا بفرحتي ووصولي إلى مسرتي
فإذا أنا فرغت من القوم عطفت إليكم فأبدأ الأول بالأول إلى أن
أصل إلى أميرهم فآخذه أسيرا وأحمله إلى الملك يأمر فيه بأمره فمن
خرج منكم إلى جهة من الجهات فلا يرجع ولا يبرح من مكانه حتى
أرجع إليه ثم إنه عمد إلى القوم ففرقهم فرقا فبعث فرقة إلى باب
الجابية وفرقة إلى الباب الشرقي وقال لا تجزعوا فإن أمير القوم
الأعظم خالد بن الوليد قد تباعد عنهم وليس هناك إلا الأرذال
والموالي فاطحنوهم طحن الحصيد وكلوهم أكلا ثم ساروا ثم
دعا بفرقة أخرى وسيرهم إلى باب الفراديس نحو عمرو بن العاصي
وبعث بفرقة أخرى إلى باب كيسان إلى نحو سعيد بن يزيد
ابن عمرو بن نفيل فسارت كل فرقة إلى الجهة التي بعث إليها
وانتدب توما لبابه فيمن معه من سادات الأبطال من الروم
ولم يترك بطلا تعرف فيه الشجاعة إلا ندبه معه ممن عرفه واختبره
ثم أقبل على القوم يفرقهم وقال لهم سأترك لكم على بابي رجلا
معه ناقوس تضرب به من غير جرس فإذا سمعتم صوته فهي العلامة
بيني وبينكم فافتحوا الأبواب واخرجوا مسرعين إلى أعدائكم

٩٤

فهاجموهم ولا شك أنكم تجدوا القوم نياما فداخلوهم قبل أن يصلوا
إلى أسلحتهم واضربوهم ضربا واقتلوهم قتلا كيف شئتم وأنى شئتم
فإن فعلتم ذلك وصادفتم القوم في هذه الليلة طمعتم فيهم
وانكسروا كسرة لا ينجبرون بعدها أبدا قال ففرح القوم بذلك
رب وخرجوا إلى حيث أمرهم وقصدت كل فرقة منهم بابا من الأبواب
وأقاموا ينتظرون الصوت أن يقع لهم فيتبادرون إلى المسلمين
قال ودعا توما برجل من الروم وقال له احمل الناقوس واعلوا
على الباب فإذا رأيتنا فتحنا الباب فاخفق الناقوس خفقة يسمعها
قومنا الموكلون بالأبواب فيتبادرون إلى أعدائهم فقال
حبا وكرامة ثم مضى وأسرع إلى ما ندب إليه وعلا على الباب
بالناقوس الكبير ثم سار توما يتبعه جيشه وعليهم الدروع
والبيض وبأيديهم العمد والسيوف وتوما في أوايلهم بيده
صفيحة هندية ودرقة جرمقية وقد لبس سواعد من حديد
وألقى على رأسه بيضة كسروية كان هرقل قد أهداها
إليه من خزانة السلاح وكانت محزمة مطلية لا تعمل فيها
السيوف القواطع وهو على مقدمتهم إلى أن وصل إلى الباب
ثم وقف إلى أن تكامل من حوله الناس فلما رآهم محدقين به

قال يا قوم إذا فتحت لكم الباب فأسرعوا في طلب عدوكم وجدوا في سيركم إلى أن تصلوا إلى القوم فإذا وصلتم فاحملوا عليهم واقتحموا ومكنوا السيوف منهم ومن صاح بكم الأمان فلا تبقوا عليه إلا أن يكون أمير القوم ومن نظر منكم الصليب فليأخذه فإن بعد عليه ذلك فليصرخ بي حتى أنجده وأصل إليه فقالوا له حبا وكرامة ثم أمر رجلا من أصحابه أن يسير للذي بيده الناقوس ويأمره أن يخفقه خفقة ففعل ذلك وفتح القوم الأبواب وتبادروا عند ذلك وخرج اللعين توما وسمع المسلمون الصوت فتبادروا من أمكنتهم مسرعين إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في غفلة مما دبر القوم عليهم إلا أنهم في يقظة وحذر فلما سمعوا الصوت أيقظوا بعضهم بعضا وتصايحوا ووقع الصوت وتواثب الرجال من مواضعها كالأسود الزائرة فلم يصل إليهم عدو وهم إلا وهم على حذر وتوجهوا إليهم إلا أنهم كانوا على ترتيب فتقاتل القوم في الظلام وعمل السيف وسمع خالد بذلك فقام ذاهل العقل جزعا مما سمع من ضجيج الأصوات والرنات فصاح واغوثاه واإسلاماه وامحمداه أكيد قومي ورب الكعبة اللهم انظر إليهم بعينك التي لا تنام وانصرهم ولا تسلمهم إلى

شرار خلقك ثم دعا خالد بسلمان بن زياد وهو أخي عدي بن حاتم وقال له كن خليفتي في قومي والحرم ولا صبر لي على ما سمعته والحذر أن تؤتى من قبلك ثم ترك معه العسكر وسار خالد في عسكره وهو زها على أربعمائة فارس من عسكره وهو بغير درع وليس عليه إلا ثوب من كرما في الشام وهو مكشوف الرأس بلا بيضة وقد أعجلته السرعة إلى المسلمين عن لبس السلاح وأطلق جواده وأطلق القوم الأعنة من ورائه وهو في أوائلهم ودمعته تسيل على خده جزعا على المسلمين وهو ° **يقول** °

قد فاض دمعي ° واعتراني جزعي ° وضاق ذرعي وبراني حزن
يا رب سلم من نزول المحن ° واحرس الإسلام يا ذا المنن

ثم جد في السير والأربعمائة فارس من ورائه قد أشهروا السيوف إلى أن وصلوا إلى الباب الشرقي فوجد الفرقة التي هناك قد هاجمت صاحبه رافع بن عميرة وإذا القوم قد وثبوا إليهم وهم في القتال وللسيوف صوت على الدرق والزعقات من سائر الأبواب وأصوات المسلمين عالية بالتهليل والتكبير والقوم في أعلى السور قد أرعدوا وأبرقوا وتصارخوا عند ما استيقظ المسلمون عليهم وحمل خالد بن الوليد على القوم ونادي

برفيع صوته ابشروا يا معشر المسلمين فقد اتاكم الغوث من رب العالمين انا الفارس الصنديد انا خالد بن الوليد ثم شق في اوساط الناس وحمل على الروم ومن معه فقتل رجالا وجندل ابطالا وهو مع ذلك مشغول القلب على ابي عبيدة وعلى الذين اوقفهم على الابواب وهو يسمع اصواتهم وتصارخ الروم والنصارى واليهود بصراخ مرتفع قال سنان بن عوف قلت لابن عمي قيس بن هبيرة اكانت اليهود تقاتلكم قال نعم كانوا يرموننا بالسهام من اعلى السور وبالحجارة قال وخشي خالد على شرجيل مما اتصل به من عدو الله توما لانه ملازم لذلك الباب فخاف على شرجيل من شجاعته

قال الواقدي رحمه الله ولقي شرجيل من عدو الله امرا عظيما لم يلق احد مثله وما ذاك الا ان توما لعنه الله هجم عليه في تلك العصابة التي كانت معه وكان اول من خرج من القوم واول من وصل الى المسلمين توما وقاتل هو واصحابه وصبر المسلمون على القتال وقاتل عدو الله توما قتالا شديدا وجعل يحمل يمينا وشمالا وهو ينادي اين اميركم الذميم الذي ارماني فاصابني انا ركن الملك الرحيم انا ناصر الصليب فهلموا الي حتى ارجع عنكم قال فلما سمع صوته شرجيل بن حسنة

كاتب النبي صلى الله عليه وسلم قصد نحوه وقد جرح الملعون رجالا من المسلمين وقال له انا صاحبك وغريمك انا صاحب العرب انا مبيد جمعكم انا الذي اخذ صليبكم انا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعطف توما عليه عطفة الاسد على فريسته وقال له اياك طلبت ولك قصدت ثم انفرد به وصادد مه قال ولم يزل الناس في طول الايام مصرا باكضرابهما في تلك الليلة ورأى شرجيل بن حسنة من عدو الله شيئا هاله ولم يزالا كذلك الى ان مضى من الليل شطره وكل قرن مع قرنه قال وكانت ام ابان بنت عتبة بن ربيعة مع شرجيل لم تزل عنه وكانت في تلك الليلة من احسن الناس صبرا ورمت بنبالها وكانت نبالها لا تصيب احدا من المشركين الا قتلته فقتلت رجالا والروم يظنون انها رجلا ولم تزل كذلك الى ان نفد النبل ولم يبق معها غير نبلة واحدة تشير بها يمينا وشمالا اذ هاجمها رجل من الروم فرمته بالنبلة فوقعت في نحره فلما احس بالموت هاجمها وصرخ بالروم فمالوا الى معونته وحملوا على ام ابان فاخذوها اسيرة ومات عدو الله الذي رمته ام ابان لوقته واما شرجيل بن حسنة فانه لقي من عدو الله توما ما لم يلقه

أحد وحمل على عدو الله وضربه بسيفه ضربة هائلة فالتقاها توما بدرقته فانقطع سيف شرحبيل فحمل عدو الله عليه وظن أنه يأسره وإذا بفارسان قد أقبلا ومعهما كتيبة من الفرسان فحملوا على الروم ونظروا إلى أم أبان قد قبضها علجان من الروم وهي تزعق بهما فلحقها الفارسان وكان أحدهما عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والآخر أبان بن عثمان رضي الله عنهم فقتلا العلجان وخلصا أم أبان ورجعا إلى شرحبيل فلما رآهم توما اللعين قد حملوا نحوه ولى هاربا إلى المدينة وترك شرحبيل بن حسنة

قال الواقدي رحمه الله حدثني عامر بن سهل قال حدثني جابر بن الأصهب قال حدثني تميم بن عدي وكان ممن شهد فتوح الشام قال كنت في خيل أبي عبيدة في خيمته مما يلي باب الجابية وهو متباعد عنهم ولم يكن في الأمراء من قاتل أكثر من أصحابه إذ سمع الصوت قد وقع والباب قد فتح وقد تبادر الروم إلى المسلمين فلما نظر إلى ذلك أوجز في صلاته وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم لبس سلاحه ووثب قومه معه وتدرعوا بالسلاح ودنى من القوم فوجدهم في المعركة والحرب فعدل عنهم يمنة ويسرة إلى أن عطف بهم نحو الباب فوصل إليه والقوم في القتال فكبر وكبر أصحابه من ورائه فلما سمع الروم التهليل والتكبير ظنوا أن المسلمين قد دهموهم من ورائهم في عسكر أو جمع كبير فعطفوا راجعين وعلى مقدمتهم أمير الباب وكان اسمه جرجس بن لاقا فتبعهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف إلى أن قاربوا الباب فحمل عليهم أبو عبيدة وأصحابه وأخذوا عليهم المجاز والجنادل والسهام تتساقط عليهم من أعلى الباب وهم لا يولون فلما خالطوهم خشي الرماة أن يصيبوا أصحابهم بحجارتهم وسهامهم فمسكوا عنهم وعلم أبو عبيدة أن ذلك لطف من الله سبحانه وتعالى فبذلوا السيف في الروم

قال الواقدي رحمه الله وبلغنا أنه ما سلم من الروم في تلك الوقعة لا صغير ولا كبير إلا قتلوا عن آخرهم وقتل جرجس بن لاقا وسر المسلمون سرورا كبيرا قال وقاتل خالد بن الوليد قتالا ما رؤي مثله فبينما هو كذلك إذ أشرف عليه ضرار بن الأزور وهو مضمخ بالدماء فقال له خالد ما وراءك يا ضرار فقال أبشر أيها الأمير فما جئت إليك حتى أحصيت الذي قتلته في هذه الليلة فكان مائة وخمسين رجلا وقتل قومي ما لا يحد ولا يعد

وقد كفيناك مؤنة من خرج من الباب الصغير الى يزيد بن ابي سفين
ثم عطفنا الى ساير الابواب فقتلنا وابدنا ففرح خالد بذلك سرورا
عظيما ثم سارا جميعا الى شرحبيل بن حسنة وشكرا له فعله
وكانت ليلة عظيمة لم يلق الناس مثلها وقتل في تلك الليلة
الوفا من الروم قال واجتمع كبار دمشق الى توما وقالوا له
ايها السيد انا نصحناك فلم تقبل منا ما قلناه لك وقد لحقك
ما لحقك وقتل اكثر الناس وهذا امر لا نطيقه وليس لنا
قدرة بقتال هؤلاء العرب فصالح القوم فهو اصلح لك وان
ابيت صالحنا عن انفسنا وتركناك وشانك فقال يا قوم اصبروا
الى ان اكتب الى الملك كتابا اعلمه بما قد نزل بنا فان اعاننا
وانجدنا والا فالصلح امامكم قال ثم انه كتب من وقته
كتابا الى الملك هرقل يقول فيه الى الملك الرحيم من صهره
توما اما بعد فان العرب محدقون كاحداق البياض بسواد
العين وقد قتلوا اهل اجنادين وزحفوا الينا وقتلوا منا
مقتلة عظيمة وقد خرجت اليهم ولاقيتهم واصبت منهم
وان قومك اهل الشام تركوني واسلموني وقد ذهبت
عيني وقد عزموا على الصلح ودفع الجزية الى العرب فاما ان

تسير الينا بنفسك واما ان تبعث الينا عسكرا تنجدنا به واما ان
تامرنا بمصالحتهم فقد تزايد الامر علينا والسلام ثم طوى الكتاب
وختمه بخاتمه وبعثه في ليلته فلما اصبح الصباح باكرهم
المسلمون بالقتال وبعث خالد الى كل امير ان يزحف من مكانه
وركب ابو عبيدة رضي الله عنه ووقع القتال الشديد واشتد
الامر على اهل دمشق فبعثوا الى خالد ان امهلنا حتى ننظر في امرنا
فابى خالد الا قتالهم ولم يزل بهم الى ان ضاق بهم الحصار
وهم مع ذلك ينتظرون جواب الملك فاجتمع ارباب البلد
وكبارهم بعضهم الى بعض وقالوا يا قوم ليس لنا صبر على ما
نحن فيه من امر هؤلاء العرب ان قاتلناهم نصروا علينا وان
تركناهم ولزمنا مدينتنا اضر بنا حصارهم ومقامهم فدعوا
اللجاجة عنكم واطلبوا من القوم الامان والصلح على ما طلبوه
منكم فقال لهم شيخ كبير قد قرا الكتب السالفة والاخبار
الماضية والله يا قوم اني اعلم لو ان الملك في عدته وعديده
لما دفع عنكم هؤلاء العرب لما قرات في الكتب ان صاحبهم
محمدا خاتم النبيين وهو سيد المرسلين سيظهر دينه على كل
دين فدعوا عنكم الخلالات والتشاغل بالمحالات واعطوا

القوم ما طلبوا منكم فهو أوفق لكم قال فلما سمعوا ذلك من مقالته
ركنوا اليه لما يعلمون من علمه ومعرفته بالأخبار والملاحم وقالوا له
كيف الرأي عندك قال اعلموا أن هذا الأمير الذي على الباب الشرقي
هو رجل فظ سفاك للدما وإن أردتم تقارب الأمور فامضوا الى
الأمير الذي على باب الجابية يعني أبا عبيدة رضي الله عنه قال
فاستصوبوا رأيه فلما جن الليل أتوا بأجمعهم الى باب الجابية
وتكلم رجل منهم ممن يعرف العربية وقال بصوت رفيع يا معشر
العرب ألنا الأمان منكم حتى ننزل إليكم ونكلم صاحبكم ليبرم
الصلح بيننا وبينكم قال أبو هريرة الدوسي وكان أبو عبيدة
قد بعث رجالا من المسلمين يكونوا بالقرب من الباب مخافة
الكبسة مثل الليلة التي مضت وكانت النوبة تلك الليلة
لدوس وعليهم جابر بن دوس الطفيلي الدوسي رحمه الله
قال فبينما نحن جلوس في موضعنا قريبا من الباب إذ سمعنا صوت
الروم ينادون قال أبو هريرة فلما سمعت قولهم بادرت إليهم
وأتيت الى أبي عبيدة وبشرته بذلك وقلت لعل أن الله تعالى
يريح المسلمين من القتال قال فاستبشروا بقولي وقال امض
وكلم القوم وقل لهم لكم الأمان حتى تعودوا الى بلدكم

سالمين فرجعت إليهم وأمنتهم فقال له القوم من أنت من أصحاب
محمد حتى نثق بك فقلت لهم أنا أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ويلكم لو أن عبدا لنا أعطاكم الأمان والذمام
لأجزناه والله تعالى يقول وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا
وما عرف من العرب إلا الوفا بالذمام وهم في الجاهلية فكيف
وقد هدانا الله بمحمد صلى الله عليه وسلم قال فنزل القوم
وفتحوا الباب وخرجوا وإذا هم مائة رجل من كبار القوم
وأقستهم وعلماء دينهم قال فلما قربوا من عسكر أبي عبيدة
تبادر إليهم المسلمون وأزالوا عنهم الزنانير والصلبان الى أن
أتوا الى خيمة أبي عبيدة ففرح بهم ووثب قائما وأجلسهم
وقال إن محمدا صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا أتاكم كريم
قوم فأكرموه قال وتحدثوا في أمر الصلح وقالوا إنا نريد
منكم أن تتركوا لنا كنايسنا ولا تغصبوا منها كنيسة يحنا
وهو الجامع اليوم بدمشق وكنيسة مريم وكنيسة حنانا
وكنيسة بولص وكنيسة بوقص وكنيسة القسطلا ط
وكنيسة سوق البلد وكنيسة اندريا وكنيسة ثوبيا
وهي عند دار حميد بن درة فأجابهم أبو عبيدة الى ذلك

والى كل ما اشترطوا عليه وكتب لهم كتاب الصلح والامان ولم يسم فيه
نفسه ولا اثبت فيه شهود وذلك انه لم يحب ان يلي امرا من امور
المسلمين بعد ان عزله ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال فلما
كتب لهم ابو عبيدة الكتاب وتسلموه منه قالوا له قم الان معنا فقام
ابو عبيدة رضي الله عنه فركب وركب معه ابو هريرة ومعاذ بن
جبل وسلمة بن هشام المخزومي ونعيم بن عدي وهشام بن العاص
السهمي وابان بن عثمان وعبد الله بن عمر الدوسي وعامر بن
الطفيل الدوسي وذو الكلاع الحميري وسعيد بن جبير الدوسي
وحسان بن النعمان الطائي وجرير بن نوفل الحميري وسالم
ابن يزيد اليربوعي وسيف بن مسلم الطائي ومعمر بن خويلد
السكسكي وسنان بن اوس الانصاري ومخلد بن عون
الكندي وربيعة بن مالك التيمي وراشد بن سعيد وقيس
ابن سعيد وسعيد بن عمرو العنوي ورافع بن سهل ويزيد بن
عامر وعبيد بن اوس ومالك بن الحارث وعبد الله بن ظفير
وابو لبابة بن عبد المنذر الانصاري وعوف بن ساعد وعابس
ابن قيس وعبادة ابن عيينة النبهاني وسمرة بن عامر وعبد الله
ابن قرط الاسدي والجملة خمسة وثلاثون رجلا صحابيا والبقية

من اخلاط الناس فلما ركبوا وتقدموا نحو الباب قال لهم ابو
عبيدة نريد منكم رهاين حتى ندخل معكم فاتوه برهاين **قال
الواقدي** رحمه الله حدثني ابو عقبة عن صفوان بن
عمرو عن عبد الرحمن بن جبير عن ابيه انه قال لم ياخذ ابو عبيدة
من الروم رهاين بل اتكل على الله عز وجل وكذلك قال ابو اسحق
انه لم ياخذ من القوم رهاين وذلك انه في تلك الليلة التي صالح
فيها الروم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستعجلا فقلت
يا رسول الله اراك على عجل فقال جئت لاحضر جنازة ابي بكر
الصديق فاستيقظ ابو عبيدة من نومه فجاءه ابو هريرة يبشره
بالصلح فلم ياخذ من القوم رهاين ثقة لكلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فلما دخل ابو عبيدة المدينة سارت الاقسة
بين يديه والرهبان عليهم مسوح الشعر الاسود وقد رفعوا
الاناجيل واطلقوا مباخر العود والند وذلك يوم الاثنين
الحادي والعشرين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة من
الهجرة قال اهل السير في خبرهم ممن روى فتوح الشام منهم محمد
ابن اسحق وغيره ممن تقدم ذكره واسناده في اول الجزء
ثقة بهم واعتمادا على قولهم قال ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي

رحمه الله حدثني عبد الحميد بن أبي عمران عن ابن ابي انس عن ابيه
وكان ممن يعرف اخبار فتوح الشام قال دخل ابو عبيدة بن الجراح
الى دمشق من باب الجابية وليس عند خالد بن الوليد من ذلك
خبر الا انه كان شد القتال على الباب الشرقي وكان متشوش
الخاطر وما ذاك الا ان ابان بن سعيد بن العاصي جاءه سهم مسموم
فمات لوقته وهو اخو عمرو بن العاصي لامه فصلى عليه خالد
ودفن بين الباب الشرقي وباب توما رحمه الله تعالى وكان
في المدينة قس من اقسا الروم اسمه يوشا ابن يوقص يسكن في
دار ملاصقة للصور مما يلي الباب الشرقي وكان عنده
ملاحم دانيال وغيرها فرأى فيها ان الله تعالى يفتح الشام
وغيرها على يد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وان دينهم
يعلوا على كل دين فلما كان ليلة الاثنين الحادية والعشرين
من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشرة من الهجرة نقب من داره
نقبا وخرج هو وولده على حين غفلة وقصد خالدا وعرفه انه
نقب نقبا في داره التي في السور واني اريد امانا لي ولاهلي
وولدي فاعطاه خالد امانا على ذلك ونفذ معه مائة رجل معدين
بالسلاح اكثرهم من حمير وقال لهم اذا دخلتم المدينة

ارفعوا اصواتكم بجمعكم واقصدوا الباب واكسروا اقفاله وارفعوا
سلاسله حتى ندخل ان شاء الله تعالى فامتثلوا ذلك بالسمع والطاعة
وامر عليهم معود بن عوف ومضى امامهم القس الى ان دخل بهم
المدينة ثم لبسوا الدروع واحتزموا وقصدوا الباب ورفعوا
اصواتهم بالتكبير والتهليل قال والروم في اعلى الحصن يقاتلون
فلما سمعوا التكبير داخل المدينة اندهلوا وعلموا ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا المدينة فسقط ما في ايديهم
قال وقصد كعب بن ضمرة ومن معه الباب وكسروا الاقفال
وازالوا السلاسل وفتحوا الباب ودخل خالد والمسلمون معه الي
المدينة ووضعوا السيف في الروم الى ان وصل الى كنيسة
مريم وهو يسبي ويقتل قال والتقى الجمعان جيش خالد وجيش
ابي عبيدة ومعه اصحابه سايرون والقسوس والرهبان بين ايديهم
وما احد من اصحاب ابي عبيدة جرد سيفا فلما نظر اليهم خالد
وليس احد منهم يقاتل لهت لذلك وجعل ينظر اليهم متعجبا
فلما نظر ابو عبيدة رضي الله عنه الى خالد عرف في وجهه الانكار
فقال له يا ابا سليمان قد فتح الله المدينة على يدي صلحا وكفى الله
المؤمنين القتال قال الواقدي رحمه الله حدثني

عبد المجيد بن عمران قال ما خاطب ابو عبيدة خالدا بالامارة الا يوم
فتح دمشق فقال ايها الامير قد تم الصلح فقال خالد وما الصلح لا اصلح
الله شانهم وانا ايضا متى الصلح وقد فتحتها بالسيف عنوة وقد خضبت
سيوف المسلمين من دمايهم واخذت الاموال والاولاد اماء وعبيدا
فقال ابو عبيدة ايها الامير ما دخلتها الا صلحا فقال له خالد انك لم
تزل مغفلا عاقلا وما دخلتها انا الا بالسيف عنوة وما بقيت لهم
حامية فكيف اصالحهم وهم واموالهم واولادهم عبيد لنا فقال
ابو عبيدة اتق الله ايها الامير فقد والله صالحت القوم ونفذ
السهم بما فيه وكتبت لهم كتابا وها هو مشهود معهم فقال
خالد وكيف صالحت القوم بغير امري ولا اعلامي وانا صاحب الامر
والراي والامير عليك فما ارفع السيف عنهم او افنيهم عن اخرهم
فقال ابو عبيدة والله ما ظننت انك تخالفني اذا عقدت عقدا
او رايت رايا فالله الله ايها الامير فقد والله اعطيتهم الامان
امان الله عز وجل وامان الرسول صلى الله عليه وسلم وقد رضي
بذالك كل من معي من المسلمين وما الغدر من شيمتنا رحمك الله
قال الواقدي رحمه الله وارتفع الصياح بينهما وقد
شخص الناس اليهما وخالد مع ذلك لا يرجع عن مراده ونظر ابو عبيدة

رضي الله عنه الى جيش الزحف وهم اصحاب خالد والبوادي من العرب
وهم مجتمعون مصممون على قتل الاعلاج ونهب الاموال وسبي
الذراري ولا يردون سيوفهم عن احد فنادى ابو عبيدة واثكل
اماه حقرت والله ذمتي ونقضت عهدي وجعل يجول بجواده ويشير
الى العرب مرة يمينا ومرة شمالا وينادي برفيع صوته معاشر
المسلمين اقسمت عليكم برسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمدوا
ايديكم الى الطريق الذي جيت منه حتى نرى ما نتفق عليه انا
وخالد فلما اقسم عليهم ابو عبيدة بذلك القسم امسكوا عن القتال
واجتمع اليهما الفرسان واصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل ويزيد
ابن ابي سفين وسعيد بن زيد وعمرو بن العاصي وشرحبيل بن
حسنة وربيعة بن عامر وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وابان بن عثمان والمسيب
ابن نجية الفزاري وذو الكلاع الحميري وامثال ذلك كثير
عند الكنيسة التي التقوا فيها للمشورة والمناظرة فقالت طايفة
من المجاهدين فيهم معاذ بن جبل ويزيد بن ابي سفين بن حرب
الراي ان تمضوا ما امضاه ابو عبيدة وتكفوا القتل عن الروم
فان مدن الشام الى الان لم تفتح لكم والملك هرقل بانطاكية

كما تعلمون وان اتصل باهل الملل انكم صالحتم ثم غدرتم لم تفتح لكم
مدينة صلحا والثانية ان تجعلوا هذه الاعلاج في صلحكم فهو خير
لكم من قتلهم ثم قالوا لخالد امسك عليك ما فتحته بالسيف ويمسك
ابو عبيدة ما فتحه صلحا واكتبوا الى الخليفة رضي الله عنه واحتجا
اليه في امركم ومهما امركم به افعلوه فقال خالد قد اجبت الى
ذلك وقبلت مشورتكم واما اهل دمشق ومن فيها فقد امنتهم الا
هذين الرجلين توما وهرمس وجيشهما الذي لجا اليهما قال
الواقدي رحمه الله وكان هرمس هذا اميرا على نصف
البلد ولاه توما صهر الملك حين رجع الامر اليه فقال ابو عبيدة
ان هذا اول من دخل في الصلح ولا تخفر ذمتي رحمك الله اترى
لو ذممت انت لاحد هكذا كنت انا اخفر ذمتك ولا ارعى جانبك
ان كان هرمس وتوما داخل المدينة فهما في الذمام وان
كانا خارج المدينة فلا ذمام لهما فقال خالد لولا ذمامك
يا ابن الجراح لقتلتهما ولكن يخرجان عني من هذه المدينة الى لعنة
الله وأحماها سقر ويسيرا حيث شاؤا فقال ابو عبيدة على هذا
صالحتهما ومن معهما قال ونظر توما وهرمس الى خالد وابي عبيدة
وهما يتنازعان فخافا على انفسهما الهلاك واقبلا على ابي عبيدة

ومعهما ترجمان يترجم عنهما فقال الترجمان لابي عبيدة يقولان
لك ما هذا التشاجر الذي بينكما اذ كان صاحبك يريد غدرنا فانا
وصاحبي واهل المدينة في العهد سوا ونحن لا نطالبكم بدما من قتل
منا وانتم في حل منها ونبيا لاكم ان تدعوهما يخرجان من هذه
المدينة واصحابهما وتسلكا اي طريق اردت واذا ساروا في ارض
حربكم الى ان يصيروا في ارض حربهم فقد خرجت من الذمة والعهد
فقال خالد لتوما اذا خرجت انت ومن معك الى ارض تملكوها فقد
خرجتم من الذمة والعهد فقال توما نحن في جواركم وذمامكم
ثلاثة ايام ومن وقع منا بعد ذلك فلا ذمة لنا ونحن له عبيد ان
شا قتل وان شا اسر فقال خالد قد اجبناكم الى ذلك بشرط ان لا
تخرجوا من هذه البلدة ومعكم شي سوى الزاد فقال ابو عبيدة
لخالد هذا كلام من يريد نقض الصلح ويطرح العهد والميثاق
والعهد والميثاق وقع بيننا على ان يخرجوا باموالهم ونسائهم فقال
خالد الا وانني سمحت لهم بذلك الا السلاح تمنع به عن نفوسنا
ان طرقنا طارق في طريقنا حتى نصل الى ما نريد والا فنحن بين
ايديكم فاحكموا بما اردتم فقال ابو عبيدة لخالد اطلق لكل
واحد منهم قطعة من السلاح من اخذ رمحا فلا ياخذ سيفا ومن اخذ

سيفا فلا ياخذ سكينا ومن اخذ سكينا فلا ياخذ قوسا فقال توما رضينا
بذلك ولا ياخذ واحد منا غير قطعة واحدة ثم قال توما لابي عبيدة
انى خايف من هذا الرجل يعنى خالد فيكتب لي عهدا ويشهد لي عليه شهودا
فقال له ابو عبيدة اسكت ثكلتك امك فانا معشر العرب لا نغدر ولا
نكذب فان الامير ابا سليمان قوله قول وعهده عهد لا يقول
الا الحق ولا يالف الا الصدق قال فانطلق توما وهربيس يجمعان
قومهما ويامراهم بالخروج برجالهم وكان الملك هرقل له بدمشق
خزانة ديباج تزيد على ثلاثمائة حمل وحلل مذهبة فعزما على اخراج
ذلك وامر توما فضربت له خيمة من الخز ظاهر دمشق واقبلت
الروم تخرج الرجال والاموال والامتعة والاحمال حتى اخرجوا
شيا عظيما ونظر خالد الى كثرة نسايهم وعظم رجالهم وهم كانهم
حمر مستنفرة لا يلتفت احد منهم الى صاحبه من شدة العجلة قال
فلما نظر خالد الى ذلك مد يده الى السماء وقال اللهم اجعله لنا
ملكا واجعل هذه الامتعة للمسلمين انك سميع الدعا ثم اقبل على
اصحابه ورجاله وقال لهم انى رايت رايا فهل انتم موافقونى عليه
فقالوا انا لرايك تبع ولا نخالف لك امرا فقال لهم خالد قوموا على
خيولكم واحسنوا عليقها ما استطعتم فانى اريد ان اسير بعد ثلاثة

ايام فى طلب هولاء الاعلاج ونرجوا من الله تعالى ان يغنينا بهذه الاموال
وان نفسى تحدثنى ان القوم ما تركوا فى دمشق متاعا فاخرا ولا ثوبا
حسنا الا وقد اخذوه اعدا الله معهم فقالوا افعل ذلك فما نخالف
لك امرا ثم اخذوا فى اصلاح شانهم وعدتهم وعلف دوابهم هذا
وهربيس وتوما قد جمعا المال الذى ضمناه لابى عبيدة رضى الله
عنه فلما اجتمع جاؤا به الى ابى عبيدة ففرح به وقال لهم قد وفيتم
ما عليكم فسيروا حيث شئتم ولكم الامان منا ثلاثة ايام وان
وقع بكم احد من المسلمين واخذكم فلا لايمة عليهم قال زيد بن
طريف فلما سلموا المال الى ابى عبيدة وساروا خرج مع القوم جماعة
كثيرة من اهل دمشق بنسايهم واولادهم كرهوا ان يكونوا فى
جوار المسلمين **قال الواقدي** رحمه الله واشتغل خالد
ان يتبعهم الحقد وقع بينهم وبين اهل دمشق فى حنطة وشعير
وجدوا فى المدينة منه شى كثير فقال ابو عبيدة هو للقوم
وجد فى المدينة وهو فى صلحهم وكادت الفتنة تقع بين القوم
اصحاب ابى عبيدة واصحاب خالد ثم اتفق رايهم على ان يكتبوا
بذلك كتابا الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه يوم دخولهم دمشق
قال عطية بن عامر كنت واقفا على باب من ابواب دمشق وهو

باب الجابية في اليوم الذي سار فيه الروم مع توما وهرمس ومعهما
ابنة الملك هرقل فنظرت الى ضرار بن الازور وهو ينظر اليهم
شزرا وهو يقرض على اسنانه كالمتحسر على ما فاته فقلت له يا ابن
الازور ما لي اراك متحسرا اما عند الله اكبر فقال لي والله ما
بغيتي غنيمة ولا اسفي على ذهب وفضة ولا ملبوس وما اسفي الا على
بقائهم وانفلاتهم منا سالمين غانمين منا وقد اساء ابو عبيدة بما
فعل في حق المسلمين فقلت له يا ابن الازور ما اراد ابو عبيدة الا
خيرا بالمسلمين من ان تحقن دماهم واموالهم فان حرمة رجل مسلم
عند الله افضل مما طلعت عليه الشمس وان الله عز وجل قد اسكن
الرحمة في قلوب المسلمين وازالها من قلوب المشركين
والله سبحانه وتعالى يقول في بعض كتبه المنزلة انا الرب الذي
لا اله غيري لا ارحم من لا يرحم وقال تعالى والصلح خير فقال
له ضرار بن الازور لعمري انك لصادق ولكن اشهد علي اني لا
ارحم من جعل لله زوجة وولدا **قال الواقدي**
رحمه الله وعزم خالد بن الوليد على التقدم والمسير خلفهم فقوى
عزمه على لحوقهم رجل من اهل دمشق كان اسيرا وكان من
فرسان القوم **قال الراوي** رحمه الله حدثني عمر

ابن محمد عن عيسى بن ابي عطا عن عبد الواحد بن عبيد الله الابوصيري
عن واثلة بن الاسقع قال كنت في جيش دمشق مع خالد بن الوليد
وكان قد جعلني مع الخيل التي كانت مع ضرار بن الازور
ندور من الباب الشرقي الى باب توما الى باب الجابية الى
الباب الصغير الى باب كيسان وذلك قبل فتوح الشام فبينما
نحن ذات ليلة نطوف وكانت ليلة مظلمة وقد قربنا من باب
كيسان اذ سمعنا صرير الباب فوقفنا واذا به قد فتح وخرج منه
فارس فتركناه حتى قرب منا فاخذناه اسيرا قبضا بالكف وقلنا له
ان رايناك تكلمت ضربنا عنقك فسكت فقلنا له من انت وما اسمك
واذا قد خرج فارسان اخران فوقفا على الباب وجعلا ينادوا
الذي قبضناه باسمه فقلنا له كلمهم حتى ياتوا اليك فكلمهم
باللسان الرومي وقال اعلموا ان الطير وقع في القفص فعلموا
انه قد اسر فرجعوا مسرعين واغلق الباب فاردنا قتله ثم
قلنا نحمله الى الامير يرى فيه برايه قال فلما اتينا به الى خالد قال
له من انت قال انا من بطارقة الروم وملوكها واني قد تزوجت
بجارية من قومي قبل نزولكم علينا وكنت احبها حبا شديدا
فلما طال علينا حصاركم سالت اهلها ان يزفوها علي فابوا وقالوا

أنا في شغل عن زفافك وكنت أحب أن ألقاها ولنا في المدينة مواضع نلعب فيها فواعدتها أن نخرج إلى تلك الملاعب فخرجنا وتهادينا فسألتني أن أخرج بها إلى باب المدينة ففتحنا الباب لنختبر حركتكم فأخذوني أصحابكم هؤلاء وخفت على الجارية فناديت أصحابي إن الطير وقع في الشبكة احذروهم منكم مخافة عليها أن تأسروها ولو كان غيرها لهان علي ذلك فقال له خالد فما قولك في الإسلام وإن دخلت المدينة زوجتك بها وإن أبيت قتلتك فاختار الإسلام وقال أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال وكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما دخلنا المدينة صلحا أقبل يطلب زوجته فقيل له إنها ترهبت ولبست لباس الرهبان فأقبل إليها وهي لا تعرفه وقال لها ما حملك على الرهبانية قالت حملني على ذلك لأني غدرت بزوجي حتى أسرته العرب فترهبت حزنا عليه فقال لها أنا زوجك وقد دخلت في دين الإسلام وإنك لفي ذمامي فقالت له لا وحق المسيح ما لك إلي من سبيل وخرجت مع البطريقين فلما رأى ذلك منها أقبل على خالد وشكا أمره إليه فقال له إن أبا عبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك عليها قال فلما علم أن خالدا يريد

المسير قال له أنا أسير معك لعل أن أقع بها وأقام خالد في دمشق إلى اليوم الرابع ولم يسر وفترت همته فأقبل العلج الدمشقي إليه وقال أيها الأمير ما تعودك عن ما عزمت عليه في طلب هذين اللعينين وأخذ ما معهما فقال بلى ولكن بعد المدى لأنهم يسيرون سير الخايف فقال أيها الأمير شد عليك فإني سألحقك بهم وأسير بك في البراري والقفار على طريق أعرفها ونقعد لهم مستريحين إلى أن يقدموا عليك فتأخذهم إن شاء الله تعالى قال الواقدي رحمه الله فلما سمع خالد ذلك من قوله ركن إليه وإلى قوله وقال له يا يونس أتعرف الطريق وتسير بنا عليها قال نعم ولكنكم تلبسوا زي العرب المتنصرة لخم وجذام وتسيروا على اسم الملك العلام قال فنهض خالد رضي الله عنه إلى ما أمره وركب وأخذ معه أصحابه وهم جيش الزحف وكانوا أربعة آلاف فارس من كل ليث عابس وبطل ممارس وأمرهم أن يخفوا حمل الزاد ففعلوا ذلك وسار خالد أمامهم ويونس بين يديه قال ابن طريف وسرنا ويونس أمامنا دليلنا وسرنا ليلا ونهارا ونحن نغير الخيول والمهارة هذا جرى لهؤلاء وأما ما كان من الروم الذين نجوا بالأموال العظيمة فإنهم

كانوا مواصلون السير وهم على عجل لا يلتفت بعضهم الى بعض من شدة
الفزع ولا وقف لهم جمل الا وتركوه ولا بهيمة الا وعقروها قال
فانقطعت عنا آثار القوم فانكرنا ذلك من امرهم وقال خالد
ليونس يا يونس ما للقوم اثر فقال لنا ايها المسلمون سيروا واستعينوا
بالله العظيم فان القوم ساروا وهم منكم خايفون فعرجوا بنا عن الطريق
وخذوا بنا نحو الجبال والعقبات وكأنكم بنا وقد لحقناهم ان شاء الله
تعالى ثم انه عرج بالمسلمين واخذ بهم في جبال وعقبات وشعاب
تدهش من عبر فيها قال الضحاك بن حسان الطاي وسار بنا في الطرق
المذكورة بحيث ان الرجل لا يكاد يخلص نفسه الا كرها وسالت
الدما من عراقيب الخيل وسقطت نعالها وشكت العرب من خشونة
الارض قال فما انقضت تلك الليلة حتى قاسينا شدة عظيمة
وخرجنا الى الجادة والدليل يظن انه يلتقي بنا المشركين الهاربين
فلما وقعنا في الجادة راينا آثارهم وقد سبقونا فقال خالد يا يونس
نجوا بانفسهم منا فقال له يونس ارجوا يا امير المومنين ان يعوقهم
الله حتى نلحق بهم ان شاء الله تعالى ثم انه اسرع في السير وقال
خالد رضي الله عنه للناس اسرعوا رحمكم الله تعالى فسار الناس وقد
قاسوا شدة عظيمة من شدة وعر الارض وصعوبتها وقالوا لعل الامير

خالد ان ياخذ بنا الراحة قال والدليل ساير بين ايدينا وهو يعرج
بنا ولا يدخل بنا بلد من بلاد الروم الا ويخبونا اهلها من العرب
المتنصرة من الشام وغسان ولخم وجذام ولم نزل سايرين الى ان
قطعنا جبلة واللاذقية واشرفنا على ساحل البحر واذا بالقوم قد
عدلوا عن انطاكية ولم يدخلوها خوفا من الملك هرقل فوقف
الدليل عند ذلك متحيرا في امره فعدل الى راهب في صومعة هنالك
وساله عنهم بالرومية فاخبره انهم نزلوا بالقرب من تلك الارض
وان الملك هرقل لما اتصل به خبرهم انهم سلموا دمشق نقم عليهم
ولم يدعهم يدخلوا انطاكية فانحرفوا عن انطاكية وسار القوم
طالبين اللكام **قال الواقدي** فلما علم يونس الدليل ذلك
انكر في الامر وخاف على المسلمين فوقف وهو حاير في امره
وذلك في اول النهار وصلى خالد بن الوليد صلاة الفجر اذ ورد
عليه يونس وفي وجهه الكراهية والانكسار فقال له خالد
ابن الوليد ما ورا ذا يا يونس فقال والله ايها الامير غررت بكم
وطلبت الغاية في طلب القوم اذ لم يرزقون في طلب هذه
السرية ما يطلبون وفاتوكم اعدا الله وما معهم من الاموال
والديباج فقال له وكيف فاتونا قال له ايها الامير انني قفوت

أثارهم الى هذا المكان رجا أن نلحقهم فى صورية فلما رأيتهم عرجوا
عنها علمت أن القوم قد نجوا وان قسا من أقسا هذه القرية أخبرني
أن الملك هرقل قد منعهم من الدخول الى انطاكية حتى لا تنفزع
عساكره وان المطر عاقهم عن المسير قال الواقدي ودام
المطر طول الليل ونحن نسير والامطار تأخذنا حتى لاح الفجر واضا
وبطل مطر السما وطلعت الشمس على روس الربا فقال يونس للامير
خالد رضى الله عنه اثبت ايها الامير فان الله تعالى قد حبس الجيش
حتى أتقدم واكشف لك خبر المشركين فانهم لا شك بالقرب منا
وقد سمعت ضجيجهم فقال خالد رضى الله عنه وسمعت ضجيجهم
واصواتهم يا يونس فقال نعم ايها الامير اذن لي حتى اسير وأتيك
بخبرهم ان شا الله تعالى قال الراوي وهو الواقدي
رحمه الله وكان خالد رضى الله عنه رجل بصير بالحيل والخداع
فالتفت الى رجل من المسلمين يقال له المفرض بن جعدة وقال له يا
مفرض سر مع النجيب وكن له مونسا واحرصوا أن تاخذ واخبر
القوم فقال المفرض السمع والطاعة لله ولك ايها الامير ثم انطلقا
الى أن علينا على جبل يقال له الابرش والروم تسميه يارق قال
المفرض فلما صرنا على أعلا الجبل بخيلنا ثم نظرنا الى ما ورايه واذا

مرج واسع الجنبات كثير العشب والنبات والخضرة فى ساير جنباته
والربوات وبان لنا فى وسطه جميع القوم وقد أصابهم المطر حتى
بل رحالهم وقد خافوا ان تلا فها فاخرجوها من أحمالها ونشروها وقد
نام أكثرهم من شدة السير والتعب وعظم المطر الذي أصابهم
طول ليلتهم قال المفرض فلما رأيت ذلك فرحت فرحا شديدا ونزلت
من قلة الجبل اجد فى السير أبشر خالدا رضى الله عنه بالغنيمة
وتركت صاحبي الدليل وراي من فرحي وهو مشرف على القوم
قال فلما رآني خالد رضى الله عنه أسرع الي وظن أن صاحبي أكيد
فقال ما وراك يا ابن جعدة قلت الخير والغنيمة ان شا الله تعالى
اعلم أيها الامير ان القوم خلف هذا الجبل وقد أصابهم المطر
وقد وجدوا الراحة بطلوع الشمس ونشروا أمتعتهم فقال
خالد بشرك الله بالخير كما ظهر لي من وجهك الفرح قال
فنحن كذلك اذ أقبل يونس الى خالد وقال له أبشر ايها الامير فقال
له بماذا تبشرني يا نجيب فقال أيها الامير ان القوم قد أمنوا
على أنفسهم اذ تركوا انطاكية وراظهورهم وأيقنوا أنك
لا تتبعهم الى هذه الغاية ولكن اوصي أصحابك كل من وقع منهم
زوجتي يحفظها ولا يطمع فيها فما اريد منكم سواها فقال له خالد

رضي الله عنه هي لك إن شاء الله تعالى ثم إن خالدا رضي الله عنه قسم
أصحابه أربع فرق فأمر ضرار بن الأزور على ألف فارس وقدم على
الفرقة الأولى رافع بن عميرة وقدم على الفرقة الأخرى عبد
الرحمن بن أبي بكر الصديق وبقي هو في الألف الباقية وقال
لهم سيروا على بركة الله تعالى وعونه وإياكم أن تخرجوا في دفعة
واحدة بل يخرج كل أمير وبينه وبين صاحبه هنيهة ثم افترقوا
على القوم ولا تحملوا حتى أحمل أنا قال فتقدم ضرار بن الأزور رضي
الله عنه وخرج من فرجة هناك والقوم آمنين مطمئنين ثم
تبعه رافع بن عميرة الطائي وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه في أخر القوم حتى وصلوا إلى المرج قال عبد الرحمن
ابن سعيد التميمي كنت في الفرقة التي فيها خالد بن الوليد رضي الله
عنه فلما حصلنا في المرج ولاح لنا حسن زهاه ونظارته واندفاق
أمواهه وألوان الديباج قد أزهرت ما بين أصفر وأحمر
وأبيض وأخضر وهو يخطف الأبصار قال فوالله لقد كدنا
أن نفتتن لحسن منظره ونهابه عن طلب الجهاد فقال رجل من
بني تميم قبح الله الدنيا ما أسرع ذنوبها وابتلائها فإياكم أن
تركنوا إليها فإنها غدارة مكارة قال فبكى خالد رضي الله

عنه وقال صدق والله التميمي فيما قال ثم صاح بالمسلمين وقال
اطلبوا أعداء الله وارغبوا في قتلهم ودمارهم ولا تشتغلوا
بما ترونه من الغنائم فإنها لكم إن شاء الله تعالى ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال الواقدي رحمه الله
ثم عطف خالد رضي الله عنه على القوم عطفة الأسد على فريسته
فلما نظرت الروم إلى الخيل وقد خرجت عليهم وخالد بن الوليد
أمامهم والراية بيده نادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور
وصاح توما برجاله وأمرهم باليقظة فتبادروا إلى السلاح
وركبوا الخيل وبعضهم يقول لبعض إن هذه خيل قليلة ساقها
المسيح إليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا إليها واتكلوا
على نصر الصليب فتبادر الروم إلى ما كان معهم من السلاح
ووقفوا دون أموالهم يحمون عنها وهم يظنون أن ليس وراء
خالد أحد وإذ أبصر ابن الأزور قد أشرف عليهم في ألف
فارس من الخيل وطلع من بعده رافع بن عميرة الطائي وطلع
من بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وهم كالعقبان
الكاسرة وتفرقوا من حولهم وطلبوا أخذ ما بأيديهم
ورفعوا أصواتهم بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله

ونادى اللعين هرمس برجاله يا ويلكم قاتلوا عن الاموال والاولاد
فما أظن لهذا القوم خلاص من هذه البلاد ولا يرجعوا الى قومهم ابدا
قال الواقدي رحمه الله وقد انقسمت الروم فرقتين فرقة
مع توما وفرقة مع هرمس هذا وتوما قد لبس لامة حربه واعتد
بعدة ضربه ودارت به رجاله وخاصته وكانوا نحو الخمسة الاف
فارس من كل رامح ونارس لا يظهر منهم الا حماليق الحدق
أو تداوير الأمق وقد رفع بين عينيه صليب من الذهب الأحمر
مقمع بالدر والجوهر قال فعدل خالد رضي الله عنه اليه وحمل
عليه برجاله وتكنا باسمه وقال يا عدو الله أظننتم انكم تفلتوا
من بين ايدينا والله تعالى يطوي لنا البلاد ويبلغنا كل مراد
ثم انه رضي الله عنه حمل على عدو الله توما وكان كما ذكرنا
صار أعورا من أم أبان فلما تحقق حملته عليه طعنه في عينه
الأخرى أرداه عن جواده وحملت رجال خالد والمسلمين على
رجال توما المشركين هذا والصليب قد انكسر ووقع العلم
وصارت المسلمين تلتقط ارواح المشركين ويقتلوا فيهم قتلا
ذريعا فلله در عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله
عنه فانه ما اشتغل بغير توما وذلك أنه لما نظر اليه وقد

انتكس عن جواده انحدر في طلبه وجلس على صدره واحتز رأسه ورفعها
على سنان رمحه ونادى في المسلمين معاشر المسلمين قد قتل عدو الله
توما والعقبى لهرمس قال ففرح المسلمون بذلك قال رافع بن عميرة
الطائي رضي الله عنه ولقد كنت في ميمنة خالد وقد خرجت أنا
والكردوس الذي معي فوقعنا في سواد القوم وداريهم وهم
قد وقفوا يمانعون عن أنفسهم منعا شديدا ونظرت الى فارس
زيه زي الروم وقد انحدر عن جواده وهو يقاتل علجة من نساء
الروم وهي تظهر عليه مرة ويظهر عليها مرة فدنوت منها لانظر
اليها واذا بها تقول يا يونس اثبت للقتال والضرب والنزال
وهو يصارعها مصارعة الأسد للبوة قال رافع فعلمت أنها
زوجته التي سار بنا في طلبها ومن أجلها فأردت أعينه اذ جاءني
عشرة من النسوان يرمون فرسي بالحجارة واذا بينهم امرأة
حسنا رمتني بحجر فوقع في جبهة جوادي فطحن رأسه وكان
جوادا أشهب كريم النسب كنت قد شهدت عليه فتح اليمامة
فقفزت من ظهره وأنا حنق عليها وأسرعت في طلبها فنفرت
من بين يدي كأنها ظبية القناص أو درة الغواص وتبعها
النسوة فسعين وراهن وعزمت على قتلهن فرجعت عن ذلك

وزعقت بهن فادهشتهن ولم اجعل لي قصدا الا الجارية فدنوت
منها وعلوتها بالسيف صفحا على راسها فشبكت يديها على راسها وجعلت
تقول كلاما لا افهمه معجما ثم انها قالت لعون ورجعت عن قتلها
واقبلت اليها وقبضت عليها واذا عليها ثياب الديباج الاحمر وعلى
راسها شبكة من اللؤلؤ فاخذتها اسيرة ومن كان معها من النساء
ورجعت على اثري فنظرت الى بردون من براذين الروم فركبته
واردت ان اعدل نحو القتال فقلت والله لا مضيت حتى اعرف
خبر يونس فطلبت مكانه واذا هو قاعد هو وزوجته بين يديه
وهي مخضبة بدما يهاميته فناديته ما كان منك ومنها فقال
اعلم ان هذه زوجتي الذي سرت من اجلها وما كان في طلبي
غيرها واني والله احبها فلما وقعت عيني عليها وقلت لها ها قد
لحقتك واين تفلتين من يدي فقالت وحق المسيح لا اجتمعت انا
وانت ابدا ما دمت تارك لدينك وداخل في دين محمد صلى الله
عليه وسلم وانا قد وهبت نفسي للسيد المسيح وعازمة ان امضي
الى القسطنطينية واكون بها راهبة ثم انها تمنعت عني بالقتال
فقاتلتها قتالا شديدا حتى ملكتها اسيرة فلما راتني اسرتها اخرجت
سكينا كانت معها وضربت بها صدرها فوقعت ميتة وها انا ابكي

عليها من محبتي لها قال رافع بن عميرة فلما سمعت كلامه رحمته وبكيت
وقلت له اعلم ان الله سبحانه وتعالى قد ابدلك بما هو احسن منها
ومن عليها ثياب الديباج وشباك اللؤلؤ ومن هي كالقمر ومن
يظهر من وجهها نور كالقمر فخذها فهي هبة مني اليك فقال واين
هي فقلت ها هي فلما نظر اليها والى ما عليها من الحلي والحلل والزينة
وراي حسنها وجمالها وراها رومية فسالها عن امرها فاجابته
وهي تبكي ثم التفت الي وقال اتدري من هي هذه قلت لا قال
هذه بنت الملك الاعظم هرقل زوجة توما ولا بد لابيها ان
يطلبها منا برجاله او يفديها بماله ومثلي ما يصلح لها فقلت هي لك
وانت لها قال رافع فاخذها اليه هذا والمسلمون في القتال
الشديد والحرب الاكيد الذي ما عليه مزيد وبعضهم يجمع
ثياب الروم والديباج والامتعة والمال **قال الواقدي**
رحمه الله فلاجل ذلك سمي ذلك المكان مرج الديباج
الى وقتنا هذا وكانت العرب في ذلك الزمان اذا انظروا على
احد ثوبا من الديباج يقولون له من اين لك هذا فيقول من غنيمة
مرج الديباج **قال الواقدي** رحمه الله ولما بردت
نار الحرب افتقد المسلمون اميرهم خالد فلم يجدوه ولم يعرفوا

خبره فتعلقوا عليه قلقا عظيما ولحقهم من ذلك شدة عظيمة **قال الواقدي**
رحمه الله حدثنا عبد الحميد عن رجاله قال سمعت انس بن مالك رضي الله عنه
يقول وهو يذكر بالبصرة حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه وما فتح
من الشام حتى ذكر وقعة الديباج ومرجه قال لقد كانت وقعة عظيمة
ولقد غرر خالد رضي الله عنه بنفسه حين دخل في طلب الغنيمة الى ان
توسط بلاد الروم فقال رجل من بني مازن وما ذلك يا خادم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انس رضي الله عنه اذا قيل
له يا خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرح بذلك فرحا شديدا
فقال ان خالدا رضي الله عنه سار بالمسلمين الى مرج الديباج في طلب
الغنيمة من اهل دمشق في اربعة آلاف فارس لما نظر الى اموالهم
وقتل توما واسر بطارقته ونظر الى تلك الغنايم وكانت غنيمة
عظيمة ونظر الى هرمس فحمل عليه فافلت من يده فطلبه خالد في تلك
المعمعة فلم يجده وكان خالد رضي الله عنه فيه لجاجة فبينما
هو يجول ويقتل البطارقة اذ نظر الى علج من علوج الروم عظيم
الخلقة هايل الجثة اخضر اللون له لحية كبيرة وعليه ثياب الديباج
من فوق الحديد فظن خالد رضي الله عنه انه عدو الله هرمس
فاطلق جواده وطلبه طلبا شديدا ليقتله والعلج قد اندهل لما

نظر الى حملة خالد رضي الله عنه فولى هاربا وخالد يتبعه والعلج قد كل
وقصر عن السير فوكزه بعقب الرمح وكزة عظيمة فوقع عن جواده الى
الارض صريعا على ام راسه فانقض عليه خالد رضي الله عنه وهو يقول
له اظننت يا هرمس انك تفوتني **قال الراوي** وكان
العلج يفهم بالعربية فنادى يا اعرابي لست والله هرمس فابق علي
ولا تقتلني حتى اعطيك في فديتي ما يسرك وكلما تطلبه فقال
خالد رضي الله عنه ما لك من يدي خلاص ولا اقبل منك فدا او تدلني
على هرمس فما بغيتي الا هو لا غيره ولا اريد سواه فان الله تعالى قد
قتل على يدي توما وارجو ان الحق هرمس به وانت ان دللتني عليه
فانا اطلق وثاقك بلا فدا ولا مال فقال العلج ابشر فقد وصلت
الى ما تريد ولكني اريد ان اخذ عليك عهدا انني اذا دللتك عليه
تطلق سراحي فقال له خالد لك ذلك ان شا الله تعالى فقال له العلج
يا اخا العرب وهذا من غدركم فانكم قد اعطيتمونا الامان
والذمام ثم تبعتمونا الى هذا المكان الذي كنا نظن ان احدا منكم لا
يبلغه وقد اخذتم جميع ما اخذناه وخرجنا به من مدينة دمشق
لان اغنيتكم كانت فيه ثم تقول لي الساعة ان وقعت بهرمس اطلقتك
وكيف اضمن لك اخذ هرمس وهو رجل دعامة قادر على اقرانه

وهذا الكلام داع الى الغدر ونقض العهد **قال الواقدي**
فلما سمع خالد رضي الله عنه ذلك غضب وقال لا ام لك ويلك تنسبنا
الى الغدر ونقض العهد وما ذاك من شيمتنا لاننا من اصحاب نبي الرحمة
وشفيع الامة وانا اذا قلنا صدقنا واذا وعدنا وفينا والله ما خرجنا
في طلبكم الا في اليوم الرابع وان الله سبحانه سهل علينا البعيد
وطوى لنا كل صعب شديد وما قلت لك دلني على هرمس الا وانا
اتوقع ان وقع بصري عليه اخذته بنصر الله وذلك بنيتي وحق
بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه لئن دللتني عليه لاطلقنك من
دون فدية ولا مال قال فلما سمع العلج كلام خالد رضي الله عنه
قال يا اخا العرب قم عن صدري وانا ادلك عليه فقام خالد رضي الله
عنه عن صدره ثم وثب العلج قايما وجعل ينظر يمينا وشمالا ثم التفت
الى خالد وقال له تنظر الى هذه الطايفة الصاعدة في العقبة فقال
له خالد نعم قال اقصد الجبل فانك ترى هرمس على المقدمة والبيارق
على راسه منشورة وعليه صليب من الجوهر فقال خالد رضي الله
عنه لرجل من حزام او من زبيد توكل بهذا العلج فان صدق فيما
قاله اطلق سراحه وان كذب فاضرب عنقه **قال الواقدي**
رحمه الله ثم ان خالدا رضي الله عنه اطلق عنان جواده وقدم سنان

رمحه الى ان لحق بالكتيبة فزعق بهم وحمل عليهم وقال يا ويلكم
الى اين تخلصون من حز النواصي قال فلما سمع هرمس كلامه وصياحه
ظن انه من بعض العرب فوقف ووقفت البطارقة حوله وهم شاكين
في السلاح والسيوف والعدد وليس فيهم الا اهل النجدة والشجاعة
والقوة والبراعة فشد عليهم خالد بحملته وقال لهم يا ويلكم
اظننتم ان الله تعالى لا يمكننا منكم ولا نغنم متاعكم انا الفارس
الشديد انا البطل الصنديد انا خالد بن الوليد **قال الواقدي**
رحمه الله فلما سمع هرمس كنية خالد عرفه فانتفض في سرجه
وزعق بقومه وقال يا ويلكم هذا الذي تروه هو الذي اقلب الشام
على اصحابكم وعلى ملوككم هذا صاحب اريكة وتدمر هذا صاحب
اجنادين هذا صاحب حوران وبصري هذا صاحب دمشق دونكم
واياه فانكم ان اخذتموه وملكتموه رجع عزكم كما كان ورجعت
اليكم بلادكم واخذتم ثار من قتل من اهل دينكم دونكم واياه قال
فطمع القوم فيه لانفراده عن اصحابه وكان المسلمون مشتغلون
في قتال الروم واخذ اموالهم وكل منهم مشتغل بنفسه فترجلت
البطارقة حول خالد رضي الله عنه لان القوم كانوا في موضع
كثير الوعر والشجر وراى خالد ما لا قدرة له به فعند ذلك ترجل

وأخذ سيفه وحجفته وصبر لقتالهم وحربهم **قال الواقدي**
رحمة الله عليه حدثني عمرو بن شريك عن سلمة بن نعيم عن بدر بن
نوفل الربعي عن مروان بن جامد عن شداد بن أوس وكان ممن حضر
الوقعة في مرج الديباج قال فلما ترجل خالد رضي الله عنه إلى الأرض
ونزل عن جواده قال لنفسه لقد صحت رؤياك يا خالد وندم على
غروره بنفسه وعلم أنه قد أخطأ وما كان به قتله وإنما كان به
المسلمون يقتلون تحت رايته وقد ذكر العلماء أن خالدا رضي الله عنه
لقي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين زحفا وزحفين
جميعها يطلب فيها الشهادة فلم يرزقها فيهم فلما كان ذلك اليوم
ترجل وجعل يقاتل القوم بسيفه وحجفته وكانوا عشرين علجا مثل
الأسود الضارية هذا وهرمس قد تقدم إليه وجرد سيفه وتقدم
ليضرب خالدا رضي الله عنه وهو مشتغل عنه بالقتال فأتاه من ورائه
وأنزل الضربة عليه فوقع السيف على البيضة فقصها ووصل إلى العمامة
فقبض خالد بيده على البيضة والسيف فيها وخاف خالد أن يلتفت
إلى ورائه فتهجم البطارقة عليه وإن سيف هرمس يضربه ثانيا
فجعل يلتفت يمينا وشمالا وخاف أن يطمع القوم فيه فما كان له
إلا أن ذكر الله تعالى وضج بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير

النذير كأنه مستبشر بشيء قد أدركه خديعة للقوم منه وحيلة
يريد أن ينزل بالأعلاج هيبة ودهشة قال فانجهت البطارقة منه
ووقفوا باهتين لا يعلمون بحاله وخافوا من أصحابه المسلمين وبهت
عدو الله هرمس ويبست يداه فهم على ذلك وإذا بزعقات العرب
قد أخذتهم من كل جانب وهم يضجون بالتهليل والتكبير والصلاة على
البشير النذير وقائل يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
رسول الله أبشروا يا أعداء الله بخيبة الطريق أنا عبد الرحمن بن أبي
بكر الصديق قال فلما سمع خالد صوته فرح وأيقن بالظفر وسيب
الخوذة من يده وهم من عدو الله هرمس فتفرقت الأعلاج يمينا
وشمالا لما رأوا حملة خالد ووصول أصحابه إليه **قال الواقدي**
وكان هرمس لعنه الله لما سمع أصوات المسلمين بهت وطلب
الهرب فأدركه خالد رضي الله عنه وضربه ضربة فأجدله
صريعا ثم استطالوا أصحاب عبد الرحمن على أصحاب هرمس فبذلوا فيهم
السيف حتى أبادوهم عن آخرهم وعاد خالد وقد نظر في قتلى
الروم في المعمعة ونظر إلى ضرار بن الأزور فقال لله درك
فلقد أفلحت وإنك لم تزل مباركا في أفعالك ثم سلم على عبد
الرحمن وعلى من معه من المسلمين وقال لهم من أين علمتم بي فقال

عبد الرحمن ايها الامير بينما نحن في قتل الروم الذي ظفرنا الله تعالى بهم
وهم ما بين قتيل واسير والمسلمون قد انهمكوا على الغنايم اذ سمعت
صوت هاتف يهتف في الهوي وهو يقول شغلتم بجمع المال والغنايم
وخالد قد احاطت به الاعادي واهل المآثم فلما سمعت الصوت لم ادر
لك مكان ولا اين اخذ ولا اين اقصد ولا اي طريق انت فيه فاخذني
انا والمسلمين الهم والغم لاجلك فدلنا عليك رجل من اعلاج الروم
في يد بعض اصحابنا وقال ان صاحبكم في هذه الجبل وهو في قتال
هرمس فاسرعنا اليك وهذا خبرنا فقال خالد لقد دل المسلمين على
نصرتنا فوجب له الحق علينا هذا والمسلمون قد رجعوا اليه وسلموا
عليه ثم ان خالدا طلب العلج الذي دله على هرمس وقال له انك
قد وفيت لنا ونريد ان نوفي لك بما وعدناك ولكن قد وجب لك
حق علينا ونريد ان ننصحك فهل لك ان تكون من اهل الصلاة والصيام
وان تكون من امة محمد عليه الصلاة والسلام وتكون من اهل الجنة
فقال ما اريد بديني بدلا قال فاطلق خالد رضي الله عنه سبيله
قال نوفل بن عمرو وعن ابيه ان ذلك البطريق ركب جواده وسار
يطلب بلاد الروم ثم ان خالدا رضي الله عنه طلب الغنايم والاسرى
فجمعت اليه فلما نظر الى كثرتها حمد الله تعالى واثنى عليه وطلب

يونس النجيب وقال له ما فعلت زوجتك يا نجيب فحدثه عنها وما كان
من امرها فعجب خالد رضي الله عنه من انفس الروم فقال رافع بن
عميرة ايها الامير اني اسرت بنت هرقل وسلمتها الى يونس فقال
خالد رضي الله عنه واين هي فاحضرت بين يديه فلما نظر الى حسنها
وجمالها صرف وجهه عنها وقال سبحانك اللهم وبحمدك وربك
يخلق ما يشاء ويختار ثم قال يا يونس تريدها قال نعم ولكن اعلم
ان اباها هرقل لا يخليها ولا بد له منها ويفديها بالاموال فقال
له خالد رضي الله عنه خذها فان لم يطلبها فهي لك وان طلبها فالله
تعالى يعوضك خيرا منها فقال له يونس اعلم ايها الامير انك في
مكان ضيق حرج صعب فاعزم على الخروج منه بالمسلمين قبل ان
يلحقك النفير من الروم فقال خالد رضي الله عنه الله تعالى لنا ومعينا
ثم عطف راجعا يجد في سيره الى الشام قال روح بن عطية فلما
سرنا قطعنا الطريق كله ولم يعرض لنا من الروم احد ونحن نخوض
في بلادهم فلما وصلنا الى المرج الصغير عند قنطرة ام حكيم
نظرنا الى غبرة من ورائنا فلما علمنا ذلك انكرناه ورجع رجال
من المسلمين الى خالد فاعلموه بذلك فقال ايكم ياتينا بخبرها
فبادر اليه رجل من غفار يقال له صعصعة بن بدر الغفاري

فقال انا وكان على جواد يثق بجريه فورد الغبرة واختبرها ثم رجع
على اثره وهو ينادي ايها الامير ادركنا الصلبان ومن وراءهم
روم مصفدون بالحديد ما يرى منهم الا الحماليق الحدق او تداوير
الاماق فادعا خالد رضي الله عنه بيونس وقال امض واختبر امر هؤلا
القوم وما الذين يريدون فقال سمعا وطاعة ثم دنى من القوم
وقارنهم ثم رجع الى خالد وقال له ايها الامير الم اقل لك ان الملك
هرقل لا يغفل عن ابنته وقد نفذ اليكم هذه الخيل يريدون
ان ياخذوا الغنيمة من ايدي المسلمين فلما لحقوك في هذه الارض
بعثوا اليك يسالوك في الجارية اما بيع واما هدية فبينما
خالد يتحدث مع يونس اذ اقبل عليه شيخ كبير عليه مسوح الشعر
الاسود فدنا من المسلمين وقال اني رسول فاين عميدكم
فاخذ بيده رجل من المسلمين وقال له هلم الى الامير فاوقفه
بين يدي خالد رضي الله عنه فقال له خالد قل ما تشا فقال الشيخ
انا رسول الملك هرقل اليك وهو يقول لك قد بلغني ما فعلت
برجالي وقتل زوج ابنتي واسرك الحموي والبغي له مصرع وقد
ظفرت وسلمت فلا تفرط تفتح والان اما تبيعني ابنتي واما ان
توهبها لي فان الكرم من شيمتكم ومن لا يرحم لا يرحم قال الواقدي

رحمه الله فلما سمع خالد رضي الله عنه ذلك من مقالة الشيخ قال له قل
لصاحبك لا ارجع او املك ما بين يديه كما نجد في علمه واما
ابنته فهي هدية منا اليه ولم ناخذ في ديتها مال قال فلما رجع الر
الى الملك هرقل واعلمه بذلك قال لعظما الروم وللملوك هذا
الذي حذرتكم منه فلم تقبلوا واراد ثم قتلي وسيكون ما هو اعظم
من هذا وليس هذا منكم بل هو من رب السما قال فبكت الروم بكا
شديدا قال الواقدي رحمه الله وسار خالد
رضي الله عنه حتى اتى دمشق وكانت المسلمين وابي عبيدة رضي
الله عنه قد ايسوا من خالد ومن معه فلما جاءهم البشير خرجوا الى
لقايه وهنوه بالسلامة وسلم الناس بعضهم على بعض ووجد
خالد في دمشق عمرو بن معدي كرب الزبيدي ومالك النخعي
ومن كان معهما من الفرسان والرجال واقبل الى جانب ابي عبيدة
رضي الله عنه وجعل يحدثه بما لاقاه في طريقه وابو عبيدة
يتعجب من شجاعته وبراعته وجسارته قال ولما استقر بخالد
القرار اخرج الخمس من الغنيمة وفرق الباقي على ساير المسلمين
ثم اخذ خالد رضي الله عنه من ماله شيا واعطاه ليونس وقال له
خذ هذا وامض الى حيث تريد واشترى لك به جارية من بنات

سول

الروم فقال له يونس والله لا تزوجت في هذه الدنيا زوجة ابدا وانا
ارجوا من الله تعالى ان يعوضني عنها زوجة من الحور العين قال رافع
ابن عميرة الطائي رضي الله عنه لقد شهد يونس معنا القتال الى يوم اليرموك
فما كنت اراه في حرب الا وهو يجاهد جهادا احسنا فلما كان يوم
اليرموك رايته وقد ابدى في القتال فعلا حسنا واثر في الروم اثرا
واذا بسهم قد اتاه في لبته فخر ميتا رحمة الله عليه قال رافع بن
عميرة الطائي فحزنت عليه واكثرت له من الترحم فرايته تلك
الليلة في المنام وعليه حلل تلمع كالبرق وفي رجليه نعل من ذهب وهو
يجول في روضة خضرا فقلت له يا يونس ما فعل الله بك قال غفر لي
واعطاني عوضا عن زوجتي سبعين حورية لو بدت واحدة منهن الى
الدنيا لكسف ضوء جبينها ضوء الشمس والقمر فجزاك الله عني خيرا
قال فقصصت الرؤيا على خالد رضي الله عنه فقال هي والله ليس شيء
غير الشهادة فطوبى لمن رزقها **قال الواقدي** رحمه الله
ولقد بلغني ان خالدا رضي الله عنه لما رجع من سريته غانما ظن ان
الخليفة ابا بكر رضي الله عنه كما كان يعهد وانه حي لم يمت
فعزم ان يكتب له كتابا بالفتح والبشارة وما غنم من الروم وابو
عبيدة رضي الله عنه لم يخبره بموته وكان الخليفة يومئذ عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه فادعا خالد بدواة وورقة بيضاء وكتب
من وقته بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا
هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك اننا لم نزل من
مكايد العدو على حرب دمشق حتى انزل الله عز وجل علينا نصره
وقهر عدوه وفتحت دمشق عنوة من الباب الشرقي وكان ابو عبيدة
على باب الجابية فخدعته الروم فصالحهم على الباب الاخر ومنعني
ان اسبي واقتل والتقينا عند كنيسة مريم واما القسوس والرهبان
فانهم اخذوا امنة كتاب الصلح ومعهم توما صهر الملك واخر اسمه
هرمس وخرجوا من المدينة بمال عظيم فسرت خلفهم في عسكر
الزحف واخذت الغنيمة من بين ايديهم وقتلت اللعين توما
واسرت زوجته وهي ابنة الملك هرقل ثم اني اهديتها اليه
وقد رجعت سالما وانا منتظر امرك والسلام ثم طوى الكتاب
وختمه بخاتمه وادعا برجل من العرب اسمه عبد الله بن قرط فدفع
اليه الكتاب وامره بالمسير فاخذ الكتاب وسار الى المدينة الطيبة
الامينة فوردها والخلافة للامام عمر رضي الله عنه يومئذ
فسلم الكتاب اليه فلما قرا عنوانه من خالد بن الوليد الى خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه وما عرف

المسلمون وفاة أبو بكر فقال لا يا أمير المؤمنين قال فإني وجهت
بكتاب إلى أبي عبيدة وأمرته على المسلمين وعزلت خالدا وما أظن أن
أبا عبيدة أراد الامارة لنفسه ثم سكت وقرأ الكتاب على أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال الواقدي** رحمه الله
قال أصحاب السيرة في خبرهم ممن تقدم ذكرهم وإسنادهم في
أول الخبر ممن رأى فتوح الشام ونقلوه عن الثقاة منهم محمد بن
إسحق وسيف بن عمر وأبو عبيد الله محمد بن عمر وكل حدث عن
ما رآه ونقله ثقة عن ثقة قالوا جميعا في أخبارهم رضي الله عنهم
أجمعين انه لما قبض أبو بكر الصديق رضي الله عنه أرسل إلى عمر
يستخلفه فقال الناس كيف يستخلف علينا فظا غليظا فاجتمع
عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد
ابن مالك وطلحة بن عبد الله إلى علي رضي الله عنه وقالوا له إن
أبا بكر وقع في المرض وقد استخلف عمر بن الخطاب فسر معنا
لعله يرجع عنه لأن عمر يتشرع علينا وأبو بكر حي ويؤذينا
فكيف إذا أفضى الأمر إليه فانطلق بنا إليه نناشده الله في
الإسلام لعله أن يرجع عن هذا الأمر فقام الإمام معهم ودخلوا
على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقالوا يا أمير المؤمنين قد علمت

أن عمر كان يتشرع علينا وأنت حي بين أظهرنا فكيف إذا وليته الأمر
علينا وقد علمت أنك تلقى الله ويسألك عن ما هو أعلم به منك قال
فرفع أبو بكر رأسه وقال أبالله أن تخوفني وقد عملت فيهم
بالعدل واستعملت عليهم خيرهم وأفضلهم فقالوا أما هو أفضلنا
اجتهادا ولا أولنا اسلاما فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
دعوا أبو بكر فهو أعلم بما يقول أليس الأمر له ثم خرج وادعا بعمر
وقال له يا عمر إني موصيك بوصية إن أنت حفظتها لم تزل بخير
من الله إن لله حقا لا يقبله في النهار وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى
فريضة ولا تلقي بيدك إلى التهلكة ثم كتب لكافة المسلمين إني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو وقد استخلفت عليكم عمرا فاسمعوا له
وأطيعوا والسلام وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أوصى زوجته
أسما بنت عميس أن اغسلوا ثوبي هذين وكفنوني فيهما فلما حضرته
الوفاة صارت عايشة تقول ۝ وليس امرؤ ناج وقد
عاين الردى ۝ اذا اخرجت يوما وضاق بها الصدر
قال الواقدي ففتح أبو بكر رضي الله عنه عيناه
وقال لا يا عايشة لا تقولين هكذا ولكن قولي وجاءت سكرة
الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد يا عايشة انظري إلى ثوبي

هذين فاغسلوهما ثم كفنوني فيهما فإن الحي أفقر إلى الجديد من الميت
ولقد علمت أني داخل على النار وواردها فيا ليت شعري هل أنجو منها
أم لا فبكت عائشة وقالت يا أبتاه أول ما شربت حسرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويتبعها حسرة الصديق والله لقد توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها
واستراب النفاق وارتدت العرب وكانت مع ذلك تقول ومن
رأى عمر علم أنه ينصر الحق ويبطل الباطل وشرح أبو عبيدة لفظ
عائشة في قولها فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها
الهيض الكسر بعد جبور العظم وهو أشد ما يكون من الكسر
قال القطامي • إذا ما قلت قد جبرت صدوع • تهاض وما
لها هيض الجبار قال الراوي وقولها استراب النفاق
يعني علا وكل رافع رأسه مستراب قال ذو الرمة
وذكر امرأة تشبهها بظبية فجعل يقول •
ذكرتك إذ مرت بنا أم شارد • أمام المطايا تستراب وتسنح •
قال الراوي وقسم عمر بن الخطاب أول مال اجتمع
وحضر أبو بكر النزع فاجتمعت الصحابة عنده وقالوا له يا أبا
بكر يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الوصية فقال إذا أنا

مت فاغسلوا ثوبي هذين وكفنوني فيهما فإن كان لي عند الله جاها
ومنزلة فسأكسى من الجنة والإستبرق وإن يكن غير ذلك فإنا لله وإنا
إليه راجعون وصلوا علي وامضوا بي إلى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فاستأذنوا عليه وقولوا يا رسول الله صلى الله وسلم عليك
صاحبك أبا بكر قد قضى أتأذن له أن يدفن معك فإن أذن
لكم فادفنوني معه وإن لم يؤذن لكم فادفنوني بالبقيع
قال الراوي فلما توفي رضي الله عنه غسل وكفن ومضوا
به إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنوا وقالوا يا
رسول الله إن صاحبك قد قضى أتأذن له أن يدفن معك وإذا
الندا من داخل القبر أدخلوا بالجيب إلى الجيب فإن الجيب
إلى الجيب مشتاق • شعر •

أفضل العالمين شيخ الوقار • بعد ذي الفضل أحمد المختار
أنزل الله فيه وحيا وفضلا • ثاني اثنين إذ هما في الغار

قال الواقدي وكان اسمه في الجاهلية رضي الله
عنه عبد الكعبة ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
وكناه بعتيق أبي قحافة عثمان بن عامر من ولد تيم بن مرة
يلتقي هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب وقال له

أنت عتيق الله من النار وسمي صديقا لتصديقه خير البشر وأمه سلمى
وتكنى أم الخير بنت صخر وكانت بنت عم أبيه وكانت صفته رضي الله
عنه طويلا آدم خفيف العارضين يخضب بالحنا والكتم وتوفي لسبع
ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وكانت
خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيام وغسلته زوجته أسما
بنت عميس كما أوصاها وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
والصحابة وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
سرير عايشة رضي الله عنها وكان خشبتي ساج منسوجتان
بالليف ودفن في حجرة عايشة رضي الله عنها ورأسه قبالة
كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مؤنته كل يوم
من مال المسلمين ثلاثة دراهم يأخذها وقال في نزعه لابنته
عايشة يا بنية انظري ما زاد في مال أبي بكر عن ذلك فرديه
إلى المسلمين فنظرت وإذا بكوز وقطيفة لا تساوي خمسة دراهم
فلما أخبر عمر بن الخطاب بهذا الأمر بكى وقال رحم الله أبا
بكر لقد تعبنا من بعده

أنشد بعضهم بمدحه

ترضوا عن الصديق يا قومنا فقد كان مطواعا لدى العسر واليسر
وأفضل خلق الله بعد محمد عتيق أمير المؤمنين أبي بكر
فذاك ورب البيت أول مسلم وأول من صلى مع الطاهر الطهر
فمن سواه بين الله فضله لنا في سورة الفتح المعظمة القدر
وفي سورة الأنفال فضل مبين له وبراءة ثم في سورة الحشر
ومن أنفق الأموال لله خالصا وقاتل قبل الفتح غير أبا بكر
فذاك هو الصديق صهر محمد وصاحبه في القبر حقا وفي الحشر
ومن جاء جبريل من الله ربه وقال أتيت الآن نحو أبا بكر
فأعلمه أن الله راض بفعله فقل هو راض عنه في حالة الفقر
فقص رسول الله تنزيل ربه على السيد الصديق أعني أبا بكر
فخر لوجه الأرض لله ساجدا حياء من الرحمن والواحد الوتر
ومن لرسول الله جاد ببنته فزوجها إياه غير أبا بكر

قال الواقدي رحمه الله قالت الرواة المذكورون
لما قبض أبو بكر واستخلف بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وعمره اثنان وخمسون سنة وبايعوه في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيعة تامة ولم يتخلف عن مبايعته كبير
ولا صغير وانقطع في أيامه النفاق والشقاق والحسد والباطل
وقام الحق وقوي السلطان وضعف كيد الشيطان وظهر
أمر الله وهم كارهون وكان في خلافته يجلس ويتلطف

بالمسكين ويرحم الصغير ويوقر الكبير ويتعطف على اليتيم وينصر
الحق ويعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة رضي الله
عنها تولى عمر الخلافة واقام الحدود وترك التكبر وكان رضي الله
عنه اذا احرقه الجوع اكل خبز الشعير بالملح الجريش واذا اكل اليابس
من التمر وربما اخذ شيا من السمن وكان يقول اكل خبز الشعير
والملح والجوع اهون غدا من عذاب النار التي لا يوجد فيها راحة
ابدا ولا يرى فيها فرح ولا هنا قعرها بعيد وعذابها يومئذ شديد
وطعامها الزقوم وشراب الصديد ولا يؤذن لهم فيعتذرون
قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني ان عمر رضي الله
عنه لما ولي الامر بعد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وسمع هرقل
به جمع الملوك وقام فيهم خطيبا على منبر نصب له في كنيسة
القسيسين وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت احذركم منه
فلم تسمعوا مني وقد اشتد الامر عليكم بولاية الاسمر الاحور
وقد دنا ما بعد بولاية صاحب الفتوح المسمى بعمر والله والله
لا بد له ما يملك ما تحت سريري هذا فالحذر الحذر قبل وقوع
الامر ونزول الضر وهدم القصر وخراب الدور وقتل
القسوس وتعطيل الناقوس هذا صاحب الحرب وجالب على

الروم الطعن والضرب والكرب هذا الزاهر في دينه الغليظ على من
اتبع غير سنة صاحبه واني ارجو النصر ان امرتكم بالمعروف
ونهيتكم عن المنكر وتركتم الظلم واتبعتم ما امر به المسيح
من اداء الفرايض ولزوم الطاعات وترك الزنا وان ابيتم الا
العناد والعصيان والركون الى الشهوات سلط عليكم عدوكم
والبلاكم بما لا طاقة لكم به ولقد اعلم ان دين هولاء القوم
سيظهر على كل دين ولا يزال اهله بخير ما لم يغيروا او يبدلوا
فارجعوا اليه وصالحوا القوم على اداء الجزية قال الواقدي
رحمه الله فلما سمع القوم ذلك من كلامه ثاروا اليه وهموا
بقتله فسكن ثورتهم وغيظهم والان لهم الكلام والملاطفة
وقال اني اعلم حميتكم لدينكم وان كان خوف العرب تمكن من
قلوبكم ثم انه دعا برجل من العرب المتنصرة يقال له طليقة بن
مازن وضمن له مالا كثيرا وقال له انطلق من وقتك هذا الى
يثرب وانظر كيف تقتل عمر فقال له طليقة نعم ايها الملك
ثم انه تجهز من وقته وسار طالبا لمدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم الى ان وصل اليها فبينما هو كذلك واذا هو بعمر
رضي الله عنه خرج يشرف على اموال اليتامى والارامل ويتفقد

حذايقهم واما كيتهم فصعد ذلك المتنصر الى شجرة ملتفة بالاغصان
فاستتر بورقها واذا بعمر رضي الله عنه قد قرب من تلك الشجرة التي
عليها ذلك المتنصر ونام تحتها على الارض وتوسد بحجر فلما دخل في
النوم هم ان ينزل اليه واذا باسد قرب الى الشجرة وطاف حول
عمر رضي الله عنه واقبل يلحس قدميه واذا بهاتف يقول يا عمر عدلت
فامنت ثم نمت قال فاستيقظ عمر رضي الله عنه وقد ذهب الاسد
ونزل المتنصر فترامى على اقدام عمر رضي الله عنه وقبل يديه وقال
بابي انت وامي يا عمر من اتقى الله تخدمه الكائنات وتحفظه السباع
وتحرسه الملائكة ثم اعلمه بما كان منه واسلم على يديه وقال
يا امام مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله وان الاسلام حق وما كان عليه باطل قال ففرح عمر
باسلام الاعرابي وقال له يا هذا من خدم الله خدمه كل شيء
وهذا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف حال اهل الشام
يا اخا العرب قال يا امير المؤمنين ان المسلمين قد فتحوا دمشق
وملكوا ما فيها ففرح الامام عمر رضي الله عنه بذلك قال
الواقدي رحمة الله عليه وكان قد كتب الى ابي عبيدة
بالولاية ولخالد بالعزل وفي تلك الايام قدم عليه كتاب خالد

رضي الله عنه مع عبد الله بن قرط فقرا عنوانه من خالد بن الوليد
المخزومي الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فرجعت سمرة
عمر رضي الله عنه الى بياض وقال يا ابن قرط ما علم المسلمون
بموت ابي بكر رضي الله عنه ولا بتولية ابي عبيدة عاملهم فقال
لا فغضب عمر رضي الله عنه وجمع الناس وقام على المنبر وقرا
عليهم الكتاب وما فتح الله على المسلمين وغنيمة مرج الديباج
فابتهجوا بالفرح والسرور ودعوا لاخوانهم وقال يا معاشر
الناس اعلموا اني امرت ابا عبيدة الرجل الامين لاني قد رايته
اهلا لذلك وقد عزلت خالدا عن امرته فقال رجل من بني مخزوم
يا عمر اتعزل رجلا شهر الله بيده سيفا قاطعا وجعله للمشركين
دافعا وقد قيل لابي بكر رضي الله عنه في عزله فقال لا اعزل
سيفا سله الله ونصر به دينه وان الله لا يعذرك في ذلك ان
اغمدت سيف الله واعزلت اميرا امره الله لقد قطعت الرحم
وحسدت ابن العم ثم سكت الرجل فنظر عمر رضي الله عنه الى
المخزومي فراه غلام حدث السن فقال شاب حدث غضب
لابن عمه ثم نزل عن المنبر واخذ الكتاب تحت راسه وجعل
يحدث نفسه في عزل خالد رضي الله عنه فلما كان من الغد

صلى بالناس صلاة الفجر ورقا المنبر خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه
وذكر النبي وصلى عليه وترحم على ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ثم قال ايها الناس اني حملت امانة والامانة عظيمة واني راع وكل
راع مسؤل عن رعيته وقد جبت الى الله صلاحكم والنظر الى معايشكم
والتقرب الى ربكم وانا وانتم ومن حضر في هذه البلدة في ذمام
الله وفي كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صبر على
يابسها وشدتها كنت له شفيعا يوم القيامة وبلادكم لا زرع بها
ولا ضرع الا ماوى الابل وقد وعدنا الله مغانم كثيرة واني
اريد النصح للخاصة والعامة ولست اجعل اماناتي الى من ليس لها
باهل ولكن ساجعلها لمن تكون له رغبة في اداء امانته والتوفيق
للمسلمين واني كرهت ولاية خالد على المسلمين لان خالدا فيه
تبذير للمال يعطي الشاعر اذا مدحه ويعطي الفارس اذا جاهد
امامه فوق ما يستحقه ولا يبقى ذلك لفقراء المسلمين وضعفائهم
وقد نزعته ووليت ابا عبيدة مكانه والله يعلم اني وليت
امينا فلا يقول قايلكم عزل الرجل الشديد وولى الرجل الامين
السلس القياد والله معه يمده ويعينه ثم نزل عن المنبر واخذ
جلدا من ادم وكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر

امير المؤمنين الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد الله الذي
لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد وليتك
امور المسلمين فلا تستحي فان الله لا يستحيي من الحق واني اوصيك
بتقوى الله الذي يبقى ويفنى كل شيء الذي اخرجك من الكفر الى
الايمان ومن الضلالة الى الهدى وقد استعملتك على جند خالد
فازله عن امارته ولا تبعث المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا
ترسل سرية الى جمع كثيف ولا تقول ارجو الكم النصر فان النصر
انما يكون مع التدبير والثقة بالله واياك والتغرير والقاء
المسلمين الى الهلكة فتهلك كما هلك من قبلك فقد رايت
مصارعهم واختبرت سرايرهم وما بينك وبين الاخرة الا
ستر كالخمار وقد تقدم اليها سلفك فانتظر السفر والرحيل
الطويل من دار قد مضت نضارتها وذهبت زهرتها فاحزم
الناس من تزود فيها الى غيرها وكان زاده التقوى وراعي
المسلمين ما استطعت واما الحنطة والشعير التي وجدت في دمشق
فهي للمسلمين واما الذهب والفضة ففيه الخمس والسهام
واما اختصامك انت وخالد على الفتح فالفتح بالصلح لا بالقتال
لانك انت الوالي وصاحب الامر وان كان صلحك جري

على الخنطة انها للروم فسلمها اليهم والسلام عليك وعلى من معك من
المسلمين ورحمة الله وبركاته واما بنت خالد خلف الروم الى
مرج الديباج فانه غرر بدماء المسلمين وكان بها سخيا واما ابنة
الملك هرقل وهديتها الى ابيها بعد اسرها فذلك تفريط منه
وكان يؤخذ بها مال كثير يعود نفعه على ضعفاء المسلمين والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه
لعامر بن ابي وقاص اخو سعد وقال له انطلق الى دمشق وسلم
على خالد ومره ان يجمع الناس اليه واقراه انت بنفسك عليهم
واخبرهم بموت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم ادعى عمر
رضي الله عنه بشداد بن اوس وصافحه وقال له انطلق
انت وعامر الى الشام فاذا قرا عامر الكتاب فمر الناس ان يبايعوك
لتكون بيعتك بيعتي قال فانطلقا يجدان السير حتى وردا
دمشق والمسلمون بها مقيمون ينتظرون ان ياتيهم خبر من
ابي بكر وما يامرهم به فلما وصل عامر وشداد طالت اعناق
الناس اليهما وفرحوا بقدومهما قال واقبلا حتى نزلا بخيمة خالد
وسلما عليه وقال لهما كيف تركتما الخليفة قالا تركناه بخير
يعني عمر ومعي كتابه وقد امرني ان اقراه على الناس فامرهم

بالاجتماع فانكر خالد ذلك واستراب الامر وجمع المسلمين ثم
قام عامر بن ابي وقاص وقرا الكتاب فلما انتهى الى ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ووفاته ارتفعت اصوات الناس بالبكاء والنحيب
وبكا خالد وقال ان كان ابو بكر قبض فالسمع والطاعة لعمر
وما به قد امر ثم قرا الكتاب الى اخره فلما سمع الناس ما فيه
قاموا وبايعوا شداد بن اوس وكانت بيعته بدمشق لثلاث
ليال خلون من شعبان سنة ثلاث عشرة من الهجرة قال
الواقدي رحمه الله وتولى ابو عبيدة على الجيش والاموال
واخبرهم بما حكم به عمر وظن ابو عبيدة ان خالدا صعب عليه
الامر وانه سيقصر عن طلب العدو بعد عزله فكان خالد على
العدو بعد عزله اشد فصاصة واصعب اجتهادا واكثر قتالا
مما كان في ولايته ولا سيما في حصن ابي القدس قال
الواقدي رحمه الله سالت من حدثني بهذا الحديث
عن حصن ابي القدس اين يكون موضعه من الشام قال ما بين
غزة وطرابلس ومرج يقال له مرج السلسلة وكان بازائه
دير في صومعة وفي تلك الصومعة راهب عالم بدين النصرانية
قد قرا الكتب السالفة وعرف اخبار الامم المتقدمة وكانت

كبرا النصرانية تقصد اليه وتقتبس من علمه وفوايده وكان له من
العمر نيف عن ماية سنة وكان في ديره كل سنة عيد للنصارى
عند اخر صيام الروم وهو عيد الشعانين تجتمع اليه الروم فيطلع
عليهم ويعلمهم من وصايا الانجيل وكان يقوم عند ديره موسم
عظيم من السنة الى السنة وتحمل التجار الامتعة والبضايع والذهب
والفضة ويبيعون ويشترون ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام
وما كانت المسلمين يعلمون بذلك السوق ولا يعرفونه حتى دلهم
عليه رجل من نصارى المعاهدين كان ابو عبيدة قد اصطنعه
وامنه واهله فلما تولى ابو عبيدة رضي الله عنه امور المسلمين
اراد ذلك المعاهدي ان يتقرب الى قلبه بفتح الدير هذا وابو
عبيدة رضي الله عنه قد طال فكره فيما يصنع في بلاد يكيدها
او عدو يقصده فمرة يقول اسير الى بيت المقدس فانها اشرف
بلادهم وكرسي مملكتهم ومرة يقول اسير نحو انطاكية واقصد
هرقل فبينما هو في ذلك وقد جمع المسلمين للشورة اذ اقبل
اليه ذلك المعاهدي وكان من متنصرة الشام فقال ايها الامير
انك قد احسنت الي وخصصتني بامانك لي ولاهلي وقد اتيتك
ببشارة اسر بها قلبك وغنيمة للمسلمين ساقها الله تعالى اليهم

فان ظفرهم الله بها استغنوا غنا لا فقر بعده قال الواقدي
فلما سمع ابو عبيدة قوله قال له اخبرني ما هذه الغنيمة واين تكون
فما علمتك الا ناصح لنا فقال ايها الامير ان بازايك على الساحل
حصن يقال له حصن ابي القدس وبازايه دير فيه راهب
تعظمه اهل دين النصرانية ويتبركون بدعايه ويقتبسون من
علمه وله في كل سنة عيد يجتمعون اليه الناس من جميع النواحي
والقرى والضياع ويقوم عندهم سوق عظيم يظهر فيه
فاخر القماش من الديباج والذهب والفضة ويقيمون عنده
تسعة ايام وبعد ذلك يتفرقون منه والان فقد قرب وقت
السوق واصحابه امنين مطمئنين فتاخذوا جميع ما فيه وتقتلون
الرجال وتسبون الحريم والاطفال واذا ظفرتم بذلك فانها
غنيمة عظيمة تكمدون بها العدو فقال ابو عبيدة له وكم
بيننا وبين هذا الدير قال عشرة فراسخ يوم كامل للمسافر
المجد فقال ابو عبيدة فهل لهم حامية من الروم قال المعاهد
لست اعلم ذلك لانه لا يقدر احد يغصبهم لاجل هيبة الملك
هرقل قال فهل قرب الدير مدينة من مداين الشام فقال

نعم ايها الامير بالقرب من سوق القوم مدينة يقال لها اطرابلس
وهي فرجة الشام واليها تقدم المراكب من كل مكان وفيها بطريق
كبير كثير التجبر قد اقطعه الملك هرقل اياها ومن عظم تجبره لا يحضر
السوق وما كنت اعهد للسوق حاميا الا ان يكون الان من تخوفهم
منكم ولو سار الى الدير والسوق ادنى المسلمين لرجوت له الفتح
ان شا الله تعالى فقال ابو عبيدة رضى الله عنه ايكم يهب نفسه
لله تعالى وينطلق مع جيش ابعثه معه الى هذا السوق فلعل الله تعالى
ان ينصره ويظفره به فيكون ذلك خيرا زايدا للمسلمين قال فسكت
الناس ولم ينطق منهم احد فنادى ابو عبيدة ثانية وما اراد بقوله
ذلك الا لخالد ولكنه استحيا ان يواجهه بذلك فسكت خالد
رضى الله عنه ولم يتكلم فقام اليه من وسط الناس شاب كما نفر
عارضه واخضر شاربه وكان ذلك الشاب بن جعفر الطيار
وكانت امه اسما بنت عميس الخثعمية وكان جعفر عليه السلم
قد مات في غزاة الروم وقد قطعت يده وخلف ولده عبد الله
صغيرا وتزوج ابو بكر الصديق زوجته وكفل عبد الله فلما كبر
وترعرع كان يقول لامه يا اماه ما فعل ابى فتقول له يا ولدي

قد قتلته الروم فيقول والله لئن عشت لاخذن بثاره فلما مات
ابو بكر الصديق رضى الله عنه وولي عمر رضى الله عنه بعثه الى الشام
مع انيس الجهني وكان في عبد الله شبه من رسول الله صلى الله
عليه وسلم في خلقه وخلقه واستحيايه فلما قال ابو عبيدة ايها
الناس ايكم ينطلق الى هذا الدير فوثب عبد الله بن جعفر رضى الله
عنه وقال يا امين الامة انا اول من يسير مع من تبعثه الى هذا
الدير ففرح ابو عبيدة بذلك وجعل ينتدب له رجال المسلمين
وابطال الموحدين وقال له انت الامير عليهم يا بن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم عقد له راية وسلمها اليه وكانت
الخيل خمس مائة فارس منهم رجال من اهل بدر وكان ممن توجه
مع عبد الله بن جعفر الطيار ابو ذر الغفاري وجماعة من
الابطال **قال الواقدي** رحمة الله عليه فلما
اجتمعت الخمس مائة فارس تحت راية عبد الله بن جعفر وما منهم
الا من حضر الوقايع لا يولون الادبار ولا يركنون الى الفرار
فلما ان عولوا على المسير قال ابو عبيدة رضى الله عنه لعبد الله
ابن جعفر يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغير على
القوم الا في اول يوم من قيام السوق ثم ان ابا عبيدة ودعهم

وساروا **قال الواقدي** رحمة الله عليه اخبرني واثلة
ابن الاسقع قال كنت في سرية عبد الله بن جعفر الطيار وكان خروجنا
من دمشق الى دير بن ابى القدس في النصف من شهر شعبان والقمر
زايد في النور وانا الى جانب عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما فقال
يا ابن الاسقع هذه ليلة النصف من شعبان وهى ليلة عظيمة
البركة فقال له اجل هى ليلة تكتب فيها الارزاق والاجال وتغفر
فيها الذنوب ولقد اردت ان اقومها فقلت ان سيرنا خير من
مقامنا والله عنده جزيل العطا فسرنا ليلتنا الى الصباح فاصبح
بنا المعاهدى على جبل عظيم فبينما نحن نجد السير اذ اشرفنا على
صومعة راهب وهى عن يميننا قال فعدل عبد الله نحو الدير
وعدلنا معه اذ طلع علينا راهب من الصومعة وعليه برنس اسود
قال فجعل يتأملنا واحدا بعد واحد ثم ردد النظر في وجه
عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما وقال هذا الفتى نبيكم قلنا لا
قال فان نور النبوة يلوح بين عينيه قال فهل يلحق به قلنا
نعم هو ابن عمه قال الراهب هو من الورقة والورقة من
الشجرة فقال عبد الله ايها الراهب هل تعرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال الراهب وكيف لا اعرفه واسمه

مكتوب في التورية والانجيل والزبور انه صاحب الجمل الاحمر
والسيف المشهر فقال له عبد الله ايها الراهب فلم لا تومن به
وتصدقه فرفع يده الى السماء وقال حتى يشاء فاعجبنا كلامه
وسرنا والدليل بين ايدينا الى واد كثير الشجر والماء فامرنا ان
نكمن فيه ثم سار المعاهدى ينظر خبر القوم واقمنا في ذلك الوادى
قال واثلة بن الاسقع فاصلحنا ازوادنا فلما مضى من الليل القليل
قام عبد الله الى الحرس وحرس المسلمين بنفسه الى الصباح فلما اصبحنا
صلى الفجر وجلسنا ننتظر مجى الرسول فلم ياتى وابطا خبره فقلق
المسلمون لاحتباسه ثم وسوس لهم الشيطان وساءت بالدليل الظنون
وما من المسلمين احد الا وظن بالمعاهدى شرا الا ابو ذر الغفارى
فانه قال ظنوا بصاحبكم خيرا ولا تخافون من كيد ولا مكر ويو شك
ان يكون في شان وستعلمون به قال فسكن الناس لقوله فبينما هم
كذلك واذا بصاحبهم قد اقبل قال واثلة بن الاسقع فلما رايناه
فرحنا وظننا انه يامرنا بالنهوض الى العدو فوقف في وسط
المسلمين وقال يا اصحاب محمد وامته اعلموا انى قد رجوت لكم
الغنيمة وقد حيل بينكم وبينها ببحر عجاج متلاطم بالامواج وذلك
انى لما اشرفت على السوق فوجدت فيه البيع والشرى واجتمع اليه

النصارى والرهبان والأقسة والملوك والبطارقة فلما نظرت إلى
ذلك لم أرجع حتى اختبرت ما سبب جمعهم هناك فمضيت إليهم إلى
أن اختلطت بهم وإذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته بملك من الملوك
وقد أتوا بالجارية إلى بيت المقدس ليأخذوا الهامنة باعوثا وهو القربا
وقد دارت بالجارية فرسان الروم والمتنصرة من العرب كل ذلك
خوفا منكم يا معشر العرب وما أرى لكم صوابا أن تسيروا إلى
القوم لأنهم خلق كثير وجمع عظيم فقال له عبد الله بن جعفر ففي
كم يكون القوم وكم حزرتهم قال أما السوق ففيه أكثر من عشرين
ألف من العوام ومن الروم والنصارى والقبط واليهود وأهل
النجدة الذين هم معتدون للحرب خمسة آلاف فارس لابسة
مقاتلة قال فصعب ذلك على المسلمين وتأسفوا على سقوط الأمر من
بين أيديهم وهموا بالرجوع فقال عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما
معاشر المسلمين ما تقولون في هذا الأمر فقالوا إنا ما نرى أننا نلقي
بأنفسنا إلى التهلكة كما أمرنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه وما
لنا غير الرجوع إلى الأمير أبي عبيدة والله تعالى لا يضيع أجرنا
قال الواقدي رحمه الله فلما سمع عبد الله بن جعفر قولهم قال أما
أنا فأخاف إن فعلت ذلك أن يكتبني الله عز وجل من الفارين

وما أرجع إلا بما أمرني به الأمير أبو عبيدة فمن ساعدني فأجره على الله
ومن رجع فلا عتب عليه فإني لا أرجع بهذا العذر قال فلما سمع القوم
قوله وأنه قد بذل نفسه استحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا له
افعل ما تريد فما ينفع حذر من قدر ففرح عبد الله بإجابتهم وعمد
إلى درعه فأفرغه عليه ولبس على رأسه بيضة تبعية وشد وسطه
وتقلد بسيفه الذي كان لأبيه جعفر وركب جواده ثم إنه أمر
المسلمين أن يأخذوا أهبتهم فأخذوا وركبوا خيولهم وقالوا
للدليل سر بنا نحو القوم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
فقال لهم المسيب ما ترون أيها المسلمون من الغارة فقال عامر بن
ربيعة أنا أدلكم على أمر تصنعونه فقالوا له قل فقال اتركوا
القوم إلى وقت بيعهم وشرائهم وإظهار أمتعتهم ثم اكبسوا
عليهم على حين غفلة منهم قال فصبروا إلى وقت قيام السوق
ثم أظهروا السيوف من أغمادها وأوتروا القسي وشرعوا
الأسنة وتقدم عبد الله أمام القوم والراية في يده فلما طلعت
الشمس جعل عبد الله المسلمين خمس صفوف كل صف مائة فارس
وقدم على كل مائة نقيبا وقال تأخذ كل فئة منكم جانبا من السوق
ولا تشتغلوا بنهب ولا غنيمة ولكن وشحوهم بالسيوف في المفارق

والعواتق وتقدم عبد الله بالراية وطلع على القوم فنظر الى الروم وهم مفترشين في الارض كأنهم النمل وقد احدق بدير الراهب خلق كثير وقد اخرج الراهب رأسه من الدير وهو يعظ الناس ويوصيهم ويعظمهم ويعلمهم معالم هلاكهم وهم اليه شاخصون وابنة البطريق في الدير والبطارقة حوله وعليهم من كل لباس حسن ومن فوقها الدروع والجواشن والبيض كأنها النجوم الزاهرة وهم منتظرون خروجها اليهم قال فلما نظر عبد الله اليهم والى الدير هاله ذلك من امرهم فصاح بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احملوا بارك الله فيكم فان كانت غنيمة وسلامة فالاجتماع تحت صومعة الراهب وان كان غير ذلك فموعدنا الجنة ومقامنا عند حوض ابن عمي محمد صلى الله عليه وسلم قال وطلب عبد الله مكان الجمع فغاص فيه ثم حمل فتارة يضرب بالسيف وتارة يطعن بالرمح وحملت المسلمين من ورايه وسمعت الروم اصوات المسلمين فتعجبوا من ذلك وداركوهم لانهم كانوا لذلك منتظرين وهم على اهبة الحرب واما السوقة فانهم تبادروا الى سلاحهم والى المنع عن انفسهم وامتعتهم واخذوا السيوف والاغمدة وقصدوا قتال المسلمين وطلبوا اصحاب

الراية ولم يكن مع المسلمين راية غيرها فاحدقوا بالراية من كل جانب ومكان وقامت الحرب على ساق وعملت السيوف الرقاق والرماح الدقاق وثار الغبار وانعقد واحدقت الروم بالمسلمين من كل جانب فكانت المسلمين فيهم كالشامة البيضا في جلد الثور الاسود وما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير وكان كل امير منهم مشتغل بنفسه قال ابو بشر بن تميم وكان من السابقين المتقدمين في الاسلام شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وشهدت ساير المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر وحنين وقلت اني لم اشاهد مثلها فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنت عليه ولم استطع ان اقيم في المدينة بعده فرجعت الى مكة واقمت بها فعوتبت في منامي بتخلفي عن الجهاد فاتيت الى الشام ومعي زوجتي ام كلثوم ابنة سهل بن عمرة العامري ودخلت الى الشام وحضرت اجنادين وخالد مع توما وهرمس وشهدت سرية عبد الله بن جعفر وكنت معه في دير القدس فانستني تلك الوقعة ما شاهدت قبلها من الوقايع بين يدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم وذلك اني نظرت الى الروم لما حملنا عليهم مع كثرة
عددهم ومددهم وقلنا انه لم يبق في الدنيا غيرهم وليس لهم كبير
واجسادهم لا يبان منها الا حماليق الحدق ونظرت الى المسلمين
وقد غابوا في اوساطهم ولم اسمع الا اصواتهم تارة وتخفى
تارة حتى اقول انهم قد هلكوا فانظر الى الراية بيد عبد الله بن
جعفر رضي الله عنهما وهي مرفوعة فافرح بذلك وعبد الله يكر
تحت الراية على المشركين وهو لا ينثني على صغر سنه ولم تزل
الحرب كلما طالت يثب قدامها الى ان صار عبد الله بن جعفر في
وسط القوم وهم حوله كالحلقة الدايرة والروم محدقة به
فجعلت كلما حمل يمينا حملت يمينا وان حمل شمالا حملت شمالا ولم تزل
كذلك الى ان كلت منا السواعد وخدرت منا المناكب وعظم
الامر واخذهم الانبهار وولى النهار وتثلم سيف عبد الله بن
جعفر رضي الله عنهما وكاد فرسه ان يقف فالتجا الى اصحابه وجعل
يضم بعضهم لى بعض فنظر المسلمون الى رايته فقصدوها وما
فيهم الا من هو مكلوم من المشركين فضاق بذلك ذرعه وما نزل
به من المشركين ومن الغم على المشركين فالتجا الى الله تعالى وفوض
امره اليه ورفع يديه الى السما وقال في دعايه يا من خلق خلقه

واحسن خلقهم وابلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم اسالك
بجاه محمد صلى الله عليه وسلم الا جعلت لنا من امرنا فرجا ومخرجا
ثم عاد الى القتال والنزال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقاتلون معه تحت رايته فلله در ابي ذر الغفاري رضي الله عنه
فانه نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم
وجاهد بين يديه قال عمرو بن ساعدة لقد رايته مع كبر سنه
وهو يضرب في الروم بسيفه وينتخي الى قومه ويذكر عند حملاته
اسمه ويقول انا جندب بن جنادة انا ابو الدردا **قال**
الواقدي رحمه الله هذا والمسلمون يفعلون مثل ذلك
الى ان بلغت القلوب الحناجر وظنوا ان ذلك الموضع قبورهم ومنه
يخرجون الى نشورهم **قال الواقدي** حدثنا عبد الله بن
انيس قال كنت احب جعفرا واحب من اولاده عبد الله فلما
قبض ابو بكر رضي الله عنه نظر الى امه اسما بنت عميس حزينة
فكره ان ينظر اليها في ذلك الحزن وايضا فان الصديق رضي الله
عنه كان في مقام ابيه جعفر وكان يحبه عبد الله حبا شديدا
قال فاستاذنوه في المسير الى الشام قال يا ابن انيس احب ان
الحق بالشام وتكون مجاهدا وانت صحبتي فقلت نعم فودع عمه

عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِين وَسِرْنَا نُرِيدُ الشَّام
وَمَعَنَا عِشْرِين فَارِسًا مِنَ الْيَمَن حَتَّى أَتَيْنَا تَبُوك فَقَالَ يَا ابْنَ أُنَيْس مَا تَعْرِف
مَوْضِع قَتْل أَبِي قُلْتُ لَهُ نَعَمْ فَقَالَ أَشْتَهِي أَنْ أَرَى الْمَوْضِع فَأَرَيْتُهُ
إِيَّاهُ وَمَوْضِع الْوَقْعَة وَمَكَان تُرْبَة جَعْفَر قَالَ فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللهِ إِلَى
قَبْرِ أَبِيهِ تَرَامَى عَلَيْهِ وَبَكَا وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَأَقَمْنَا إِلَى صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الثَّانِي
رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَر وَهُوَ يَبْكِي وَوَجْهُهُ مِثْلُ الزَّعْفَرَان فَسَأَلْتُهُ
عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ رَأَيْتُ أَبِي فِي الْمَنَام وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ خَضْرَاوَتَانِ
وَلَهُ جَنَاحَانِ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مُشْهَرٌ أَخْضَر فَلَمَّا رَآنِي سَلَّمَهُ إِلَيَّ وَقَالَ
يَا بُنَيَّ قَاتِلْ بِهَذَا عَدُوَّكَ فَمَا وَصَلْتُ إِلَى مَا تَرَى إِلَّا بِالْجِهَاد وَكَأَنِّي
أُقَاتِلُ بِالسَّيْفِ حَتَّى تَسَلَّمَ مِنْ يَدِي قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْس فَسِرْنَا حَتَّى
أَتَيْنَا عَسْكَرَ أَبِي عُبَيْدَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَبَعَثَهُ أَمِيرَ تِلْكَ السَّرِيَّة
إِلَى دَيْرِ أَبِي الْقُدُس وَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى مَا حَلَّ بِهِ قُلْتُ
يُوشِكُ أَنْ يُقْتَلَ عَبْدُ اللهِ وَخَرَجْتُ بِفَرَسِي وَسِرْتُ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ
إِلَى عَسْكَرِ أَبِي عُبَيْدَة فَلَمَّا رَآنِي قَالَ يَا ابْنَ أُنَيْس الْبِشَارَة أَمْ لَا فَقُلْتُ
لَهُ نَفِّرِ الْمُسْلِمِين إِلَى نُصْرَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَر ثُمَّ حَدَّثْتُهُ بِالْقِصَّة فَالْتَفَتَ
أَبُو عُبَيْدَة إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيد وَقَالَ لَهُ أَدْرِكِ الْمُسْلِمِين فَإِنَّا لِلهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ أَنَا لَهَا إِنْ شَا اللهُ تَعَالَى وَمَا كُنْتُ

مُنْتَظِرٌ إِلَّا أَمْرَكَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة إِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنْكَ يَا أَبَا سُلَيْمَان
فَقَالَ أَمَا وَاللهِ لَوْ أَمَّرَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طِفْلًا
لَامْتَثَلْتُ أَمْرَهُ كَيْفَ أُخَالِفُكَ وَأَنْتَ أَقْدَمُ مِنِّي إِيمَانًا وَأَسْبَقُ
إِسْلَامًا سَبَقْتَ بِإِسْلَامِكَ مَعَ السَّابِقِين وَسَارَعْتَ بِإِيمَانِكَ مَعَ
الْمُسَارِعِين وَسَمَّاكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَمِين فَكَيْفَ
أَسْبِقُكَ وَأَنَالُ دَرَجَتَكَ وَوَاللهِ لَقَدْ ضَرَبْتُ وُجُوهَ الْمُسْلِمِين بِالسَّيْف
زَمَانًا وَالْآنَ أُشْهِدُكَ أَنِّي جَعَلْتُ نَفْسِي حَبْسًا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَاللهِ لَا وَلِيتُ إِمَارَةً أَبَدًا قَالَ فَاسْتَحْسَنَ الْمُسْلِمُونَ كَلَامَهُ وَقَالَ
لَهُ أَبُو عُبَيْدَة الْحَقْ إِخْوَانَكَ رَحِمَكَ اللهُ قَالَ فَوَثَبَ كَالْأَسَد
وَسَارَ إِلَى رَحْلِهِ وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ دِرْعَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّاب الَّذِي اسْتَلَبَهُ
يَوْمَ الْيَمَامَة وَأَلْقَى بَيْضَتَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَأَرْدَفَهَا بِقَلَنْسُوَتِهِ وَتَقَلَّدَ
حُسَامَهُ وَرَكِبَ فِي سَرْجِهِ كَأَنَّهُ الْأَسَد وَقَدْ بَدَا مِنْهُ الْغَضَب
وَنَادَى يَا جَيْشَ الزَّحْف هَلُمُّوا إِلَى ضَرْبِ السُّيُوف قَالَ فَأَجَابُوهُ
مُسْرِعِين كَأَنَّهُمُ الْعِقْبَان وَتَبَادَرُوا إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَن وَأَخَذَ
خَالِدٌ الرَّايَةَ بِيَدِهِ وَهَزَّهَا عَلَى رِكَابِهِ وَدَارَ بِهِ عَسْكَرُ الزَّحْف
وَوَدَّعَ الْمُسْلِمِين بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ
أُنَيْس الْجُهَنِيّ وَسَارُوا مُجِدِّين فِي السَّيْر وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْس يَدُلُّ

بهم فلما كان وقت غروب الشمس اشرفنا على القوم والروم
كالجراد المنتشر وقد غرق المسلمون فى كثرتهم فقال خالد رضى
الله عنه يا ابن انيس من اي موضع اطلب ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت انه قد واعد اصحابى عند دير الراهب قال
فنظر خالد رضى الله عنه نحو الدير فوجد الراية بيد عبد الله بن
جعفر وما من المسلمين الا واصيب وقد ايسوا من انفسهم ومن
الحياة الفانية وطمعوا فى الحياة السرمدية والروم تحاوشهم
والطعن والضرب بينهم وعبد الله بن جعفر تجول فى اعدا الله ويقول
معاشر المسلمين دونكم والمشركين واصبروا لقتال المارقين ثم
قرأ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
فلما نظر خالد رضى الله عنه الى صبرهم وتجلدهم على قتال
اعدايهم لم يطق الصبر دون ان هز رايته وقال دونكم والقوم
القباح اروا من دمايهم الصفاح وابشروا بالفوز والنجاح
يا اهل حى على الفلاح ثم تقدم خالد كالاسد الزاير او الليث
الهادر والراية بيده تشرق كاشراق الفجر ونادى برفيع
صوته ابشروا معاشر المسلمين بالنصر الشديد انا خالد بن الوليد
فلما سمع المسلمون صوته ونظروا شخصه والى الراية الاسلامية

وكانهم كانوا فى وعد فاجابوه بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير
النذير ثم حمل خالد ومن معه فى جيش الزحف ووضعوا السيف فى الروم
فما شبهت حملته فيهم الا كحملة الاسد فى الغنم ففرقهم يمينا وشما لا
فما ثبت للمسلمين الا كل علج شديد وخالد يطلب ان يصل الى عبد الله
ابن جعفر وقد سمع صوته فنادى ايها الناس دونكم والاعدا فقد
اتاكم النصر من رب السما وحمل عبد الله وحمل المسلمون معه قال
واثلة بن الاسقع لقد كنا ايسنا من انفسنا ونحن فى وقفة الهلاك
حتى اتتنا المعونة من الله تعالى فما اختلف الظلام حتى رايت الى خالد
ابن الوليد والراية بيده وهو يسوق المشركين بين يديه سوق
الغنم والمسلمون يقتلون ويأسرون فلله در ابا ذر وضرار بن
الازور والمسيب بن نجبة الفزاري فلقد اقرنوا المناكب وهزوا
القواضب وقاتلوا الروم من كل جانب قال واتقا ضرار
بعبد الله بن جعفر فنظر اليه والدم على اكمام درعه كاكباد
الابل فقال شكر الله ولك يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد اخذت بثار ابيك فقال عبد الله بن جعفر من الرجل المخاطب
لي وكان الظلام قد اعتكر وضرار بن الازور ملثم لا يظهر منه
الا حماليق الحدق فلم يعرفه عبد الله بن جعفر فقال له انا ضرار

ابن الازور صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مرحبا
بك من مساعد لنا قال عبد الله بن انيس فهم على ذلك واذا بخالد اتى
فى جيش الزحف فشكر الله تعالى ثم قال يا ضرار ان حامية الروم
من البطارقة عند الدير لاجل ابنة الملك صاحب طرابلس وما معها من
الاموال وقد احاط بها الفرسان فهل لك يا ابن الازور ان تحمل معي
قلت واين هم قال اما تنظر اليهم فمددت نظرى واذا ببطريق
الدير يمنع عن الجارية من احاط بالدير والنيران مشتعلة والصلبان
تلمع فى ضوء النار وهم كانهم سد من حديد فقال ضرار ارشدك
الله للخيرات فنعم المرشد انت احمل حتى احمل لحملتك قال فحمل عبد الله
ابن جعفر وحمل ضرار الى جانبه وتبعهم الرجال وزعقوا بالروم
فبرز بطريق الروم امامهم كانه طود من الاطواد وهو
يهدر هدير الاسد فقصده ضرار بن الازور ولما نظر الى عظم
خلقته وتمكنه فى سرجه وحسن احترازه فاخذ حذره منه هذا
والبطريق يطلبه اشد الطلب هو واصحابه فلما نظر ضرار الى ذلك
قصد موضعا يصلح لقتال القوم فكبا به الجواد وسقط الى الارض
هاويا وقد دخل الليل فرام اخذ الفرس فلم يجد الى ذلك من سبيل
فثبت مكانه واخذ سيفه وحجفته وجعل يجاهدهم فتقدم

اليه البطريق واراد ان يضربه بعموده فلما حقق الضربة عليه زاغ
عنها ضرار وحمل على البطريق وضربه فوقعت الضربة فى عنق الجواد
فوقع الى الارض ووقع البطريق ولم يقدر على القيام فعاجله
ضرار قبل وصول غلمانه اليه وضربه على حبل عاتقه فانثنى السيف
ولم يعمل شيئا فنهض العلج وقد ايقن بالهلاك فقبض عليه ضرار
ورماه تحته واحتوى على نحره وكان لضرار سكين من عمل اليمن
فاستلها من غمدها وضرب بها صدر عدو الله فقتله وعجل الله تعالى
بروحه الى النار وركب ضرار جواد عدو الله وكان الجواد محلى
بشي كثير من الذهب والفضة والفصوص مما يساوي شي كثير
فحمل وكبر على القوم ففرقهم يمينا وشمالا ورجع الى نحو الدير
فوجد عبد الله بن جعفر قد ملك الدير وما فيه واحدق به
المسلمون ولم ياخذوا منه شيئا حتى رجع خالد ومن معه من المسلمين
من اتباع الروم لانهم تبعوهم الى نفر عظيم فخاضوه قال
واخذوا ما وجدوا فى السوق من الغنايم والمتاع قال ابن الاسقع
وصرنا ناكل من الاغنام والخيرات واخرجوا ما كان فى الدير
من الانية والفضة والستور والمراتب واخرجت ابنة البطريق
ومعها اربعون جارية وما معها من الحلي والمتاع على البغال

والحمير واشتغل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنيمة
قال الواقدي رحمه الله فنسبت تلك السرية لثلاث
لعبد الله بن جعفر وابن أنيس ولخالد بن الوليد ولقي خالد فيها مشقة
وجراح مولمة وأقبل على الراهب ساكن الدير وصاح به فلم يكلمه
فصاح به الثانية فلم يكلمه ثم إنه ظهر من الصومعة وقال له ما
تريد فوالله ليطالبنك صاحب الخضرا بما قتلت فقال له خالد وكيف
يطالبنا وقد أمرنا بقتالكم وجهادكم ووالله لولا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهانا أن نعترض لمثلك لأنزلتك من صومعتك
وقتلتك شر قتلة فسكت الراهب ولم يتكلم ثم إن خالدا سار
بالغنيمة هو وعبد الله بن جعفر هذا وأبو عبيدة ملتفت إلى
أخبارهم فلما أشرفوا بالغنيمة تلقاهم وفرح بهم فرحا شديدا
وفرح المسلمون وسلم أبو عبيدة على عبد الله بن جعفر وعلى خالد
وشكرهم ورجع إلى مكانه وأخذ خمس الغنيمة وقسم الباقي
على المسلمين ودفع لضرار فرس البطريق وسرجه وكلما كان عليه
من الحلي والذهب والفضة والجوهر فأتى به ضرار إلى أخته
قال فرأيتها تنزع فصوص الجوهر تفرقها على المسلمين قال
وعرض السبي على أبي عبيدة وفيهم ابنة البطريق فسأله عبد الله

ابن جعفر أن يعطيها له فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كتابا يذكر فيه الفتح وأن عبد الله بن جعفر طلب ابنة البطريق
فكتب إليه أن يدفعها له فدفعها وأخذها عبد الله بن جعفر وأقامت
عنده زمانا وكانت تحسن طبيخ الروم والفرس فتمت عنده
إلى أيام يزيد بن معاوية فأخبرها فاستهداها منه فأهداها له
قال عامر بن ربيعة أصابني من غنيمة سوق الدير ثياب ديباج
وحرير فيها صور الروم وكان في ثوب منها صورة مريم عليها
السلام فحملت الثياب إلى اليمن فبعتها بثمن كثير واشتريت بها
موضعا في الطايف قال الواقدي رحمه الله تعالى
ولما رجع المسلمون غانمون كتب أبو عبيدة كتابا إلى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يخبره بما فتح الله على يديه وما غنم المسلمون من
دير أبي القدس ويمدح خالدا ويشكره ويثني عليه ويخبره
بما قال فيه وما تكلم به وسأله في كتابه أن يكتب إلى
خالد يشكره ويستعطفه عليه قال الواقدي
رحمه الله ومن جملة الكتاب أن يستشير خالدا في السير إلى هرقل
أو إلى بيت المقدس وكتب فيه أن المسلمين يشربون الخمر
قال عاصم بن دويب العامري كنت فيمن شهد قتال الشام

وفتح دمشق وغوطتها قال فاخذت الكتاب وسرت الى ان قدمت
المدينة فوجدت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحوله علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وعبد
الرحمن بن عوف وهم يتحدثون فدفعت الكتاب لعمر بن الخطاب
فلما قرأه جعل يفكر في ذلك ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جلد في شربها ثم حدث علي بذلك فقال علي رضي الله عنه
ان السكران اذا سكر هذي واذا هذى افترى فعليه ثمانون
جلدة فكتب عمر الى ابي عبيدة بذلك اما بعد فقد ورد كتابك علي
وقرأته وفهمت ما فيه فمن شرب الخمر من المسلمين فاجلده ثمانين
جلدة وما يصلح لهم الا الشدة والفقر ولقد كان حقهم ان
يحسنوا نياتهم ويراقبوا ربهم ويعبدونه ويؤمنوا به
ويشكرونه فمن عاد فاقم عليه الحد **قال الواقدي**
رحمه الله فلما ورد كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي
عبيدة نادى في المسلمين من كان يشرب الخمر فليتب والا يأكل
الحد ثم ان ابا عبيدة سار يطلب حمص وكان خالد سبقه اليها
بثلث الجيش فنزل عليها في شوال يوم الجمعة سنة اربعة عشر
من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليها بطريق

ولاه هرقل اسمه لقيطا بن كركس وكان قد مات يوم نزول خالد
عليها فلما رأوا اهل حمص نزول المسلمين عليهم اجتمعوا في الكنيسة
المعظمة وقال لهم بطريقهم اعلموا ان صاحب الملك قد مات
وليس عند الملك خبر من هؤلاء العرب الذي نزلوا علينا وما علمنا
ذلك وانهم لا يأتونا حتى يفتحوا بعلبك وغيرها وان انتم برزتم
اليهم وقاتلتموهم وكاتبتم الملك ان يبعث اليكم واليا
او جيشا فان العرب لا يمكنوهم ان يصلوا اليكم وليس عندكم
طعام يقوم بالحصار فقالوا له ايها السيد فما الذي ترى من الرأي
قال نصالح القوم على ما يريدوه منا ونقول لهم نحن لكم وبين
ايديكم فاذا توجه القوم عنا بعثنا الى الملك يمدنا بجيش عظيم
وامير من اهل بيته او ممن يحبه ونحصل الزاد والعدد وبعد ذلك
نقاتلهم قال فاستصوب القوم رأيه وقالوا له دبرنا بحسن
تدبيرك ورأيك فبعث البطريق الى ابي عبيدة جاثليقا كان
عنده معظما ليعقد الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج الى ان
وصل الى ابي عبيدة وتكلم معه في الصلح وما تحدث به البطريق
فاجابهم ابو عبيدة الى ذلك وصالح اهل حمص على عشرة
الاف دينار ومائتي ثوب من الديباج وعقد الصلح مع القوم سنة

وخرج المتسببون من أهل حمص ونصبوا السوق وباعوا واشتروا ورأوا
سماحة العرب في البيع والشراء فربحوا عليهم ربحا عظيما ثم إن أبا عبيدة
طلب خالدا وضم إليه ألف فارس من لخم وجذام وكندة وكهلان وطي
ونبهان وقال يا أبا سليمان سر بهذه الكتيبة إلى المعرات واقرب من حلب
وشن الغارة على العواصم وارجع على أثرك ونفذ عيونك وانظر إن
كان للقوم ناصر من قومهم أم لا فأجابه خالد إلى ذلك وأخذ رايته
وتقدم أمام الكتيبة وهو **يقول** أخذتها والملك العظيم •
وإنني يحملها زعيم • لأنني نجل بني مخزوم • وصاحب لأحمد الكريم
أسير سير الأسد الغشوم • يا رب وفقني لقتل الروم • **قال**
الواقدي وسار رحمه الله إلى أن وصل إلى شيزر وأقام بها يوما
على النهر المقلوب ثم إن خالدا ادعى بمصعب بن محارب اليشكري
وضم إليه خمس مائة فارس وأمره بشن الغارة على العواصم وسار
خالد إلى كفر طاب وعرج عنها إلى المعراة إلى دير سمعان وجعلت
خيله تغير يمينا وشمالا على القرى وتأخذ الغنائم والأسرى قال
فلما ثقلت الغنائم في أيديهم رجع خالد إلى أبي عبيدة فلما رأى إلى
ما معه من الغنائم والأموال فرح فرحا شديدا فبينما أبو عبيدة
كذلك إذ سمع ضجة كبيرة قد ارتفعت بالتهليل والتكبير والصلاة

على

على البشير النذير وإذا برجال من المسلمين ومعهم سواد عظيم فقال
أبو عبيدة من هؤلاء يا أبا سليمان فقال خالد أيها الأمير هذا مصعب
ابن محارب اليشكري عقدت له راية على خمس مائة فارس من أهل
اليمن فأغار بهم على العواصم وقد أتى بالسبي والغنائم والأموال
فتلقاهم أبو عبيدة فنظر إلى قطيع عظيم من الغنم والإبل والبراذين
وعليها رجال وصبيان وأطفال وخلفهم دوي عظيم وبكا شديد
فقصد أبو عبيدة الضجيج وإذا بهم أهل الضياع من الأعلاج مقرنين
في الجبال وهم يبكون على عيالهم وخراب ضياعهم ونهب أموالهم
فقال أبو عبيدة لترجمانهم وكان لا يفارقهم قل لهم ما لكم تبكون
ولم لا تدخلون في دين الإسلام وتطلبون الذمام وكنتم قد
أمنتم على أنفسكم وأموالكم وعيالكم فقال لهم الترجمان ذلك
فقالوا نحن قوم كنا بالبعد وما كانت الأخبار تتصل بنا وما ظننا
أنكم تبلغون إلينا فما شعرنا حتى أشرف علينا هؤلاء القوم فانتهبوا
أموالنا وساقوها في الجبال **قال الواقدي** رحمه الله
وكانت الأعلاج تزيد على أربعمائة علج فقال لهم أبو عبيدة فإن
نحن مننا عليكم وأطلقنا كم من أسركم ورددنا عليكم أموالكم
وأهاليكم هل تكونون في طاعتنا وتؤدون الجزية إلينا والخراج

فقالوا ومن لنا بذلك ونحن نفعل جميع ما تشترطون علينا فعند ذلك
اقبل ابو عبيدة على روسا المسلمين وقال ايها الناس اني رايت من الراي
ان اعطي القوم الامان من القتل وارد اليهم عيالهم فيكونوا لنا
عبيدا ويعمروا الارض لنا وناخذ خراجهم وجزيتهم فما انتم قايلون
وما كنت بالذي افعل امرا دونكم فقال المسلمون الامر امرك
والراي رايك ايها الامير ان رايت في ذلك صلاحا للمسلمين فافعل
فعند ذلك فرض على كل راس منهم اربعة دنانير وبذلك كتب اليه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعند ذلك رد عليهم ابو عبيدة اموالهم
واولادهم واقرهم على ضياعهم وكتب اسماهم وامرهم بالرجوع
فرجعوا الى اوطانهم فلما استقروا واخبروا من كان بالقرب منهم
بحسن سيرة العرب وما عاملوهم به من الجميل وقالوا لقد ظننا
انهم يقتلوننا ويستعبدون اولادنا فرحمونا واقرونا على اداء
الجزية والخراج فلما سمعت الروم ذلك اقبلوا الى ابي عبيدة في طلب
الامان ويودون الجزية والخراج فاجابهم الى ذلك وكتب اسماهم
واسما حصونهم وقراهم وبلغ الخبر الى اهل قنسرين والحاضر بان
ابا عبيدة يعطي الامان فاحبوا ان ياخذوا لهم امانا من ابي عبيدة
واجتمع رايهم على ذلك وان ينفذوا رسولا من غير علم بطريقهم

قال الراوي وكان في قنسرين والحاضر بطريق من
بطارقة الملك من اهل الشدة والباس وكانوا يخافون منه واسمه
لوقا وكان يعاند صاحب حلب في ملكه وسلطانه **قال الواقدي**
رحمه الله ولقد بلغني ان هرقل طلب اثنان من البطارقة من اهل الباس
وقال لهم ما ترون في امر هولاء العرب فقالوا نقاتلهم ولا ندع لهم
بلادا فوعدهم الملك ان يبعث معهم جيشا مع كل واحد منهم عشرة
الاف فارس **قال الواقدي** رحمه الله فلما سمع لوقا متولي
قنسرين ما عزم عليه ابو عبيدة من امر الصلح مع ابي عبيدة غضب
غضبا شديدا وعزم ان يمكر بهم فجمعهم اليه وقال يا بني الاصفر
وعباد المسيح ما ترون ان اصنع مع هولاء العرب فكانكم بهم وقد
اقبلوا الينا ويفتحوا رستاقنا كما فتحوا ساير البلاد فقالوا ايها
الامير قد بلغنا انهم اهل وفا وذمة وقد فتحوا اكثر بلاد الشام
ومن قاتلهم قتل واستعبد واولاده واهله ومن دخل في دينهم
وطاعتهم اقروه على بلده وكان امنا من سطواتهم والراي
عندنا ان نصالح القوم ونامن على انفسنا فقال لهم البطريق
لقد قلتم فاحسنتم والصواب ما قلتم لان هولاء العرب قوم
منصورون على من قاتلهم ونحن نعقد معهم الصلح الى سنة فاذا

وافتنا جيوش الملك هرقل عطفنا عليهم وهم آمنون فنهلكهم عن
آخرهم فقالوا له افعل ما تريد واتفق رأي أهل قنسرين ورأي أهل البلد
والبطريق على الصلح وفي قلوبهم الغدر والمكر ثم إن لوقا ادعا
برجل من أصحابه يقال له اصطخر وكان قسا عالما بدين النصرانية
يعرف لسان العرب ويعرف دين اليهودية فقال له لوقا سر
إلى أمير العرب وتقول له يصالحنا سنة كاملة حتى نأخذ العرب
بالحيلة والخداع ثم إنه كتب كتابا إلى أبي عبيدة يقول فيه أما بعد
فإن بلدنا بلد مانع كثير العدة والعدة والزاد والماء وما نؤتى
من قلة وإنك لو أقمت علينا أربعين سنة ما قدرت علينا وإن
الملك قد استنجد عليكم بالعساكر من حد الخليج إلى رومية الكبرى
وما بعثت أصالحك إلا حتى نرى البلاد لمن تحصل وإنا نريد أن
نجعل بيننا وبينكم علامة من حد بلدنا إلى العواصم حتى إذا همت
العرب بالغارة ورأت العلامة رجعت عنا ويكون هذا الصلح
سرا بيننا وبينكم لئلا يعلم الملك بذلك فيقتلنا والسلام
ثم خلع على اصطخر وأرسله لينظر إلى ما يصنعون قال فلما وصل
القس كان المسلمون في صلاتهم فلما فرغوا من الصلاة ونظروا
إلى القس علموا أنه رسول فدنا منه عبد الله بن أبي ربيعة وقال

له من أنت قال أنا رسول ومعي كتاب فأوقفه بين يدي أبي عبيدة
ووقف خالد عن يمين أبي عبيدة وعبد الرحمن بن أبي بكر عن
يساره والصحابة بين يديه رضي الله عنهم أجمعين فهم القس
بالسجود فمنعه أبو عبيدة من ذلك وقال نحن عبيد الله تعالى منا
شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق وأما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها فحار القس ولم يرد جوابا
ولا أبدى خطابا وتعجب مما تكلم به أبو عبيدة فناداه خالد
ما شأنك يا هذا الرجل ورسول من أنت فقال اصطخر أنت أمير
القوم قال لا بل هذا أميرنا فقال أنا رسول من صاحب قنسرين
والحاضر ثم أخرج الكتاب ودفعه إلى أبي عبيدة فأخذه وقرأه
على المسلمين فلما سمع خالد ما فيه من وصفهم لدينهم وكثرة
عددهم وما هددوا به من جيوش الملك هرقل حرك رأسه
وقال أيها الأمير وحق الذي أيدنا بالنصر وجعلنا من أمة محمد
عليه أفضل الصلاة والسلام هذا الكتاب من رجل ما يريد
صلحنا وإنما يريد كيدنا فلا تجبه إلى ما طلب وسر حتى تنزل
عليه فوحق بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بيعة
أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإمامة عمر لأجعلنه وأهله

غنيمة للمسلمين ولا فزعن بهم غيرهم من أهل الحصون والقلاع ممن
حولهم فقال له أبو عبيدة مهلا يا أبا سليمان فإن الله تعالى لم يطلع
على غيبه أحدا ولا يعلم ما في أسرار العباد غيره وقد دعونا إلى
الصلح فقال خالد أيها الأمير لا نصالحهم إلا الصلح الأبد فإن رضوا
وإلا أتركهم على حالهم فأنا لهم كفوا بنصر الله سبحانه وتعالى
قال الواقدي رحمه الله هذا وأصطخر يسمع منهما كلامهما
ويتعجب من حدة خالد وفصاحته وقد ظهر للغشر فيه الشهامة والشدة
والشجاعة فأقبل على خالد وقال له أيها السيد ما اسمك وبمن تعرف
من العرب فقد بلغنا أن معكم رجالا أفضل من بعض في الشدة
والشجاعة وقد اشتهرت بذلك فقال أنا خالد بن الوليد المخزومي
فقال أصطخر وحق المسيح لقد حزرت أنك هو عندما نظرت إليك
وسمعت كلامك وقد بلغنا عنك أنك شهم جليد وبطل عنيد
وليس بلغنا عنكم هكذا وإنما بلغنا حسن سيرتكم وصدق مقالتكم
وكرم عشيرتكم إلى من قصد إليكم فإنكم أمة نبي الرحمة وأنتم
من الأمم المرحومة وإذا الأمر بخلاف ذلك لأننا جئنا نريد
صلحكم وأمنكم فامتنعتم فقال له خالد إنا قوم لا نؤتى من الخداع
ونعرف كلام المكر والخديعة وقد دلنا على ذلك ما في كتابكم

أنكم تريدون الصلح سنة فإن جاءت جنود صاحبكم ورأيتم قومكم
راجحين علينا نقضتم عهدنا وكنتم أول من يقاتلنا وإن رأيتم
الغلبة جئتم إلى طاعتنا فإن أردتم أن نعقد معكم الأمان على أنا
نكف عنكم الحرب سنة كاملة من غير أن يكون صلحا فإن لحق
بكم جيش من قبل الملك هرقل فلا بد من قتالكم ومن أقام في المدينة
ولم يقاتل فهو في صلحنا لا نتعرض له ولا نقاتله فما تقول فيما سمعته
فقال أصطخر قد أجبتك إلى ذلك فاكتب لنا كتابا به فقال خالد أيها
الأمير اكتب لهم كتاب موادعة سنة أولها هلال ذي القعدة سنة
أربعة عشر من الهجرة وآخرها شوال سنة خمسة عشر من الهجرة
ففعل أبو عبيدة ذلك وكتب لهم الكتاب فقال له أصطخر أيها
الأمير إن لبلدنا حد معروف وبإزائنا صاحب حلب ونريد
أن تجعل لنا فيما بيننا وبين المسلمين والروم علامة ويكون
أصحابك لا يجاوزون ذلك فرضي أبو عبيدة بذلك وقال له
لقد قلت فأحسنت وأنا أبعث من يحد ذلك فقال أصطخر لا
ترسل أحدا من أصحابك بل نحن نصنع عمودا وننصبه ونصور
عليه صورة الملك هرقل فإذا رآه أصحابك لا يجاوزونه
فقال له أبو عبيدة افعل ذلك ثم دفع إليه الكتاب ونادى أبو

عبيدة في عسكره معاشر المسلمين من نظر منكم العمود فلا يتعداه
بل يشن الغارة على اهل حلب ثم رجع القس الى قنسرين ودفع الكتاب
الى لوقا واخبره بما جرى له مع خالد بن الخطاب ففرح بذلك ثم
انه صنع عمودا وصور عليه صورة الملك هرقل كانه جالس
عليه **قال الراوي** وكانت خيل المسلمين تشن في
غاراتها الى اقصا بلد حلب وانطاكية ويرجعون عن قنسرين والحاضر
ولا يقربون العمود حدثنا عمير بن عبد الله بن رياح العنبري
قال اخبرنا سالم بن قيس عن ابيه قيس بن فاتك عن من حدثه
عن سعد بن عبادة قال كان صلح المسلمين لاهل قنسرين على
اربعة آلاف دينار ملكية ومائة اوقية من الفضة والف ثوب
من متاع حلب والف وسق من الطعام **قال الواقدي**
رحمه الله حدثنا عبد الله بن ثابت بن عدلان عن سليمان بن عامر
قال كنا في بعض الغارات فنظرنا الى العمود وعليه صورة الملك
هرقل فتعجبنا من ذلك وجعلنا نحوم حوله نجول لنا ونعلمها الكر
والفر فحمل ابو جندلة وسهل بن عمرو وعبرا تحته يريدان ان
يلعبا الميدان وكان في يد ابي جندلة قناة تامة فقرب
الجواد من الصورة وهو يلعب برمحه فجا الرمح في عين الصورة

١٤٠

ففقاها وكان هناك قوم من الروم غلمان لصاحب قنسرين لاجل
حفظ العامود فرجع غلام منهم الى البطريق واعلمه بذلك فرفع
صليبا من الذهب ودفعه الى بعض اصحابه وسلم اليه مائة فارس
من اعلاج الروم لابسين الديباج وعلى اوساطهم المناطق
وامر اصطخر ان يسير معهم وقال له ارجع الى امير العرب وقل له
غدرتم بنا ولم توفوا بذمتكم ومن غدر خذل فاخذ اصطخر ذلك
الصليب من صاحب البطريق وسار مع القوم حتى اشرف على
ابي عبيدة فلما نظر المسلمون الى الصليب وهو مرفوع اسرعوا
اليه ونكسوه ووثب ابو عبيدة واستقبل القوم وقال لهم من
انتم فقال اصطخر انا رسول اليك من صاحب قنسرين وقد
ارسلني اليكم لاعلمكم انكم قد غدرتم ونكثتم فقال
ابو عبيدة وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بذلك
ثم نادى معاشر العرب من فقا عين التمثال فليخبرنا فقال واحد
ايها الامير ابو جندلة وسهل بن عمرو وصنع ذلك من غير تعمد فقال
ابو عبيدة للقس ان صاحبنا فعل ذلك من غير تعمد فما الذي
يرضيك منا فقالت الاعلاج ما نرضى حتى نفقا عين ملككم
يريدون ان ينظروا الى وفا المسلمين فقال ابو عبيدة ها انا

افعلوا كما فعل بصورتكم فقالوا لا نرضى بذلك الا بملككم الاكبر المتولي
على العرب كلها قال فغضب المسلمون لما ذكروا عين عمر رضى الله عنه
وهموا بقتلهم فنهاهم ابو عبيدة عن ذلك فقالوا نحن نفدي عين
اميرنا بانفسنا ونفقأ عيوننا دونه فلما نظر اصطخر الى المسلمين وقد
هموا بقتل من جامعه قال لا عينه ولا عيونكم صوروا صورة
ملككم على عمود حتى نصنع به مثل الذي صنعتم بصورة ملكنا
فقال المسلمون انما فعل صاحبنا ذلك من غير تعمد وانتم تريدون
الغدر فقال ابو عبيدة مهلا يا قوم حيث رضي القوم بصورتي فانا
اجيبهم الى ذلك بدلا عن الامام عمر ولا يتحدث القوم عنا انا
عاهدنا وغدرنا فان هؤلاء القوم لا عقل لهم قال فصوروا القوم
مثل صورة ابي عبيدة وجعلوا له عينين من زجاج واقبل رجل منهم
حنقا وفقأ عين الصورة برمحه ثم رجع اصطخر الى صاحب قنسرين
واخبره بذلك واقام ابو عبيدة على حمص ينتظر خروج السنة حتى
ينظر ما يفعل قال الواقدي رحمه الله وابطأ خبر
ابي عبيدة على عمر بن الخطاب اذ لم يرسل اليه كتابا ولا فتحا
فانكر ذلك من امره وظن به الظنون وخشي ان يكون داخله جبن
وركن الى القعود عن الجهاد فكتب اليه كتابا اوله بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا
هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامرك بتقوى الله تعالى
واحذرك معصيته وانهاك عن ان تكون ممن قال الله عز وجل فيهم في
محكم كتابه العزيز قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الاية
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ثم نفذ الكتاب اليه فلما
قراه على المسلمين علموا انه يحرضهم على القتال والجهاد وندم
ابو عبيدة على ما صالح به اهل قنسرين ولم يبق احد من المسلمين
الا وبكى من كتاب عمر رضى الله عنه وقالوا لابي عبيدة ما
الذي يقعدك عن الجهاد فدع اهل قنسرين وانفذنا الى حلب والى
انطاكية حتى نملكهما ان شاء الله تعالى وقد انقضى الاجل وما بقي
الا القليل فعزم ابو عبيدة على المسير الى حلب وعقد راية لمصعب
ابن محارب اليشكري وسلمها اليه وعقد راية اخرى لسهل بن
عوف بن عياض بن غنم وامره ان يسير على مقدمتهم واتبعهم بخالد
ابن الوليد وسار ابو عبيدة وخلف على حمص حبيب بن مسلمة
وسار الى ان وصل الى حماة فخرج اليه اهلها ومعهم الانجيل
وقد رفعه الرهبان على اكفهم والقسوس امام القوم يطلبون
منه الصلح والذمام فلما راهم وقف لهم وقال لهم ما تريدون

قالوا نريد أن نكون في عهدكم وصلحكم وأنتم أحب إلينا من قومنا
فصالحهم أبو عبيدة وكتب لهم كتاب الصلح والذمام وسألوه أن
يدع عندهم رجالا ففعل ما أرادوا وسار حتى نزل على الرستن
وصالح أهلها ثم سار حتى نزل بشيزر فاستقبله أهلها وصالحوه
أيضا وقال لهم هل سمعتم للطاغية هرقل خبرا فقالوا والله ما سمعنا خبرا
غير أنه اتصل بنا أن بطريق قنسرين كتب إليه يستنجده ويدعوه
إلى نصرته وقد بعث إليه جبلة ابن الأيهم الغساني في بني غسان
وفي العرب المتنصرة ومعه بطريق عمورية في عشرة آلاف فارس
وقد نزلوا بعسكرهم على جسر الحديد فكن منهم على حذر فقال
أبو عبيدة حسبنا الله ونعم الوكيل وأقام أبو عبيدة بشيزر
فمرة يقول أسير إلى حلب ومرة يقول أسير إلى انطاكية ثم إنه جمع
المسلمين إليه وقال أيها الناس إنه قد بلغني أن بطريق قنسرين
قد كاتب هرقل يستنجد به وما ذاك إلا أنه أضمر في نفسه المكر
والغدر فقال له خالد أيها الأمير ألم أقل لك أن كلامهم يدل
على مكر وخداع فقال أبو عبيدة يا أبا سليمان وما تنفع حيلته
ومكره والله من ورائه بالمرصاد **قال الواقدي**
رحمه الله وأقام أبو عبيدة يراود نفسه أن يبدأ بأهل قنسرين

إذا فرغ ما بينهم من الصلح والعهد وكان قد بقي من المدة شهر
أو أقل من ذلك فأقام ينتظر انقضاها وكانت عبيد العرب يقطعون
من شجر الزيتون والرمان والكروم وغير ذلك من الأشجار التي
تطعم الثمار فعظم ذلك على أبي عبيدة وادعا بالعبيد وقال لهم
لحاكم الله ما هذا الفساد فقالوا أيها الأمير إن الأحطاب متباعدة
وهذه الأشجار منا قريبة فقال أبو عبيدة عزيمة مني من قطع شجرة
حرا كان أو عبدا لها طعم أو ثمرة لأجازينه أو لأنكلن به قال
فلما سمع العبيد ذلك خافوا النكال وأقبلوا يأتون بالحطب من كل
مكان بعيد ومن أقاصي الأمكنة قال سعيد بن عامر الأنصاري
وكان معي عبد نجيب اسمه مهجع قد شهد معي الوقايع والحروب
وكان جري القلب في القتال وكان إذا خرج في غارة أو في طلب
حطب يتوغل ويبعد عن رفقته وكان يقاتل بالمقلاع أجود من قتاله
بالسيف فخرج هو وجماعة من شيزر وأبو عبيدة نازل بها في طلب
الحطب وأبطأ خبره علي فخرجت في طلبه وجعلت أقفو أثره فلاح
لي شخص فقصدته وإذا هو العبد إلا أن وجهه مهشما والدم يسيل
منه على خده ولا يكاد يمشي خطوة واحدة إلا ويريد أن يسقط
على وجهه قال سعيد بن عامر فقلت له ما ورائك يا مهجع فقال

هلاك ودمار فقلت عليك يا ابن السوداء حدثنا بخبرك ثكلتك امك
ثم نزلت اليه ونضحت على وجهه شيء من الما فسكن ما كان يجده فقال
يا مولاي انج بنفسك والا وكأنك وقد ادركك القوم وصنعوا
بك مثل ما صنعوا بي فقلت ومن القوم فقال يا مولاي خرجت ومعي
جماعة من الموالي نحتطب حطبا وتباعدنا لامتثال الامير واذا نحن
بكبكبة من الخيل زها عن الف فارس كلهم بالرماح وهم من العرب
المتنصرة فلما رأونا داروا بنا وعزموا على قتلنا فقلت لاصحابي دونكم
واياهم فقالوا لي ويحك وكيف نقاتلهم وما لنا بهم طاقة وما
لنا الا انا نلقي انفسنا الى الاسر فهو اسلم لنا من القتل فقلت لهم
والله لا سلمت نفسي اليهم دون القتل ابدا فلما عاينوا مني الجد فعلوا
كفعلي وقاتلنا القوم وقاتلونا فاسرنا منهم عشرة واما انا فاثخنت
بالجراح فسقطت على وجهي فولوا عني وانا كما ترى قال سعيد بن
عامر فغمني ما نزل بالعبد واردفته ورائي وانقلبت اريد الرجوع
واذا بالخيل تركض كانها الريح الهبوب فتبينتها واذا هي خيل غسان
ومن حزب الصليب فاحدقت بي الخيل من كل جانب وهم يصيحون
نحن من اهل غسان والصليب والرهبان قال سعيد فناديتهم انا من
حزب النبي المختار فاشار بعضهم الى بعض ان يعلوني بالسيف فناديته

اتقتل رجلا من قومك فقال من اي الناس انت قلت من الخزرج الكرام
فرد السيف عني وقال انت طلبة جبلة وحق المسيح فقلت له ومن اين يعرفني
حتى يذكرني فقال انه يطلب رجلا من اليمن من اصحاب محمد فسر
طايعا والا سرت كارها قال سعيد بن عامر فسرت معهم والعبد
معي الى ان اشرفنا على عسكر صاحبهم واذا هو جيش كبير فلم ازل
مع القوم حتى وصلوا بي الى جبلة بن الايهم واذا هو جالس على
كرسي من الذهب وعليه ثياب الديباج وعلى رأسه شبكة من اللولو
والجوهر وفي عنقه صليب من الياقوت الاحمر فلما وقفت بين
يديه رفع رأسه الي وقال لي من اي العرب انت فقلت من اليمن
قال اكرمت فمن ايها قلت من ولد حارثة بن ثعلبة بن امرئ
القيس بن عبد الله الازور بن عوف بن مالك بن زيد بن كهلان
ابن سبا فقال لي لمن تنتسب فقلت انا من ولد الخزرج من حارثة
من انصار محمد صلى الله عليه وسلم فقال وانا من قومك انا من غسان
من القبيلة التي نسبت اليها فقلت اجل فمن انت قال انا جبلة بن الايهم
الذي رجعت عن الاسلام اما يرضى صاحبكم ان يكون مثلي حتى يعاديني
وانا من سادات غسان فقلت يا جبلة ان حق الله اوجب من حقك
وان دينا لا يقوم الا بالنصفة وعمر لا تأخذه في الله لومة لائم

فقال ما اسمك فقلت سعيد بن عامر فقال لي يا سعيد اجلس فجلست فقال
كم لك عهد بحسان بن ثابت الأنصاري فقلت له أبي شاعر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن قال فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم أنت
حسان ولسانك حسام فقال كم لك منذ فارقته فقلت عهدي به قريب
وقد دعاني إلى دعوة صنعها وأنشدنا شعرا

لله در عصابة نادمتها يوما بجلق في الزمان الأول
يغشون حتى لا تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه أعفة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
اللاحقين فقيرهم بغنيهم عونا على رغم اللئيم الأرذل

قلت ثم خرجنا من الشام وكان آخر العهد به فقال لي حفظت هذه
المكرمة قلت نعم فأمر لي بثوب من الكتان وفيه شيء من الورق
وقال أمرت لك بالكتان لتلبسه ثم قال لي ما كنت تصنع في الموضع
الذي أشرفوا عليك منه فقلت له إن الصدق أنجا ما استعمله
العبد وأنا من عسكر الأمير أبي عبيدة ابن الجراح وقد قصد التوجه
إلى حلب وانطاكية فقال إن الملك هرقل قد بعثني وهذا البطريق
لنصرة صاحب قنسرين فإنه قد أكادكم بصلحه لكم وأنا منتظره
إلى أن يلقانا ولكن ارجع إلى صاحبك أبي عبيدة وحذره منا ومن

أتيا فنا

أتيا فنا وليرجع من حيث قدم ولا يتعرض لأجناد الملك ولا لبلاده فأنا
قد نجوده بنصرة الملك وسوف ننزع من أيديكم ما أخذتموه من الشام
قال سعيد بن عامر فركبت وأردفت غلامي ورائي وسرت حتى أتيت
عسكر أبي عبيدة قال فأسرع الناس إلي وقالوا لي أين كنت يا عامر
فلقد جزعنا عليك لفقدك قال ثم أتيت إلى أبي عبيدة وحدثته بما
جرى لي مع جبلة بن الأيهم فقال لقد خلصك الله تعالى لذكرك
حسان ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشورة
ثم قال أبو عبيدة أيها الناس ما ترون في هذا الأمر وفي قصة
هذا البطريق فقال خالد أيها الأمير إن الباغي له مصرع والله
له بالمرصاد وسوف نكيده بمكيدة أعظم من مكيدته وأسير
إلى لقائه ببقية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أبو عبيدة والله أنت لها يا أبا سليمان ولكل كريهة فخذ معك من
أحببت من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فادعى خالد بابن العاص
الأشعري وعمير بن سعيد وابن سهيل العامري ورافع الطائي
وسعيد بن عامر الأنصاري وعمرو بن معدي كرب وعبد الرحمن
ابن أبي بكر قال فأجابوه بالتلبية فقال بارك الله فيكم فخذوا على
أنفسكم واجمعوا إلي قال فتدرع القوم وأتوا نحو خالد رضي الله

عنده فوجده وقد لبس لامة حربه وركب جواده ثم قال لغلامه همام
سر معي حتى ترى عجبا قال فسار همام وسار مع خالد والعشرة
رضي الله عنهم اجمعين وابو عبيدة يدعو لهم بالنصر قال فلما سار
خالد اقبل على سعيد بن عامر الانصاري وقال له أأخبرك جبلة ان
البطريق صاحب قنسرين يأتي اليه قال نعم يا ابا سليمان فقال
له خالد خذ بنا في الطريق الى العسكر حتى نكمن لهم هناك فاذا
اتى البطريق ادركناه ودمرناه قال وسار سعيد امام القوم وكان
مسيرهم ليلا فلما قربوا من النيران وسمعوا الاصوات عدل
بهم سعيد بن عامر الى صوب طريق البطريق وكمن خالد هنالك
بمن معه الى الصباح فلم يأتهم احد فصلى خالد بمن معه صلاة الفجر
وهم مكمنون فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم جيش جبلة
وصاحب عمورية وهم يقصدون ارض العواصم فقال المسلمون
يا ابا سليمان ما ترى الى هذا الجيش الذي اشرف علينا في عدد
الرمل فقال خالد وما تغني الكثرة اذا كان النصر لنا اختلطوا
بهم وكونوا في جملتهم كانكم من جيشهم الى ان نلتقي البطريق
يفعل الله ما يشاء فعند ذلك اختلطوا بهم وساروا في جملتهم لا
ينكرون وهم سكوت لا ينطقون ولا يفترقون قال رافع

ابن عميرة فلما اشرفنا ولاح لنا بلد العواصم وقنسرين واذا ببطريقها
قد استقبلنا ورفعت امامه الصلبان وبين يديه القسوس يقرؤون
الانجيل وقد ارتفعت من بينهم كلمة الكفر ونادى بعضهم من بعض
وخرج البطريق امام اصحابه ليأتي الى جبلة بن الايهم والى صاحب
عمورية ليسلم عليهما فاستقبله خالد بن الوليد مواجها له وحوله
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قربوا منه قال لهم
البطريق سلمكم الله وابقى لكم الصليب فقال له خالد يا ويلك
ما نحن من عباد الصليب وانما نحن من اصحاب محمد الحبيب وكشف
خالد عن لثامه ونادى برفيع صوته اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وضرب بيده عليه وانتزعه
من سرجه وابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
اصحابه وسلوا السيوف عليهم وارتفعت الضجة واعلن اعداء الله
بكلمة الكفر وضج المسلمون بكلمة التوحيد وسمع جبلة وصاحب
عمورية اصوات المسلمين بالتهليل والتكبير فانزعجوا لذلك
ونظروا الى السيوف وقد جردت والى الرماح وقد شرعت
فابتدروا نحو اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحاطوا
بهم من كل مكان فلما نظر خالد الى ما دهمه واحاط به وباصحابه

الذين معه والبطريق في كفه لا يفارقه وقد ملك قياده وهو خايف ان
يفلت من يده فهم خالد بقتله ورفع السيف عليه فتبسم البطريق من
فعاله وعجب خالد من ضحكه وقال يا ويلك ما اضحكك فقال البطريق
لانك مقتول انت ومن معك وانت تريد قتلي وان انت ابقيت على
ابقيت عليك فتركه خالد ولم يقتله ومسك يده عن قتله ثم صاح
خالد باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا حوالي احمي عنكم
وتحموا عني واصبروا على ما نزل بنا ولا يهولكم من احدق بكم
فان اشد ما تخافون الموت وهو امنيتكم وامنية خالد واني قد
حبست نفسي في سبيل الله والقيتها للقتل لعلي ان ارزق الشهادة
واعلموا رحمكم الله انكم وصلتم الى رب كريم وسكنتم دارا
لا يموت ساكنها ولا يهرم شابها لا يمسهم فيها نصب وما هم
منها بمخرجين قال الواقدي رحمه الله فاجتمع الصحابة
رضي الله عنهم الى خالد وداروا به وصار عبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق عن يمينه ورافع بن عميرة عن يساره وعبده همام
من ورايه والقوم محدقون حوله قال فسلم خالد البطريق الى عبده
همام وقال اوثقه الى جانبك ولا تبرح من مكانك قال
واقبلت نحوهم العرب المتنصرة من غسان يقدمهم جبلة بن

الايهم وفي عنقه طوق من ذهب فيه صليب من الجوهر وعليه
ثياب الديباج ومن فوقها درع مذهب الزرد وصاحب عمورية
الى جانبه كانه برج مشيد ومن حوله المدبجة من الاعلاج
وقد احدق بهم الجيش فلما عاين بعض البطارقة خالدا وقد ملك
صاحب قنسرين وهو في يده اسير خاف ان يقتله فاقبل على جبلة
وقال له ما هؤلا العرب الا شياطين اما تنظر الى هذا العربي
ومن معه وهم عشرة نفر وقد احدق بهم هذا الجيش العظيم
وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم اسير ما يتركونه من ايديهم واني
خايف عليه ان يقتلوه فاخرج الى هذا العربي وقل له يبقي على
صاحبنا ويرسله الينا حتى نجود عليه بنفسه ومن معه فاذا هم
اطلقوا صاحبنا ملنا عليهم وقتلناهم عن اخرهم قال رافع بن
عميرة ونحن في وسطهم كالحلقة في وسط فلاة ونادى جبلة
ابن الايهم برفيع صوته انتم من اصحاب محمد المغرورين ام انتم
من العرب التابعين اخبروني من انتم قبل ان ينزل بكم الدمار
فكان المتكلم من بيننا خالد بن الوليد وقال يا جبلة نحن من
اصحاب محمد المغرورين نحن اصحاب القبلة والاسلام والكرم
والانعام نحن الان من قبايل شتى وقد جعل الله قلوبنا واحدة

وكلمتنا واحدة وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
قال فلما سمع جبلة كلام خالد غضب غضبا شديدا وقال يا فتى أنت
أمير هؤلاء القوم قال خالد أنا المعروف بكبش بني مخزوم أنا خالد
ابن الوليد وهذا الذي عن يميني عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
والذي عن يساري رجل من أهل اليمن من كرام طي اسمه رافع بن
عميرة الطائي وذلك أني قد اخترت من كل قبيلة شجاعها المعروف
وبطلها الموصوف وما أنتم عندنا في القتال إلا مثل طيور وقع
عليها صايدها فألقى القابض عليها الشبكة فما أفلت منها إلا النجيب
فزاد غيظ جبلة من كلام خالد وقال ستعلم يا ابن مخزوم أن
كلامك عليك ميشوم إذا دارت بك الأسنة ووصلت إليك
الأعنة فقال له خالد ومن أنت من العرب الذي شغفت بعبادة
الصليب قال أنا سيد غسان وملك همدان أنا جبلة بن الأيهم
فقال له خالد أنت المرتد عن الإسلام ومن اختار الضلالة على
الهدى قال جبلة لست كذلك أنا الذي اخترت العز على الذل
قال فإنك على ذلك نفسك حريص وإنما الكرامة في دار البقا
والبعد عن دار الشقا فقال جبلة يا خالد لا تفرط علينا في المقال
فإنما بقائي عليك وعلى من معك بسبب هذا الأسير الذي بين يديك

وهو المقرب عند الملك والقريب منه في النسب فأطلقه من يديك
فقال خالد أما أسيري فما أطلقه من يدي أو أقتله وما أبالي بما
يصنع بي بعد وأما قولك إنك تبقي علي وعلى من معي فما أنصفت في
المقال وإن أردت النصفة في القتال فجمعكم عظيم وعددكم
كثير ونحن اثنا عشر رجلا وقد أحدقت بنا أعنة خيلكم فابرزوا
إلي واحدا بعد واحد وهذا أسيركم معنا فإن قتلتمونا فإليكم
نصير وإن ظفرنا بكم فإن النصر من عند الله يؤتيه من يشاء ولن
يعظم عليكم هلاك أسيركم إذا هلكت أنفسكم قبله قال فنكس
جبلة رأسه وأقبل يحدث صاحب عمورية بجواب خالد فعظم
البطريق وأظهر الغضب وانتضا سيفه من غمده فلما نظر خالد
إلى البطريق وقد جرد سيفه من غمده علم أنه غضب وأنه يريد
القتال فلما هم صاحب عمورية بالبراز تلطف به جبلة وأوقفه
وقال لخالد إن الحرب كما ذكرت وهؤلاء بنو الأصفر قد رضوا
منك بالمبارزة فمن أحب منكم البراز فليبرز فهم خالد بالبراز
فمنعه عبد الرحمن وقال يا أبا سليمان وحق رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يبرز لهؤلاء القوم غيري وأبذل المجهود فيهم فلعلي
أن ألحق بأبي فتركه خالد وما يريد وقال له شكر الله لك

يا ابن الصديق فخرج عبد الرحمن من بين اصحابه على جواد كان لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه فجال عبد الرحمن بين الروم والعرب ودعا الى البراز وقال دونكم يا بني الاصفر فانا ابن الصديق ثم قال

انا عبيد الله طالب القتال ۰ والشرف الفاضل ذو الكمال
ابن عتيق الصادق المقال ۰ والله ملجاي وعليه اتكالي ۰

قال رافع بن عميرة الطائي فبرز اليه خمس فوارس من شجعان الروم فما جال عليهم اكثر من جولة واحدة حتى تركهم قتلى وهم بالحملة على الروم فخرج اليه جبلة وقد اشتد به الغضب وقال يا غلام قد تعديت علينا في فعالك وبغيت في نزالك فقال عبد الرحمن وكيف ذلك وما الغدر من شيمتنا فقال جبلة قد ملأت الارض من قتلانا وما خرجت اليك الا لاقتلك لان رجالا من اصحابك خرج ليعينك وما هذا من الانصاف ولا من فعل الاشراف

قال الواقدي رحمه الله حدثنا غانم وكان ممن حضر فتوح الشام قال لما سمع عبد الرحمن كلامه تبسم وقال يا ابن الايهم اتريد ان تخدعني وقد شهدت المواقف ولكن اخرج معك من قومك آخر ودونكم والكر علي فاني كهو كريم فلما نظر جبلة الى عبد الرحمن وانه لا يؤتى من قبل حيلة عجب من فعاله وجوابه فقال

له جبلة هل لك ان تغمسك في ماء المعمودية غمسة فتخرج نظيفا كما خرجت من بطن امك وتكون من حزب الصليب فدونك وما عرضته عليك لتنجو من الهلاك فقال عبد الرحمن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبد الله ورسوله ونبيه يا ويلك اتدعوني بعد الهدى الى الضلال ولكن من نور الاسلام في قلبه وعرف رشده من غيه لا يلتفت الى كلب عوي فدونك والقتال ان اردت وتقدم الي فان عزمت على ذلك حتى اضربك ضربة اعجل بها روحك الى النار وبئس القرار وتستريح العرب ان ينسب مثلك اليهم لانك من عبدة الصليب قال فغضب جبلة من كلام عبد الرحمن وجرد سيفه عليه وهم ان يطعنه بسنان رمحه فراغ عبد الرحمن عن الطعنة وحملا على بعضهما وتصاربا قال رافع بن عميرة فعجبنا من فعل عبد الرحمن وصبره على القتال ثم التقيا بضربتين كان السابق عبد الرحمن فاخذها جبلة في الحجفة فانقطعت ووصلت الى البيضة فاخرقتها ثم عاطفه اللعين بضربة قطع بها الزرد وجرحت منكب عبد الرحمن فلما احس عبد الرحمن بالضربة ثبت نفسه وساق جواده الى ان وصل الى خالد والمسلمين فقال له خالد ما وراك يا عبد الرحمن قال وصلت الى ضربة الملعون

وأظهر له ما لحقه فبكا خالد رضي الله عنه وبكا المسلمون وأنزلوه
عن فرسه وشدوا جراحه وقال له خالد وحق أبيك وصدقه لأفجعنهم
فيه كما جرحك ثم صاح خالد بعبده همام وقال قدم العلج الي فقدمه
اليه فرمى برأسه فنظرت الروم الى صاحبهم وقد قتل فغضبوا وغضب
جبلة وقال أبيتم الا الغدر وقد استوجبتم القتال ثم صاح بالمتنصرة
من العرب وبالروم والأرمن وحرضهم على قتال أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اقتلوهم قتلا ولا تبقوا منهم احدا فاجتمعت
المتنصرة والروم وتقدم أهل الصلبان للحملة فلما نظر خالد الى القوم
وقد عزموا على الحملة صاح بعبده همام وقال قف بازاء عبد الرحمن
وامنع عنه من أراده ثم قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثبتوا بارك الله فيكم فما منهم الا من أيس من الحياة وحملت الروم
على المسلمين بجمعهم فثبتوا لهم وعظم بينهم القتال والضرب والنزال
قال ربيعة بن عامر والله لقد كان خالد كلما كرت الخيل علينا
تلقاها بنفسه وأزاحها عنا ولم نزل كذلك الى أن عظم بيننا
وبينهم الحرب واشتد الكرب وتثلم الصارم العضب ولم نجد
الى الخلاص من سبيل وأخذنا العطش واشتد علينا الحر والعرق
قال رافع بن عميرة فلما رأيت ذلك قلت لخالد يا أبا سليمان نزل

القضاء بنا قال والله لقد صدقت يا ابن عميرة لأني قد نسيت القلنسوة
التي لي في العسكر ولم أصحبها معي ولقد كان فيها بركة عظيمة والله
ما نسيتها الا للقضاء المبرم قال فعظم عليهم الأمر وجاءهم الصبر
وأخذهم الانبهار ودنا من المسلمين الحزن ومن المشركين الدمار
ولا زالت السيوف تلمع والرؤوس تقطع والأرض قد مليت من قتلى
الروم وهم محدقون بهم فبينما القوم في أشد القتال اذ نادى
بهم مناد وهتف بهم هاتف خذل الأمر ونصر الخايف يا حملة
القرآن جاءكم الفرج من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان وقد
بلغت القلوب الحناجر ودارت بالروم الدوائر **قال**
الواقدي رحمه الله حدثنا ابن سمرة عن اسحاق بن عبد الله
الحضرمي عن أبي سلمة قال كنت في وقعة أجنادين مع أبي عبيدة
وغيرها وقنسرين وما رأينا في طريقنا الا الخير والنصر فبينما
نحن على شيزر وأبو عبيدة في مضربه نخرج في بعض الليالي وهو
ينادي بالمسلمين النفير النفير فقد أحيط بالمسلمين قال فأسرعنا
اليه من كل جانب ومكان وقلنا له ما بالك أيها الأمير قال
كنت الساعة نائما اذ طرقني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزجرني وقال لي يا ابن الجراح أتنام عن نصرة القوم الكرام

فقم والحق خالد فقد أحاط به القوم اللئام فقم فانك تلحق بهم ان
شا الله تعالى قال فلما سمع المسلمون قول ابى عبيدة تبادروا الى
لبس السلاح وركبوا الخيول عرايا واسرعوا يريدون خالدا ومن معه
فبينما ابو عبيدة فى المقدمة فى اوايل الخيل اذ نظر الى فارس يسرع
امام القوم وهو يكر فى سيره كرا فأمر رجلا من المسلمين ان يلحق به
فلم يقدر على ذلك لسرعة الجواد قال فظنوا انه ملك من الملايكه
ارسله الله اليهم قال رافع فلما كلت الخيل عن ادراكه نادى ابو عبيدة
ايها الفارس على رسلك ايها الفارس المجد والبطل المكد ارفق
بنفسك رحمك الله فوقف حين سمع الندا فلما قرب ابو عبيدة من
الفارس واذا به ام تميم زوجة خالد فلما عرفها قال لها يا ام تميم
ما الذى حملك على المسير قبلنا قالت ايها الامير انى سمعتك تنادى بان
خالدا احاطت به المشركين فقلت فى سرى خالد لا يخذل ابدا ومعه
ذوايب النبى صلى الله عليه وسلم فكانت منى التفاتة فرايت
القلنسوة نسيها فاخذتها واسرعت بها اليه فقال لها ابو عبيدة لله
انتى يا ام تميم سيرى على بركة الله وعونه قالت فلقد كنت فى
جملة نسوة مذحج والخيل تطير بالمسلمين واذا بجيش سمعناه فانكرنا
ذلك فبينما نحن كذلك اذ سمعنا اصوات المسلمين بالتكبير والتهليل

فعلمنا انى الفرج من رب العالمين فلم تكن الا ساعة حتى احاط جيش
المسلمين بجيش المشركين ووضعوا فيهم السيف من كل جانب ومكان
وارتفعت الاصوات وعلت الزعقات قال مصعب بن محارب رايت
عبدة الصليب كانهم هاربون ورايت خالدا رضى الله عنه وهو
ثابت متشوق الى الاصوات من اين هى واذا بفارس قد خرج من
القتال وهو يهبر الروم تهبيرا حتى ازاح من كان حولنا فاسرع
خالد اليه وقال له من انت قالت انا زوجتك ام تميم يا ابا سليمان
لقد اتيتك بالقلنسوة المباركة التى تنتصر بها وتتوصل بها الى الله
تعالى ويستجاب دعاك فقال ما نسيتها الا لهذا الامر ثم تسلمها منها
فلمع من ذوايب رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا كالبرق
قال مصعب فوعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
وضع خالد القلنسوة على راسه وحمل على القوم الا وافلب اوايلهم
على اواخرهم وحملت المسلمون فما كانت الا ساعة حتى ولت
الكفار الادبار وركنوا الى الفرار ونزل بهم الدمار من اصحاب
النبى المختار وصاروا بين قتيل واسير وجريح وكان جبلة
اول من انهزم والمتنصرة فى اثره ورجع المسلمون واجتمعوا
تحت راية ابى عبيدة رضى الله عنه واقبل خالد واصحابه يسلمون

على أبي عبيدة وعلى المسلمين وحمد الله تعالى على سلامة المؤمنين وهلاك المشركين ونظر أبو عبيدة إلى خالد كأنه قطعة أرجوان لما عليه من أدمية الفرسان فصافحه وقال لله درك لقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل ثم قال أبو عبيدة أيها الناس قد رأيت من الرأي أن نسير في وقتنا هذا فنغير على قنسرين وحاضرها فقال المسلمون نعم الرأي يا أمين الأمة قال فانتخب أبطال المسلمين وجعلهم في المقدمة مع عياض بن غنم الأشعري وساروا إلى أن أشرفوا على قنسرين وحاضرها ثم شنوا الغارة وسبوا الذراري وقتلوا الحامية فلما نظر أهل قنسرين إلى ذلك غلقوا أبواب المدينة واتفقوا على الصلح وأداء الجزية فأجابهم أبو عبيدة إلى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح وقرر على كل رأس أربعة دنانير وثمانية وأربعون درهما وبذلك أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال الواقدي حدثنا عبد الملك بن محمد عن سليمان بن علي قال كنت في جملة من سبي من حاضر قنسرين فلما بعث أبو عبيدة رضي الله عنه بالخمس إلى عمر بن الخطاب بعثني فيمن بعث فلما عرضونا على عمر سمعته يقول لجلسائه إني أرى رأيا وهو أن نجعل هذا السبي في المكتب من الرجال ليتعلمون القرآن وكان السبي قد دفعه إلى زيد بن ثابت وكان قد ولاه القسم فأدخل السبي إلى دار علية بنت الحارث الأنصاري وكذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال فلما فتح الله قنسرين والحاضر على يد أبي عبيدة والمسلمين وغنم المسلمون الغنيمة وبعث الخمس إلى عمر رضي الله عنه قال أبو عبيدة للمسلمين أشيروا علي برأيكم رحمكم الله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستشار مؤتمن وقال تعالى لنبيه عليه السلام وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله فما ترون في مسيرنا إلى حلب وأخذ قلعتها أو إلى انطاكية ونشتغل بقتال هرقل وملوكها أو نرجع إلى ورائنا فقال المسلمون أيها الأمير وكيف نسير إلى حلب أو إلى انطاكية ونشتغل بقتال هرقل وأيام الصلح التي بيننا وبين شيزر وحماه والرستن وأهل حمص قد انقضت ولا شك أنهم أخذوا في آلة الحصار وحصلوا الأطعمة وجمعوا الجيوش ونخاف أنهم يزحفوا على البلاد ويغيروا عليها لا سيما بعلبك وحصنها فإنهم أولوا شدة وبأس وعدد ونرى من الرأي أن نرجع إليهم ونقاتلهم ولعل الله أن يفتح على أيدينا قال فاستصوب رأيهم ورجع وفعل كما قالوا فوجد البلاد قد حصنوها بالعدد والحنطة والشعير والرجال ولم يكن

لأبي عبيدة الأحمص فوجدها قد تحصنت وقدم إليها من عند الملك
هرقل بطريق من أهل الشدة والبأس اسمه هربيس في عسكر عرمرم
فلما نظر أبو عبيدة إلى ذلك ترك خالد على حصارها وتوجه إلى بعلبك
فلما قرب منها إذا هو بقافلة عظيمة هايلة فيها جمع من الناس والدواب
وفيها من أنواع التجارات وقد ارتحل أهل القافلة يريدون بعلبك
فلما نظر أبو عبيدة إلى سوادها من البعد قال أيكم يأتيني بخبر هذا
العدو فسارت إليها الخيل وأخذت أخبارها ورجع بعضهم
يخبرها أنها قافلة من قوافل الروم محملة قال شداد بن علي التنوخي
وكانت أكثر أحمال القافلة سكرا لأهل بعلبك فلما سمع أبو
عبيدة ذلك قال إن بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبينهم عهد
فخذوا ما ساقه الله إليكم فإنها غنيمة من عند الله قال فأخذنا
القافلة وفيها أربع مائة حمل من السكر والتين وغير ذلك وأخذنا
أهلها أسارى فقال لهم أبو عبيدة كفوا عن قتلهم واطلبوا منهم
الفدا فبعنا هم أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب
وصنعنا من السكر عصيدة وفالودج بالسمن والزيت وأكل المسلمون
منه أكلا وبتنا على ذلك فلما أصبحنا أمرنا أبو عبيدة بالمسير
إلي بعلبك والنزول عليها وكان عليها بطريق عظيم اسمه

هربيس وكان شديد البأس شجاع القلب مهول المنظر فلما أتاه
الخبر جمع رجال المدينة وأمرهم بلبس السلاح والعدة وسار هو
في مقدمتهم وزعم أنه يستنقذ القافلة منهم فجعل يسير وهو لا يعلم
أن أبا عبيدة ساير إليهم فلما انتصف النهار تراءا الجمعان وكان
هربيس اللعين في تسعة آلاف فارس سوى من تبعه من أهل
القرى وعوام البلد والسوقة فلما نظروا إلى طلايع أبي عبيدة
نادوا النفير النفير العدو العدو فعندها تبادرت الأبطال
وتراعقت الفرسان وتقدمت الشجعان من العرب وشرعوا
رماحهم وجردوا سيوفهم وصف هربيس أصحابه ورتبهم
للحرب فقال له بعض البطارقة ما أنت صانع بالعرب فقال
أقاتلهم لئلا يطمعوا فينا وينزلون على مدينتنا فقال له البطريق
لا تقاتل وارجع فإن أهل دمشق ما قدروا عليهم ولا جيوش
فلسطين وقد بلغك ما فيه كفاية مما جرى لهم بالأمس مع صاحب
قنسرين ومع أمثالهم من العرب المتنصرة وصاحب عمورية
وقد ردوا منهزمين من هؤلاء العرب والصواب أنك لا تغرر
بنفسك وبمن معك وارجع سالما فقال له هربيس ما أفعل ذلك
ولا أنهزم من هؤلاء المساكين وقد بلغني أن عسكرهم الكبير

على حمص مع أميرهم الذى كان قبل هذا يعنى خالد وهذه غنيمة قد
بعثها المسيح الينا فقال له أما انا فلئن اتبع رايك ولا اغرّ بمن معى ثم
الوى راجعا الى بعلبك وتبعه كثير من الناس واما هربيس فانه
زحف على المسلمين فلما راه ابو عبيدة معوّل على الحرب قال ايها الناس
رحمكم الله اعلموا ان الله تعالى ايدكم بالنصر حتى هزمتم كثيرا
من جند القوم وهذه المدينة التى انتم قادمون عليها هى وسط
ما فتحتم من البلاد وقد اكثر اهلها من الزاد والعدد والقوم
ذوا قوة فاياكم والعجب وانظروا عن اى دين تقاتلون ولاى
شئ تنصرون قد ونكر والقتال واعلموا ان الله تعالى معكم ينصركم
ويؤيدكم ثم حمل ابو عبيدة وحمل المسلمون قال عامر بن ربيعة
فوعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بيننا وبينهم
الا جولة الجايل حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقصدوا
المدينة وفى هربيس سبع ضربات فتلقاه البطريق وقال له اين
غنايم الحرب التى غنمتموها فقال له هربيس قبحك الله انظر اني
وقد قتلت العرب رجالي وجرحت هذه الجراحات فقال له
البطريق الم اقل لك انك تهلك قومك ومن معك ثم ان ابا
عبيدة سار حتى نزل بعلبك ونظر الى المدينة ودار حولها

فراها ذات حصن حصين والقوم قد غلقوا ابوابها واخذوا اموالهم
عندهم وعلوا على الصور كانهم الجراد المنتشر فلما نظر ابو
عبيدة الى ذلك والى حصن بعلبك وامتناعه وعلو صوره وشدة
بردها وذلك انها فى ذروة لا يقابلها الثلج والبرد صيف وشتا
فقال ابو عبيدة لخواص اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واهل الراي والمشورة من المؤمنين ايها الناس اشيروا علي برايكم
رحمكم الله فاجتمع راي القوم على كلمة واحدة ان ينازلوهم
ويضيقوا عليهم فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ايها الامير
اني اعلم ان القوم فى هذه المدينة لا يرحم بعضهم بعضا من كثرتهم
وما اظن المدينة تسعهم وان طاولناهم رجونا من الله تعالى
فتحها على ايدى المسلمين ولم يزل الله تعالى يورث ارضه لعباده
الصالحين ثم قرا ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون فقال ابو عبيدة يا بن جبل من اين لك
ان القوم متضايقون قال ايها الامير انى كنت اول من اسرع
بفرسه من المسلمين واشرفت على هذه القلعة البيضا واردت
ان الحق بهم سوابق الخيل فاحول بين القوم وبين مدينتهم
فسبقونا الى الابواب ودخلوها مثل السيل اذا جرى فى الاودية

والمدينة مشحونة باهلها ومع ذلك ان دواب القوم ومواشيهم
فيها وقد ضيقت عليهم وهم مثل النحل من كثرتهم فقال صدقت
يا معاذ ونصحت وايم الله ما عرفتك الا مبارك الراي شديد المشورة
وبالله نستعين وبه نسأل التوفيق والتسديد قال وبات المسلمون
ليلتهم في الحرس حتى أضاء الصباح كتب ابو عبيدة كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من امير المسلمين بالشام والعامل عليهم وخليفة
المؤمنين ابي عبيدة بن الجراح الى اهل هذه المدينة من المخالفين
والمعاندين اما بعد فان الله تعالى له المنة والفضل الذي اظهر
الدين واعز به المسلمين وولاة المؤمنين على جنود الكافرين
وفتح عليهم البلاد واباد اهل العناد فلا يغرنكم عظم مدينتكم
وكثرة زادكم وهذا كتابنا بيننا وبينكم يقرؤه كبيركم وصغيركم لاننا
قوم لا نرى في ديننا البغي وما كنا بالذي نقاتلكم او نغدر بكم
حتى نعلم ما عندكم فان دخلتم فيما دخل فيه اهل المدن من قبلكم
من الصلح والايمان صالحناكم وان ابيتم الا القتال والحرب والنزال
استعنا بالله عليكم وحاربناكم فاسرعوا الجواب والسلام على
من اتبع الهدى ثم كتب انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب
وتولى وطوى الكتاب واعطاه لدهقان من المعاهدين وامره

ان يسير الى المدينة ولا يبرح الا بالجواب وضمن له من مال المسلمين
عشرون درهما وقال ما كنت استخدم احدا الا باجرة وعطا
فاخذ المعاهدي الكتاب واتى به الى السور وخاطبهم بلغتهم اني
رسول اليكم فدلوا اليه حبلا فربطه في وسطه فاخذه القوم اليهم
واتوا به الى هربيس فسلم عليه وناوله الكتاب فجمع البطارقة اليه
والملوك واهل الحرب وقرا عليهم كتاب ابي عبيدة وقال شيروا على
برايكم فقال البطريق صاحب المشورة اني ارى من الراي انا
لا نقاتل هؤلاء القوم فانه ليس لنا بهم طاقة ونصالحهم ونكون في
امن وسعة كما فعل اهل حوران ودمشق وغيرهم وان قاتلناهم
وحاربناهم قتلوا اخيارنا واستعبدوا اولادنا واسترقوا حريمنا
والصلح اوفق فقال هربيس لا رحم المسيح اباك ما رايت في الروم
اجبن منك ولا اقل جلدا وكيف تامرنا ان نسلم مدينتنا لاوباش
العرب ولا سيما انني قد عرفت قتالهم واختبرت نزالهم واني
حملت في ميمنة عسكرهم ولو كنت في الميسرة لهزمتهم فقال له
البطريق لما كنت في الميمنة خافوا منك ثم انهما تشاتما وافترق
اهل تغلب فرقتين فرقة تطلب الصلح وفرقة تطلب القتال
ثم ان هربيس مزق الكتاب ثم امر اصحابه ان يدلوا المعاهدي الى

ظاهر المدينة ففعلوا ذلك فأتى الى ابي عبيدة وحدثه بما كان
من امر القوم وقال ان اكثر اهل المدينة قد عولوا على قتالك فقال
ابو عبيدة للمسلمين شدوا عليكم واعلموا ان هذه المدينة في وسط
اعمالكم وبلادكم فان بقيت كانت وبالا عليكم وعلى من صالحكم فعند
ذلك لبس اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح وعبوا
انفسهم للحرب والكفاح هذا وهربيس قد نصب له سرير على
برج كبير وقد شد جراحه وادنى منه سلاحه وعلى رأسه صليب
من الجوهر وحوله الاراجنة وغيرهم بالدروع المذهبة
وسواعد الذهب والجوهر وبايديهم العتي والسهام وفي
اعناقهم الصلبان قال عامر بن وهب اليشكري كنت ممن شهد
حرب بعلبك فلما دنونا من سورها ونشاب القوم كالجراد
المنتشر واناس من العرب من غير سلاح اصابتهم سهام القوم
قال ورأيت قوما من الروم يتساقطون علينا من السور كسقوط
الطير الى الحب فاهويت الى رجل ممن سقط بالسيف فصاح لغون
لغون يعني الامان فقلت لك الامان ما الذي القاك الينا من
السور فصار يكلمني بلسان الرومية فلم افهم ما يقول فسحبته سحبا
الى خيمة الامير لعلي ان اعرف من يفهمني ما يقول فاني رأيتهم

يرمون بعضهم بعضا فقال ابو عبيدة لمن حضر من التراجمة ما يقول
هذا ولم يرمي بعضهم بعضا فقال له الترجمان يا ويلك قد اعطيناك
الامان فاصدقنا فقال نحن من اهل السواد والقرى لما سمعنا بمجيئكم
دخلنا الى هذه المدينة لعلمنا بتحصينها وكثرة ما بها فضيق بعضنا
على بعض وسددنا طرقات المدينة وجعلناها لنا مسكنا فلما رجعتم
الى الحرب وبرز لكم اهل المدينة جعلوا ايدوسونا فعبرنا الى السور
فاذا اشتد الحرب واتتهم الحجارة والنبل من عسكركم يدفع الرجل
منهم رجل منا فيرميه اليكم فلما سمع ابو عبيدة ذلك فرح وقال
انا نرجو من الله ان يجعلهم لنا مغنما قال واضرمت الحرب نارها
واحما الروم سورهم فلم يقدر احد من المسلمين ان يقربهم من
السهام والحجارة والمنجنيقات واصيب من المسلمين اثنا عشر رجلا
وقتل من الروم وممن وقع من سورهم خلق كثير وانصرف
المسلمون الى رحالهم وتحارس الفريقان الى الصباح فلما صلت
المسلمين صلاة الصبح لم يشعروا الا بالابواب قد فتحت والخيل
والرجال قد خرجت كالجراد المنتشر وكان بعضنا قد مد يده
الى الطعام وبعضنا استكفا وبعضنا لم يأكل واذا بالندا يا خيل
الله النفير النفير العدو العدو دونكم والقوم قبل ان يدهموكم

قال حمران بن اسد الحضرمي كان لي قرص قد خبزته لاصحابي وقدمنا
الزيت والملح لنجعله ادمنا واذا بالنفير قد وقع والله ما راعنا حتى
اخذت لقمة وغمستها في الزيت واهويت بها الى فمي لاكل وقمت
مسرعا فركبت على فرسي عريا لسرعة الاجابة بغير سرج وضربت بيدي
الى عمود من اعمدة الخيم وحملت على القوم فوالله ما شعرت بنفسي
الا وانا في وسط القوم وقد هجموا على عسكرنا وخيل لي من كثرتهم
انهم كقطع الليل المظلم او كقطع السحاب المتراكم المدلهم
فجعلت احطمهم بالعمود حطما ونظرت الى خيل المسلمين متفرقة
وابو عبيدة قد نصب رايته والناس يهرعون اليها والمشركين
في وسط عسكرنا وابو عبيدة ينادي يا فتيان العرب اليوم اليوم
ازيلوا اطمعكم فقد تجاسروا عليكم فاحذروا ان يظفروا منكم فشلا
او ضعفا وتنشر الاخبار عنكم ان اهل تغلب قد غلبوكم وحووا ما في
عسكركم ونظر ابو عبيدة الى صبر الروم على حرب المسلمين فحمل
وحمل معه عمرو بن معدي كرب الزبيدي ومالك الاشتر وعبد
الرحمن بن ابي ربيعة العامري وضرار بن الازور وذو الكلاع
الحميري صنعوا في الروم ما تصنع النار في الحطب ولم تاخذ
الروم من حرم المسلمين ولا من اولادهم شيا وانما اخذوا

اثاثا ومتاعا وميرة وطعاما ودخلوا المدينة واغلقوا الابواب وقد
طمعوا في المسلمين واجتروا على حربهم فلما نظر المسلمون الى ذلك من
فعلهم رجعوا الى عسكرهم واضرموا نيرانهم وداووا جراحهم ودفنوا
من استشهد منهم وكان جملة من قتل في اول يوم من رجال المسلمين
وقت الكبسة زياد بن عامر الحضرمي وسعيد بن علي والعلوي بن سلمة
والفياض بن واثلة ومحكم بن سعد ونافد بن مسلم ومجلا بن عامر بن
المسيب بن نجبة الفزاري وبدر بن عاصم ثمان رجال واثني عشر
من مواليهم فلما اقبل الليل اجتمع روسا المسلمين وعظما الموحدين
الى ابي عبيدة وقالوا ايها الامير قد رايت ما نزل بنا في هذا اليوم
من عظم قتال هولا القوم فما الذي عزمت عليه ان تصنع وما الذي
عندك رحمك الله قال ابو عبيدة ان هذا شي كتبه الله علينا ودر جات
يرفعها الله لمن استشهد منا والقوم في غداة غد لا بد لهم من الحرب
والنزال والنزول اليكم والمبادرة لقتالكم وقد رايت ان
تبعدوا بخيامكم واثاثكم من المدينة مقدار شوط الفرس ليكون
ذلك مجالا لخيولنا ومنعة لحرمكم والنصر من الله تعالى ثم دعا بسعيد
ابن زيد العدوي فعقد له راية في سواد الليل وامره على خمس ماية
فارس وثلاث ماية راجل وامرهم ان يهبطوا الوادي وان يقاتلوا

القوم على الباب القبلي ويشغلوهم عن المسلمين وقال له أوصيك بمن
معك من المسلمين خيرا فقال له سعيد بن زيد أيها الأمير أنا أكفيك
أمرهم إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم
دعا أبو عبيدة بضرار بن الأزور وعقد له راية على ثلثمائة فارس
ومائتي راجل وسرحه إلى باب الشام وأمره بمحاربة القوم قال فسار
حيث أمره أبو عبيدة بعد أن صلى صلاة الصبح بغلس فلما قرب طلوع
الشمس فتح باب المدينة الأعظم وهو الذي كان أبو عبيدة نازلا
عليه وخرجت الرجالة للقتال وكان أبو عبيدة صف أصحابه
صفوفا وهم ينظرون إلى كثرة من خرج من المدينة إلى أن تكاملوا
حول بطريقهم وهو يقول لهم يا أهل دين النصرانية إن أهل هذا
الدين قد فشلوا من قبلكم من قتال هؤلاء العرب وكلوا عن حربهم
وأنتم قد وهبتم للمسيح ومع ذلك فأنتم تحامون عن دينكم وأهليكم
وحرمكم ودياركم فقال عظماء القوم إنما كنا نفزع من العرب قبل
أن نقاتلهم ونختبر حربهم والآن فقد عرفنا أنهم قوم إذا صدقوا
لم يكذبوا ولم يكونوا أشد منا إلا أنهم أصبر منا لأن الرجل منهم
يبرز إلى الحرب وليس عليه لبس ولا سلاح وإنما عليه ثوب يستتر
به أو فروة والفقر شعارهم والذلة دثارهم ونحن قوم علينا

الدروع السابغة والجواشن والبيض المحكمة ومع ذلك نقاتل قتال
الموت فاحملوا بنا عليهم قال ونادى أبو عبيدة برفيع صوته يا معشر
المسلمين لا تفشلوا فتذهب ريحكم وتسقط هيبتكم وتضرب الرجال
بكم الأمثال إن هزموكم أهل بعلبك وسفكوا دماءكم واصبروا
فإن الله تعالى وعد الصابرين خيرا فقالوا أيها الأمير سنبذل المجهود
ونقتل كراما وطمعت الروم في المسلمين لما جرى لهم بالأمس معهم
قال سهيل بن الصباح العبسي شهدت بعلبك لما خرج إلينا أهلها في
اليوم الثاني وقد طمعوا فينا وصمموا بالحملة علينا وكان بي جرح
في عضدي الأيمن ولست أقدر أحرك يدي وقلت إن قصدني أحد
من هؤلاء الأعلاج لم أقدر أدفع عن نفسي فخرجت من بين أصحابي
وترجلت عن جوادي وقصدت ذروة الجبل وعلوته وجعلت
أنظر إلى العسكرين فحملوا على بعضهم ووقع القتال بينهم واشتد
الحرب وطمعت الروم في المسلمين وهم ينادون الصبر الصبر
والتحم الفريقان واختلط الجمعان قال سهيل فقلت في نفسي وما
عسى أن ينفع مقام سعيد بن زيد وضرار بن الأزور على أبواب مغلقة
والمسلمين في هذا الأمر العظيم ثم أسرعت وجمعت حطبا وجعلت
بعضه على بعض وأخرجت زنادا كان معي فأوقدت نارا في

الحطب فلما اشعل جعلت عليه حطبا اخضر حتى علا الدخان وكان
علامتنا اذا اردنا ان نجمع بعضنا الى بعض بارض الشام ان كان
ليلا اوقدنا نارا وان كان نهارا اثرنا دخانا فلما علا الدخان
وتصاعد في الافق نظر اليه سعيد بن زيد واصحابه وضرار بن
الازور واصحابه فنادى بعضهم بعضا ادركوا الامير فان هذا
الدخان ما هو الا لشيء عظيم والصواب ان لا تفترقوا ثم اسرعوا
في المسير الى ان ادركوا المسلمين وهم في اشد الحروب واعظم
الكروب والسيوف تلمع والروس تقطع وقد عظم عليهم الامر
وعازهم الصبر وارتفع النهار واخذهم الانبهار وانى المشركين
الدمار واضرمت فيهم من الحرب نار وبلغت القلوب الحناجر
وعملت السيوف البواتر وكل بطل لقرنه نهش ولقتال
صاحبه قد بطش اذ نادى المنادي وهتف بهم هاتف خذل
الكافر ونصر الناصر يا حملة القران جاءكم الفرج من الرحمن
ونصرتم على عبدة الاوثان وحمل سعيد وضرار بن الازور على
القوم وكان الروم ايقنوا انهم الغالبون ولعدوهم قاهرون
اذ ظهرت عليهم رايات المسلمين وكتائب الموحدين فالتفتوا ينظرون
ما الخبر واذا هم بالمسلمين من ورائهم وقد حالوا بينهم وبين نسائهم

وأولادهم فنادوا بالويل وايقنوا ان المسلمين جاءهم المدد وان
البطريق غر بهم فلما نظر البطريق اليهم زعق عليهم لا ترجعوا الى
المدينة فان المسلمين حالوا بينكم وبينها وعدل بهم نحو الجبل من جهة
الشمال فتبعهم المسلمون فدخلت الروم الى موضع في الجبل حصين
فتحصنوا فيه وكان الذي تبعهم وصعد الجبل خلفهم سعيد بن زيد
في الخمس مائة فارس الذي كانوا معه وذلك ان ابا عبيدة لما
سمع بهزيمة الروم باجمعهم وشدة حماتهم لانفسهم نادى معاشر
المسلمين لا يتبعهم احد فاني اخشى ان تكون هزيمتهم مكيدة
لكم حتى يتفرق جمعكم فيرجعوا عليكم هذا وسعيد بن زيد لم يكن
سمع النداء ولو سمعه ما سار خلفهم وما ظن الا ان المسلمين يلحقوه
ويقفوا اثره فلما تحصن البطريق واصحابه في الجبل قال سعيد بن
زيد لرجاله هذه طايفة اراد الله هلاكها فدوروا حولهم وحاصروهم
من كل جانب ولا تدعوا احدا يطلع براسه الى ان تاتي عساكر المسلمين
ثم حط رجلا مكانه واخذ عشرين فارسا وسار الى ان اتى الى ابي
عبيدة فلما راه ابو عبيدة وراى العشرين فارسا قال انا لله وانا
اليه راجعون ذهب والله المسلمون ثم اقبل عليه وقال يا سعيد
اين رجالك وما صنعت بهم فقال ابشر ايها الامير فان المسلمين

بخبر وهم محاصرون القوم في الجبل وأخبره بالخبر وانه لما ابطا عليه
مجي المسلمين اتيت اليك لاخبرك واعمل برايك فقال ابو عبيدة الحمد لله
الذي ازعجهم وهزمهم عن اوطانهم ثم اقبل على ضرار بن الازور وعلى
سعيد بن زيد وقال لهما ما هذه المخالفة الزامكما بالمقام على ابواب
المدينة والمشاغلة للقوم فما الذي ردكما الي فقد ازعجتما قلبي وما
ظننت الا ان من معكم من القوم هلك وانهم كادوكم وهذا الذي
منعني ان اتبع المنهزمين حتى طلعوا الى الجبل فقال سعيد بن زيد ايها
الامير ما عصيت لك امرا ولا خالفت لك قولا واني لواقف حيث
امرتني اذ راينا قتاما ودخانا علا فقلنا والله ما هذه الا داهية من
دواهي الروم او نفير قد اتى المسلمين فاسرعنا نحوكم وخشينا ان
تثبت فنكون مخالفين لك فقال ابو عبيدة الله اكبر الله اكبر
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب والله لما كبست
الروم على عسكرنا قلت في نفسي يا ليت لنا صارخا يصرخ لنا بسعيد
ابن زيد وبضرار بن الازور ومن معهما يعاونونا على قتال اعدا الله
او يطلع احد الى هذا الجبل ومعه دخان فينظران اليه فيقدمون
الينا فقال سعيد بن زيد والله لقد راينا النار في الجبل وفيها الدخان
وقد بلغ عنان السما فعند ذلك نادا ابو عبيدة في عسكره معاشر

المسلمين من اوقد نارا ودخن دخانا على هذا الجبل فليجب الامير قال
سهيل بن الصباح فلما سمعت الندا اتيت الى الامير وقلت له انا فعلت
ذلك وجيت بعد هروب الروم فقال له ابو عبيدة لقد وفقك
الله للخير والجنة فاياك بعد هذا ان تحدث امرا الا باذن اميرك
فقال نعم قال فبينما ابو عبيدة كذلك واذا برجل منحدر من الجبل
وهو ينادي النفير النفير ادركوا اخوانكم فان الروم احاطت
بهم من كل جانب وهم في اشد ما يكون من الحرب وعظم الكرب
وذلك ان البطريق لعنه الله لما نظر الى قلة من احاط به وباصحابه
من المسلمين نادى في قومه اخرجوا الى هذه الشرذمة اليسيرة التي
قد احاطت بنا فاقتلوهم وارجعوا الى المدينة فانكم ان قتلتم
هولا كسرتم معظم العرب وينصرفوا عنكم قال مصعب بن عدي
التنوخي كنت في جملة القوم فلما حاصرنا البطريق واصحابه في الجبل
ونحن يوميذ دون الخمس مائة فارس فما شعرنا الا والبطريق
ومن معه خرجوا الينا من كل جانب فتنادينا واجتمعنا فوالله
لقد شاهدت وقايع الشام وقتال الروم فما رايت اشد من
الذين كانوا مع صاحب بعلبك ولا اثبت منهم تحت ضرب
الحديد ولقد كثروا علينا وانتشروا حولنا واحاطوا بنا بعد

ما كنا احطنا بهم وكان شعارنا في ذلك اليوم الصبر يعقب النصر وانا كذلك في اشد الحرب واعظم الكرب اذ سمعنا صوتا عاليا قد ملأ الجبال وهو يقول اما من رجل يهب نفسه لله ولرسوله ويستنفر لنا المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يعلمون بنا قال مصعب بن عدي فلما سمعت الصوت كان تحتي جواد كانه البرق فدكسته فخرج من تحتي كانه الريح ولم يلحق الروم له غبار الى ان اشرفت على المسلمين فناديتهم النفير النفير قال فلما سمع ابو عبيدة النداء صاح بالرماة فاجابه مائة رام من اصحاب القسي العربية والنبال الحرشية فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له اسرع رحمك الله والحق اصحابك قبل ان ياخذهم العدو ثم دعا بضرار بن الازور ومن معه وقال له الحق باخيك سعيد بن زيد قال فمضى المسلمون مثل الجراد المنتشر حتى علوا على الجبل واشرفوا على الروم وهم محدقون باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو زيد بن روق ابن عامر الزبيدي كنت ممن شهد القتال على الجبل مع سعيد بن زيد وقد احاطت بنا الروم وصبرنا صبر الكرام وقد صرع منا سبعون رجلا ما بين قتيل وجريح ونحن في شدة وضيق وقد طمعت الروم فينا اذ سمعنا التكبير ولحقنا النفير فلما اشرفت

رايات المسلمين تراجعت الروم على اعقابهم مدبرين والى الضيعة التي في الجبل راجعين فركبنا اكتافهم وكثر فيهم القتل والجراح وتحصنوا في مكانهم وقد احاط بهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجسر احد من الروم ان يخرج رأسه حذرا من النبل وورد الخبر الى ابي عبيدة بمن استشهد من المسلمين ومن قتل من المشركين وان القوم قد احيط بهم ولزمهم الحصار في اماكنهم وانه لا زاد عندهم ولا ما فقال ابو عبيدة الحمد لله الذي جعلهم اشتاتا بعد جمعهم ومتفرقين بعد ائتلافهم ثم قرأ ابو عبيدة وحيل بينهم وبين ما يشتهون ثم اقبل على من معه من المسلمين وقال معاشر الناس ارجعوا الى اماكنكم واضربوا حول المدينة خيامكم فان الله تعالى قد اكاد عدوكم وهو منجز ما وعدكم من نصره ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم فعندها رجع المسلمون الى مواضعهم الذي كانوا نزولا بها اول مرة وضربوا خيامهم وانفذوا طلايعهم وارسلوا الى الرعاة ابلهم وسرحوا الى الحطب عبيدهم قال واضرموا النيران حول عسكرهم واشرف اهل بعلبك على السور وهم يضجون بلغتهم فقال ابو عبيدة رضي الله عنه لبعض تراجمته ما يقولون هؤلاء فقال له الترجمان ايها الامير انهم يقولون يا ويلهم ويا عظم مصابهم

وياخراب ديارهم ويافناء رجالهم حين طرقت العرب ديارهم وبلادهم
قال الواقدي رحمه الله ولما امسى المسا ارسل ابو عبيدة الي
سعيد بن زيد يقول اما بعد يا ابن زيد فالحذر الحذر على من معك من المسلمين
واجهد رحمك الله ان لا يفوتك من القوم احد ولا تفسحوا لهم فيهرب
واحد منهم فيتبع اولهم اخرهم فتكون كمن حصل في يده شيا فاضاعه
فلما وصل الرسول الى سعيد بهذه الرسالة امر المسلمين ان يدوروا
بالضيعة التي في الجبل فلما نظر البطريق الي ذلك اقبل على اصحابه
وقال يا ويلكم قد اسانا التدبير واخطانا التدبير والراى ومالنا
مدد ولا نصير وقد اجتهدت العرب ان تحبسنا في هذا الموضع فما
قدروا الي ان حبسنا انفسنا في حبس ليس لنا فيه طعام ولا شراب
وان دام هذا الامر علينا ضعفت قوتنا ومات ضعيفنا وهلكت
خيلنا وسلمنا انفسنا كارهين فقال بعضهم للبطريق ما ترى ان نصنع
فقال اني رايت من الراي ان اخدع العرب واضمن لهم فتح المدينة
واسالهم في الصلح لنا ولاهل المدينة ونكون في ذمامهم فاذا حصلنا
داخل المدينة حاربناهم ولعل ان نرسل الى صاحب عين الجر فيسا
يساعدنا على ما نريد من مخادعة القوم فلما سمع القوم كلامه اجابوه
الى مراده واستصوبوا رايه قال فلما اصبح الصباح قعد على جدار

الضيعة ونادى بلغته يا معاشر العرب هل فيكم احد يعرف بكلامي
انا هربيس البطريق صاحب القوم فدنا منه الترجمان وقال له ما الذي
تريد فقال يتقدم الى امير القوم حتى احدثه فرد الكلام على سعيد فقال
ان كانت له حاجة ينزل من موضعه حتى نسمع كلامه قال فاعلم
الترجمان هربيس بما قال له سعيد فقال كيف انزل ونحن في حرب فقال
له ان العرب لا تخون قال صدقت كذلك بلغنا عنكم ولكن اريد
الامان لي ولاصحابي ليلا يلحق العرب الحقد علينا لكثرة من قتلنا
منهم ثم ان البطريق ارسل رسولا الي سعيد فلما وصل اليه اراد ان
يسجد بين يديه فمنعه اصحاب سعيد فقال لهم لم تمنعوني ان اعظم
صاحبكم فقالوا انما انت واياه عبيد الله عز وجل ولا يجب السجود
الا لله عز وجل فقال الرجل بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من الامم
فقال له سعيد ما الذي جابك قال جيت اخذ منك الامان لبطريقنا
ولمن معه ولا تنقض عهدنا فقال له سعيد لسنا ممن ننقض العهد
وقد اعطيت صاحبك الامان ولمن معه ولمن القى السلاح وخرج
مستامنا يطلب الامان فرجع الى هربيس واعلمه بجواب سعيد
وقال له ان هولاء القوم لا يخونون **قال الواقدي**
ولقد بلغني ان البطريق هربيس نزع ما كان عليه من الديباج ولبس

ثياب الصوف وأتى خايفا حاسرا حتى وقف إلى جانب سعيد فخر ساجدا
لله تعالى وقال الحمد لله الذي أذل لنا الجبابرة ثم أقبل عليه وأدناه
حتى أجلسه إلى جانبه فقال له البطريق هل لك أن تصالحنا نحن وأهل
المدينة فقال له سعيد أصالحك وأصحابك على شرطين من دخل في ديننا
فله ما لنا وعليه ما علينا ومن اختار دينه وألقى سلاحه كان آمنا
من القتال وأما المدينة فالأمير عليها وقد قرب فتحها إن شاء الله تعالى
فإن أحببت أن تسير حتى يسمع الأمير كلامك فسر وأنت في أماني
فقال له البطريق افعل ذلك فدعا سعيد بوقاص وقال له يا وقاص
كن البشير لما رأيت وسمعت وأسرع بالجواب إلي فسار وقاص حتى
وقف على الأمير أبي عبيدة وقال أبشر أيها الأمير فإن البطريق
أخذ الأمان من سعيد وأقبل يريد الصلح لمن معه ولأهل المدينة
فلما سمع أبو عبيدة ذلك سجد شكرا لله تعالى وقال أيها الناس
تقدموا إلى حرب المدينة وأظهروا أسلحتكم وكبروا تكبيرة
واحدة حتى ترعبوا بها القوم ففعل المسلمون ذلك فارتجت المدينة
بمن فيها وظنوا أن البطريق هلك فصاحوا بأجمعهم الأمان الأمان
قال الواقدي رحمه الله فلما رأى أبو عبيدة ذلك
أرسل يطلب البطريق فلما حضر ورأى عسكر المسلمين استقلهم وقال

لقد ظننت أنكم أكثر منا ولقد كان يخيل لنا عند قتالكم أنكم عدد
الرمل ومدينتنا حصينة ليس في الشام مثلها ولولا ما سبق من لفظنا
ما صالحناكم عليها والآن نصالحكم على ألف أوقية من الذهب وألفي
أوقية من الفضة وألف ثوب من الديباج فتبسم أبو عبيدة وقال
نصالحكم على ضعفين مما ذكرت وزيادة خمسة آلاف سيف من
مدينتكم وسلاح أصحابك الذي في الضيعة وأنكم بعد ذلك لا تعملون
سلاحا ولا تحدثوا كنيسة ولا ديرا قال فلما سمع البطريق ذلك قال
إني أشرط عليك وعلى أصحابك شرطا فقال أبو عبيدة وما هو قال
لا يدخل إلينا منكم أحد وتدعني أدخل المدينة أنظر في مصالح
الروم فأجابه أبو عبيدة وتم الصلح على ذلك قال سعيد بن صالح
وجاء المال بعد اثنا عشر يوما وهم مع ذلك يحملون الزاد والميرة
حتى استتمت الأموال والثياب والسلاح فجاء البطريق إلى أبي
عبيدة وقال له انظر من تخلف علينا من أصحابك واشرط عليه
أن لا يجور علينا ولا يطالبنا بما لا طاقة لنا به قال فدعا الأمير
برجل من العرب اسمه رافع بن عبد الله السهمي وقال له إني استعملتك
على هذه المدينة وضم إليه خمسمائة فارس من بني عمه وعشيرته
وأربعمائة فارس من المسلمين وقال له إني أوصيك بتقوى الله

وكن من الولاة العادلين وإياك والظلم فتحشر مع الظالمين وأقم
الارصاد في أطراف البلاد واعلم أنك بين أعداك ولا تمكن أحدا
من أهل الذمة أن يختلط مع أصحابك في غارة وأحسن معاملة من ساعدك
وكن مع القوم كأحدهم وأمر أصحابك أن يكفوا أيديهم عن الفساد
والله الخليفة عليك وعليهم والسلام ثم هم أبو عبيدة بالرحيل وإذا
بصاحب عين الجن قد أقبل إليه وصالحه على نصف ما صالح أبو عبيدة
أهل تغلبات وولى عليها صالح بن ذويب السهمي ووصاه بها ورحل
أبو عبيدة يطلب حمص فلما وصل إلى الرستاق أتته هدية كثيرة
فقبلها وسار حتى نزل حمص وقال اللهم عجل فتحها وأخذل من بها
من المشركين ونزل أبو عبيدة على النهر فلما استقر به الجلوس
كتب إلى أهل حمص بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة بن الجراح
عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام وقائد جيوشه أما
بعد فإن الله عز وجل قد فتح أكثر بلادكم على أيدينا فلا يغرنكم
عظم مدينتكم وكثرة زادكم وما مدينتكم عندنا إلا كنصب حجارة
في وسط عسكرنا ونحن ندعوكم إلى دين ارتضاه لنا ربنا وشريعة
جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن أجبتم كان لكم ما لنا
وعليكم ما علينا ونرحل عنكم ونخلف عليكم من يعلمكم سنن الدين وقرأ

من أمر ديننا وإن أبيتم الإسلام قررنا عليكم أداء الجزية وإن
أبيتم فالحرب بيننا وبينكم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ثم طوى
الكتاب ودفعه إلى رجل من المعاهدين وقال له انطلق بهذا الكتاب
إلى أهل حمص وائتني بالجواب فأخذه المعاهدي وسار إلى أن قرب
من الصور فهموا أن يرموه بالسهام فقال امسكوا فإني على دينكم وقد
أتيتكم بكتاب من أمير العرب فأرخوا له حبلا فربطه في وسطه
وسحبوه فلما صار عندهم أتوا به إلى بطريقهم فناوله الكتاب
فقال له البطريق أرجعت عن دينك إلى دين هؤلاء العرب قال لا
أيها السيد ولكني في ذمتهم وتحت عهدهم وما رأيت من القوم
إلا خيرا وإن من الصواب أن لا تقاتلهم فإن القوم ذو بأس
والقتل عندهم أفضل من الحياة والقوم قد تقاسموا أن لا يبرحوا
حتى تسلموها إليهم أو يفتحها الله لهم وحق ديني إنكم أحب إلي منهم
ولكني أخاف عليكم من بأسهم فلما سمع البطريق قوله بدا
الغضب في وجهه وزبر وقال لولا أنك رسول لأمرت بقطع لسانك
على جوابك على هذا الكلام ثم كتب بعد كلمة كفره أما بعد
يا معاشر العرب إنه قد وصل إلينا كتابكم وعلمنا ما فيه من التهديد
والوعد والوعيد ولا بد لنا من الحرب والقتال والسلام ثم

طوي الكتاب وسلمه الى المعاهدي ودلوه في الحبل وسار الى ان قدم
على ابي عبيدة ونا وله الكتاب ففضه وقراه على المسلمين فعولوا على
الحرب وقسم ابو عبيدة عسكر المسلمين على اربع فرق فرقة مع المسيب
ابن نجية الفزاري وسار الى باب الجبل وبعث فرقة مع شرحبيل بن
حسنة وفرقة مع المرقال هاشم بن عتبة وفرقة مع يزيد بن ابي سفين
واقام ابو عبيدة مع خالد على باب الرستن وجا المسلمون من كل مكان
فلما كان من الغد جمع خالد كل عبد في العسكر وامرهم بالزحف
الى الصور فقال ابو عبيدة وما يغنوا عنا هولا فقال على رسلك
ايها الامير ولا تخالفني فيما فعلت حتى يعلموا انهم ما لهم عندنا
قيمة ولا قدر ولا نقاتلهم بانفسنا فقال ابو عبيدة اصنع ما شئت
وكانت العبيد يزيدون على اربعة الاف عبد قال واشرف
عليهم الملعون وقد دار به عظما البطارقة وقد صلبوا على
وجوههم وقالوا ما ظننا ان العرب بهذه الصفة واذا هم سود
كلهم فقال لهم بعض من حضر وقعة اجنادين هولا عبيدهم
وهذه من بعض مكايد العرب يعنون بذلك انه ليس لنا عندهم
قيمة ولم تزل العبيد تقاتل الى الليل فبعث البطريق كتابا مع رسوله
الى ابي عبيدة فلما راه اخذ الكتاب وقراه واذا فيه معاشر العرب

اما بعد فانه قد تبين لنا ضعفكم وسفه رايكم اذ وجهتم الينا
العبيد يقاتلونا ونحن في صبيحة هذه الليلة نخرج اليكم ونقاتلكم
وينصر الله من يشا فلما قرا ابو عبيدة الكتاب استشار خالد ومن معه
من المسلمين في ذلك فقالوا الراي عندنا ان تكتب الى هولا وتسالهم
ان يميرونا ونرحل عنهم الى ان نفتح غيرمدينتهم فنرجع اليهم
ونشن الغارة عليهم فقال له ابو عبيدة اصبت الراي يا ابا
سليمان واني افعل ما ذكرته ان شا الله تعالى ثم دعا بدواة
وقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني قرات كتابك
ولسنا ممن نريد البغي على احد من عباد الله تعالى فان اردتم ان
نرحل عنكم فابعثوا لنا ميرة خمسة ايام والطريق قدامنا متتابعة
فاذا فتح الله علينا رجعنا اليكم فان فعلتم ذلك كان صلاح
لكم ثم طوى الكتاب وسلمه الى الرسول فلما قرا البطريق الكتاب
فرح بذلك وجمع الروسا اليه وقال لهم ان العرب قد بعثوا
الي يطلبوا منكم الزاد حتى يرحلوا عنكم وقد رايت من الراي ان
ازودهم حتى يرحلوا عنا فان العرب مثلهم مثل السباع اذا
وجدوا فريسة لم يبعدوا عنها الى غيرها قال ثم بعث البطريق بعض
الاقسة الى ابي عبيدة اخذوا عليه عهد الله وميثاقه انه يرحل

عنهم وتم الصلح على ذلك ثم اقبل عليهم ابو عبيدة وقال يا اهل حمص قد قبلنا ما حملتم الينا طوعا فان رأيتم ان تبيعونا فافعلوا ففعلوا وانعم واستبشروا برحيل العرب عنهم ثم خرج ابو عبيدة من حمص ونزل على الرستن ورأى حصنا منيعا واسواره عزيزة وهي مشحونة بالرجال فبعث اليهم رسولا بالصلح فأبوا ذلك وقالوا انا لا نفعل حتى نرى ما يؤل اليه امركم مع الملك هرقل ومع ذلك يكون ما شاء الله تعالى فقال ابو عبيدة انا متوجهون الى بلد الملك ومعنا رحال قد اثقلتنا ونريد ان نودعها في مدينتكم الى وقت رجوعنا فأتوا الى بطريقهم وكان اسمه لقيطا وعرضوا عليه ذلك فقال لهم ما زالت الملوك تودع بعضها بعضا وما يضر ذلك ثم بعث الى ابي عبيدة يقول له مهما كان لكم من الحوائج نقضيها **قال الواقدي** رحمه الله عن ثابت قال كنت ممن حضر ابو عبيدة وذلك انه دعا باهل الرأي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم اعلموا ان هذا الحصن منيع ليس الى فتحه من سبيل الا بالخديعة واريد منكم عشرون رجلا في عشرين صندوقا وتكون الاقفال من عندكم فاذا صرتم في المدينة فثوروا على اسم الله فانكم تنصرون ان شاء الله تعالى فقال خالد بن الوليد فاذا فعلت ذلك

فلتكن الاقفال ظاهرة واسفل الصناديق انثى في ذكر من غير شيء يمسكها فاذا دخل القوم البلد فليخرجوا ايدا واحدة ويكبروا فان النصر مقرون مع التكبير فاستصوب ابو عبيدة رأيه ثم اخذ صناديق الطعام وجعل اسفلها ذكرا في انثى ثم تقدم ضرار ابن الازور والمسيب بن نجية الفزاري وذو الكلاع الحميري وعمرو بن معدي كرب والمرقال بن هاشم وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الرحمن بن الاشتر وعون بن سالم وصابر بن كلكل الفزاري ومازن بن عامر وربيعة بن عامر وعكرمة بن ابي جهل وعتبة بن العاص وعبد الله بن جعفر الطيار جعله اميرا عليهم فلما حصلت الصناديق داخل الرستن القاها لقيطا في دار امارته وارتحل ابو عبيدة حتى نزل بقرية يقال لها السويدة فلما اظلم الليل بعث خالد بجيش الزحف لينظر خبر الرستن واذا بالصياح قد علا داخله وذلك ان الصحابة رضي الله عنهم لما تركهم لقيطا في دار امارته ركب الى البيعة مع بطارقته ليصلوا صلاة البشر فارتفعت اصواتهم بقراءة الانجيل فلما سمعوا اصواتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا من الصناديق واشهروا سلاحهم وقبضوا على امرأة لقيطا

وقالوا لها نريد مفاتيح المدينة فخافت وسلمت إليهم المفاتيح فلما حصلت
في أيديهم أعلنوا بالتهليل والتكبير وأدركوا القوم على باب
البيعة فلم يقدر أحد يخرج من القوم لأنهم بغير سلاح وبعث
عبد الله بن جعفر ربيعة بن عامر والأصيد بن سلمة وعكرمة
ابن أبي جهل وعتبة بن العاص وسلم إليهم المفاتيح وقال لهم
افتحوا الباب وارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير فإن
إخوانكم حول البلد مكمنين وعلى مقدمتهم خالد بن الوليد ففعلوا
ذلك فلما فتحوا الأبواب وكبروا أجابهم أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خارج الرستن بالتكبير ودخل خالد ومن
معه وسمع أهل الرستن أصوات المسلمين فعلموا أنهم في قبضتهم
فاستسلموا وخرجوا إليهم وقالوا لا انقاد لكم وصرنا الآن في
أيديكم فاعدلوا فينا فأنتم أحب إلينا من قومنا فأعرض خالد
الإسلام عليهم فأسلم منهم قوم وبقي الأكثر على دينهم
يؤدون الجزية وأما بطريقهم فإنه قال لا أريد بديني بدلا
فقال له خالد اخرج بأهلك عنا فأخرجوه وتوجه بأهله إلى
حمص وأعلم أهلها بفتح الرستن فصعب عليهم وعلموا أن العرب
تصبحهم بالغارة ووصل الخبر إلى أبي عبيدة بفتح الرستن فسجد

شكرا لله تعالى وبعث ألف رجل وأوصاهم بحفظ الرستن وأمر
عليهم هلال بن عامر اليشكري فلما استقروا في الرستن لحق
خالد وأصحابه وعبد الله بن جعفر وأصحابه بأبي عبيدة وتوجهوا
إلى حماة وهي في صلح المسلمين كما ذكرنا وذلك أن أهل شيزر
مات بطريقهم وأرسل هرقل إليهم بطريقا جبارا اسمه ركس
فنسخ الصلح وأذاق أهل شيزر شرا فلما بلغ أبو عبيدة خبره أرسل
خيلا من المسلمين جريدة أمامه إلى شيزر فغاروا عليها ووقعت
الضجة فسمع البطريق ضجيجهم فنزل إليهم من قلعته وقال
لهم يا أهل شيزر أنتم تعلمون أن الملك الرحيم استخلفني عليكم
لحفظ مدينتكم ثم فتح خزانة السلاح ففرقها عليهم وأمرهم
بالحرب والقتال فبينما القوم كذلك إذ أشرف عليهم خالد
ابن الوليد ومعه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم
العسكر ثم كتب أبو عبيدة كتابا إلى أهل شيزر يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أهل شيزر اعلموا أن حصنكم
ليس بأحصن من بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم أشجع
فإذا قرأتم كتابي فادخلوا تحت طاعتي ولا تخالفوني فيكون
وبالا عليكم وطوى الكتاب وسلمه إلى رجل من المعاهدين

فلما وصل الكتاب إليهم أعطوه لبطريقهم فلما قرأه قال ما تقولون
يا أهل شيزر فقالوا صدقت العرب إن حصننا ليس بأمنع من البلاد
التي فتحوها فكيف تمتنع عليهم شيزر قال فسبهم ولعنهم وأمر غلمانه
بضربهم ففرح المسلمون بذلك ثم قال إني أخاف أن يغدروا بي
ويفتحوا الباب للعرب ويسلموني وأهلي إليهم فقوي عزمه على
الصلح وصالحهم فقال أبو عبيدة قد فتح الله المدينة على أيديكم
أيسر فتح وقد خرج أهل حمص الآن من ذمتكم فارجعوا بنا إليهم
فلما ركبوا خيولهم وهموا بالمسير لاحت لهم غبرة من طريق
إنطاكية فأسرعت الخيل نحوها وإذا هم بقس عظيم ومعه
مائة برذون ومن حولها مائة علج يحفظونها ولم يكن للقس علم
بنزول العرب على شيزر قال الواقدي رحمه الله
فزعق بهم خالد وكبر وكبر المسلمون وأحدقوا بهم واستاقوا
البراذين وأخذوا القس والعلوج أسرى وساقوا الجميع إلى
أبي عبيدة رضي الله عنه فوجدوه على النهر المقلوب فأوقفوا
القس بين يديه واستخبروه فعرفهم بما جاء فيه وأن جميع
الروسية والروم والصقالبة والأرمن والفرنج قد أجابوا
الملك وهم متوجهون إليكم فعظم ذلك على أبي عبيدة

رضي الله عنه ثم عرض على القس الإسلام فقال للترجمان قل
لأميرك إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة
في المنام وأسلمت على يديه ثم عرض الإسلام على العلوج فأبوا
فضرب رقابهم وسار متوجها نحو حمص ودار بها فصعب
ذلك على أهلها وكتب صاحب حمص كتابا إلى أبي عبيدة يقول
فيه أما بعد يا معشر العرب لم يبلغنا عنكم أنكم غدرتم
وأنتم صالحتمونا على الميرة ففعلنا ما أمرتم فقال أبو عبيدة
رضي الله عنه إنا لم نغدر ولم ننكث وأنا عاهدتكم على أني
أنصرف عنكم وأفتح مدينة من مدائن الشام ثم يكون الأمر
إلي إن شئت رجعت إليكم أو سرت إلى غيركم قالوا بلى
فقال أبو عبيدة قد فتح الله علينا شيزر والرستن في أهون
شيء والآن فلا عهد لكم عندنا إلا أن تصالحونا فقالت
الأقسة صدقتم ليس عليكم لوم والخطأ منا إذ لم
نعاهدكم ثم رجعوا إلى مدينتهم وطلب أبو عبيدة الرجال
وقال لهم خذوا أهبة الحرب فإن القوم بلا زاد ولا مدد
يأتيهم من طاغيتهم واستعينوا بالله وعليه توكلوا قال
فتأهبوا ودنوا من الأبواب واجتمع أهل حمص إلى بطريقهم

وقالوا له ما عندك من الرأي قال عندي أنا نقاتلهم ولا نريهم ضعفا فقالوا له فأين الزاد وما تكون الحيلة فقال البطريق عندي حب يقوتكم مدة طويلة ثم فتح خزانة كانت عنده فقسمها بينهم وفرق عليهم الدروع وجميع الآلة والعدد وتقدموا الإنجيل أمامهم وباتوا بقية ليلتهم يبتهلون بالكفر قال فلما أصبحوا فتحوا أبواب حمص وخرج القوم في عددهم وعديدهم والتقى الجمعان واختلط الفريقان إلا أن المسلمين تراجعوا القهقرى وفشا فيهم القتل والجراح فلما نظر أمين الأمة إلى ذلك من هزيمة المسلمين عظم ذلك عليه وصاح برفيع صوته يا بني العربيات الرجعة بارك الله فيكم فهذا يوم له ما بعده قال فرجع المسلمون وحملوا على أهل حمص حملة منكرة ووضع المسلمون فيهم السيف وفشا القتل في الروم وجثت على الركب واستترت العلوج بالدرق وأفرغوا جعب النشاب فلما نظر خالد إلى ذلك برز باللواء وهو صاحبه يوم حمص ونادى في أصحابه شدوا بارك الله فيكم فإنها غنيمة الدنيا والآخرة فقال أبو عبيدة لله درك يا أبا سليمان فلقد جاهدت في الله حق جهاده فلما نظر المرقال بن هاشم بن عتبة إلى ذلك صاح يا بني زهرة وحمل على ميمنة الروم وحمل في ميسرتهم ميسرة بن مسروق

العبسي

العبسي وحمل من بعدهم عكرمة بن أبي جهل وجعل يزجر القوم زجرا ويهبرهم هبرا وغاص في المشركين فقصده بطريقهم ورماه بحربة في صدره فانجدل صريعا فلما نظر خالد إلى ذلك أقبل حتى وقف عليه وبكى ولم يزل المسلمون في الحرب إلى أن انقضى النهار وانصرفوا إلى رحالهم وباتوا ليلتهم فلما أصبحوا استشار أبو عبيدة خالد بن الوليد وقال له إني رأيت من الرأي أن ننكشف للقوم وندع لهم سوادنا وإبلنا فإن تنأوا عن مدينتهم تمكنا منهم وأسرعنا الكرة عليهم فقال نعم الرأي وتواعد المسلمون على ذلك فلما أصبحوا والتقى الجمعان انهزم المسلمون أمامهم على ما كان بينهم فتبعهم البطريق في رجاله وهم ألف فارس وكان بحمص قس عظيم قد أحكمته التجارب فأشرف على السور فلما نظر إلى العرب انهزموا وتركوا سوادهم جعل ينادي ويصيح وحق المسيح إنها لخديعة ومكيدة من العرب وإن العرب لا تسلم أولادها وأهلها ولو قتلوا عن آخرهم قال ثم نادى أبو عبيدة برفيع صوته الرجعة يا معاشر العرب بارك الله فيكم فلما سمعوا صوته عطفوا على الروم كالسهام الراشقة وأحاطوا بالبطريق من كل جانب فلما رأت الروم إلى فعل

المسلمين بهم وقد تكالبوا عليهم وحمي الوطيس نادى خالد برفيع
صوته رحم الله من جرد سيفه وقوى عزمه وقاتل اعداءه فعندها
انتضت العرب السيوف ونادى ابو عبيدة قاتلوا عن حريمكم وسوادكم
فان الله مطلع عليكم وكان معاذ بن جبل قد انفرد في خمس مائة
فارس الى السواد وانقض على الروم فقتل منهم من قتل واسر من
اسر وانفلت من انفلت فلما نظرت الروم الى ذلك عظم عليهم
الامر ودخلوا الى المدينة واخذ المسلمون الاسلاب والدروع
ووقع الصياح بحمص واجتمع الرجال والمشايخ الى بتيتهم وعزموا
على ان يسلموا حمص الى المسلمين فخرجوا وصالحوهم على تسليم
المدينة الى المسلمين وان يكونوا تحت ذمتهم فقال ابو عبيدة انتم
تحت ذمتنا ولا ندخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين ملك
الروم ورأوا من قتل من المسلمين فاذا هم مائتان وخمسة وثلاثون
رجلا ختم الله لهم بالشهادة **قال الواقدي** رحمه الله
واتصل الخبر ان المسلمين فتحوا حمص والرستن وشيزر وقد اخذوا
الهدية التي ارسلتها فجمع الجموع وجيش الجيوش فكان اوّلهم
عنده بانطاكية وآخرهم على مائتي فرسخ وعشرون فرسخا وقام
فيهم خطيبا وقال يا اهل دين النصرانية قد حذرتكم من هؤلاء

العرب فلم تقبلوا مني فوحق ديني لا بد لهم ان يملكوا ما تحت سريري
هذا وقد اجتمع لكم ما لم يجتمع لملك من ملوك النصرانية فتوبوا
الى المسيح من ذنوبكم فاني عولت ان اصرف هذه الجيوش الى بلادها
وآخذ اهلي ومالي واخرج الى القسطنطينية فاسكنها وآمن من هؤلاء
العرب فلما سمعوا ذلك قبلوا الارض بين يديه وقالوا له ايها
الملك لا تفعل ولا تخذل دين المسيح ويطالبك بذلك في القيامة
وتعيرك الملوك ونحن نلقى العرب ولعل النصر ينزل علينا فقال
لهم هرقل ان كان الامر كذلك فافترقوا اربع فرق فانكم
ان اخذتم في طريق واحد لم يسعكم ثم انه خلع على جبلة بن الايهم
وضم اليه المتنصرة من غسان ولخم وجذام وتقدم اليه ماهان
فخلع عليه وقال له قد وليتك امر هذا الجيش كله وامرتك
عليه ثم خلع على قناطر وولاه على ربع الجيش ثم تقدم اليه
جرجيس فخلع عليه وولاه على ربع الجيش وكذلك فعل بقوريز
ثم امرهم ان لا يفعلوا امرا الا بمشورة ماهان ثم بعث قوريز
الى ارض العواصم والمعرات وامر جبلة ان يكون على مقدمة
ماهان **قال الواقدي** وكان لابي عبيدة عيونا
وجواسيسا من المعاهدين يكشفون الاخبار فجاؤوه وحدثوه بما

راوا فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قام في المسلمين
خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد يا معشر العرب رحمكم الله
ان الله تعالى ابلاكم بلاء حسنا لينظر كيف تعملون وذلك عند ما صدقكم
الوعد وذلك ان عيوني اخبروني ان عدو الله هرقل قد استنفر علينا
من ساير البلاد تباع الشرك وقد سيرهم اليكم يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره واعلموا ان الله معكم
وليس بقليل من يكن الله معه والله خاذل عدوكم وليس بكثير من
يكن الله خاذله فما عندكم من الراي فقام اليه رجل من المسلمين وقال
يا امير المؤمنين الراي ان تسير من موضعك هذا وتنزل مكانا يقارب
وادي القرى فيكون العسكر قريبا من المدينة والمدد يصل الينا من
الخليفة فقال ابو عبيدة اعلم اني ان رحلت من موضعي هذا كره
الى عمر ذلك وعنفني ويقول ترك مدنا فتحها الله على يديه وارتحل
عنها ويكون ذلك كالهزيمة ثم قام قيس بن هبيرة المرادي وقال
يا امين الامة ان الشام خصبة والحجاز جدبة فكيف نرجع ونترك
لهؤلاء العلوج العصون والانهار **قال الواقدي**
رحمه الله وكان جملة من بعثه هرقل الى اليرموك ثمانمائة الف
من طوايف الكفر ثم قال خالد بن الوليد ايها الامير اعلم انك ان

اقمت في منزلك هذا فانك تعين على نفسك لان الجابية قريبة من
قيسارية وفيها قسطنطين بن هرقل في اربعين الف والذي اشير به
انكم تستقبلون عدوكم وتجعلون اذرعات خلف ظهوركم
الى ان تنزلوا اليرموك ويكون المدد من امير المؤمنين متلاحق
وتامنوا من عدوكم على فرسخ قال فلما تكلم خالد بهذا الكلام
قال المسلمون نعم ما قال واشار به خالد قال فعند ذلك امر الناس
بالرحيل من الجابية فظنت الروم انهم هاربون فطلبوهم فالتفت
خالد رضي الله عنه وصاح باصحابه وقال دونكم والقوم فهذه
راية النصر فانتضوا السيوف ومدوا الرماح وحمل خالد وضرار
وطلحة بن نوفل العامري وعامر بن الطفيل الدوسي ومن هو لا كثير
فلم يكن للروم طاقة بهم فولوا منهزمين الى مدينتهم ومنهم من
انهزم والجاته الهزيمة الى الاردن فغرق منهم خلق كثير واما
ابو عبيدة فانه نزل باليرموك وترك اذرعات خلفه وكان هناك
تل عظيم فترك فيه ابو عبيدة النسا والاولاد وامرهم باليقظة
واقام الحرس ورتب الطلايع والعيون على ساير الطرقات واقام
المسلمون باليرموك وهم مستعدون لقتال الروم الى ان وصل
العدو بالقرب من ارض الجولان فلما نظر المسلمون الى كثرة عساكر

الروم قالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واستعانوا بالله تعالى
وكان هرقل قد قال لماهان لا تترك الحرب بينك وبين العرب
ووجه اليهم رسولا فلما وصل ماهان ارسل اليهم بقس اسمه جرجس
فسار الى ان وصل اليهم فاوقفوه على ابي عبيدة فقال له قل يا اخا
الكفر ما انت قايل فقال يا معشر العرب لا يغرنكم قولكم هزمنا
الروم في مواطن كثيرة وفتحنا مدنها فانظروا الآن الى ما قد
اتاكم فقال ابو عبيدة نحن قوم لا نخوف بكثرة الجيوش وفي طلب
الجهاد خرجنا ونحن على بصيرة من امرنا ولا بد ان نملك ارضكم
باسرها كما وعدنا نبينا صلى الله عليه وسلم قال فلما سمع
جرجس كلام ابي عبيدة رجع واخبر ماهان فقال ماهان ادعهم
الى الصلح فقال لا وحق المسيح ثم دعا جبلة بن الايهم وقال له
اخرج الى هولاء القوم وخوفهم من كثرتنا قال فخرج جبلة
الى ان وقف بين الصفوف ونادى فاجابه عبادة بن الصامت
فنظر اليه فراه رجلا اسمر طويلا فقال له من انت فقال انا
عبادة بن الصامت فقال اني خرجت اليكم لاني اعلم ان اكثركم
من الرحم والقرابة وناصحا لكم واعلموا ان هولاء القوم قد
نزلوا بفنايكم بجنود لا قبل لكم بها ولا لكم منها ملجا وان

انهزموا رجعوا الى عساكره وبلاده وجزايره والراي عندي انكم تاخذون
ما حصل في ايديكم وتنصرفوا الى بلادكم فقال له عبادة بن الصامت
نحن نعلم ان المتخلف من جموعكم قد تيسر امره علينا وانا ادعوك الى
الاسلام فاتبع سبيل من اناب الى الحق فغضب جبلة من قوله فقال
له ان ابيت الا ما انت عليه من الكفر فالقنا في اول حملة لننظر
فعل سيوفنا فلما سمع جبلة ذلك قال يا ابن العم انما خرجت اليكم
لانصحكم فان ابيتم فسل قومك ان يجيبونا الى الصلح فقال عبادة
لا صلح بيننا وبينكم الا باداء الجزية او الاسلام او السيف قال
فرجع جبلة الى ماهان مرعوبا من كلام عبادة وتبين الجزع في
وجهه فامر ماهان ان يسير جبلة بعسكره اليهم فسار في ستين الفا
حتى اشرف على القوم وكان عبادة بن الصامت يحدث ابا عبيدة
بما جرى بينه وبين جبلة اذ اشرف القوم عليهم فصاح المسلمون
بعضهم على بعض قد اقبلت العرب المتنصرة اليكم فاخرجوا اليهم
فقال خالد اصبروا رحمكم الله ولا تعجلوا فاني اكيدهم فقال له
ابو عبيدة ما هذه المكيدة فان القوم استقلونا وهم في اضعاف
عددنا وان نحن قاتلناهم بجمعنا كان ذلك وهنا وضعفا منا
والراي ان نبعث اليهم رجالا من اعز ابطالنا يعملون في ردهم على

أعقابهم فإذا فعلوا ذلك فتكون كسرة لهم وإن أبوا إلا الحرب خرجنا
إليهم بقومنا فيرد وهم على أعقابهم فقال له أبو عبيدة افعل ما بدا
لك فقال خالد معاشر المسلمين إن القوم في ستين ألفا من العرب
المتنصرة ونريد أن نلقاهم في ثلاثين رجلا فقال له أبو سفين إن
أجابك إلى ذلك رجل فإنه مغرور بنفسه فقال خالد يا أبا سفين لا تكن
جبانا في الإسلام شجاعا في الجاهلية فقال له ما قلت لك ذلك إلا
شفقة على المسلمين وإن صح عزمك على ذلك فاجعل القوم ستون رجلا
يقاتل الرجل منهم ألفا فقال أبو عبيدة نعم ما أشار به أبو سفين
فانتخب خالد الستين وقال لهم رحمكم الله تأهبوا للحملة ولتكن
السيوف هي المقربة للحتوف **قال الواقدي** رحمه الله
وعاد الستون فارسا إلى رحالهم وإصلاح شأنهم وأما ضرار بن
الأزور فإنه أقبل إلى خيمته وسلم على أخته خولة وكذلك
فعل الستون رجلا وسلموا على أولادهم وكان أول من خرج
إلى القتال خالد بن الوليد فتقدم أمام القوم وأصحابه يقدمون
عليه رجلا بعد رجل فلما تكامل جمعهم خرج خالد ونادى
يا عبدة الصلبان هلموا إلى الحرب والطعان فصاح جبلة بقومه
يا آل غسان الحملة الحملة بارك الله فيكم فحملت الستين ألفا على الستين

فارس

فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتعل القتال
بينهم فما كنت تسمع إلا همير القوم فكبر المسلمون وأخذهم
القلق على إخوانهم وكانت الروم يقولون إن أهلك جبلة هؤلاء
فهلاك الروم حاصل فلما حمي القتال ترجل خالد عن جواده والفضل
ابن العباس ينادي أنا الفارس الدعاس أنا ولد العباس وركب
خالد جوادا غير جواده وركب المرقال فرسا من خيل الروم وحملوا
على المشركين ولم يزالوا كذلك يومهم أجمع إلى أن جنحت الشمس
للغروب وإذا بجيش المتنصرة منهزما وأصوات المسلمين قد
ارتفعت بقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده
ورسوله قال فافتقد خالد المسلمين فوجد منهم عشرون رجلا
فجعل يقول هلكت المسلمين فما عذرك يا خالد عند رب العالمين
فسأله أبو عبيدة فقال فقدت أربعون رجلا من المسلمين منهم
الفضل بن العباس قال فاسترجع أبو عبيدة وقال لا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم فقال سلامة بن الأحوص دونكم والمعركة
فإن رأيتموه وإلا فاعلموا أن أصحابكم في الأسر قال فافتقدوا
المعركة وإذا قد قتل من المتنصرة خمسة آلاف فقال أبو عبيدة
لعل أصحابكم سالمين اتبعوا المشركين فتبع خالد آثارهم وتبعه ناس

من المسلمين فسار غير بعيد فسمع التهليل والتكبير فأجابهم خالد رضي
الله عنه بالتكبير فأقبل القوم إليه فقال لهم ما كان من أمركم فقالوا
هزم الله المشركين وذلك أن رجالا منا قد أسرتهم المتنصرة ونحن
في المعركة ورجونا أن نخلصهم فلم نر لهم أثرا ولا شك أنهم قتلوا
فقال خالد إن القوم في الأسر لا محالة فقال الزبير بن علقمة وكيف
علمت ذلك فقال لأنا لم نجد في موضع المعركة إلا عشرة رجال
ونحن عشرون وأنتم خمسة وعشرون وقد أسرت خمسة لا
محالة فمن قتل كان أجره على الله ومن أسر فخلاصه على الله تعالى
إن شاء الله تعالى قال ورجع جبلة إلى ماهان وقال أيها الملك
إنا لم نزل منصورين عليهم إلى أن أقبل الظلام وكان صارخ
صرخ بنا فبدد شملنا ولم يلتئم منا أحد مع أحد فقال ماهان
لما سمع ذلك وحق الإنجيل لأحملن عليهم غدا إلا بخيلي ورجالي
حتى أجعلهم رميما وبات أبو عبيدة وقد أجمع على ملاقاة الروم
ثم كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة بن الجراح عامل أمير المؤمنين
بالشام أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين إن كلب الروم

قد استنفر علينا بكل من عبد صليبا والعدد في ثمانمائة ألف مقاتل
غير الأتباع وستين ألفا من المتنصرة من غسان ولخم وجذام والتقينا
بجبلة وجموعه في ستين ألفا من المتنصرة فخرج إليهم ستون رجلا
فهزم الله المشركين على أيديهم وقتل منهم عشرة أنفار وأسر
خمسة وهم رافع بن عميرة الطائي وربيعة بن عامر وضرار بن الأزور
وعاصم بن عميرة ويزيد بن أبي سفين ونحن على نية اللقاء والله ينصر
من يشاء والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته
ثم طوى الكتاب وسلمه إلى عبد الله بن قرط فأخذه وتوجه به
إلى المدينة الطيبة الأمينة قال عبد الله فلما وصلتها دخلت
المسجد وصليت ركعتين وسلمت على قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم دفعت الكتاب
إلى عمر بن الخطاب بعدما سلمت عليه وعلى المسلمين فلما قرأ الكتاب
انصبغ لونه وقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقام عثمان وعلي
والعباس وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقالوا يا أمير المؤ منين
ابعث بنا إليهم فوالله لا نملك إلا أنفسنا وما لنا وما نبخل بهما على
المسلمين فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه اعلموا أن هذه الوقعة
التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تبقى ذكرها إلى الأبد

هذه الفتنة المدمرة المهلكة على من كفر بالله وعبد غيره ثم قال
لعمر بن الخطاب اكتب الى عاملك ابي عبيدة ان نصر الله خير له من
نصرتنا قال فكتب الى ابي عبيدة بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
امير المؤمنين عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة ومن معه من المسلمين
سلام عليكم فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وبعد فقد قرأت كتابك وكتابك بالامداد
وقد اتت نحوكم وان كان مدد الله ونصره خيرا لكم فالقا العدو
بمن معك وتاسى بمن صرع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما عجزوا عن الحرب في المواطن حتى قتلوا في سبيل الله وجاهدوا
في الله حق جهاده واقرأ كتابي هذا على المسلمين والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ثم اعطى الكتاب للرسول قال ابن قرط
فارخيت زمام ناقتي وسرت الى ان اشرفت على اليرموك
فانخت ناقتي واتيت الى ابي عبيدة فسلمت عليه ودفعت له
الكتاب فقرأه على المسلمين فطابت قلوبهم وقالوا امتنا الامن
يطلب الشهادة فالله تعالى يبلغنا اياها قال الواقدي
رحمه الله لما سار عبد الله بن قرط من المدينة سمعنا اصواتا
هايلة فخرجنا مبادرين واذا الخيل وصلت من اليمن نحو الستة

آلاف يقدمهم جابر بن خويلد اليربوعي قال وما جن الليل حتى وصل
ألف فارس من مكة والطايف قال فعقد عمر بن الخطاب راية
وسلمها الى سعيد بن عامر فجد السير وجعل يتجنب العمران ويسلك
الفلاة الى ان وقع في واد عظيم كثير الشجر وفيه عين من الما كبيرة
فنزل المسلمون عليه وشربوا منه واكلوا من الشجر قال سعيد
فاخذتني عيني فنمت فرأيت رؤيا تدل على غنيمة وسلامة قال
ولم ازل اتلو القرآن اذ سمعت هاتفا يهتف بالوادي وهو يقول
يا عصبة الهادي الى الرشادي • لا تفزعوا من هول هذا الوادي •
ما فيه جن لا ولا معادي • ستعلمون معشر العباد •
لطف الذي يرفق بالاولاد • ويطرح الحنين في الاكباد •
قال فقمت وسجدت شكرا لله تعالى ثم سرنا فاشرفنا على
واد من بلد عمان ووصلنا الى قرية هنالك فنظرت الى دهاقين
القرية وهم خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد فلما راهم
المسلمون حملوا عليهم من غير ان امرهم بذلك واخذوا بعضهم
اسارى ورجع القوم الى حصن منيع في القرية فتحصنوا فيه وطلبوا
منا الامان فامناهم واستخبرناهم فقال اعلموا ان بقيطا صاحب
عمان لا بد ان تلقوا منه شدة عظيمة فلو ظفرتم به كان نجاة لكم

وفتحنا لكم ثم دلونا على الطريق فسرنا الى ان وصلنا الى واد عظيم كنا
فيه يوم وليلة ثم قال سعيد بن عامر ان الذي وجهنا اليه امير المؤمنين
من نجدة المسلمين افضل من مقامنا فسيروا على بركة الله وعونه
فسرنا الى ان اشرف علينا اول جيش عمان فلما راونا حملوا علينا
ونحن على غير اهبة الا ان المسلمين رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير
ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجالة عن اخرهم واجتمع الفرسان
واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم بطريقهم راجعا الى عمان وبعض
المسلمين في اثره وبعضهم يغنم الغنايم والتحف فالتفت البطريق
الى خلفه فراى الى خيل تسرع بركابها زهاء على الف فارس يقدمهم
فارسان كانهما اسدان قال فتاملتهما واذا هما الفضل بن العباس
والاخر الزبير بن العوام فلما نظر الزبير الى البطريق حمل عليه وطعنه
فازداه عن فرسه قال واشرف اصحاب سعيد على الموضع فراوا الى
الحرب امامهم وبعضهم يقتل بعضا فلما قربوا سمعوا التهليل
والتكبير فقالوا دعوة الحق فمن القايل بها فاقتحم سعيد الغبرة
فسمع الفضل بن العباس يكنى باسمه وهو يقول انا ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فملنا على من بقي من الروم
باجمعنا فما انفلت منهم احد ثم امر الزبير برؤوس القتلى فسلحت

وحملت على رؤوس الرماح فكانت اربعة الاف راس والاسارى الف
اسير وسار المسلمون الى ان اشرفوا على جيوش المسلمين فانزعجت
امراء الروم لذلك وسجد ابو عبيدة شكرا لله تعالى وطلب الاسرى
فضرب رقابهم قال الواقدي رحمه الله لما اسرت
الروم الخمسة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احضروا
بين يدي ماهان فازدراهم واحتقرهم فقال جبلة هؤلاء خيل
عسكر المسلمين وما بقي في عسكرهم من تخاف منه الا شخص واحد
وهو الذي فتح البلاد فقال ماهان لا بد ان احتال عليه حتى احصله
عندي واقتله مع هؤلاء الخمسة ثم طلب رجلا من الروم اسمه
جرجة وكان حكيما من حكماء الروم فصيحا بلسان العرب وقال له
امض الى هؤلاء العرب واتني برسول منهم وليكن الرجل المسمى
خالد بن الوليد قال فركب جرجة وسار الى عسكر المسلمين فراه
خالد فقال له ما جابك فقال ان الملك ارسلني اطلب منكم رسولا
لعل الله ان يحقن دماءنا ودماءكم فقال له خالد انا اكون الرسول
ثم اوقف رسول الروم وتقدم الى ابي عبيدة وحدثه انه يريد
ان يسير الى ماهان فقال له ابو عبيدة امض اليه سلمك الله فلعل الله
ان يهديهم او طايفة منهم على يديك او يذعنوا الى الصلح او اداء

الجزية فتحقن الدما على يديك فحقن دم رجل مسلم احب الى الله من جميع
اهل الشرك فقال خالد انا اطلب المعونة من الله تعالى ثم نهض الى
خيمته ولبس خفيه وتعمم بعمامة سودا وشد وسطه بمنطقة من الادم
وتقلد بسيف مسيلمة لعنه الله وامر عبده همام ان ياخذ معه قبته
الحمرا وكان فيها شمسات من الفضة وحلقها من الفضة وكان خالد
اشتراها من ميسرة بن مسروق العبسي بثمانين دينارا ثم ركب
جواده وارسل معه ابو عبيدة مائة فارس وسار خالد وعن يمينه
معاذ بن جبل وعن يساره المقداد بن عمرو الرنجي والمائة فارس
محدقون به فلما سار بكا ابو عبيدة فقال له نصر بن سالم ما يبكيك
فقال يا ابن سالم هؤلاء انصار هذا الدين القويم فان اصيب
رجل منهم في امارتي فما يكون عذري عند الله تعالى **قال**
الواقدي رحمه الله فلما اشرف خالد ومن معه على عسكر
الروم وهو خمس فراسخ في خمس فراسخ والسلاح يلمع في عسكرهم
لمعان المرايا فضج خالد ومن معه بقول لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله فاستقبلهم جبلة بن الايهم وقال ما تريدون فقالوا
هذا خالد بن الوليد يريد ماهان وقد اتاه رسوله فقال كونوا في

مواضعكم حتى استاذن عليكم ثم انه اجتمع بماهان وقال ايها الملك
قد اقبل خالد ومعه مائة فارس كانهم الاسود الضارية فقال
ماهان انما اردنا خالد وحده فاقبل اليه جبلة وقال يا معاشر
العرب ان ماهان ما اراد الا خالد وحده ليسال عما يريد فقال
خالد قل لصاحبك ان خالدا لا يدخل عليك الا ومعه اصحابه فاني
لا استغني عن رايهم فرجع جبلة الى ماهان واخبره بقول خالد
فقال ائذن لهم فاذا صاروا بازاء مضربي فاذن لهم بالنزول
وخلع سيوفهم قال فمضى جبلة اليهم وامرهم بالمسير فدخل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداهم الترجمان قد وصلتم الى
سرادق الملك فانزلوا عن خيولكم وضعوا سيوفكم فقال
خالد رضي الله عنه اما خيولنا فننزل عنها واما سيوفنا فلا نضعها
فانها عزنا وما كنا بالذي نخلع عزنا فاعلموا ماهان بذلك فقال
دعوهم يدخلوا كيف شاؤا قال فدخلوا يجرون حمايل سيوفهم
وطرحت لهم كراسي فلم يجلسوا عليها وجلسوا على الارض فلما
نظر ماهان الى فعلهم قال لهم تابوا الكرامة فقال خالد
الارض بساط الله وهي اطهر من فرشكم فقال ماهان يا خالد
اني اكره ان ابداك بالكلام فقال خالد تكلم بما تريد فلكل كلام

جواب فقال ماهان الحمد لله الذي جعل سيدنا المسيح افضل الانبيا وملكنا
افضل الملوك وامتنا خير الامم قال فقطع خالد كلامه فقال الترجمان
لا تقطع كلام الملك يا اخا العرب واستعمل حسن الادب فابا خالد ان يسكت
وقال الحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الانبيا وجعل
اميرنا الذي وليناه علينا رجل كبعضنا لو زعم انه ملك علينا لعزلناه
عنا ولسنا نريد له علينا فضلا الا ان يكون بتقوى الله عز وجل وقد
جعل الله امتنا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقر بالذنب وتستغفر منه
ويعبدوا الله وحده لا شريك له قال فاصفر وجه ماهان وسكت قليلا
وقال الحمد لله الذي ابتلانا فاحسن البلا الينا واغنانا من الفقر ونصرنا
على الامم واعزنا فلا نذل ومنعنا من الضيم فلا نضام ولسنا فيما
خولنا الله من نعيم الدنيا بطرين ولا باغين على الناس وقد كان
يا معشر العرب طايفة منكم يغشونا يلتمسون نايلنا وجوايزنا وكنا
نحسن اليهم ونكرم ضيفهم ونعظم قدرهم ونتفضل عليهم ونوفيهم
بالوعد وكنا نظن بالوعد ان العرب كلها تعرف لنا ذلك من جميع
القبايل وتشكرنا عليه لما ابدينا عليه من الجميل فما شعرنا حتى جيتمونا
بالخيل والرجال وظننا انكم تطلبون منا طلبة اخوانكم فاذا انتم
على خلاف اوليك جيتم تقتلون الرجال وتسبون النسوان وتغنمون

الاموال وتهدمون الاطلال وتريدون ان تخرجونا من ديارنا وتغلبونا على بلادنا وقد طلب منا من كان قبلكم ممن هو اكثر عددا منكم واكثر نا
اموالا وسلاحا وظهرا فرددناهم خايبين وجلين ما بين جريح وطريد
واول ما فعلنا ذلك بملك فارس فرده الله على عقبه بالخيبة والذل
وكذلك فعلنا بملك الترك وملك الجرامقة وغيرهم من الامم وانتم فلم
تكن امة من الامم عندنا اصغر منكم شانا ولا احقر منكم مكانا لانكم
اهل الشعر والوبر والبوس والشقا وانتم مع ذلك تطمعون في بلادنا
واموالنا وحوالينا امة كثيرة العدد ولنا شوكة شديدة وعصبة عظيمة
وانما جراكم علينا جدوبة ارضكم وقحط المطر عندكم فلما جيتم الى بلادنا
افسدتم كل الفساد وركبتم مراكبا ليست كمراكبكم ولبستم ثيابا ليست
كثيابكم وتعرضتم لبنات الروم البيض الاوانس فجعلتموهن خدامًا لكم
واكلتم طعاما ليس كطعامكم وملاتم ايديكم من الذهب والفضة والمتاع ع
ولقد لقيناكم الان ومعكم اموالنا ومتاعنا وما غنمتموه من قومنا واهل
ديننا وقد تركناه لكم والان مطلوبنا ان تخرجوا من بلادنا فان ابيتم
الانصراف حملنا عليكم حملة فنترككم كامس الدابر وان جنحتم للصلح
امرنا لكل راجل في عسكركم بماية دينار وثوب ولاميركم ابي عبيدة
بالف دينار ونخلع عليكم بعشرة الاف دينار على انكم تحلفون لنا ان لا

تعودوا الى حربنا قال الواقدي رحمه الله وخالد مع ذلك
مطرق رأسه لا يتكلم فلما فرغ ماهان من كلامه قال خالد قد تكلم الملك
فأحسن في كلامه ونحن الآن نتكلم ليسمع كلامنا ثم قال خالد الحمد لله
الذي لا اله الا هو فلما سمع ماهان ذلك مد يده الى السماء وقال نعم
ما قلت يا عربي ثم قال وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرتضى ونبيه
المجتبى فقال ماهان ما أدري محمد رسول أم لا ولعله كما تقول وتذكر
فقال خالد حسب الرجل دينه ثم قال إن أفضل الساعات وخيرها الساعة
التي يطاع الله فيها رب العالمين فقال ماهان لقومه بلسانه انه رجل
عاقل تكلم بالحكمة فقال خالد ما الذي قلت لقومك فأخبره بمقالته
فقال خالد إن كنت أوتيت العقل فالله المحمود على ذلك وقد سمعت نبينا
صلى الله عليه وسلم يقول ما خلق الله شيئا أحب اليه من العقل لأن الله
تعالى لما خلق العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال
وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب الي منك بك ينال دخول جنتي
فقال ماهان إذا كنت أنت بهذا العقل والفهم فلم جئت بهؤلاء معك
فقال خالد جئت بهم لأشاورهم فقال ماهان وأنت مع جودة
عقلك وحسن رأيك وبصيرتك تحتاج الى مشورة غيرك فقال خالد
نعم بهذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال

وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله وقال صلى الله عليه
وسلم ما ضاع امرؤ عرف قدره ولا ضاع مسلم قبل مشورة أخيه واني
وإن كنت ذا رأي وعقل كما تزعم أو كما بلغك فإني لا أستغني عن
رأي ذي رأي ومعرفة من أصحابي فقال ماهان أفي عسكركم من له
رأي مثل رأيك أو معرفة مثل معرفتك أو حزم مثل حزمك فقال
إن عسكرنا فيه أكثر من مائة رجل وألف رجل لا يستغني عن رأيهم وعن
مشورتهم فقال ماهان ما كنا نظن ذلك فيكم وإنما كان يبلغنا عنكم
أنكم جهال لا عقل لكم فقال خالد إن ذلك كان شأننا كثيرا حتى بعث الله
فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فهدانا وأرشدنا وعرفنا سبيلنا وفهمنا
الخير من الشر والهدى من الضلال فقال ماهان يا خالد إنك قد أعجبتني
فيما أراه من رأيك وبصيرتك وقد أحببت أن أواخيك فتكون أخي
وخليلي فقال خالد وأواخاه إن تممت مقالتك فتكون أبدا سعيدا ولا
نفترق أبدا فقال ماهان وكيف ذلك فقال خالد ذاك سهل تقول
أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بشر
به عيسى بن مريم فإنك إذا فعلت ذلك كنت أخي وكنت أخوك وتكون
خليلي وأكون خليلك ولا نفترق الا لأمر يحدث فقال ماهان أما ما
دعوتني اليه من الترك لديني والدخول في دينك فما لي الى ذلك من سبيل

فقال خالد وأنت كذلك لا سبيل لك الى مواخاتي وأنت مقيم على دينك لأنه
دين الضلال فقال ماهان اني قد أحببت أن نصلح الأمر بيننا وبينكم على ما ذكرت
لك فقال خالد ما شاء الله كان فقال ماهان اني أراك كبير قوم واني أريد
بقاء المودة بيني وبينك وأكلمك كلام الأخ لأخيه فأجبني عن ما كلمتك عليه
حتى أسمع ما تقول فقال خالد أما بعد فانك تعلم أن الذي ذكرته من العز والغنا
ومنع الحريم والظهور على الأعداء والتمكين في البلاد فنحن عارفون به وأما ما
ذكرت من إنعامكم على جيرانكم من العرب فقد عرفنا انما فعلتم ذلك بقاء على
نعمتكم وزيادة لكم في ملككم وعزا لكم ولتكثر جموعكم وتتقون شوكة
من أذاكم وأما ما ذكرت من فقرنا ورعينا الإبل والشاة فما منا من لم يرع
ومن رعى منا كان له الفضل على من لم يرع وأما قولك انا أهل فقر
وفاقة وضر وبؤس وشقاء فنحن على ذلك ولا نعاير بذلك لأن الله تعالى
أنزلنا منزلا ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع الا قليل وكنا أهل
جاهلية لا يملك الرجل منا الا سيفه وفرسه وأباعره وشياهه ويأكل
قوينا ضعيفنا ولا نأمن من بعضنا الا في الأشهر الحرم وكنا نعبد من
دون الله تعالى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
ونحن عليها مكبون ولها حامدون فبينما نحن كذلك على شفا حفرة
من النار من مات منا مات مشركا وصار الى النار ومن بقي كان

كافرا بدينه قاطعا لرحمه حتى بعث الله الينا نبيا نعرف نسبه وحسبه
هاديا مهديا ورسولا نبيا واماما تقيا طاهرا أظهر الاسلام بدعوته
ودحض الشرك بكلمته جاءنا بقرآن مبين وهدى مستقيم ختم الله به
النبيين وأمر بعبادة رب العالمين الذي نعبده ولا نشرك به شيئا
ولا نعبد من دونه صنما ولا وثنا ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل
لربنا صاحبة ولا ولدا ولا شريك له ولا ند له ولا ضد له ولا نسجد
للشمس ولا للقمر ولا للنار ولا للصليب ولا للقربان ولا نسجد الا
لله وحده لا شريك له وقد اعتقدنا نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
الذي هدينا به وأطعنا أمره وكان مما أمرنا به أن نجاهد من لا
يدين بديننا ولا يقول بقولنا ممن كفر بالله واتخذ له شريكا
جل ربنا عن ذلك الذي لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان أخونا
وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبا الاسلام يؤدي الجزية الينا عن
يد فاذا أداها حقن بها دمه وماله وولده ومن أبا الاسلام والجزية
فالسيف حكما بيننا وبينه حتى يقضي الله بحكمه وهو خير الحاكمين
ونحن نذكركم وندعوكم الى هذه الثلاث خصال ليس غيرها
إما أن تقولوا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله
أو الجزية في كل عام عن كل محتلم من الرجال دينار ولبس على من لم

يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع في صومعته فقال
ماهان فهل بعد قول لا إله إلا الله محمد رسول الله شيء غير هذا فقال
خالد نعم تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتحجون البيت الحرام
وتجاهدون من كفر بالله ورسوله وتأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتوالوا في الله وتقاتلوا أعداء الله وتعادوا في الله فإن أبيتم
ذلك فالحرب بيننا وبينكم حتى يورث الله الأرض لمن يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فقال له ماهان افعل ما تشاء فإنا لا نرجع عن ديننا
ولا نؤدي الجزية وأما ما ذكرت أن الأرض لله يورثها من يشاء
من عباده فقد صدقت فإنها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم
غيرنا وغيركم وقاتلنا عليها حتى ملكناها والحرب بيننا وبينكم
فابرزوا على اسم الله فقال خالد والله ما أنتم أشهى منا إلى الحرب
وكأني بجيوشكم وقد انهزمت والنصر يقدمنا وفينا وتساق
وأنت دليل حقير وفي عنقك حبل إلى أن تصل إلى عمر بن الخطاب
فيضرب عنقك قال فلما سمع ماهان كلام خالد غضب غضبا
شديدا فلما نظرت الحجاب والبطارقة والهرقلية والقياصرة
والملكية إلى غضب ماهان هموا بقتل خالد إلا أنهم كانوا
ينتظرون أمر ماهان ثم قال يا خالد قد كنت أكلمك وفي قلبي لك

رحمة وقد صار ذلك غضبا وحق المسيح لأقتلن أصحابك الخمسة الأسا ري
فقال خالد اسمع ما أقوله لك اعلم أن هؤلاء الذين في يديك سهام القتل
ونحن مثلهم فوحق الدعوة المجابة وحق بيعة أبي بكر الصديق وخلافة
عمر وأمانته لئن قتلتهم لأقتلنك بسيفي هذا ويقتل أصحابي هؤلاء قومك
ثم وثب خالد من موضعه وانتضى سيفه من غمده وفعل أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفعله وهو يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأن محمدا عبده ورسوله **قال الواقدي** رحمه الله تعالى
حدثني مسلم بن عبد الحميد عن جده رافع بن مازن قال كنت مع خالد بن
الوليد في سرادق ماهان الأرمني وجذبنا السيوف وهممنا بالقوم وأيقنا
أن الحشر في ذلك الموضع وما في أعيننا من القوم شيء فلما رأى ماهان
الحقيقة من خالد ومنا وتبين له الموت في شفار سيوفنا نادى مهلا يا خالد
ولا تعجل فتهلك وأنا أعلم أنك ما فعلت ذلك إلا أنك رسول والرسول
ما يقتل وما تكلمت إلا لأختبركم وأنظر ما عندكم والآن فما أواخذكم
ارجعوا إلى عسكركم واعزموا على القتال ويعطي الله تعالى النصر لمن يشاء
فلما سمع خالد ذلك أغمد سيفه وقال يا ماهان ما تفعل في هؤلاء الأسا رى
فقال أطلقهم كرامة لك وأخلي سبيلهم ليكونوا لك عونا ولن يعجزوني
في الحرب غدا ففرح خالد بذلك وأمر ماهان بتخلية أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأطلقوا من وثاقهم وهم خالد بالمسير فقال له
ماهان إني كنت أحببت الإصلاح بيني وبينكم فما حصل وفاق وإني
أسألك حاجة فقال سل عن ما تريد قال قبتك هذه الحمرا قد أعجبتني
فهبها لي وانظر إلى عسكري فما أعجبك وهبته لك فقال خالد والله
لقد أعجبتني إذ طلبت مني ما أملكه وقد وهبتها لك ولا حاجة لي بشيء
مما ذكرت فقال ماهان لله درك لقد تكرمت وأجملت فقال خالد بل
أنت الذي تكرمت بإطلاق أصحابي ثم إن خالدا ركب جواده وركب
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه وأمر ماهان حجابه أن
يسيروا معهم حتى يبلغوا أمنهم ففعلوا ذلك فلما وصل خالد إلى أبي
عبيدة فرح وفرح المسلمون بسلامتهم وخلاص أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحدث خالد أبا عبيدة بما جرى له فقال وحق
المنبر والروضة ما أطلق ماهان أصحابنا إلا خوفا من سيوفنا وهو
رجل حكيم إلا أن الشيطان غلب على عقله ثم قال على ما افترقتم فقال
خالد على أنا نلتقي معهم ويعطي الله تعالى النصر لمن يشاء فلما سمع
أبو عبيدة ذلك جمع عظما المسلمين إليه وقام فيهم خطيبا فحمد الله
تعالى وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصلى عليه وأخبرهم
أن العدو مصبحهم بالقتال في غداة غد وأن يتأهبوا ويأخذوا العدة

ويتوكلوا على الله ويعتصموا به قال فأخذ المسلمون الأهبة وحرض
بعضهم بعضا وأقبل خالد على عسكر الزحف وقال اعلموا أن هؤلاء الكفرة
الذين نصركم الله عليهم في مواطن كثيرة وقد حشدوا لكم ولما
رحت إليهم رأيتهم كأنهم النمل وهم أصحاب عدة بلا قلوب ولا
لهم من ينصرهم عليكم وقد اتفقنا أن يكون القتال في غداة غد وأنتم
أهل الشدة والباس فما عندكم رحمكم الله قال فتكلم أصحاب خالد وقالوا
أما نحن فالقتال بغيتنا ومنانا والقتل مسرتنا ولا نزال نصبر لهم على
الحرب والطعن والضرب حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ففرح
خالد بقولهم وقال وفقكم الله وأرشدكم فخذوا الأهبة للقتال
قال الواقدي رحمه الله فلم يبت أحد في تلك الليلة
إلا وقد أخذ عدته واستعد للحرب وباتوا فرحين بالقتال والثواب
والجهاد وخوف العقاب فلما أصبحوا صلوا صلاة الصبح خلف
أبي عبيدة وركبوا خيولهم وتوجهوا إلى قتال عدوهم ورتبوا
صفوفهم فكانت ثلاثة صفوف متلاصقة كل صف لا يرى له
آخر ثم أقبل خالد على أبي عبيدة وقال أيها الأمير من نجعله في الميسرة
قال كنانة بن أشهم الكناني أو قال عمرو بن معدي كرب والله أعلم
أيهما كان فولاه الميسرة وأمره أن يكون مكانه من الميسرة

ففعل وضم اليه كنانة وقيس وسار الى ما أمره ابو عبيدة قال الواقدي حدثني فضالة بن عامر قال اخبرنا موسى بن عون عن جده يوسف بن معن قال كان هذا الغلام كانه عارف بالحرب صاحب شجاعة وغارة وقد ذكر من شجاعته وشدة بأسه انه كان يخرج من حي قومه من بني كنانة وحده ويسير حتى يأتي احيا العرب المعادين له فاذا اشرف عليهم صرخ بهم وانتمى باسمه فتثور اليه الرجال على عتاق الخيل فلا يزال يقاتلهم ويقاتلونه فان ظفر بهم كان مراده وان رأى منهم صولة وعظم عليه امرهم نزل عن جواده وسعى بين ايديهم فلا يلحقون منه الا الغبار قال الواقدي رحمه الله فلما ولاه ابو عبيدة وقف حيث امره ثم قال لخالد قد وليتك امر الرجالة فول من شئت فقال خالد سأولي عليهم من لا يؤتى المسلمون من قبله ثم نادى ابن هاشم بن عتبة بن ابي وقاص فأتى فقال له قد وليتك الامير على الرجالة قال الراوي ورتب ابو عبيدة صفوف المسلمين وعباهم ثم قال خالد ايها الامير ابعث الآن الى اصحاب الرايات وقل لهم يسمعوا مني فدعا ابو عبيدة بالضحاك بن قيس وقال يا ابن قيس اسرع الى اصحاب الرايات وقل لهم ان الامير ابا عبيدة يأمركم ان تسمعوا لخالد وتطيعوا امره

ففعل الضحاك ذلك وأتى الى معاذ بن جبل وقال له مثل ذلك فقال سمعا وطاعة قال الواقدي رحمه الله فلما قال الضحاك ابن قيس لاصحاب الرايات ما قال ووصاهم بقول ابي عبيدة بأن يطيعوا خالدا فجعل خالد يسير بين الصفوف ويقف على كل راية ويقول يا اهل الاسلام اعلموا ان الصبر عز وان الفشل عجز واعلموا ان الصابرين هم الغالبون وان الفشل والجبن سببان من اسباب الخذلان فمن صبر كان الله ناصره على عدوه ومن صبر على حد السيوف اكرم الله منزلته غدا وشكر له سعيه والله تعالى يحب الشاكرين وجعل يقول هذا الكلام لاهل كل راية ثم جمع خيل اهل الشدة والصبر ومن شهد معه الزحف فقسمهم اربع فرق فجعل على الفرقة الاولى قيس بن هبيرة المازني وقال انت فارس العرب فكن على هذه الخيل واصنع كما اصنع وجعل على الثانية ميسرة ابن مسروق العبسي واوصاه بمثل ذالك وجعل على الثالثة عامر بن الطفيل واوصاه بمثل ذالك ووقف خالد مع عسكر الزحف وبقية الجيش قال الواقدي رحمه الله فلم تطلع الشمس الا وقد فرغ من ترتيب الجيش واما ماهان الارمني لعنه الله فانه امر اصحابه بالركوب والتعبية للحرب ففعلوا ذلك الا ان

المسلمين كانوا أسرع في التعبية قال وزحف عسكر الروم على المسلمين
وكانت الطير تظل المسلمين والصفوف متلاصقة والرماح مشرعة
فداخل الروم الفزع والجزع قال ورتب ماهان عسكره وجعل العرب
من غسان ولخم وجذام في مقدمة الصفوف وقدم أمامه الصفوف
وكان من الفضة البيضاء وزنه خمسة أرطال ملمع بالذهب وفي أركانه
الجواهر الثمينة **قال الواقدي** حدثني عدي بن الحارث
الهوازني وهو ممن حضر فتوح الشام أوله وآخره قال كانت
الصفوف التي صفها ماهان ثلاثون صفا الصف الواحد من صفوفهم
مثل صفوف المسلمين قال وأظهر ماهان الأقسة والرهبان وهم
يبخرون ويتلون الإنجيل وأقام الرايات والأعلام فلما فرغ من
ذلك برز بطريق من بطارقة الروم عظيم الخلقة وعليه درع
مذهب ولامة حسنة وفي عنقه صليب من ذهب مرصع بالجوهر
وتحته فرس أشهب وكان من عظماء الروم ممن يقف عند سرير
الملك فلما برز جعل يهدر بالكلام فظنوا أنه رعد نزل من السماء
وطلب البراز فوقف المسلمون عن الخروج إليه فصاح خالد يا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا التوقف عن العلج وهو يدعوكم
إلى البراز وأنتم متأخرون فإن لم تخرجوا إليه وإلا خرجت إليه

وهم أن يخرج وإذا بفارس قد خرج من المسلمين على برذون أشهب عظيم
وعليه لامة حسنة وقصد نحو البطريق ولم يكن خالد بن الوليد يعرف
الفارس الذي خرج فقال خالد لعبده همام امض إلى هذا الفارس
وانظر من هو من المسلمين فمضى وصاح به وقال له من فقال له أنا
روماس صاحب بصرى فقال خالد اللهم بارك فيه وزد في نيته
فلما صار بإزاء العلج كلمه بلسانه فعرفه وقال له يا روماس هذا الدين
الذي دخلت فيه دين شريف من دخل فيه كان سعيدا ومن مات فيه
كان شهيدا ثم حملا على بعضهما وتقاتلا حتى تعجب الجمعان من قتالهما
ثم وجد العلج من روماس غفلة فضربه ضربة عظيمة أسال دمه فلما
حس روماس بالضربة رجع هاربا نحو المسلمين فتبعه العلج إلى أن قرب
من المسلمين فصاحوا على العلج ففزع منهم فأخذوا روماس إليهم والدم
يسيل على وجهه فشدوا جراحه وشكروه على فعله ووعدوه
بالغفران من الله وهنوه بالسلامة قال فلما رجع روماس منهزما
أعجب العلج بنفسه وهدر بكلامه وطلب البراز فهم أن يخرج إليه
ميسرة بن مسروق فقال له خالد وقوفك مكانك أحب إلي من
خروجك لأنك شيخ كبير وهذا العلج عظيم وشاب شجاع وأيضا
شعرة من مسلم أحب إلى الله من جميع أهل الشرك فرجع ميسرة إلى

مكانه فهم عامر بن الطفيل أن يخرج إليه فقال له خالد أنت غلام حدث
وأخاف عليك فقال أيها الأمير عظمت أمر هذا الرومي الذميم الحقير
وأدخلت في قلوب المسلمين الرعب فقال خالد إن الفرسان تعرف أقرانها
وما خفي علي ما هو فيه من الشجاعة وما برز قبل أصحابه إلا وهو واحد في
قومه فقف مكانك فوقف عامر بن الطفيل فطلب العلج البراز فتقدم
الحارث بن عبد الله الأزدي وقال أيها الأمير أنا أخرج إليه فقال
له خالد لعمرك إن فيك جسارة وقوة وشدة وما علمتك إلا شهما
وإن شئت فاخرج على اسم الله فأخذ أهبته وهم أن يخرج فقال له
خالد على رسلك يا عبد الله حتى أسألك فقال اسأل فقال هل بارزت
قبله أحدا فقال لا فقال ارجع يا ابن أخي فإنك غر بالخروج وهذا
فارس جرب الحرب وعرف مضاربها ومواردها وما أحب أن يخرج
إليه إلا رجلا مثله فرجع مكانه فنظر خالد إلى قيس بن هبيرة
فقال أيها الأمير أنا أبرز إليه فقال ابرز فإنك كفو والله
تعالى يعينك عليه فبرز قيس بن هبيرة وقصد نحو البطريق وهو
يقول بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر
العلج إليه علم أنه فارس من فرسان المسلمين فالتقيا وتعاركا
ثم إن قيس بن هبيرة قرب من البطريق وعاجله بضربة على هامته

فالتقاها بجحفته فوصل السيف إلى البيضة فجذبه فامتنع عليه خروجه
فضرب العلج قيس بن هبيرة فبدك للضربة فطرح العلج نفسه عليه ليأ سره
وكان قيس نحيلا من كثرة الصيام وقيام الليل فلما رأى ظهور العلج
عليه انجذب من يده وبعد عنه وجعل ينظر إليه شزرا ويضمر له
مكرا إلا أن سيفه خرج من يده فرجع إلى عسكر المسلمين ليأخذ
سيفا فصاح العلج وطلبه فقصر قيس عن المسير وأراد الرجوع إلى
العلج فصاح به خالد سألتك بالله وبرسوله إلا ما رجعت وخالفت
نفسك وذلك أن خالدا تبين له من قيس التعب فقال يا خالد لقد
أقسمت علي بعظيم أترى إن رجعت إليك تزيد في أجلي قال لا قال فلم
أختار الفرار وأكون من أهل النار بل أصبر وأفوز بالغفران من
الله وعطف نحو العلج وليس في يده سيف بل أخذ خنجرا كان في
وسطه فصاح خالد وقال من يأخذ هذا السيف ويدفعه إلى قيس
ابتغاء وجه الله فقال عبد الرحمن بن أبي بكر أنا لها يا أبا سليمان
فقال خالد أنت لها يا ابن الصديق ثم انتضى سيفه ولحق بقيس بن
هبيرة فظنت الروم أنه خرج يعاون قيسا على صاحبهم فخرج
بطريق ووقف بإزاء صاحبهم فدفع عبد الرحمن السيف إلى قيس
ووقف بإزائه وجعل العلج الخارج يتكلم كلاما كثيرا لا يفهم

فقال عبد الرحمن يا ويلك ليس نفهم ما تقول فخرج اليه ترجمان
وقال ما رأينا من انصافكم شيئا يخرج فارسان لفارس فقال عبد الرحمن
انما خرجت اعطي صاحبي هذا السيف وارجع ولو خرج الي الواحد
منا مائة فارس ما كبر علينا ولا عظم لدينا وها انتم ثلاثة وانا
واحد وانا لكم كفو فاخبر الترجمان صاحبيه بذلك فتعجبا من قوله
وجعلا ينظران اليه شزرا فقال عبد الرحمن يا قيس قد تعبت فقف
وتفرج علي ولا تولي وانظر ماذا يكون ثم حمل على الذي خاطبه
وطعنه طعنة في نحره اخرج السنان من قفاه فوقع متجدلا فلما
رأى العلجان ذلك حملا على عبد الرحمن فعاونه قيس بن هبيرة
فقال له عبد الرحمن يا قيس سألتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبحق ابي بكر الا تركت عبد الرحمن يصطلي بهما فان قتلت كنت
شريكي في الثواب واقري عايشة السلام وقل لها ان اخاك
لحق ببعلك وابيك صلوات الله عليهما فتاخر قيس عنه وقد عجب
من فعاله وحمل عبد الرحمن على احد العلجين وطعنه برمحه فاشتبك
في درعه فرماه من يده وسحب سيفه وضرب العلج ضربة قده
نصفين فلما نظر العلج الثالث الى عبد الرحمن وجراته بقي حايرا
متعجبا من فعله فلما نظر اليه وهو متحير باهت حمل على البطريق

وضربه ضربة هشم بها وجهه فسقط الى الارض قتيلا فلما نظرت
الروم الى ذلك قالوا لبعضهم ما هولاء الا شياطين ما يطاقون
قال الواقدي رحمه الله فلما سمع ماهان بقتل الثلاثة
قال انهم قليل وانتم كثير وان لم تطحنوهم بكثرتكم والا فما تقوم لكم
قايمة ابدا قال ثم اقبل بطريق من البطارقة وسار ماهان في اذنه
طويلا فاصفر وجه ماهان وسكت كانه اخرس فاستخبر ماهان
عن ذلك فلم يخبر احدا ثم حدث جبلة بن الايهم بذلك فقال الخبر
عندي وذلك ان ماهان لما اخبروه بقتل الثلاثة وفيهم البطر يوق
الاول وهو من الملكية قال ان القوم منصورون عليكم فتقدم
البطريق اليه وقال له في اذنه وقال ايها الملك ان الامر كما
تقول اعلم اني رايت البارحة في منامي كان رجالا نزلوا من السماء
الى الارض وهم على دواب شهب وبلق وعليهم كامل السلاح
فاحدقوا بهولاء العرب ونحن قيام بازايهم لا يخرج من اصحابنا
وعسكرنا احد الا قتلوه حتى اتوا على اكثرنا واظنهم هولاء
الذي راهم في اليقظة وذلك ان الثلاثة قتلهم واحد وما
هم الا منصورون علينا من السماء قال فكسر قلب ماهان بهذا
الكلام ولم يرد جوابا فاجتمع القوم اليه يسالوه عن ما قال

فلم يخبرهم فلما اكثروا عليه السؤال تكلم فيهم كالخطيب وقال يا أهل هذا
الدين إنكم إن لم تقاتلوا تكونوا من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وإن الله
تعالى لم يزل لدينه ناصرا ومعينا ومظفرا وإن لله عليكم الحجة أنه
بعث إليكم رسولا وأنزل عليكم كتابا وأمركم أن تتبعوا ما في كتابه ولا
تظلمون إن الله لا يحب الظلم فلما خالفتموه نصر عليكم أعداكم فما عذركم
عند خالقكم وقد تركتم أمر نبيكم وما أنزل عليكم في كتاب ربكم
وهؤلاء العرب بإزايكم يريدون قتل فرسانكم وسبي ذراريكم
ونسايكم وأنتم تعلمون أنكم تعملون بالمعاصي والذنوب ولا تفزعوا
من ربكم وأن الله نزع سلطانكم من أيديكم وأظهر عليكم عدوكم
وذلك بحق منه وعدل لأنكم لا تأمرون بمعروف ولا تنهون عن
منكر **قال الواقدي** رحمه الله فكان ما هان كسرهم
بما قاله كلام البطريق الذي حدثه بما رأى في النوم وأما قيس
ابن هبيرة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قتلا
الثلاثة ونزل عبد الرحمن أخذ سلاحهم وأسلابهم هو وقيس بن
هبيرة ورجعوا إلى المسلمين وأحضر السلب إلى أبي عبيدة فقال هو
لكما ومن قتل فارسا فله سلبه هكذا عهد إلي عمر بن الخطاب
فأخذاه ورجع قيس بن هبيرة إلى مكانه ورجع عبد الرحمن إلى ميدان
الحرب فجال بين الصفين وكان قد ركب فرس البطريق الذي قتله فرآه
لا يطاوعه كما عهد من خيل العرب فرجع وغيره بفرسه وحمل على
ميمنة الروم فشوش صفوفهم وقتل منهم فارسان ورجع فحمل على
القلب ثم انثنى نحو الميسرة فرشق بالسهام ثم رجع ووقف في صدر
الجيش وجعل يدعو إلى البراز فخرج إليه علج من علوج الروم فما
جال معه غير ساعة حتى قتله وخرج إليه آخر فقتله فقال خالد اللهم
ارعاه واحفظه ثم ناداه يا عبد الرحمن بحق شيبة أبي بكر وبيعته إلا
رجعت إلى مكانك ودع إخوانك المسلمين يقاتلون فرجع إلى
مكانه حين أقسم عليه قال خدام بن قثم قلت لرجل ممن حضر
اليرموك أكانت النسا معكم يشاهدون القتال قال نعم إحداهن
أسما بنت أبي بكر الصديق زوجة الزبير بن العوام وخولة بنت
الأزور ونسيبة بنت كعب وأم أبان زوجة عكرمة بن أبي جهل
وعروبة بنت عامر الضمري ورملة بنت طلحة الزبيدي ودعد
وأمامة وزينب ونعم وهند وغيد ولبنا وأمثالهن ولقد كن
يقاتلن قتالا يرضين الله به ورسوله وكانت الرجال إذا رأوا
قتال النسا يوبخوا أنفسهم فيقاتلوا قتال الموت **قال
الواقدي** رحمه الله حدثني عبد الملك بن عبد الحميد بن عمير

عن رجال ممن شهدوا وقعة اليرموك قال كان أولها شر ونار وآخرها
ضرام يحرق وكان كل يوم يأتي أصعب من الماضي قال عمر بن جرير
شهدنا في اليوم الأول حربا يسيرا وفي اليوم الثاني حربا عسيرا
وذلك أن ماهان أمر عشرة من الصفوف أن يحملوا على المسلمين وحمل
المسلمون عليهم والتقت الرجال بالرجال ونظر أبو عبيدة إلى ذلك
وكان واقفا وعلم أن الأمر فيه شدة فقال لا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم وجعل يقرأ الذين قال لهم الناس إن الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
ولم يزل الحرب بين القوم من ارتفاع الشمس إلى قرب الغروب
ولم يفترق الجمعان إلى أن دخل الليل وصاروا لا يعرفون
بعضهم إلا بالشعار وصارت كل قبيلة تذكر أنسابها ورجعت
كل قبيلة إلى مكانها وجعلت المرأة تمسح عن وجه زوجها الغبار
وتقول له أبشر بالجنة يا ولي الله قال وبات المسلمون يتحارسون
يتحارسون وأوقدوا النيران وذلك أن القتل في الروم كان
يسير وقتل من المسلمين عشرة رجال اثنان من حضرموت مازن
وقادم وثلاثة من غسان رافع ومجلي وحازم وواحد من الأنصار
وهو عبد الله بن الأخرم وثلاثة من بجيلة وآخر من مراد

تقاتل

يقال له سويد بن أخي قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي فحزن عليه
قيس حين فقده ولم يراه فعلم أنه قتل فأخذ معه قبسا من نار وخرج
هو وجماعة من قومه إلى موضع المعركة وفتشوا فلم يروه فلما هموا
بالرجوع نظروا إلى نار قد أقبلت من جانب الروم يريدون موضع
المعركة لأن لهم فقد وابطريقا كان معظما عندهم فقال قيس بن
هبيرة لقومه أخمدوا نيرانكم فوالله لآخذن بثأر ابن أخي من هؤلاء
القوم قال فأخمدوا النيران ورقدوا بين القتلى وتأهبوا للقتال
فلما قربوا من القتلى إذا هم نحو المائة وكان قيس معه من قومه
تسعة فقالوا يا قيس إن القوم مائة علج ونحن تسعة وقد مسنا
التعب فقال قيس ارجعوا أنتم على أعقابكم فإني أطلب الموت
لا أريد غيره فعجبوا من قوله وقعدوا معه وأقبلت الأعلاج يدورون ون
بين القتلى إلى أن وقعوا بالعلج الذي قاتله قيس وهو الذي برز
أول من الروم فحملوه وولوا يريدون عسكرهم فصاح بهم
قيس بن هبيرة من ورائهم وتابعه أصحابه بالصياح فرموا العلج
عن أعناقهم وذهلوا من الصيحة فوضع المسلمون فيهم السيف
وجعلوا يقتلونهم قتلا وكان قيس إذا ضرب بالسيف يقول
هذا عن ابن أخي هذا عن ثأره فقتل ستة عشر رجلا وقتل

أصحابه أكثر القوم وهرب الباقون فلما فرغ قيس من القوم عاد يطلب
ابن أخيه نحو العسكر فسمع أنينا فتبع الصوت وإذا هو بابن أخيه
فلما رآه وعرفه بكا وقال ما يؤلمك يا ابن أخي قال يا عماه لما انبعث
الروم رجع إلى واحد منهم وطعنني طعنة برمحه في صدري أخرج
السنان من ظهري وها أنا أعالج منها أمرا عظيما وهؤلا الحور العين
بإزائي ينتظرن خروج روحي قال فبكا قيس وقال يا ابن أخي
لكل أجل كتاب ولعل لك عمرا طويلا فقال هيهات والله قرب الأمر
فقال ألك قدرة في أن تحملك إلى عسكر المسلمين فتموت هناك
قال أجل فحملته وأقبلت به إلى عسكر المسلمين ووضعته عند رحله
فسمع أبو عبيدة بمجي قيس بن هبيرة فأتى إليه فنظر إلى الغلام
وهو يجود بنفسه فبكا بكا شديدا وسلم عليه وجلس عند رأسه
وبكا المسلمون فقال له أبو عبيدة كيف تجدك يا ابن أخي قال بخير
وغفران جزا الله محمدا عنا خيرا فلقد صدقنا في قوله وتم يخاطب
أبا عبيدة إلى أن مات رحمه الله تعالى قال وما برحنا حتى دفناه
في حفرته ثم حدث قيس أبا عبيدة بمن قتل من المشركين ففرح
فرحا شديدا وعلم أن ذلك علامة النصر من الله تعالى وبات الناس
طول ليلتهم يتلون القرآن ويسألون الله المعونة والنصر

وأما ماهان الأرمني فإنه لما رجع إلى عسكره اجتمعت البطارقة
إليه مثل جرجس وقورين والدرنجان وقناطر والقسوس
والرهبان وقدم الطعام والشراب فلم يأكل ماهان منه شيئا
مما وقع في نفسه من الرؤيا التي رآها البطريق وأخبره بها
وكان يود لو صالح المسلمين وأدى الجزية لكنه مغلوب على
رأيه لمخالفة الروم وهرقل وذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا
فقالت الأقسا والملوك والبطارقة والرهبان ما بال الملك
قد امتنع من الطعام فإن كان ذلك غمه لما جرى من الحرب فإن
الحرب دول يوم لك ويوم عليك وما عند الملك علم أنهم منصور ون
علينا ونحن في غد نحمل عليهم ونهلكهم عن آخرهم ولا نبقي منهم
أحدا فقال ماهان ما نصرت العرب عليكم إلا من تغير أديانكم
والجور من سلطانكم فقام شخص من الروم وقال أيها الملك
اعلم أني عشت دهرا طويلا وإني منكم ومن أهل دينكم وكانت
لي مائة رأس من الغنم ولي ولد يرعاها فأتى بطريق من عظماء
القسطاط نزل إلى جانبها وعدا عليها وأخذ منها حاجته ثم
أخذ ما بقي منها فجاءت إليه امرأتي تشكو إليه انتهاب غنمي
فلما رآها أمر بها فأدخلت إليه وطال مكثها عنده فلما رأى

ذلك ابنها جاء الى باب الفسطاط وتطلع فرآه مضاجعها فصاح واظهر
الصياح فأمر البطريق بقتله فقتل فجئت لما سمعت صياح ولدي
فأمرني فضربت بالسيف فلاقيت الضربة بيدي فانقطعت ثم
أخرج يده فإذا هي مقطوعة قال فغضب ماهان غضبا شديدا
وقال للمعاهدي هل تعرف العلج الذي فعل بك ذلك قال نعم هو
هذا وأومى بيده الى بطريق من البطارقة فنظر اليه ماهان
مغضبا فغضب البطريق وغضبت البطارقة من أجله ومالوا على
المشتكي فضربوه بأسيافهم الى أن مات وماهان ينظر اليهم فزاد
غضبه وقال خذلتم وحق الصليب يا ويلكم كيف ترجون النصر
وأنتم تفعلون هذه الفعال أما تخافون القصاص على الاجرام
وأن الله تعالى ينتقم منكم وينزع عنكم صالح ما أعطاكم ويعطيه
غيركم ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأنتم الآن عندي
مثل الكلاب والحمير وأشر من البهائم وسترون عاجلا علامة الظلم
والى ما يؤديكم والى أي مصير تصيركم ثم أمر بانصرافهم من عنده
وقيل انه قام وتركهم قال فلما انصرفوا من عنده ولم يبق عنده الا
بطريق من البطارقة قال والله أيها الملك ان القوم كما تقول
وما أظن الا أنا مغلوبون بظلمنا واعلم أيها الملك اني رأيت في

مناما رجالا نزلوا من السماء على دواب شهب فوقفوا بإزاء هؤلاء العرب
وعليهم كامل السلاح ونحن وقوف بإزائهم ننظر اليهم ولا
يخرج اليهم أحد منا الا قتلوه حتى أتوا على آخرنا وذكر كما ذكر البطريق
الأول فأقبل ماهان يتفكر طول ليلته ما يفعل في أمر المسلمين فلما
أصبح الصباح عبا المسلمون صفوفهم ونظروا واذا ليس للروم
انزعاج في عسكرهم فقالوا ان لهم أمرا فقال ابو عبيدة دعوهم
ولا تبغوا عليهم قال وأقبلت البطارقة الأربعة الى ماهان وهم
قناطر وجرجير والدرنجان وقورين بن أخت الملك هرقل يستأذنونه
في الحرب فقال ماهان كيف يجوز لي أن أقاتل بقوم يظلمون
ان كنتم أحرارا فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم فقالوا
وحق المسيح ما نفارقهم حتى نفنيهم عن آخرهم أو يفنونا عن آخرنا
ثق بقولنا وانهض بنا اليهم فاذا عزمت على القتال فدع كل
واحد منا يقاتل يوما حتى تعرف من منا أشد وتضجر المسلمون من
المطاولة وتجمع عيالنا وأطفالنا وأموالنا في السفن فان نصرنا
على العرب رددناهم الى منازلهم وان كانت النصرة للعرب
سارت السفن بهم ونجوا ويكون الحرب بيننا وبينهم في الأسبوع
خمسة أيام ونستريح يومين ونرجو أن ينفصل الأمر بيننا وبينهم

في يوم واحد أو يومين فقال ماهان هذا هو الرأي ثم كتب إلى
هرقل أما بعد فنسأل الله تعالى أيها الملك لأهل بيتك والجيش النصر
ولأهل سلطانك العز والقهر واعلم أنك أرسلتني في عسكر لا يحصى
عددا ونزلت بإزاء العرب وسألتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت لهم
جعلا على أن ينصرفوا عنا فلم ينصرفوا وقد فزع جند الملك منهم
فزعا شديدا فخشيت أن يكون الفشل قد عمهم والرعب قد داخل
قلوبهم وذلك لكثرة الظلم وقد جمعت أهل الرأي من أصحابي
وذوي النصيحة للملك فاجتمع رأينا على النهوض إليهم بجمعنا في
يوم واحد ولا نزال بهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين
فإن ظهر علينا عدونا فارض بقضاء الله واعلم أن الدنيا زائلة
عنك فلا تأسف على ما فات منها ولا تغتبط بشيء منها في يدك
والحق بمعاقلك ودار ملكك بالقسطنطينية وأحسن إلى
رعيتك يحسن الله إليك وارحم ترحم وتواضع لله يرفعك الله
فإنه لا يحب المتكبرين ولقد عملت الحيلة في إحضار أمير
العرب ومنيته وأرغبته فما قبل ورأيته على الحق مقيم وأردت
أن أفتك به وأمكر فخفت عاقبة المكر لأنهم ما نصروا إلا
بالعدل واتباع نبيهم والسلام عليك ثم طوى الكتاب وبعثه

إلى هرقل مع علج من أصحابه **قال الراوي** لفتوح الشام
وأقام ماهان سبعة أيام أخر بعد الوقعة الأولى لا يقاتل المسلمين
ولا يقاتلهم وبعث أبو عبيدة برجل من عيونه ينظر ما الذي أخر الروم
عن القتال فغاب يوما وليلة ثم عاد وأخبر أبا عبيدة أن ماهان كاتب
الملك هرقل وهو منتظر الجواب فقال خالد أيها الأمير ما أخر ماهان
عن قتالنا إلا وقع فزعنا في قلبه فازحف بنا عليهم فقال له أبو عبيدة
يا خالد لا تفعل العجلة من الشيطان **قال الواقدي**
رحمه الله وكان أبو عبيدة رجلا لين الجنبة يحب الرفق فلما كان في اليوم
الثامن نظر ماهان إلى تلهف أصحابه على الحرب والقتال فعزم على
أن يلتقي بهم المسلمين وقد فرح بنشاطهم فدعا برجل من المتنصرة
فقال له اذهب إلى عسكر المسلمين وأتني بأخبارهم وانظر ما عندهم
من خبرنا قال فمضى اللخمي حتى دخل عسكر أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأقام فيه يوما وليلة يطوف عليهم وليس أحد ينكره
لأنه من العرب وزيه زيهم فنظر إلى المسلمين وهم آمنون ليس
لهم همة إلا إصلاح شأنهم والصلاة والقرآن والتسبيح وليس فيهم
عدوان ولا ظلم ولا أحد يتعدى على أحد وقصد الموضع الذي فيه أبي
عبيدة ونظر إليه كأنه أضعف ضعيف في العرب ساعة يجلس على

الارض وساعة ينام عليها فاذا جاء وقت الصلاة اسبغ الوضوء واذن المؤذن وصلى بالناس ونظر المسلمون يصنعون كصنيعه فقال اللخمي ان هذه طاعة حسنة ويوشك ان ينصرون ثم رجع الى عسكر ماهان وحدثه بما رآه وعاينه وقال ايها الملك اني جئتك من عند قوم يصومون النهار ويقومون الليل ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر رهبان بالليل ليوث بالنهار ان سرق احدهم قطعوه او زنا رجموه لا يغلب هواهم على الحق بل الحق لهم غالب واميرهم كانه اضعف من فيهم الا ان امره مطاع ان قام قاموا وان قعد قعدوا وانما همهم القتال وشهوتهم النزال وما يؤخرهم عن قتالكم حتى تبدؤهم ليكون البغي عليكم فقال ماهان هولا القوم منصورون غير اني دبرت حيلة اعملها عليهم فقال اللخمي وما الحيلة ايها الملك قال الست زعمت انهم لا يقاتلونا حتى نقاتلهم ليكون نحن الباغين عليهم قال نعم قال فاني اوخر الحرب الى ان يطول الامر ثم اردهم على حين غفلة وهم دون عدة ولا آلة فعسى ان اظفر بهم ثم ان ماهان جمع الملوك والبطارقة وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان الى ان عقد ستين صليبا تحت كل صليب عشرة آلاف وكان اول صليب عقده لقناطر وكان نظيره في المرتبة وامره ان يكون في الميمنة

ثم عقد للدرنجان وضم اليه اللان وجعله على الميسرة ثم عقد لجرجير وضم اليه الارمن وعقد لجرجس على الروسية والصقالبة وعقد لقورين ابن اخت الملك على الفرنج والهرقلية والصقالبة والقياصرة وعقد لجبلة بن الايهم عقدا وضم اليه المتنصرة ولخم وجذام وغسان وامرهم ان يكونوا على المقدمة وقال لهم انتم عرب واعداؤنا عرب والحديد لا يقطعه الا الحديد وفرق الاعلام في جوانب العسكر وضم البطارقة اليه واوصاهم وصف عسكره ثلاثين صفا بعضها من وراء بعض لا يرى اولها من آخرها ولا آخرها من اولها ولم يزل يعبي الجيوش والاعلام والصلبان الى ان طلع الفجر ثم امر بمضربه فنصب على كثيب عال الى جانب اليرموك يشرف على عسكره وعلى عسكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اوقف ماهان عن يمينه الف فارس باللبوس والسلاح والف فارس عن يساره عليهم الديباج الاحمر المنسوج بالذهب لا يرى منهم الا الحدق وهم الملكية اصحاب السرير وامرهم باليقظة وقال لهم اذا طلعت الشمس ورأيتم المسلمين على غير تعبئة للحرب فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان فما هم في عسكرنا الا كالشامة البيضاء في جانب البعير الاسود

قال الواقدي رحمه الله سمعت

ابان بن غالب الحميري يذكر وكان من المعمرين قال حدثنا جواد بن
أسيد السكاسكي عن ابيه اسيد بن علقمة وكان من اصحاب عياض بن
غنم الاشعري قال لما رتب ماهان ما رتب وانشق الفجر اذن مؤذن
ابي عبيدة وصلى بالمسلمين وهو لا يعلم بكيد ماهان فقرأ في الركعة
الاولى والفجر وليال عشر حتى اتى على قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد
هتف به هاتف وهو في الصلاة وهو يقول ظفرتم بالقوم ورب
الكعبة وما يغني كيدهم شيئا وما اجرى الله تعالى هذه الاية على
لسان نبيكم الا بشارة لكم فلما سمع المسلمون الهاتف عجبوا وقرأ
في الركعة الثانية والشمس وضحاها الى قوله تعالى فدمدم عليهم
ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها واذا بالهاتف يقول
تم المقال وصح الزجر وهذه علامة النصر فلما فرغ ابو عبيدة من
صلاته قال يا معشر المسلمين هل سمعتم الهاتف ما سمعت قالوا سمعنا
قايلا يقول كذا وكذا قال ابو عبيدة هذا والله هاتف النصر
وبلوغ الامل فابشروا بنصر الله ومعونته فوالله لينصرنا الله
عليهم وليرسلن عليهم شواظ عذاب كما ارسل على القرون الاولى
ثم قال ابو عبيدة رضي الله عنه معشر الناس اني رأيت البارحة
في منامي ما يدل على النصر على الاعدا والمعونة من العلي الاعلا

قالوا اصلح الله الامير وما الذي رأيت قال رأيت كأني واقف بازاء
عدونا من الروم ثم احدق بي رجال عليهم ثياب بيض لم ار كيفيتها
حسنا لبياضها اشراق ونور يغشي الابصار وعلى رؤوسهم عمايم
خضر وبايديهم رايات صفر وهم على خيول شهب فلما اخذوا
مصافهم حولي قالوا الرجال منا منهم من اعرف ومنهم من لا اعرف
تقدموا الى عدوكم ولا تخافوهم فانكم الاعلون والله ناصركم
ودعوا رجال منا وسقوهم بكاس كان معهم فيه شراب وكاني
انظر الى عسكرنا وقد دخل الى عسكر الروم فلما راونا ولوا بين
ايدينا هاربين فقال المسلمون اصلحك الله ايها الامير هذه بشرى
اقر الله عينك وبشرك بخير ثم قام رجل من خولان فقال اصلح الله
الامير وانا رأيت البارحة رؤيا فقال ابو عبيدة خيرا يكون
ان شا الله ما الذي رأيت رحمك الله وايانا قال رأيت كأنا
خرجنا نحو عدونا وصاففناهم الحرب واذا قد انقضت من السماء
طيور بيض ولها اجنحة خضر ومخاليب كمخاليب النسور فجعلت
تنقض عليهم كانقضاض العقاب واذا اجاءت الرجل منهم ضربته
فينقطع قطعا ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض
ابشروا فقد امنكم الله وامدكم بالنصر وايدكم بملايكة

تقاتل معكم كما فعل معكم يوم بدر وحنين فسر أبو عبيدة بذلك وقال
هذه رؤيتان حسنتان وهما حق وتاويلهما النصر واني أرجو من الله
عاقبة المتقين فقال له رجل من المسلمين أيها الأمير ما وقوفنا عن هؤلاء
الروم الكلاب الأعلاج وما يؤخرك عن الحرب وعدو الله قد كاد دنا
بمطاولته وما تأخر عن الخروج الينا الا لبلية يريد أن يوقعها فقال
أبو عبيدة ان الأقرب ما تظنون قال سعيد بن رفاعة الحميري ما كنت
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نظرت اليه في حياته
فلما أتانا داعي أبي بكر الصديق رضي الله عنه واستنفرنا
لقتال الروم نفرت فيمن نفر وقدمت المدينة مع قومي من حمير
ونظرت الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس في محراب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمت الصلاة معه ولم أسر لقتال
الروم فلما ولي عمر حرض الناس على القتال والجهاد ورغب فيه
فسرت الى قتال الروم وشهدت وقعة اليرموك مع أبي عبيدة
وذلك اني كنت لا أفارق أبا عبيدة وأصلي معه حيث ما صلى
وكان يؤخر صلاة العشاء قال سعيد بن رفاعة فصلى بنا غداة
الهاتف بغلس ونحن قد فرحنا بالهاتف والرؤيا اذ سمعنا الأصوات
قد علت والزعقات من كل جانب قد أتت وزحفت الروم علينا

فظن أبو عبيدة أن المسلمين كبسوا في وقت السحر فقام وقمنا وكان
على حرس المسلمين تلك الليلة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي
اذ أقبل سعيد وهو ينادي النفير النفير الى أن وقف على أبي عبيدة
ومعه رجل من المتنصرة فقال أيها الأمير ان ماهان كاد المسلمين
بتخلفه عن الحرب وعبا عساكره وصف جيوشه وزحف الينا زحف
من يريد الكبس علينا ونحن على غير اهبة ولا عدة وهذا الرجل قد
أقبل الينا راغب في الاسلام محذر لنا من بأسه وذكر أن ماهان
زحف بجيوشه وقدم الينا حامية البطارقة وقد اتفق رأيهم على
أن يقاتلنا كل ملك منهم يوما وهذا أشد القتال ونظر
الى رايات القوم تقترب منهم والصلبان تدنو منهم فقال
أبو عبيدة لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال أين خالد بن
الوليد فأجابه بالتلبية فقال أنت لها يا أبا سليمان ابرز مع أبطال
المسلمين وسد عن الحريم الى أن تأخذ الرجال صفوفها وآلة حربها
فقال حبا وكرامة ثم صاح خالد أين هشام المرقال أين الزبير
ابن العوام أين عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أين الفضل بن
العباس أين يزيد بن أبي سفيان أين ربيعة بن عامر العامري أين ميسرة
ابن مسروق العبسي أين عبد الله بن أنيس الجهني أين صخر بن حرب

الأموي أين عمار السد وسي أين سلامة العتوي أين المقداد بن الأسود
الكندي أين أبو ذر الغفاري أين عمرو بن معدي كرب الزبيدي
أين عمار بن ياسر العنسي أين ضرار بن الأزور أين عامر بن الطفيل بن
أبان بن عثمان بن عفان وجعل خالد بن الوليد يدعوا برجل بعد رجل
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شهد معه المواطن
المفضلة وأصحاب التقدمة حتى دعا بخمس مائة فارس من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم يعد بجيش فجاؤا
إلى خالد بن الوليد فأمرهم بلقاء العدو فاستقبلوا جيش المشركين
بأسنة رماحهم واشتعل الحرب بينهم واشتغل أبو عبيدة بترتيب
الصفوف وتعبية العسكر وأقبل أبو سفين إلى أبي عبيدة وقال
أيها الأمير قل للنسا يعلون على هذا التل قال فأمرهن بذلك فعلون
على التل وحصن أنفسهن ومعهن الأطفال والبنات فقال لهن أبو
عبيدة خذن بأيديكن عمد البيوت والخيم واجعلن الحجارة
بين أيديكن وحرضن المؤمنين على القتال فإن كان الظفر لنا
فكن على ما أنتن عليه وإن رأيتن أحدا من المسلمين منهزما فاضربن
وجهه بأعمدكن وارمين وجهه بحجارتكن وادفعن إليه الأولاد
وقلن له قاتل عن أهلك وولدك وعن بيضة الإسلام فقالت له

النسا أيها الأمير أبشر بما يسرك قال **الواقدي** رحمه الله
فلما حصن أبو عبيدة النسا بالتل أقبل على جيشه وقد ابتدر الناس للقتال
بعد أن عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وقدم أصحاب الرايات
وكانت راية المهاجرين صفرا وفيها أبيض وأخضر وأسود وساير
القبايل رايا تهم مختلفة وجعل المهاجرين والأنصار في القلب وأظهر
المسلمون العدة والسلاح وجعل عسكره ثلاثة صفوف صف فيه
النبالة من أهل اليمن وصف فيه أصحاب السيوف وصف فيه
الرماحة أصحاب الخيل والعدة وقسم الخيالة ثلاثة فرق فجعلها
في الصفوف الثلاثة واستعمل عليهم ثلاثة من فرسان المسلمين
أحدهم غياث بن حرملة العامري والآخر سلمة بن سيف اليربوعي
والثالث القعقاع بن عمرو التميمي ووقف المسلمون تحت راياتهم
ووقف أبو عبيدة رضي الله عنه في القلب تحت رايته التي عقدها
له أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم مسيره إلى الشام وهي راية
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرا التي سار بها نحو خيبر قال
ومع خالد بن الوليد رضي الله عنه رايته المسماة بالعقاب وكانت
سودا وعلى الساقة شرحبيل بن حسنة وعلى جناح الميمنة يزيد بن
أبي سفين وعلى جناح الميسرة قيس بن هبيرة قال وكانت الأزد

ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي الْقَلْبِ وَحِمْيَرَ وَهَمْدَانَ وَمَذْحِجَ وَخَوْلَانَ وَخَثْعَمَ وَكِنَانَةَ
وَلَخْمٍ وَجُذَامٍ وَكِنْدَةَ وَحَضْرَمَوْتَ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ
تَمِيمٌ وَلَا رَبِيعَةُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِالْعِرَاقِ مَعَ سَعْدٍ فَلَمَّا رَتَّبَ الصُّفُوفَ
سَارَ أَبُو عُبَيْدَةَ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَجَعَلَ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ وَيَقُولُ
إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ فَالْزَمُوا الصَّبْرَ فَإِنَّ الصَّبْرَ
مَنْجَاةٌ مِنَ الْكَرْبِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ وَمَرْهَبَةٌ لِلْعَدُوِّ وَلَا تَزُوغُوا
عَنْ صُفُوفِكُمْ وَلَا تَنْقُضُوا تَعْبِيَتَكُمْ وَلَا تَخْطُوا إِلَيْهِمْ خَطْوَةً إِلَّا وَأَنْتُمْ
تَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالْقِتَالِ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ
وَشَرِّعُوا الرِّمَاحَ وَاسْتَتِرُوا بِالدَّرَقِ وَالْزَمُوا الصَّمْتَ إِلَّا مِنْ
ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُحْدِثُوا أَحَدًا حَتَّى آمُرَكُمْ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَقَامِهِ
مِنَ الْقَلْبِ وَوَقَفَ فِيهِ وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَطَافَ
مُحَرِّضًا لِلْمُسْلِمِينَ قَائِلًا يَا أَهْلَ الدِّينِ وَيَا أَنْصَارَ الْهُدَى وَالْحَقِّ اعْلَمُوا
أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ وَلَا تُدْرَكُ بِالتَّقْصِيرِ
وَلَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ إِلَّا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَعَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَا يُؤْتِي
اللَّهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ الْوَاسِعَةَ إِلَّا لِلصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ الْمُتَصَدِّقِينَ
أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ
بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ فَاسْتَحْيُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ
مِنْ رَبِّكُمْ أَنْ يَرَاكُمْ فِرَارًا مِنْ عَدُوِّهِ وَأَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ لَيْسَ لَكُمْ مَلْجَأٌ
مِنْ دُونِهِ وَلَمْ يَزَلْ مُعَاذٌ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَخَرَجَ مِنْ
بَعْدِهِ سَهْلُ بْنُ عَمْرٍو وَجَعَلَ يَشُقُّ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَيَمْشِي كَمَشْيِ أَبِي عُبَيْدَةَ
وَمُعَاذٍ وَجَعَلَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَاجْثُوا عَلَى الرُّكَبِ
وَشَرِّعُوا الرِّمَاحَ وَإِذَا حَمَلُوا عَلَيْكُمْ فَأَمْهِلُوهُمْ فَإِذَا رَكِبُوا أَطْرَافَ
الْأَسِنَّةِ فَثِبُوا فِي وُجُوهِهِمْ وُثُوبَ الْأُسُودِ إِلَى فَرَائِسِهِمْ فَوَالَّذِي
يَرْضَى الصِّدْقَ وَيُثِيبُ عَلَيْهِ وَيُبْغِضُ الْكَذِبَ وَيَجْزِي عَلَيْهِ لَقَدْ
سَمِعْتُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ سَيَفْتَحُوا هَذِهِ الْبِلَادَ مِصْرًا مِصْرًا وَحِصْنًا حِصْنًا
وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى فَلَا يَهُولَنَّكُمْ جُمُوعُهُمْ وَلَا
عَدَدُهُمْ فَإِنَّكُمْ إِنْ صَدَقْتُمُوهُمُ الْحَرْبَ تَطَايَرُوا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ
تَطَايُرَ الْحَجَلِ مِنْ يَدِ قَابِضِهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ قَالَ فَكَانَ لِسُهَيْلِ بْنِ
عَمْرٍو وَقْفَتَانِ حَسَنَتَانِ إِحْدَاهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأُخْرَى يَوْمَ الْيَرْمُوكِ قَالَ وَخَرَجَ مِنْ
بَعْدِهِ أَبُو سُفْيَانَ فَطَافَ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَهُوَ يَقُولُ وَهُوَ شَاكٍ فِي
سِلَاحِهِ نَاكِبٌ قَوْسَهُ مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ مُعْتَقِلًا رُمْحَهُ مَعْشَرَ النَّاسِ أَنْتُمْ

العرب الكرام والسادة العظام قد اصبحتم في ديار الاعلاج منقطعين
عن الاهل والاوطان ووالله لا ينجيكم اليوم منهم الا الطعن الصائب
في اعينهم والضرب المتدارك في هاماتهم تبلغون بذلك اربكم منهم
وتنالون القرب من ربكم واعلموا ان الصبر في مواطن الباس مما
يفرج الله به الهم والغم فاصدقوهم القتال فان النصر ينزل مع
الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وقصورهم واستعبدتم ابناءهم
ونساءهم وان وليتم فليس بين ايديكم الا المفاوز ولا تقطع الا بالزاد
الكثير والماء الغزير ويرجعوا هؤلاء الى دورهم وقصورهم فامنعوا
بسيوفكم وجاهدوا في الله حق جهاده ولا تموتن الا وانتم مسلمون
ثم خرج من بين الصفوف واقبل على النساء وهن على التل وفيهن المهاجرات
وبنات الانصار وغيرهن من نساء المسلمين فقال لهن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال النساء ناقصات عقل ودين فكن ممن احتفظن
باذيالهن وقدمن في ذلك النية وحرضن ازواجكن على القتال
ومن رجع منهم منهزما فاهشمن وجهه بالحجارة واضربن جواده
بالعمد والقضبان واولادكن اليه حتى يرجع قال فوقف النساء مستعدات
لذلك ثم رجع ابو سفيان الى موقفه وهو يقول معشر المسلمين قد
حضر ما ترون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم امامكم والشيطان

والنار

والنار وراكم ووقف مكانه ولم تغن مكيدة ماهان شيئا ورجعت الروم
الى ورائها حين راوا خالدا زحف اليهم في خمس مائة فارس فلما اصطفت
الصفوف وعبت المسلمون كتائبهم صرخ ماهان بالروم وقال لهم ما
يوقفكم عن قتالهم فزحفت الروم على المسلمين فنظر خالد الى جيش
عظيم عرمرم سيوفه تلمع وكان قد انفرد منهم ثلاثون الف من
عظمائهم وحفروا لهم حفاير في الميمنة ونزلوا فيها وشدوا ارجلهم
بالسلاسل واقترن كل عشرة منهم في سلسلة التماسا للحفيظة ان
لا يفروا وحلفوا بعيسى بن مريم والصليب الاعظم والقسيسين
والرهبان والكنايس الاربع والصوامع ان لا ينهزمون ولا يولون
او يقتلون العرب فلما نظر خالد الى ما صنعوا قال لمن حوله من
جيش الزحف هذا يوشك ان يكون يوم عظيم ثم قال اللهم ايد
المسلمين بالنصر وافرغ عليهم الصبر ثم اقبل على ابي عبيدة وقال
ايها الامير ان القوم قد اقترنوا بالسلاسل وزحفوا الينا
بالعمد والقواضب فيوشك ان يكون يوما عظيما ثم اقبل ابو عبيدة
على الناس وقال اعلموا ان عدد الروم كثير وما ينجيكم منهم الا الصبر
فقال خالد اعلم ان ماهان قدم امامه مائة الف ممن عرفت شجاعته
واشتهر بالثبات في بلاده والراي ان توقف في مكانك الذي

ايها الامير

انت فيه سعيد بن زيد وتقف انت من ورايه بازايه في مايتين او ثلثمايه
من اصحابك فاذا علم المسلمون انك من ورايهم استحيوا من الله تعالى ومنك
فلا ينهزمون قال فقبل ابو عبيدة مشورته ودعا بسعيد بن زيد بن
عمرو بن نفيل رضي الله عنه وهو احد العشرة الذي قال الله فيهم
لقد رضي الله عن المومنين الاية فاوقفه مكانه ثم انتخب مايتا فارس
من فرسان اليمن فيهم رجال من المهاجرين ووقف بهم من ورا الصف
قال الواقدي رحمه الله حدثنا ورقة بن مهلهل التنوخي
وكان صاحب راية ابي عبيدة يوم اليرموك قال كان اول من
استفتح الحرب يوم جيش سلاسل غلام من الازد حدث السن فقال
لابي عبيدة ايها الامير اني اردت ان اشفي كبدي واهاجم عدوي
وعدو الاسلام وابذل نفسي لله واجاهد اعدا الله لعلي ارزق الشهادة
فهل تاذن لي بذلك وان كانت لك حاجة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرني بها قال فبكا ابو عبيدة وقال اقري محمدا عني
السلام وخبره انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم رد الغلام راس جواده
وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من علوج الروم على فرس اشهب فلما
راه الغلام قصد نحوه فلما قرب من العلج جعل **يقول**
لا بد من طعن وضرب صايب   بكل لدن وحسام ضارب

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وقارب الغلام العلج وطعنه طعنة خر
ميتا واخذ عدته وجواده وسلم ذلك لرجل من اصحابه ثم عاد ودعا
للبراز فخرج اليه ثاني فقتله وثالث ورابع فخرج اليه خامس فقتل الازدي
رحمه الله فغضبت الازد لما قتل الغلام ودنوا من صفوف المشركين
فعندها اقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر الى ان قربوا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها نادى معاذ بن جبل معاشر
الناس ان اعداء الله واعداكم قد تاهبوا للحملة واعلموا ان الله معكم
فثبتوا انفسكم للقايهم واصبروا فان النصر من عند الله ثم رمق السما
بطرفه وقال اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك نوحد ولا
نشرك بك شيا وهولا الاعلاج يكفرون بك وباياتك ويتخذون
لك ولدا فانصرنا عليهم يا من قال في كتابه واعتصموا بالله هو مولاكم
فنعم المولى ونعم النصير اللهم زلزل اقدامهم وارعب قلوبهم
وانزل علينا السكينة والزمنا كلمة التقوى وامنا من عذابك يا من لا
يخلف الميعاد قال معاذ بن جبل فبينما انا ادعو بهذا الدعا اذ حملت
الروم على ميمنة المسلمين وذلك ان ماهان ارسل الى الدرنجان ومن
معه ان يحمل على ميمنة المسلمين فحمل وكان فيها الازد ومذحج
وحضرموت وحمير وخولان فحملت عليهم الروم حملة واحدة فصبروا

لهم وحملوا عليهم وثبتوا ثباتا حسنا فحملت عليهم كتيبة ثانية فحملوا عليهم
وصبروا لهم فحملت عليهم كتيبة ثالثة فانكشفت ميمنة المسلمين وثبتت
طايفة منهم ثباتا حسنا **قال الواقدي** رحمه الله
حدثنا عكاشة بن حامد المازني قال حدثنا سالم بن عدي قال سمعت
جدي عامر بن فياض الزبيدي يحدث في مكة شرفها الله تعالى عند متكى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتمر وانا يومئذ غلام كامل العقل
وقد سئل عن يوم اليرموك فقال جدي كنت يومئذ في خيل قيس بن
هبيرة وزبيد قد انهزمت فابتدر منهم عمرو بن معدي كرب
الزبيدي وهو المقدم عليهم وكانوا يعظمونه لما سبق من شجاعته
في الجاهلية وكان يوم اليرموك عمره ماية وعشرون سنة الا ان
الشجاعة فيه فلما نظر الى قومه قد انكشفوا صاح يا لزبيد تفرون
من الاعدا تفرون من شرب كوس الردا اترضون لانفسكم بالعار
ما هذا الانزعاج اما علمتم ان الله تعالى مطلع على المجاهدين فاذا
نظر اليهم قد لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا لقضايه ايدهم بنصره
وامدهم بصبره فاين انتم من الجنة ارضيتم بالعار وغضب الجبار
فلما سمعوا كلامه تراجعوا اليه كعطفة البهايم على اولادها واجتمعوا
حوله وكانوا زها على خمس ماية فارس وحملوا على الروم حملة

واحدة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان فازالوا الروم عن
مواضعها وهز ابو هريرة رايته وجعل يحرض قومه على القتال ويقول
يا ايها الناس سارعوا الى مغفرة من ربكم والى معانقة الحور العين في
جوار رب العالمين في جنات النعيم وما وطن احب الى الله تعالى
من هذا الموطن الا وان الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم
يشهدوا مشهدهم فلما سمعت دوس مقالته طافوا به وحملوا على
الروم وداروا بهم وصبروا لهم فتكاثرت عليهم الروم وحملوا
على ميمنة المسلمين فهزموها وانكشفت كانكشاف الغنم بين يدي
الاسد وصارت الخيل راجعة على اعقابها فلما رات النسوة الى
انهزامهم نادوا يا بنات العربيات دونكم والرجال ردوهم
من الهزيمة والكشفة قالت سعيدة بنت عاصم الخزاعي كنت في
جملة النسا يومئذ على التل فلما انكشفت الميمنة صاحت عفيرة بنت
عفار يا بنات العربيات احملن اولادكن على ايديكن واستقبلوا
الرجال بالصياح والتحريض قال فاقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل
بالحجارة ويقلن لستن لنا ببعولة قال العباس بن سهل بن سعيد تقدمت
خولة بنت الازور وخولة الانصارية ولعوب بنت مالك بن عاصم
وسليمة بنت هاشم ونعم بنت فياض وهند بنت عتبة بن ربيعة

ولبنا بنت جرير الحميرية امام النسا والمزاهر معهن وهن يقلن
يا ها ربا عن نسوة ثقات ۔ لهن حسن كامل الصفات ۔
يرحن طرا الى البغات ۔ أعلاج سو فسق عتات ۔
ينلن منا أعظم الشتات ۔ وجعلن يحرضن على القتال فرجع المنهزمون
رجعة عظيمة عند ما سمعوا من تحريض النسا لهم وتقدمت هند بنت
عتبة وبيدها مزهر وهي تقول الشعر الذي قالته يوم أحد ۔ وهو
نحن بنات طارق ۔ نمشي على النمارق ۔ مشي القطا الأوامق ۔
إن تقبلوا نعانق ۔ أو تدبروا نفارق ۔ فراق غير وامق ۔
تعني بقولها نحن بنات طارق يعني النجم وأيضا نحن المخدرات
الذين لا يخرجن من البيوت إلا في الليل ثم استقبلت خيل المسلمين
المنهزمين فصاحت إلى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع
عليكم ونظرت إلى أبي سفين وهو منهزم فضربت وجه
حصانه بعمودها وقالت إلى أين يا ابن صخر ارجع إلى القتال وابذل
مهجتك قال الزبير بن العوام لما سمعت كلام هند لأبي سفين
ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي تحرض المشركين بهذا الشعر على قتال المسلمين فتعجبت
من ذلك وقلت لك الحمد يا ربنا تفعل ما تشا سبق عدلك في خلقك

ولا يعلم الغيب غيرك قال فرجع أبو سفين عند ما سمع كلامها ورجع
المسلمون معه ونظرت إلى النسوان وقد حملن معه فلقد رأيتهن وهن
يسابقن المسلمين وهن بين أرجل الدواب ولقد رأيت امرأة منهن
تقبل إلى العلج العظيم وهو على فرسه فتتعلق به فلا تفارقه حتى تنكسه
عن الجواد وتقتله وتقول هذا بيان نصر الله قال الزبير فحمل المسلمون
حملة عظيمة لا يريدون بها غير رضا الله تعالى ورضى رسوله وحملت
الأعلاج وقاتلت الأزد مع أبي هريرة قتالا شديدا حتى فشا فيهم
القتل وأصيب منهم خلق كثير لأنهم لاقوا الصدمة الأولى
واستشهد منهم ما لم يستشهد من غيرهم من القبايل قال زيد بن
عمرو رضي الله عنه كان القتال في الميمنة شديدا ننهزم مرة
ونعود مرة وساعة نصبر وساعة نتأخر قال ونظر خالد رضي الله
عنه إلى الميمنة وقد مالت فصاح بمن معه من الخيل وحمل عليهم
وكانوا نحو الستة آلاف فارس وكانت حملة عظيمة فانكشفوا
أعدا الله عن الميمنة وانكسروا أمام خالد كسرة عظيمة فلما رأى
خالد إلى ذلك صاح يا أهل الإسلام ويا قرا القرآن ويا أصحاب
محمد عليه أفضل الصلاة والسلام قد تبينت الكسرة في الروم
ولم يبق عندهم جلد ولا قتال وقد كسر الله حدتهم فردوا عليهم

واحملوا فانى ارجوا ان يمنحكم الله اكتافهم قال فاجابه المسلمون من كل جانب ومكان يا خالد احمل حتى نحمل قال فانتضا خالد سيفه وحمل معه اصحابه قال عبد الرحمن الجمحى كنت فيمن حمل مع خالد فوالله لقد انهزمت الروم من بين ايدينا وولت كما تولى الغنم من زئير الاسد وتبعهم المسلمون وكانت الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا عظيما واما اصحاب السلسلة فلم يبرحوا من مكانهم وكانوا يرمون بالنشاب وهم حماة القوم قال عبد الرحمن وكان خالد اماما لنا ونحن من ورائه وكان ينادى يا منصورون يا امة محمد فلم يزل خالد فى حملته الى ان وصل الى الدرنجان وكان قائما فى الموضع الذى اقامه ماهان فيه ومعه صليب من الجوهر واصحابه ينتظرون ان يحملوا معه فلما وصلت خيل المسلمين اليه قالت له البطارقة ايها الملك اما تحمل حتى نحمل فقد احاطت خيل المسلمين بنا فقال لاصحابه اعلموا ان يوم الشر لا احب ان اراه ولا احضره ولقد اوقفنى الملك فى هذا الموضع وانا كاره ولكن لفوا راسى ووجهى فى هذا الثوب حتى لا ارى الحرب قال فلفوا راسه ووجهه فى ثوب من الديباج والقوم يقتتلون الى ان انهزمت الروم بين يدي المسلمين ووصلوا الى الدرنجان

وهو ملفوف الراس فحمل عليه خالد وقيل ضرار بن الازور وطعنه طعنة نافذة فقتله قال وكان من حسن صنع الله تعالى بالمسلمين ان جرجير وقناطر اختلفا وتنازعا وكان جرجير فى ميمنة الارمن وقناطر فى الميسرة فقال جرجير لقناطر احمل على العرب ما هذا الوقوف فقال له قناطر اتامرنى ان احمل فقال كيف لا امرك وانا امير مثلك فقال له قناطر كذبت انا فوقك واعلى منك وطاعتك لى واجبة فاختلفا فغضب جرجير من قول قناطر وحمل على المسلمين حملة شديدة على كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعة وعاملة وغسان وهم يومئذ مما يلى ميسرة المسلمين ولم تبق الا اصحاب الرايات فقاتلوهم ومن يليهم قتالا شديدا وركب الروم اكتاف المسلمين من المنهزمين الى ان دخلوا معسكرهم فاستقبلتهم النساء بالعمد يضربن وجوه الخيل بالعمد ويرمونهم بالحجارة وينادونهم الى اين تنهزمون يا اهل الاسلام من الامهات والاخوات والبنين والبنات اتريدون ان تسلموهن الى الاعلاج قال منهال الدوسى اقسم لقد كن النساء اشد علينا غلظة من الروم قال فتراجع المسلمون عن الهزيمة ونادى بعضهم بعضا وعطفوا على الروم عطفة عظيمة وقباث بن اشيم

أمام المسلمين يضرب أغراض المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح إلى أن كسر ثلاثة أرماح وهو يقول

ساحمل في الروم الكلاب النوابح ❊ واضربهم ضربا بحد الصفائح
وأرضي رسول الله خير مؤمل ❊ نبي الهدى المبعوث للدين ناصح

قال الواقدي رحمه الله ثم حمل حتى كسر سيفين كلما أخذ سيفا أو كسر رمحا يقول من يعيرني سيفا أو رمحا في سبيل الله وجزاؤه على الله ثم نادى يا معاشر قيس خذوا نصيبكم من الآخرة واصبروا فإن الصبر في الدنيا عز ومكرمة وفي الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال فأجابه قومه ونشطوا معه للقتال والضرب والنزال قال قباث بن أشيم الكناني رحمة الله عليه فاختلط بعضنا ببعض ورجع خالد من حملته مع ألفين من قومه ووضعوا السيف في الروم وقتلوهم قتلا والقتل لا يتبين فيهم لكثرتهم وأقبل خالد من الحرب والمسلمون يقولون جزى الله قباث بن أشيم خيرا عنا فلما سمع خالد ذلك أقبل عليه وقبل ما بين عينيه ورأسه وقال يا قباث جزاك الله خيرا عن الإسلام فقال قباث بن أشيم أيها الأمير والله ما أريد إلا وجه الله عز وجل والدار الآخرة والنجاة من عذاب النار

والنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأقبلت زرنيخة بنت الحارث منحدرة من التل وهي تقول ما فعل خالد حتى وقفت بين يديه وقالت يا ابن الوليد أفررت فقال لها خالد والله ما كنت من المنهزمين وما نقاتل إلا في العجاج فقالت قبح الله وجه عبد نظر إلى وجه أميره ثابتا وهو ينهزم قال الواقدي رحمه الله ونظر ماهان لعنه الله إلى عسكره وقد عركه المسلمون عرك الأديم فبعث إليهم يحرضهم على القتال فعندها خرج علج من الروم من الميمنة وعليه سابغ السلاح كأنه قطعة من جبل وهو راكب على جواد عظيم الخلقة فجال بين العسكرين وطلب القتال فخرج إليه رجل من الأزد فما جال معه غير يسير حتى قتله العلج ثم دعا بالبراز فخرج إليه معاذ بن جبل فقال له أبو عبيدة سألتك بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجعت إلى مكانك ولزمت الراية فرجع إلى مكانه فقال له أبو عبيدة وقوفك عند الراية أحب إلي من برازك إلى هذا العلج ثم نادى خالد معاشر المسلمين من أحب فرسا يركبه ويقاتل عليه فهذا فرسي فأجابه ابنه عبد الرحمن وقال أنا يا أبت وكان غلاما جسيما فلبس أحسن السلاح وأخذ فرس أبيه فركبه وقال يا أبت إني خارج إلى هذا العلج فإن صبرت له فالمنة لله تعالى علي وإن قتلني فعليك السلام فإن

كان لك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فأوصني بها فقال
له معاذ يا بني اقرأ عليه السلام وقل له جزاك الله عن امتك خيرا ثم قال
يا بني اخرج وفقنا الله واياك لما يحب ويرضى فخرج عبد الرحمن بن
معاذ الى العلج فضربه بالسيف فنبا عنه ومال عليه العلج بضربة
واصلة وضربه على رأسه وشجه شجة واضحة سال دمه بها فلما
رأى العلج الدم ظن انه قتله فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط
عن الجواد الى الارض فلما نظر عبد الرحمن الى العلج قد تأخر
انثنى راجعا الى المسلمين فقال له معاذ يا بني ما بك قال يا مولاي
قتلني العلج قال له معاذ يا بني ما الذي تريد من الدنيا ثم شد
جرحه واذا بها سالمة ثم ان العلج طغى وتمرد وحمل ثلاث مرات
والازد تردده فقال ابو عبيدة من له منكم فخرج اليه عامر
ابن الطفيل الدوسي وكان من اصحاب الرايات ممن شهد
اليمامة مع خالد بن الوليد وكان قد رأى يوم اليمامة
في منامه في قتال مسيلمة كأن امرأة لقيته ففتحت له فرجها
فدخل فيه ونظر اليه ابنه فأسرع ليدخل مكان دخل ابوه
ثم استيقظ وقص ذلك على المسلمين فلم يدر احد ما تأويلها
فقال عامر بن الطفيل أما اني اعرف تأويلها قالوا وما ذلك

يا ابن الطفيل قال تأويلها اني اقتل لان المرأة التي ادخلتني فرجها
هي الارض وان ابني تصيبه جراحة ويوشك ان يلتقي بي فقاتل
يوم اليمامة وابلى بلاء حسنا ولم يلحقه اذى وسلم فلما كان يوم
اليرموك شهد فيه الحرب وخرج الى قتال العلج وحمل عليه بعد
ان اقلب ميمنة الروم على الميسرة ثم انثنى على البطريق مثل
الصاعقة فطعنه وكانت قناته شهدت معه وقايع الردة
واليمامة فاندق الرمح فرماه من يده واعتمد على سيفه وهزه
وضرب به العلج على عاتقه خالط امعاه فانتكس العلج صريعا
عن جواده واسرع عامر بن الطفيل فأخذه ورمى به الى
المسلمين وسلمه الى ولده وانثنى راجعا نحو الروم وحمل
على الميمنة حملة وعلى الميسرة حملة وعلى القلب وطلب بحملته
المتنصرة من غسان وجذام ولخم اصحاب جبلة بن الايهم
وعليه دراعة من الديباج المثقل من الذهب من تحتها درع
من دروع التبابعة وعليه بيضة تلمع كشعاع الشمس ومن
تحته فرس من نسل خيل عاد فخرج جبلة الى عامر بن الطفيل
فقال له من اي الناس انت فقال انا من دوس قال له جبلة
انك من القرابة فابق عليك نفسك وارجع الى قومك ودع

عنك الطمع فقال له عامر بن الطفيل قد اخبرتك من انا ومن قبيلتي
فانت من اي العرب قال من غسان وانا سيدها جمعا انا جبلة بن
الايهم وانما خرجت اليك حين نظرت اليك وقد قتلت هذا
البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير في الشجاعة فعلمت
انك كفو فخرجت اليك لاقتلك واحظى عند ماهان وهرقل
بقتلك فقال عامر بن الطفيل اما ما ذكرت من شدة القوم وعظم
خلقهم فالله اشد منعة وهو مهلك الجبابرة واما قولك انك
تحظى بقتلي عند مخلوق وهو مثلك فاني اريد ان احظى بجهادي
عند رب العالمين وحمل عامر بن الطفيل على جبلة بن الايهم
وحمل جبلة عليه والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عامر بن الطفيل
غير ممكنة وخرجت ضربة جبلة ممكنة فقطع من قرنه الى
كتفه فسقط عامر قتيلا رضي الله عنه وجال جبلة على مصرع عامر
ووقف يعجب بنفسه وما صنع فطلب جبلة البراز فخرج اليه
ولد المقتول وهو جندب بن عامر بن الطفيل الدوسي وكانت
معه الراية فاقبل بها الى ابي عبيدة وقال ايها الامير ان ابي
قد قتل واريد ان اخذ بثاره او الحق به فادفع رايتك لمن
شئت من دوس فاخذ ابو عبيدة الراية من يده ودفعها الى

رجل من دوس فحملها وخرج جندب الى قتال جبلة وهو يقول

سابذل مهجتي ابدا لاني • اريد العفو من رب غفور •
واضرب في العدى جهدا بسيفي • واقتل كل جبار كفور •
فان الخلد والجنات حقا • تباح لكل مقدام صبور •

ودنى من جبلة بن الايهم وقاربه وصاح به اثبت يا قاتل ابي
فاقتلك به فقال جبلة ومن انت من المقتول قال انا ولده قال جبلة
ما الذي حملكم على قتل نفوسكم واولادكم وقتل النفس مكروه محرم
قال جندب ان قتل النفس في سبيل الله محمود ننال به الدرجة
العالية قال جبلة بن الايهم اني لا اريد قتلك وانت غلام
حدث السن فارجع حتى يخرج الي غيرك قال جندب وكيف ارجع
وانا المفجوع بابي والله لا رجعت او اخذ بثار ابي او الحق به ثم
حمل على جبلة وحمل جبلة عليه وجعلا يلتقيان وقد شخصت نحوهما
الابصار ونظر جبلة الى الغلام وما ابدى من شجاعته فعلم انه
شديد الباس صعب المراس فاخذ منه حذره وغسان ترمق
صاحبها جبلة والى الغلام جندب وقد ظهر على صاحبهم وقاربه
في الحرب فصاح بعضهم ببعض يا اهل غسان ان هذا الغلام الذي
برز الى صاحبكم نجيب فان رايتموه قد ظهر على سيدكم فانجدوا

صاحبكم وأميركم ولا تدعوه فيقتل فتأهبت فرسان غسان للحملة
نحو سيدهم ليستنقذوه إذ دهمه أمر ونظر المسلمون إلى صاحبهم
جندب بن عامر وما قد أظهر من الشجاعة والشدة ففرحوا من أجل
ذلك ونظر الأمير أبو عبيدة إليه وما فعله فبكى وقال هكذا
يكون من يبذل مهجته في سبيل الله اللهم لا تنس له فعاله قال
جابر بن عبد الله الأنصاري شهدت قتال اليرموك فما رأيت
غلاما كان أنجب من الدوسي وهو جندب بن عامر بن الطفيل
حين قاتله جبلة بن الأيهم الغساني لعنه الله غير أنه إذا جاء
الأجل لم تنفع الشدة في القتال ولا كثرة السلاح وذلك
أن الغلام الدوسي حمل على جبلة وضربه ضربة أوهنه بها وضربه
جبلة ضربة فقتله وعجل الله تعالى بروحه إلى الجنة وحقق الله
منام عامر بن الطفيل وجال جبلة على مصرعه وطلب البراز
فصاح به قومه ارجع أيها السيد إلى مكانك فقد قضيت
ما يجب عليك فرجع متعجب بصنيعه حتى وقف تحت صليبه
قال وبعث إليه ماهان يشكره وأصيب المسلمون بعامر بن
الطفيل وولده جندب فعندها صاحت دوس الجنة الجنة
خذوا بثار سيدكم عامر وولده من أعداء الله فخرجت دوس إلى
القتال وساعدتها الأوس والأزد وكانوا خلفاهم وحملوا على
غسان وجذام ولخم ونادوا بالأشعار فعندها صاح أبو عبيدة
بالمسلمين وقال يا أيها الناس سارعوا إلى مغفرة من ربكم ومعانقة
الحور العين في جنات النعيم فما موطن أحب إلى الله من هذا الموطن
ألا وإن الصابرين فضلهم الله تعالى على غيرهم ممن لم يشهد مشهدهم
فلما سمعت الأزد ذلك حملوا مع دوس على المشركين حملة عظيمة
وجعلوا ينادون في شعارهم الجنة الجنة قال الراوي
وهو الواقدي رحمه الله حدثني موسى بن محمد عن عطا بن مروان
قال سألت رجالا عدة ما كان شعار المسلمين يوم اليرموك
فأخبرت أنه كان شعار أبي عبيدة أمت أمت وشعار عبس يال
عبس وشعار اليمن من أخلاط الناس يا أنصار الله وشعار خالد
ومن معه يا حزب الله وشعار حمير الفتح الفتح وشعار دارم السكاسك
الصبر الصبر وشعار بني مراد يا نصر الله انزل فهذه كانت
شعار المسلمين يوم اليرموك قال فلما حملت دوس واتبعتها الأزد
قصدت العرب المتنصرة فطلبت موضع صليبهم وخرقتهم
خرقة صعبة حتى وصلوا إلى الصليب فطعن رجل منهم الحامل
للصليب الذي لغسان فأرداه عن فرسه وسقط الصليب من

يده منكسرا وكرت غسان تريد اخذ صليبهم فاقتلوا عنده حتى قتل
خلق كثير وقتل من الازد ودوس رجال الا انهم كانوا في غسان
كالشامة البيضا في جلد البعير الاسود ثم خرجوا من وسط غسان
قال الواقدي رحمه الله حدثني هشام بن عمارة عن أبي
الحويرث عن نافع بن جبير عن عبد الله بن عدي قال شهدت اليرموك
فكان المسلمون خمسة وعشرين الفا فغضب الحويرث وقال
كذب من حدثك بهذا الحديث وان المسلمين كانوا يوم اليرموك
احدي وأربعين الفا وقد اديت اليك ما سمعت ممن اثق به من الرواة
قال الراوي رحمه الله وهذا أثبت الاقاويل لان
المسلمين كانوا يوم اجنادين اثنين وثلاثين الفا ثم جاءت الامداد
بعد ذلك **قال الواقدي** رحمه الله وحدثني ابن أبي نمرة
عن عبد الله الحميد بن سهل عن جده قال لما حملت الازد يوم
اليرموك ودوس ردوا ودخت المشركين دوخة عظيمة ودوخهم
المشركون وحمل المشركون حملة هايلة فانكشف المسلمون
وكان صاحب لواء المسلمين يوم اليرموك عياض بن غنم
الاشعري فهرب منه منهزما ونظر المسلمون الى عياض بن غنم
وقد ولى واللوا بيده فصاح به المسلمون انما ثبات القوم

وأهل الحرب بلوايهم فابتدر لاخذه عمرو بن العاصي وخالد بن
الوليد كلاهما يتسابقان اليه فاخذه عمرو بن العاصي ولم
يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على ايدي المسلمين
وكان اليوم الثالث من اليرموك يوما شديدا انهزمت فيه
فرسان المسلمين ثلاث كرات كل كرة تردهم النساء بالحجارة
والعمد وتلوحن بالاطفال اليهم فيرجعون الى القتال قال
ولم يزل القتال قايما الى ان اقبل الليل بسواده والناس تحت
الحرب والقتل في المشركين كثير وفي المسلمين قليل الا ان
الجراح فيهم فاشية من النشاب فلما اذ لهم الليل بسواده
رجعت الروم الى مواضعها وباتوا تحت السلاح وكذلك
المسلمون وما كان لهم همة غير الصلاة وبعد ذلك شدوا
الجراح وصلى بهم ابو عبيدة الصلاتين معا ثم قال ايها
الناس رحمكم الله اذا اعظم البلا فانتظروا الفرج فانه
يأتي من عند الله واضرموا نيرانكم وتحارسوا واظهروا التهليل
والتكبير وقام ابو عبيدة يمشي بين الناس وهو متكئ على يد
خالد بن الوليد وجعل يتفقد الناس ويشد جراحهم بيده
ويقول ايها الناس ان عدوكم يالم كما تالمون وترجون

مِنَ اللهِ ما لا يرجون وسار أبو عبيدة مع خالد يتخلل خيام المسلمين
طول ليلته حتى الصباح قال وانحازت الروم إلى جانب اليرموك
مع ماهان فجمع بطارقته فوبخهم وزجرهم وقال لهم قد علمت
أن هذا يكون منكم مما رأيت من فشلكم وجزعكم من العرب الضعاف
قال فاعتذروا إليه وقالوا غدا نبارزهم فإن فينا فرسانا
وشجعانا إلى الآن لم يقاتلوا وغدا نصدقهم الحرب فيكون لنا عليهم
العاقبة فسكت عن توبيخه لهم وأمرهم أن يصلحوا سلاحهم
وأن يأخذوا أهبتهم ففعلوا ما أمرهم به وبات الفريقان
يتحارسان وقد رعبت الروم من كثرة القتل فيهم وأما
المسلمون فهم أقوى منهم قلوبا فرحين بأذيالهم وصحة نياتهم
فلما أصبح صلى أبو عبيدة بالمسلمين صلاة الخوف وإذا بالصلبان
قد برزت وبرايات الروم قد طلعت في عدد الشوك والشجر
كأنهم لم يلاقوا عدوا ولا قتالا ولا حربا فوقفوا في مصافهم
ونصب ماهان سريره على الكثيب الذي كان فيه ليشرف
منه على العساكر فأمرهم أن يعبوا مصافهم ولا يقاتلوا إلا أن
يقاتلوهم فأخذوا مصافهم ولزموا مواقفهم فلما نظر
المسلمون إلى سرعة الروم إلى القتال صاح كل أمير برجاله
وحرضهم على القتال فانفلتوا من الصلاة إلى الخيل فركبوها
ولبسوا السلاح ورجع كل أمير إلى مكانه يعظ أصحابه ويعدهم
من الله بالنصر وسار أبو عبيدة بين الصفوف وجعل يصف
لهم فضل الجهاد وما أعد الله للمجاهدين الصابرين وخلف على
النساء والذراري والأموال والأثقال عمير بن سعيد بن عبد الله
الأنصاري وجعل على الرجالة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وقدم الرامية بن مزينة والأنصار فجعل منهم خمسمائة في
الميمنة وخمسمائة في الميسرة وخمسمائة في القلب فطاف
أبو عبيدة عليهم وقال معاشر الرماة الزموا مراتبكم فإن
رأيتم القوم قد زحفوا إلينا جميعا فارشقوهم بالنبال
واذكروا اسم الله عز وجل عند رميكم ولا تتركوها مفرقة
ولتخرج سهامكم من قسيكم كأنها من كبد قوس واحد
وإن هم زحفوا إليكم فاثبتوا في أماكنكم حتى يأتيكم أمري
ففعلوا ما أمرهم الأمير أبو عبيدة وتقدم أبو سفيان إلى
ولده يزيد والراية في يده وحوله أصحابه وقد عزم على
الحملة والجهاد وقال يا بني أحسنت أحسن الله إليك فعليك
بتقوى الله عز وجل والصبر فإنه ليس أحد في هذا الوادي

يعني اليرموك الا وهو متجلد للصبر فاتق الله حق تقاته وانصر
دين الله وشرع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واياك والجزع
فما قضاه ربنا امضاه واصبر مع اصحابك صبر اولى العزم واياك
ان يراك الله منهزما فتبوا بغضب الله عز وجل فقال له يزيد
ساصبر جهدي وطاقتي والله تعالى اسال له معينا وناصرا ثم
صاح يزيد برجاله وهز رايته وندبهم الى القتال وحمل
على من يليه من العدو ومعه قومه فقاتلوا قتالا عظيما تعجب
الناس منه ولم يزالوا كذلك حتى انكوا فى العدو نكاية
عظيمة وابلوا بلاء حسنا وكان قتالهم من جانب القلب
ولم يزل يزيد كذلك فى فعله وباسه حتى برز اليه بطريق
من البطارقة ذو جثة ومنعة وشدة وباس وبيده رمح
عليه صليب من ذهب وحوله زهاء عن عشرة الاف من الروم
فقطعوا على الميمنة وكان فيها عمرو بن العاصى ومن
معه فرجعوا على اعقابهم منكشفين حتى دخلت الروم فى
اوايل عسكر المسلمين مما يلى الميمنة وعمرو ومن معه
يتراجعون على الرجال فيكرون عليهم تارة ويرجعون تارة
حتى تكاثرت عليهم الروم فكشفوهم حتى الحقوهم بالتل

الذى عليه النساء واحاطت الروم بالتل فصاحت امراة من
نساء الانصار اين انصار الدين اين حماة الاسلام قال
وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه جالسا عند زوجته اسما
ابنة ابى بكر رضى الله عنه يداوي عينيه وكان رمدا اذ
سمع صياح المراة اين انصار الدين فقال يا اسما ما لهذه المراة
تصيح اين انصار الدين فقالت عفيرة ابنة عفار يا ابن عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انهزمت ميمنة المسلمين
حتى الجاهم الروم الينا واحتاط بنا الاعلاج وهذه المراة
الانصارية تستنصر بانصار الدين فقال الزبير انا والله
من انصار الدين ولا يرانى الله جالسا ثم طرح الخرقة عن
عينيه واستوى على متن جواده واخذ قناته وانتمى باسمه
وقال فى حملته انا الزبير بن العوام انا ابن عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعل يطعن فيهم طعنا متداركا حتى
ردهم على اعقابهم وخيلهم تنكص باذنابها قال ليث بن
جابر لله در الزبير بن العوام لقد رد الروم بنفسه اذ حمل
عليهم وحده وما كان معه من العرب احد حتى الجاهم الى
عسكرهم وتراجعت خيل عمرو بن العاصى ورجاله وهو

ينادي الرجعة الرجعة الحزم الحزم يا أهل الإسلام الصبر
الصبر ثم حمل عمرو بن العاصي ومن معه وجلوها بعد انهزامهم
قال الواقدي رحمه الله وحمل أيضا جرجير الأرمني
في ثلاثين ألفا من الأرمن على شرحبيل بن حسنة كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشف أصحاب شرحبيل
ولم يثبت غيره لقتال الروم مع عصبة من قومه دون الخمس
مائة رجل فجعل شرحبيل يحمل على الأرمن ثم رجع وهو يقول
يا أهل الإسلام أفرارا من الموت الصبر الصبر فتراجع أصحابه
إليه وحمل عند رجعتهم على الأرمن فردهم على أعقابهم
وجعلوا يضربون وجوههم بالسيوف ويطعنون فيهم بالرماح
ويرشقوهم بالنبال حتى أصابوا من الأرمن ما لم تصب
الأرمن منهم عند هزيمتهم ثم رجع شرحبيل إلى مكانه
ودار بأصحابه وأقبل يعنفهم بالعتاب ويقول ما الذي أصابكم
حتى انهزمتم أمام هؤلاء العجم الغلف الكفرة وأنتم
الحماة البررة أهل القرآن وعباد الرحمن أما سمعتم الله
عز وجل يقول في كتابه العزيز ومن يولهم يومئذ دبره إلا
متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله أما سمعتم

الله عز وجل يقول في كتابه إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة أمن الموت تفرون أم من الجنة تهربون
فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك زلة كانت
من الشيطان مثل يوم أحد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل
فجزاهم خيرا ووقف في موقفه وكان موقفه مما يلي سعيد بن
زيد بن عمرو بن نفيل العدوي وقد لزموا مواقفهم لم يتحركوا
من مواضعهم التماسا للحفيظة ونظر قيس بن هبيرة إلى خيل
شرحبيل قد ارتجعت فخرج في من معه وحمل على العدو وهو ينادي
بشعاره وسمع خالد شعار قيس بن هبيرة فخرج خالد من وراء
جموع الروم فنادى هو وأصحابه بشعارهم وكان شعارهم
يا نصر الله انزل يا منصور أمت أمت وكان هذا شعار المسلمين
يوم بدر وأحد وحمل خالد على الروم من ذات اليمين وحمل قيس
من ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا وجالت الروم جولة
منكرة فلله در الزبير بن العوام وهاشم المرقال وخالد بن
الوليد لقد حملوا حملة شديدة حتى قربوا من سرادقات ماهان
وتواقعت الروم على سرادقات ماهان وخيامه فلما نظر ماهان
إلى ذلك ولى عن سريره هاربا وصاح بالروم وعنفهم فرجعوا

يطلبوا القتال وصاح ابو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهو
ينادى لا اله الا الله محمد رسول الله يا منصور امت امت فاقبلوا
يقتلون الروم قتلا ذريعا فبينما المسلمون فى حملتهم اذ سمعوا
قايلا يقول يا نصر الله انزل يا نصر الله اقرب ايها الناس الثبات
الثبات قال عامر بن اسلم فقابلنا الصارخ واذا به ابو سفين وهو
تحت راية ابنه يزيد وشدت الامرا باجمعهم على من يليهم فقاتلوا
قتالا شديدا ولم يكن فى الروم اثبت من اصحاب السلاسل فانهم
ثبتوا فى اماكنهم يمنعون من اتاهم واما الرماة من الارمن
فانهم كانوا فى القلب مع عسكر الروم وهم مائة الف رام
كانوا اذا رشقوا انشابهم نحو العرب يسترون الشمس فلولا
النصر والمعونة من الله لكان المسلمون يهلكون وانفصل المسلمون
فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك اكثرهم قال فطلع
علج من اعلاج الروم كانه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وعلى
راسه بيضة على شهري غال وعليه زرد الحديد وبيده رمح
وفوق البيضة التى على راسه صليب من ذهب مرصع بالجوهر
فجال العلج واشهر نفسه وسال البراز فنظر المسلمون الى عظمه
وهوله فقال ابو عبيدة معاشر الناس لا يهولنكم ما ترون

من عظم خلقته فكم ترون من عظيم الخلقة لا قلب له فمن له منكم
واستعينوا بالله فخرج اليه عبد من عبيد العرب وكان اسود اللون
وبيده سيف وجحفة وهو راجل فلما هم ان يدنوا من العلج صاح
به مولاه ذو الكلاع الحميرى فلما رد العبد خرج مبادرا وقصد
نحو العلج وجال جولة منكرة وكان ذو الكلاع من اهل الشجاعة
فجال على العلج برمحه وجال العلج عليه وكلاهما رامحين ثم التقيا
فتطاعنا شديدا حتى كلا من الطعان وانفصلا ساعة ثم تجاذبا
بالسيفين والتقيا بهما فضرب ذو الكلاع العلج ضربة وضربه
ايضا العلج ضربة وكان سيف العلج قاطعا وساعده قويا
فقطع بسيفه درقة ذى الكلاع ودرعه وما تحته من الثياب
ووصلت الضربة الى عضده الايسر فجرحه جرحا انلغ فيه وثقلت
يده عليه فلما نظر ذو الكلاع الى ما قد لحقه من العلج عطف
براس جواده يريد المسلمين ونظر العلج الى ذى الكلاع وقد
عطف راجعا فطمع فيه وصاح ببرذونه ليلحقه وكان فرس
ذو الكلاع سابقا فلم يلحقه العلج حتى لحق بالمسلمين فاتى الى راية
قومه من حمير والدم يفور من الضربة كانبوب واجتمع اليه
فرسان حمير وقالوا ما وراك ايها الامير فقال يا فرسان حمير اياكم

والعجب ولا تتكلوا في قتالكم على السلاح ومنعته ولكن اتكلوا على الله
عز وجل فقالوا كيف ذلك ايها السيد فقال لاني رددت عبدي
عن القتال شفقة عليه اذ ليس عليه لامة وقلت انا افرس من عبدي
واجود عدة ولامة فصنع بي الاغلف ما ترون ووالله ما لحقني مثلها
في حرب قبل ذلك فشدت حمير جراحه ووقف ذو الكلاع برايته
يحملها له رجل من قومه فصاح ذو الكلاع برجاله يا رجال
حمير ان كان سيدكم رجع كالا فما منكم من ياخذ له بالثار
فبرز فارس من فرسان حمير وعليه سابغ اليمن من الابراد والخز
كانه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمما وجال معه جولة عظيمة
وعطف الحميري على العلج بطعنة اثبتها في صدره ارداه بها
قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وهم الحميري ان ينزل عن فرسه
ويأخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم فكشفوه عنه فردهم
الحميري صاغرين ثم رجع الى العلج واخذ سلبه واقبل به الى ابي
عبيدة فاعطاه اياه فدفع ذلك السلب لقومه ورجع الى مقامه
من القتال فخرج اليه علج اخر فقتله واخر فقتله وخرج اليه
علج رابع فقتل الحميري وهم العلج ان يأخذ سلبه فرماه رجل
من رماة الانصار بنبلة فوضعها في لبته جدله صريعا وعجل الله

بروحه الى النار وسقطا جميعا فصاحت البطارقة بعضها ببعض وهابوا
جموع المسلمين وكان ذلك البطريق الذي قتل بالنبلة من عظمائهم
ويقال انه كان مقطع نابلس فصاح ماهان بهم وسكنهم عن اضطرابهم
وخرج الى القتال ملك اللان وكان يقال له مرمولس وعليه لامة
الملوك وقد اظهر ديباجه وجوهره وفي وسطه منطقة مرصعة
فجال بين الصفين واشهر سيفه وعرف بنفسه وقال انا ملك اللان
فلا يبرزن الي الا اميركم فخرج اليه شرحبيل بن حسنة كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده الراية وعليه درع من فوقه
كبر متمنطق بمنطقة من الادم على فرس اشهب فقال ابو عبد الله من
هذا الذي قد خرج الى العلج قالوا شرحبيل بن حسنة فبعث اليه ابو
عبيدة يقول ادفع الراية لمن شئت واخرج من غير راية فلما بلغه
ذلك من الرجل الذي نفذه دفع الراية اليه وقال له قف بها في
موضعي فان قدر علي بقضاء الله فسلم الراية الى ابي عبيدة يدفعها
لمن يريد وان رجعت اخذتها فاخذ الرجل الراية وامسكها وخرج
شرحبيل نحو العلج وهو يقول

سأحمل في اللئام بني الاعادي • بكل مثقف لدن حداد •
فيا بؤسا لقيصر يوم ياتي • وجمع الروم شرد في البلاد •

قال فلما سمع اللاين شعر شرجيل فلم يفهمه وكان يفهم قليلا
بالعربية فقال يا عربي ما الذي تقول قال له شرجيل أقول
كلاما تقوله العرب عند برازها تشجع به أنفسها وتثق بوعد الله
الذي وعد به نبيها محمدا صلى الله عليه وسلم فقال ملك اللاين
وما الذي وعدكم نبيكم قال شرجيل وعدنا الله يفتح لنا
الأرض ذات الطول والعرض ونملك الشام والعراق وخراسان
ونقاتل الترك واللان فنكون من الظافرين بنصر الله لنا فقال ملك
اللاين إن الله لا ينصر من يبغي وأنتم تبغون علينا وتطلبون منا ما
ليس لكم بحق قال شرجيل بل نحن قوم أمرنا الله تعالى أن نقول ذلك
والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وإني
أراك تعرف لغة العرب فلو تركت ما أنت عليه من عبادة الصليب
ودخلت في دين الإسلام لكنت من أهل الجنة وسعدت فقال ملك
اللاين ما أترك دين سيدنا المسيح أبدا فإن دينه حق فقال شرجيل
لا تقول إنه صلب وإن الله أحياه بعد ذلك في الأرض متى شاء
ورفعه متى شاء وهو عبد الله ورسوله فقال ملك اللاين لست
أرجع عن قولي ثم استخرج صليبا من عنقه فقبله وتركه على
عينيه وأقبل يستنصر به فغضب شرجيل من فعاله وقال له

يا ويلك تبا لك ولمن معك ولمن يقول بقولك ثم جال عليه وأخذا في
القتال وجالا طويلا ولم يزالا في المجاولة ساعة ورمقتهما الأبصار
وجعل المسلمون يدعون لشرجيل بالنصر والمعونة ونظر شرجيل
إلى شدة المشرك وبأسه وجودة مراسه فانطرد بين يديه كالمنهزم
يظن أنه منهزم فتبعه وقصر شرجيل من سعي جواده حتى علم أنه
قد قاربه قلب العنان إليه ودار بالقناة عليه وقصد أن يطعنه
في نحره فزاغ المشرك عن الطعنة ونجا سالما ثم قال معاشر العرب
لا تدعون الخديعة والمكر فقال له شرجيل مه يا ويلك أما
علمت أن الحرب خدعة والحيل والمكر راسها فقال العلج فما الذي
نفعتك حيلتك ثم رجعا إلى الحملة وتضاربا حتى انقطع السيفان
من أيديهما واعتنقا معانقة شديدة وكان المشرك أعظم
جثة وأشد منعة وكان شرجيل نحيف الجسم كثير الصيام
فضغط عليه المشرك ضغطة أوهنه بها وهم أن يقتلعه من
سرجه والفريقان ينظران إليهما قال ضرار بن الأزور فداخلني
والله الغيظ وقلت لنفسي ويحك يا ضرار يقتل هذا العلج كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تنظر إليه فما الذي يمنعك من
نصرته **قال الراوي** فخرج ضرار نحوهما راجلا يسعى على

قدميه كالظبية الخمصا حتى قرب منهما ولا يعلمان به جميعا وكان
بيده خنجر فوجا به العلج من ورايه فاطلع الخنجر من قلبه فسقط العلج
قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة قال ولما سقط العلج عن ظهر
جواده نزل اليه شرحبيل وضرار فسلباه ما كان عليه من لامة
حربه وركب ضرار جواده وانثنى هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنوه
بالسلامة وشكروا ضرارا على فعله ثم ان شرحبيل اخذ سلب العلج
اليه فنازعه ضرار فيه وقال ان السلب لي لأني قتلت العلج وقال
شرحبيل بل انا قتلته فاختصما في ذلك الى ابي عبيدة فخاف ابو عبيدة
ان يحكم بينهما فيه فلا يرضى بحكمه وكتب الى امير المومنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يقول يا امير المومنين ان رجلا خرج الى البراز
وقاتل علجا من علوج الروم وبلغ معه في الحرب الى جهد جهيد
فخرج آخر من المسلمين فاعان الرجل وقتل العلج وقال ولم يسم
الرجلين فالسلب لمن منهما فجا الجواب من عمر ان السلب للقاتل
فاخذ ابو عبيدة السلب من شرحبيل واعطاه لضرار بن الازور
فقال رجل لشرحبيل كيف فاز ضرار بالسلب دونك قال ذلك
فضل الله يوتيه من يشا قال ولما قتل ضرار بن الازور ملك
اللان غضبت الروم وخرج منهم فارس شجاع وطلب البراز

فخرج اليه الزبير بن العوام وقتله واخذ سلبه وبرز ثالث ورابع
فقتلهما واخذ سلبهما فقال خالد لابي عبيدة ان الزبير قد تجرد
للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وانا نخاف عليك من التعب
فصاح ابو عبيدة بالزبير وعزم عليه ان لا يخرج فرجع الزبير
الى مقامه وخرج خامس من الروم فخرج اليه خالد فقتله وكان
ملك الدوسية وهو زوج ابنة ملك اللان فقوم سلبه وتاجه
ومنطقته وصليبه ودرعه وعصابته بخمسة عشر الفا قال
واخبر ماهان بذلك فغضب وقال هذان ملكان منا قد قتلا
واني اظن ان المسيح لا ينصرنا ثم امر الرماة ان يرموا عن يد
واحدة فرموا سهامهم واطلقوا نحو المسلمين في دفعة واحدة
مائة الف سهم عن كبد واحد فكان النشاب يقع في عسكر
المسلمين كسقوط البرد من السماء وكثر القتل في المسلمين
والجراح وعور من المسلمين سبع مائة عين فسمي ذلك اليوم
يوم التعوير وكان ممن اصيب بعينه المغيرة بن شعبة
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وبكير بن عبد الله التميمي
وابو سفيان صخر بن حرب وراشد بن سعيد فكان الرجل بعد
ذلك يلقى الرجل ويقول له ما الذي اصاب عينك فيقول الآخر

لا تقل مصيبة ولكن قل منحة من الله تعالى قال وعظم وقع السهام في
عسكر المسلمين حتى ما كنت تسمع الا من يصيح واعيناه وابصراه
واحد قتاه واضطرب المسلمون اضطرابا شديدا وجذبت
العرب اعنة خيلها راجعة على اعقابها ونظر ماهان الى اضطراب
جيش المسلمين فحرض الرماة والروم وصاح برجاله وزحفت
المسلسلة نحو جيش المسلمين وحمل جرجير وقناطر وقورين فقال
لهم ماهان اثبتوا على الحملة وارموا المسلمين بالنشاب فما لهم غيره
وزادت الرماة في رميها ورجعت المسلسلة بحديدها والبيارق
تلمع في اكف الرجال كمقابس النيران والحرب دايرة على ساق
واخذ المسلمون على انفسهم الاشفاق مما وصل اليهم من الم قلع
الاحداق قال عباد بن عامر فنظرت الى جيوش المسلمين نحونا
سايرة وفرسان المسلمين متاخرة وخيلهم ناكصة فقلت لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم انزل علينا صبرك الذي نصرتنا
به في المواطن كلها ثم صحت في رجال حمير يا ال حمير تهربون
من الجنة الى النار ما هذا الفرار اما تخافون من العار اما انتم
بين يدي الجبار اما هو عالم الاسرار افررتم من قتال الكفار
قال عباد بن عامر فما اجابني والله احد كانهم صم ما يسمعون

قال فقلت ان كان قبيلتك حمير قد صمت عن الجواب فجعلت اهتف
بقبايل العرب فكل قد شغل بنفسه عن اجابتي فجعلت اكثر من قول
لا حول ولا قوة الا بالله فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من
السماء وذلك ان المسلمين انقلبوا راجعين نحو تل النسا ولم يثبت
معهم احد غير اصحاب الرايات قال عبد الله بن قرط الازدي
شهدت قتال الشام كله فلم اشهد ولم ار قتالا على المسلمين
اشد من قتال اليرموك ولم اشهد يوم اليرموك اشد قتالا من
يوم التعوير ورجعت خيل المسلمين على اذنابها وقاتلت الامرا
بانفسها والرايات بايديها حتى ابا عبيدة ويزيد بن ابي سفين
وعمرو بن العاصي وكانوا يقاتلون قتال الموت قال ونظرت
الى شرحبيل وضرار بن الازور وهاشم المرقال والمسيب بن نجبة
الفزاري وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق والفضل بن العباس
يقاتلون قتالا عظيما في ذلك اليوم قال عبد الله بن قرط فقلت
في نفسي وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى اشهدنا
حملة النساء الذين يشهدن المواطن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فروى معمر بن ابي راشد الزهري قال كان النسا يشهدن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فيداوين الجرحى

وليسقين الماء ويبرزن الى القتال فلم ار المراة من نساء قريش قاتلت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في اليمامة مع خالد مثل
ما قاتلن نسا قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم
المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك في خلافة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وكان قد انضم الى نساء المهاجرين نساء
من لخم وجذام من المومنات وقامت الحرب على ساق ولاحت الاثار
فنادين النساء بانسابهن وامهاتهن والقابهن وجعلن يقاتلن قتال
الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالاطفال وجعل
بعضهن يقاتلن المشركين وبعضهن يقاتلن المسلمين حتى يرجعن
الى القتال وبعضهن يسقين الماء وبعضهن يشددن الجراح فبينما هن
يقاتلن وقد احمين الرجال حتى انهزم من نساء لخم وجذام وخذلن
المسلمين فخرجت اليهن خولة ابنة الازور بن طارق وام حكيم ابنة
الحارث وقيل ابنة سالم وسلمى ابنة لوي بن غانم اليربوعي
وجعلن يضربن في وجوههن ورؤسهن بالعمد ويقلن لهن
اخرجن من بيننا قاتلن توهن جميعنا فرجعن نساء لخم وجذام
يقاتلن قتال الموت وقاتلت ام حكيم ابنة الحرث بالسيف امام
الخيل وجعلت تدك المشركين دكا قال واقد بن ابي عون نظرت

الى هند ابنة عتبة بن ربيعة وبيدها سيف من سيوف الهند وهي
تضرب في المشركين وتنادي بعلو صوتها يا معاشر العرب عضدوا
الغلفان بالسيوف وما سمع يومئذ صوت احد من المسلمين غير
صوت واحد يعظهم يومئذ باعلى صوته ويقول معاشر المسلمين
انه يوم من ايام الله قاتلوا بلا خنا واما اسما ابنة ابي بكر الصديق
رضي الله عنها اقرنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام فما كان
يضرب ضربة الا وهي تضرب مثله وتراجع المسلمون الى القتال
حين نظروا الى النساء يقاتلن قتال الموت ويقول الرجل لمن يليه
ان لم نقاتل نحن فنحن احق بالحد ومن النساء فلله در النساء يوم
اليرموك **قال الواقدي** رحمه الله حدثني عبد الرحمن
ابن الفضل عن برد بن ابي سنان عن مكحول قال كانت وقعة
اليرموك في رجب سنة خمس عشرة من الهجرة قال ابن عامر وحملت
خولة ابنة الازور اخت ضرار على علج من علوج الروم كان قد
حمل علينا فاستقبلته وجعلت تسابقه بالسيف حتى طار السيف
من يدها فضربها العلج بسيفه على قمتها فاسال دمها وسقطت
الى الارض فصاحت عفيرة ابنة عفار حين نظرت اليها صريعة
ونادت فجع والله ضرار في اخته ثم حملت عفيرة على العلج

وضربته ضربة ابانت راسه واقبلت عفيرة نحو خولة ورفعت براسها والدم قد صبغ شعرها كالشقايق فقالت لها ما حالك قالت انا بخير ولكني هالكة لا محالة فهل لك علم باخي ضرار فقالت عفيرة ما رايته فقالت خولة اللهم اجعلني فدا لاخي ولا تفجع فيه الاسلام قالت عفيرة فجهدت ان تقوم فلم تقم فحملناها الى ان اتينا بها موضعها فلما كان الليل حتى رايتها تدور وتسقي الرجال الماء وكان ما بها اذى قط ونظر اليها اخوها والضربة في راسها فقال لها من ضربك قالت علج قتلته عفيرة فقال لها يا اختاه ابشري بالجنة فقد اخذت بثار الضربة مرارا وقتلت منهم اعدادا ولم يزل الحرب من اول النهار وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل ضرامها وابو عبيدة يقاتل برايته والامرا يفعلون كفعله وقصد ابو عبيدة الى المسلمين وكان معه هشام المري قال وبنو احمير ولخم وجذام وقد قتل من الروم يوم التعوير اربعون الفا او يزيدون ولقد اخبرنا عن خالد بن الوليد انه انقطع من يده في ذلك اليوم تسعة اسياف قال حدثني من حضر وقعة اليرموك وشاهدها قال كان يعدل قتال خالد مائة رجل من شجعان الفرسان وحماة الفتيان قال حازم

ابن معين وبرز من المشركين في قلب الوقعة اصحاب الديباج والحرير والتخافيف على الخيول الشهب والبلق كانهم الجبال الراسيات فلما برزوا غاصوا في وسط القتال وكروا كرة واحدة ورفعوا في وسطهم صليبا عظيما من الجوهر وحملت ميسرتهم على ميسرتنا ثم حملت ميمنتهم على ميمنتنا فشردونا بين ايديهم كاننا نعام في فلاة او حمر مستنفرة فرت من قسورة ونظر ابو عبيدة الى المسلمين وقد شردوا الى النساء والنساء يضربن وجوههم فجعل يصيح لهم الله لا تثلموا الاسلام لهزيمتكم واتقوا الله ربكم قال وكان بين يدي ابي عبيدة رجل من محارب اسمه نجم بن مفرج وكان من خطباء العصر ومن افصح العرب لسانا واجراها جنانا وكان رفيع الصوت من ذي انشاد قد نشا في بني محارب تقصده العرب والفصحا ليسمعوا ما ينطق به من نثر ونظم

قال الواقدي رحمه الله حدثني عبد الملك بن محمد عن ابيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد بن عون عن موسى بن عمران اليشكري قال رايت نصر بن مازن وهو بجامع النيل يحدث عن صفوان بن راشد وقد سمعته يحدث عن وقعة اليرموك قال ما رد الناس عن الهزيمة بعد قضاء الله ونصره الا كلام

رجل من بنى محارب واسمه نصر بن مغرج فكان لا يتكلم الا بسجع يولفه
بحسن نظمه ولقد حفظنا منه يوم هزيمة اليرموك ما نحن نذكر
عنه وقد بلغنى ان الفصحا المتاخرين مثل الاصمعى وابى عبيدة معمر
انما ينسجان على منواله من حسن كلامه فكان من جملة ما وعظ
المسلمين به يوم اليرموك يوم هزيمتهم ايها الناس هذا يوم له ما
بعده وقد عاينتم قربه وبعده ۝ ولن تنالوا الجنة الا بالصبر
على المكاره ۝ وبالله ما يدخلها من هو فى الجهاد كاره ۝
ولله فى عرض السموات جنة ۝ ولكنها محفوفة بالمكاره ۝
واعلى الدرجات درجة الشهادة ۝ فارضوا عالم الغيب والشهادة
وهذا الجهاد قد قام على ساقه ۝ وبدا النفاق فى اسواقه ۝
واخفى نفاقه فى انفاقه ۝ ما انتم اصحاب بنى العصر ۝ افايستم
من الثبات والنصر ۝ بشروا روح المصطفى بثباتكم ۝
وقدموا العزم بصفاء نياتكم ۝ واياكم تولون الادبار ۝
فتستوجبون غضب الجبار ۝ ودخول النار ۝ اما والذى قدر
الاقدار ۝ واجرى الفلك الدوار ۝ وكل شى عنده بمقدار ۝
لقد تزينت لكم الحور العين ۝ بايديهم اباريق وكاس من
معين ۝ فمن طلب دار البقا ۝ هان عليه اليوم ما يلقى ۝

فصححوا اظنتكم ۝ تنالوا اربكم ۝ وحققوا املتكم ۝ تنالوا بغيتكم ۝
واطعنوا الصدور ۝ تنالوا الحدور ۝ وشرعوا الاسنة ۝ تنالوا
الجنة ۝ واعتمدوا الصبر ۝ يكتب لكم الاجر ۝ بشروا المومنين
بحسن عملكم ۝ واياكم ان تضلوا عن سبلكم ۝ لا توافقوا الكفار فى
جهلهم ۝ واعدلوا عن طريق قولهم ۝ ووافقوا من سبق من
اسلافكم فى فعلهم ۝ واسمعوا ما انزل الله فى القرآن من اجلهم
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض
كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ۝ ثم بين من يعلم السر المكنون
فقال يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك
هم الفاسقون ۝ سيروا فقد سبق المنفردون ۝ واجتهدوا
فقد فاز المجتهدون ۝ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن الا وانتم مسلمون ۝ وحمل خالد بن الوليد ۝ وهو
بعصابة حمرا وهو يفزع الروم باسمه ويقول انا خالد بن
الوليد فبرز اليه بطريق يقال له النسطور وعليه الديباج
واقبل يدعو خالد بن الوليد الى البراز ويطمطم وخالد
فى القتال لا يشعر به ولا يدرى ما يقول قال فعطف عليه

خالد عند ما سمع صوته وهو يطمطم والتقيا واقتتلا قتالا شديدا
بحرب أعظم ما يكون فبينما هو في جد القتال إذ كبا بخالد فرسه فوقع
الفرس على يديه وهوى خالد على أم رأسه قال فلما نظر الناس
إليه وقد هوى فقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال
وخالد يقول هي هي وعلا البطريق بسيفه ظهر خالد فأوهن
ظهره ولم يقطع سيفه شيئا ونهض فرس خالد من عثرته وقد
سقطت قلنسوته عن رأسه فصاح قلنسوتي فأخذها رجل من
قومه من بني مخزوم فأعادها خالد على رأسه فقيل له يا أبا
سليمن أنت في هذا الحال من القتال وأنت تقول قلنسوتي
فقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه في
حجة الوداع أخذت شعرات من شعر رأسه فقال لي المصطفى
لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها في مقدم قلنسوتي
فلم ألق جماعة قط وهي على رأسي إلا هزمتها كل ذلك ببركة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وإن خالدا شدها على رأسه
بعصابة حمرا وحمل على البطريق أعني النسطور وعلاه بضربة
على عاتقه فقطع عاتقه وهم أن يثني عليه فحمل أصحابه وحازوه
إليهم بينهم وانكسر من بقي من ملوكهم وكرهوا التقدم بعد

ذلك ولقد كان خالد بعد ذلك يدعو إلى البراز فلا يخرج إليه
أحد منهم ولم يزل خالد يضرب في الروم بسيفه حتى كل ساعده
فأشفق عليه الحارث بن هشام المخزومي وقال لأبي عبيدة يا أيها
الأمير إن خالدا قضى ما يجب عليه وأدى في السيف حقه حتى
لقد ضعف ساعده فلو أمرته أن يريح نفسه قال فمشى أبو عبيدة
إليه وجعل يعزم عليه أن لا يتقدم ويسأله أن يمتعهم بنفسه
فقال له خالد أيها الأمير أما أنا فوالله لأطلبن الشهادة بكل
وجه فإن أخطأتني فالله يعلم نيتي وحمل فلم يرجع من حملته حتى
جلاها وذلك أن المسلمين ساعدوا خالدا في حملته وأقبلوا
راجعين إلى القتال من بعد هزيمتهم والنسا أمام الرجال ولم
يزل الحرب بين الفريقين حتى انقلبت الروم على أعقابها وقد
قتل منهم ألوف عدة وأما أصحاب السلاسل فانحطم أكثرهم
ووطئتهم الخيل بحوافرها ولم يزل الحرب بينهم حتى مالت
الشمس لغروبها وانفصل بعض من بعض وقد جرت الدما بينهم
وانفرشت الأرض من القتلى والجراح فاشية في العسكرين
جميعا إلا أنه في الروم أكثر ورجع كل قوم إلى إصلاح شأنهم
ومداواة جراحهم وكن النساء لإصلاح الطعام وشد الكلوم

ومداواة الجرحى وجميع ما يحتاج اليه الرجال اصلحته النساء ولم
يقل ابو عبيدة لاحد من اصحاب راياته من يكن على حرس المسلمين لما
علم من تعبهم بل تولى الحرس بنفسه مع المهاجرين فبينما ابو عبيدة
يدور اذ نظر الى فارسين لقياه وهما يدوران بدورانه فكلما
قال لا اله الا الله قالا محمد رسول الله فقرب ابو عبيدة منهما
فاذا احدهما الزبير بن العوام والاخر زوجته اسما ابنة ابي
بكر الصديق رضي الله عنه فسلم ابو عبيدة عليهما فقال يا ابن
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي اخرجكما فقالا له
نحرس المسلمين وذلك ان اسما زوجتي قالت لي يا ابن عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان المسلمين يشتغلون
في هذه الليلة عن الحرس لما لحقهم من التعب في الجهاد طول
يومهم فهل لك ان تساعدني على حرس المسلمين فاجبتها الى ذلك
فشكر لهما ابو عبيدة ذلك وعزم عليهما ان يرجعا الى اهلهما
فلم يفعلا وكان الزبير وزوجته اسما في تلك الليلة يطوفان
ليلتهما **قال الواقدي** رحمه الله حدثني ابو عبيدة عن
صفوان بن عمرو وعن عبد الرحمن بن جبير عن ابيه قال كان
في عسكر الروم رجل من اهل حمص يقال له ابو الجعيد كان

رئيسا من رؤسا حمص فلما اجتمعت الروم بالمسلمين ودخلوا الى الزر اعة
ونزلوا على حمص كان ابو الجعيد قد جعل مسكنه هناك لطيب
هوايها وانتقل من حمص ونزل عسكر الروم على الزراعة عنده
وكان عرس ابي الجعيد في تلك الايام وزفت زوجته عليه
واضاف ابو الجعيد الروم واكرمهم واطعمهم وسقاهم
فلما فرغ من جميع امورهم قالوا له هات امراتك الينا فابى
عن ذلك وسبهم وهم يابوا الا اخذ العروس فلما شح عليهم
بذلك عمدوا الى العروس فاخذوها ولعبوا بها طول ليلتهم
فبكى ابو الجعيد وصاح ودعا عليهم فقتلوا ولده فاقبلت ام
الفتى واخذت براس ولدها في خمارها واقبلت به الى مقدم
ذلك الجيش وشكت له حالها وقالت له انظر ما فعل اصحابك
بولدي فخذ بحقي فلم يعبا بها ولا بكلامها ولم ياخذ لها بحق
فقالت له ام الفتى والله لتنصرن العرب عليكم ابدا ورجعت
وهي تدعوا عليهم فما كان الا يسيرا حتى اهلكهم الله على
ايدي المسلمين فلما كان يوم اليرموك بعد ان قتل خالد التشطور
اقبل ابو الجعيد الى عسكر المسلمين وقال ان هذا الجيش النازل
بازايكم جيش عظيم ولو سلموا اليكم انفسهم للقتل لما فرغتم

من قتلهم فى المدة الكبيرة فان كدتهم لكم فى هذه الليلة بمكيدة
تظفرون بها عليهم ما تفعلون معى وما تعطونى قالوا نعطيك كذا
وكذا وننزع عنك كذا وكذا ولم ناخذ منك ولا من عقبك
جزية ابدا ونكتب لك بذلك علينا عهدا قال الواقدى
رحمه الله فلما استوثق من المسلمين وامن على نفسه مضى بالروم
وهم لا يعلمون الى الناقوصة والناقوصة واد عظيم فانزلهم
الى جانبه وقال لهم هذا المنزل تنزلون به فانى ساكيد لكم
العرب بمكيدة يهلكون بها قال وجعل الناقوصة فيما بينه وبين
العرب ولم يدر احد من الروم بشى فلما كان يوم التغوير جا
ابو الجعيد الى ابى عبيدة فوجده يطوف تلك الليلة هو وجماعة
من المهاجرين حول المسلمين فقال ما قعودكم قالوا وما نصنع
قال اذا كان ليلة غد اكثروا النيران ثم رجع الى الروم
لينصب عليهم فلما كان من الليلة الثانية اوقد المسلمون اكثر
من عشرة الاف نار فلما اشتعلت النيران اقبل اليهم ابو الجعيد
فقالوا له قد اشعلنا النيران كما امرت فما بعد ذلك قال اريد
خمس مائة من ابطالكم حتى اشير عليهم بما يصنعون قال
الواقدى رحمه الله فاختار من المسلمين خمس مائة رجل

منهم عياض بن غنم والحارث بن هشام المخزومى وعاصم بن خالد
بن طارق الهلالى ورافع بن عميرة الطائى وضرار بن الازور
وعبد الله بن قرط وعبد الله بن ياسر وعبد الله بن اوس
وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق
وغانم بن عبد الله الليثى ومثل هولاء السادة رضى الله عنهم
فلما اجتمعوا سار بهم ابو الجعيد على غير الجادة وقصد بهم عسكر
الروم فلما كادوا يختلطون بهم اخذ ابو الجعيد رجالا من المسلمين
ودلهم على المخاض ولم يعلم به سواه ومن سكن اليرموك ثم قال
للمسلمين ناوشوهم الحرب وانهزموا ودعونى واياهم قال
ففعلوا ذلك وصاحوا وحملوا عليهم وجرت مناوشة بينهم وبين
الروم ثم انهزم الخمس مائة وطلبوا المخاض فعند ذلك صاح
ابو الجعيد برفيع صوته يا معشر الروم دونكم ومن انهزم فهولا
المسلمون قد اوقدوا نيرانهم للمكيدة وقد عولوا على الهرب
قال فاقبلت الروم عجلين يظنون ذلك حقا فبعضهم ركب
جواده عريا وبعضهم راجلا وساروا فى طلب المنهزمين
وابو الجعيد يعدو امامهم الى ان اوقفهم على الناقوصة
وقال لهم هذا المخاض فدونكم واياه فاقبلوا يتهافتون فى الماء

ويتساقطون تساقط الجراد حتى مات من القوم في الماما لا يحصيه لسان ولا يدركه جنان فسمته العرب الناقوصة **قال الراوي** هذا ما جرى للروم ولا يعلم الاول ما جرى على الآخر حتى اذا اصبحوا سمعوا ان المسلمين في عسكرهم فعلموا انهم قد دهموا في ليلتهم وقل عددهم فقال بعضهم لبعض من كان الصايح في ليلتنا فقالوا الرجل الذي عبثتم بزوجته وقتلتم ولده وقد اخذ بثاره منكم قال واصبح ماهان وقد علم حقيقة ما نزل به وبأصحابه فعلم انه هالك وان العرب عليه ظافرون فبعث الى قورين يقول له ما ترى ان اصنع فقد تظاهرت العرب علينا وان حملوا علينا حملة واحدة لم يفلت منا احد فهل لك ان تسألهم ان يؤخروا القتال حتى نعمل الحيلة في خلاص انفسنا فقال له قورين افعل ذلك قال فدعا ماهان برجل من لخم وبعثه الى المسلمين يقول لهم ان الحرب سجال والدنيا دول وقد مكرتم بنا فلا تبغوا فان البغي له مصرع واخروا الحرب عنا يومنا هذا فاذا كان في غد كان الفصل بيننا قال فاقبل اللخمي الى ابي عبيدة وبلغ الرسالة فهم ابو عبيدة ان يجيبهم فمنعه خالد بن الوليد عن ذلك وقال لا تفعل ايها الامير فما عند

القوم خير بعد ذلك فقال له ابو عبيدة ارجع الى صاحبك وقل له ما نؤخر عنك ذلك وانا على عجل من امرنا فرجع الرسول الى ماهان واعلمه بجواب ابي عبيدة فعظم ذلك عليه وكبر لديه وكفر ونخر وقال لقد كنت اتربص بنفسي عن العرب ارجو بذلك الصلح فوحق الصليب لا يبرز اليهم غيري ثم صرخ بالروم واصحاب سرير الملك ومن كان يتكل عليهم في الشدايد وامرهم ان ياخذوا الاهبة للقتال قال واستعدوا وخرج ماهان في مقدمة الجيش والصليب امامه وصلى ابو عبيدة بالمسلمين صلاة الفجر وامرهم بالسرعة للقتال فاخذوا مواضعهم للحرب وقد ايقنوا انهم المنصورون على عدوهم وصف ابو عبيدة اصحاب الرايات ووقف هو وخالد في الخيل المعروفة بخيل الزحف فلما طلعت الشمس خرج جرجير وبعض ملوك الروم ودعا للبراز وقال لا يبرز الي الا امير الجيش فسمعه ابو عبيدة فسلم الراية الى خالد وقال انت لها يا ابا سليمان فان عدت من قتال البطريق فالراية لي وان هو قتلني فامسك امارتك حتى يرى عمر ابن الخطاب رايه فقال خالد انا لقتاله دونك فقال ابو عبيدة يطلبني

وما أخرج إليه لست أفعل ذلك ولا بد لي من الخروج إليه وأنت
شريكي في الأجر فبرز أبو عبيدة وما أحد من المسلمين إلا
وهو كاره لذلك وأقبلوا يسألوه فلج في الخروج فتركوه
ورايته فلما قرب أبو عبيدة من جرجير وعاينه قال له أنت
أمير هذا الجيش فقال أبو عبيدة نعم أنا ذلك وقد أجبتك إلى
ما تريد من أمر البراز فدونك وعرصة الميدان فما بقي لهزيمتكم
إلا أن أقتلك وأقتل ماهان بعد ذلك فقال جرجير بل أمة
الصليب تغلبكم ثم حمل جرجير على أبي عبيدة وحمل أبو عبيدة
على جرجير وطال بينهما القتال وبقي خالد ينظر إلى أبي عبيدة
ويدعو له بالسلامة والنصر وكذلك المسلمون كلهم قال
وانطرد جرجير أمام أبي عبيدة وأخذ في أعراض الجيش
وطلب في انطراده ميمنة المشركين فطلبه أبو عبيدة وهو
مع ذلك واثق بالنصر والسلامة من الله تعالى فعطف عليه
جرجير كالبرق الخاطف والتقيا بضربتين كان أبو عبيدة
أسبق بضربته فوقعت على عاتق جرجير خرجت من علايقه
وكبر عند ذلك أبو عبيدة وكبر المسلمون ووقف
أبو عبيدة على سلب جرجير وجعل يتعجب من عظم خلقته ولم

يأخذ شيئاً من سلبه فناداه خالد لله درك أيها الأمير ارجع
إلى رايتك والزمها فقد قضيت ما يجب عليك فلم يرجع فأقسم
عليه المسلمون أن يرجع إلى مقامه فرجع وأخذ الراية من خالد
ونظر ماهان إلى جرجير وقد قتل فعظم ذلك عليه لأنه كان
ركن من أركانه فهم بالهزيمة ثم قال في نفسه لم لا أبدي عذرا
عند الملك وأبرز للحرب فإن قتلت فقد استرحت من العار
وإن سلمت كان لي عند الملك عذرا أحسن مما أولي الأدبار
قال فأعلم رجاله أنه يريد المبارزة بنفسه ثم أخذ عدته
ولبس زينته وخرج كأنه ذهب يلمع ثم جمع إليه البطارقة
والقسيسين والرهبان وقال لهم إن الملك هرقل كان
أعلم منكم بهذا الأمر فأراد صلح القوم فخالفتموه وها أنا
أبرز بنفسي فتقدم إليه بطريق من بطارقته كان فيه
نسك ودين وكان يعظم الكنايس والرهبان ويتبع ما
فرض عليهم في الإنجيل وكان يقرب من جرجير في النسب
فلما علم بقتله عظم عليه وقال وحق الصليب لأبرزن إلى
المسلمين ولآخذن الثار فإما أن ألحق به أو أقتل قاتله ثم
قال لماهان قد تعين علي الجهاد وأن أؤدي فرض المسيح

ولا بد لي من المبارزة قال فتركه ما هان يخرج وكان اسمه جرجس
وكان عليه درع وعلى الدرع ثوب حديد وسواعد حديد فتقلد
السيف واعتقل بقنطاريته وعوذته الاقسة وبخروه ببخور
الكنايس واقبل اليه راهب عمورية واعطاه صليبا كان في
عنقه وقال هذا الصليب من ايام المسيح يتوارثه الرهبان
ويتمسحون به وهو ينصرك فاخذه جرجس وخرج ونادي
البراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس انه عربي من المتنصرة
فخرج اليه ضرار بن الازور وكانه شعلة نار فلما قاربه
ونظر الى جثة البطريق وعظم خلقته هاله وندم على الخروج
اليه ثم قال وما عسى ان يغني هذا اللباس اذا حضر الاجل
ثم رجع موليا فظن المسلمون انه جزع فقال قايل منهم الا ان
ضرارا قد فزع من العلج وما عرفناه فعل هذا قط وهو لا
يكلم احدا حتى سار الى خيمته ونزع ثيابه وعدته وبقي
في سراويله واخذ معه قوسه وتقلد بسيفه وجحفته ثم
عاد الى الحرب يروم قتال البطريق فوجد مالك النخعي قد سبقه
اليه وكان مالك من الحطاطة اذا ركب تسحب رجلاه على
الارض فنظر ضرار فاذا مالك ينادي بالعلج تقدم يا عابد

الصليب الى الرجل النجيب وناصر دين محمد الحبيب فلم يجبه العلج الى
كلامه مما داخله من فزعه منه فجال مالك عليه وهم ان
يطعنه وقدم اليه رمحه فلم ير له مكانا للطعنة مما عليه من
اللامة فقصد جواده وطعنه في خاصرته اطلع الطعنة من
الجانب الاخر قال فنفر الجواد من حرارة الطعنة وجعل يضرب
بيديه ورجليه الارض وهم مالك باخراج الرمح فلم يقدر
لانه قد اشتبك في اضلاع الجواد فانقصف الرمح وسقط
الجواد بالبطريق وهو على ظهره ولم يقدر البطريق ان
يزول من سرجه لانه مزرفن فنظر المسلمون الى ضرار بن
الازور وقد اسرع اليه مثل الظبية حتى وصل الى العلج
فضربه بسيفه على قمته فشطرها نصفين واخذ سلبه فاقبل
اليه مالك وقال ما هذا يا ضرار تشاركني في صيدي قال
ما انا شريكك وانما انا صاحبه وهو لي فقال مالك انا قتلت
جواده قال ضرار رب ساع لقاعد واكل غير حامد فتبسم
لها مالك وقال خذ صيدك هناك الله به فقال ضرار انما انا
مازح في كلامي خذه اليك فوالله لا ياخذ ضرار منه شيا
وهو لك وانت احق به مني ثم انتزع سلب العلج وحمله على

عاتقه وما كاد يحمله وهو يتصبب عرقا قال زهير بن عابد ولقد رأيته يسير به وهو راجل وما لك فارس حتى طرحه في رحل مالك فقال أبو عبيدة بأبي والله قوم وهبوا أنفسهم لله وما يريدون الدنيا قال فلما قتل البطريق انقض جناح ماهان وصاح بقومه وجمعهم إليه وقال لهم اسمعوا يا أصحاب الملك وبلغوه عني أني ما تركت جهدا في نصرة هذا الدين وحاميت عن الملك وقاتلت عن نعمته وما أقدر أن أغالب رب السما لأنه نصر العرب علينا وملكهم بلادنا والآن فما لي وجه أرجع به إلى الملك حتى أخرج إلى الحرب وأبرز إلى مقام الطعن والضرب وقد عزمت أن أسلم الصليب إلى أحدكم وأبرز إلى قتال المسلمين فإن قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك لي وإن رزقت النصر وأثرت في المسلمين أثرا ورجعت سالما علم الملك أني لم أقصر عن نصرته فقالوا أيها الملك لا تخرج إلى الحرب حتى نخرج نحن إلى القتال قبلك فإن قتلنا اصنع بعدنا ما شئت قال فحلف ماهان بالكنائس الأربع أنه لا يبرز أحد قبله فلما حلف أمسكوا عن مراجعته ثم دعا بابن كان معه فدفع إليه الصليب وقال له قف في مكاني وقدم لماهان عدته فأفرغها على نفسه

قال الواقدي رحمه الله بلغنا أن عدة ماهان التي خرج بها إلى الحرب قومت بستين ألفا لأنها كلها كانت مرصعة بالدر والياقوت فلما عزم على الخروج تقدم إليه راهب من الرهبان فقال له أيها الملك ما نرى لك إلى البراز من سبيل ولا أحبه لك قال ولم ذلك قال لأني رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز فقال ماهان لست أفعل ذلك والقتل أحب إلي من العار قال فبخروه ودعوا له وعوذوه وخرج ماهان إلى القتال كأنه جبل ذهب يشرق وأقبل حتى وقف بين الصفين ودعا إلى البراز وقال أنا ماهان وكان أول من عرفه خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال هذا ماهان هذا صاحب القوم خرج هذا وماهان يخوف باسمه فخرج إليه غلام من دوس وقال والله أنا مشتاق إلى الجنة فحمل عليه ماهان وبيده عمود من ذهب فضرب بيده الدوسي ضربة قتله بها وعجل الله بروحه إلى الجنة قال أبو هريرة رضي الله عنه فنظرت إلى الغلام عند ما سقط وهو مشير بإصبعه نحو السما ولم يهوله ما لحقه فعلمت أن ذلك من فرحه لما عاين الحور العين وجال ماهان وقوي قلبه بقتله ودعا إلى البراز فسارع المسلمون إليه كل

يقول اللهم اجز قتله على يدي فكان اول من برز اليه مالك النخعي
وساواه في ميدانه وقال له ايها العلج الجلف لا تغترر بمن قتلته
فانما صاحبنا اشتاق الى لقاء ربه وما منا احد الا وهو مشتاق
الى الجنة فان اردت نجا ورتنا في جنات النعيم فانطق بكلمة
الشهادة او اد الجزية والا فانت هالك لا محالة فقال له ماهان
انت صاحبي خالد فقال لا انا مالك النخعي صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ماهان لا بد من الحرب ثم حمل على
مالك وكان من اهل الشجاعة لعنه الله واعتمد على عموده
وضرب به على بيضة مالك فغاصت البيضة في جبهته شترت
عينيه فمن ذلك اليوم سمي مالك الاشتر وهم بالرجوع لشدة
ما نزل به من ضربة ماهان ثم فكر فيما عزم عليه من الفرار
ثم صبر وعلم ان الله ناصره هذا والدم فاير من جبهته وعدو
الله يظن انه قتل وهو ينتظر وقوعه عن جواده واذا
بمالك قد حمل عليه واخذته اصوات المسلمين من كل جانب
يا مالك استعن بالله فانه يعينك عليه قال مالك فاستعنت
بالله عليه وصليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وضربته
ضربة عظيمة فقطع سيفي فيه قطعا غير موهن فعلمت ان

الاجل حصين فلما احس ماهان بالضربة ولى هاربا ودخل في عسكره
قال الواقدي رحمه الله فلما ولى ماهان بين يدي مالك
الاشتر منهزما صاح بالمسلمين يا اهل الصبر والباس احملوا على
القوم ما داموا في دهشتهم ثم حمل خالد ومن معه من جيشه
وحملت الامراء بمن معهم من قومهم وتبعهم المسلمون يقتلون
ويأسرون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة زهاء عن ماية الف واسروا
اربعين الفا وغرق منهم في الناقوصة امم لا تحصى وتفرق
بعضهم في الجبال والاودية وخيول المسلمين وراهم يأتون
بهم من الجبال اسارى ولم يزالوا يقتلون ويأسرون الى ان
مضى من الليل ربعه فبعث ابو عبيدة الى الناس وقال اتركوهم
الى الصباح فجعل المسلمون يتراجعون وقد امتلأت ايديهم من
الغنايم والسرادقات وآنية الذهب والفضة والنمارق
والطنافس **قال الواقدي** رحمه الله ووكل ابو عبيدة
رجالا من المسلمين لجمع الغنايم وبات المسلمون فرحين بنصر الله
لهم فلما اصبحوا لم يروا للروم خبر وقد وقع اكثرهم في هوية
اليرموك قال عمار بن اسلم حدثني نوفل بن عدي عن جابر بن نصر
عن حامد بن محمد قال اراد ابو عبيدة ان يحصي عدد القتلى

من المشركين فلم يقدر يحصي ذلك الا بالقصب فامر بقطع القصب
من الوادي وجعل على كل قتيل قصبة ثم عدوا القصب فكانوا
ماية الف وخمسة الاف والاسارى اربعون الفا وقتل من المسلمين
اربعة الاف ونيف ووجد ابو عبيدة رؤوسا باليرموك فلم يعرف
ممن هم من العرب المتنصرة او من المسلمين فامر بها فغسلت
ثم صلى عليها وعلى القتلى وامر بدفنهم وافترقت خيل المسلمين
في طلبهم في الجبال والاودية واذا هم براع قد استقبلهم
فقالوا له مر بك احد من الروم فقال نعم مر بي بطريق معه
زها عن اربعين الفا **قال الواقدي** رحمه الله
وكان ذلك ماهان لعنه الله قال فتبعهم خالد وجعل يقفوا
اثرهم ومعه عسكر الزحف فادركهم على دمشق فلما اشرف
عليهم كبر وكبر المسلمون معه وحمل خالد ووضع السيف
فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وترجل ماهان عن جواده
ليسلم فاقبل اليه رجل من المسلمين لحاما ماهان عن نفسه
فقتله الرجل وكان القاتل النعمن بن جلهمة الازدي وقيل
عاصم بن جوال اليربوعي وقد اختلفوا ايهما قتل ماهان
والله اعلم **قال الواقدي** رحمه الله وخرج اهل دمشق

الى خالد وقالوا نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم فقال
خالد انتم على عهدكم ثم مضى في طلب الروم يقتلهم حيث وجدهم
حتى انتهى الى ثنية العقاب فاقام بها يوما ثم عاد على طريقه الى
حمص فنزل بها وبلغ ذلك ابا عبيدة فسار حتى لحق به في من معه
من المسلمين قال والامرا في طلب الروم من كل جهة من الشام
فلما اجتمعوا عادوا الى دمشق وجمع ابو عبيدة الغنايم
واخرج منها الخمس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كتاب البشارة والفتح يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
وصلواته على محمد نبيه المصطفى ورسوله المجتبى من ابي
عبيدة عامر بن الجراح اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا
هو واشكره مليا على ما اولانا من نعمه وخصنا من كرمه
ببركة نبي الرحمة وشفيع الامة محمد صلى الله عليه وسلم
واعلمك يا امير المؤمنين اني نزلت اليرموك ونزل ماهان
بالقرب منا ولم ير المسلمون اكثر منه جمعا ولا عددا
فهزم الله تلك الجموع ونصرنا عليهم بمنه وفضله وقتلنا
منهم زها عن ماية الف وخمسة الاف واسرنا منهم اربعون
الفا وقتل من المسلمين اربعة الاف ختم الله تعالى لهم

بالشهادة ووجدت رؤسا قطعت لم اعرف اصحابها فصليت عليها
ودفنتها وقبل ما هان على دمشق قتله عاصم بن جوال وكان
قبل الوقعة نصب عليهم رجل منهم يقال له ابو الجعيد من اهل
حمص والتقاهم في موضع من اليرموك يقال له الناقوصة
نغرق منهم ما لا يحصى عدده الا الله تعالى واما من قتل من
المنهزمين وغيرهم فعدتهم تسعون الفا وقد ملكنا الله تعالى
اموالهم واخوالهم وحصونهم وبلادهم وكتبنا اليك هذا
بعد الفتح من دمشق وقد جمعت الغنايم وخمستها وانا منتظر
امرك في الخمس والغنايم والسلام عليك وعلى جميع من معك من
المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتمه
ودعا بحذيفة بن اليماني رضي الله عنه ودفع الكتاب اليه
وضم اليه عشرة من المهاجرين والانصار وقال له يا حذيفة
سر بكتاب الفتح والشهادة الى امير المؤمنين وبشره بذلك
واجرك على الله تعالى فاخذ حذيفة الكتاب وسار من وقته
وساعته والعشرة معه يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا
من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قال الواقدي
رحمه الله حدثني عبد الله بن عون المالكي عن ابيه قال لما

هزم الله سبحانه الروم في يوم اليرموك وكان من امرهم ما قدر
الله تعالى راى عمر رضي الله عنه ليلة هزيمة الروم في منامه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في الروضة ومعه
ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكان عمر يسلم عليهما ويقول
يا رسول الله ان قلبي مشتغل على المسلمين وما ادري ما صنع الله
بهم مع اعدايهم وقد بلغني ان الروم في ثمان مائة الف غير
اتباعهم وغير العرب المتنصرة وهم خلق كثير فقال يا عمر
ابشر فقد فتح الله على المسلمين وقد انهزم عدوهم وقد قتل
منهم كذا وكذا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك
الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا
فسادا والعاقبة للمتقين قال فلما كان من الغداة صلى عمر
بالناس صلاة الفجر واعلم المسلمين بما راى في منامه ففرح
المسلمون بذلك واستبشروا وعلموا ان الشيطان لا يتمثل
في صورة النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قال ولما ورد
حذيفة بن اليماني والعشرة بكتاب ابي عبيدة كان فيه
كما اخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فسجد عمر شكرا لله تعالى
وقراه على الناس فارتفعت اصوات المسلمين بالشكر والثناء

لله رب العالمين ثم قال عمر يا حذيفة هل قسم ابو عبيدة الغنايم
فقال لا يا امير المؤمنين بل اخرج الخمس وهو منتظر امرك قال
فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب الى ابي عبيدة كتابا يقول
فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى
عامله بالشام سلام عليك ورحمة الله وبركاته فاني احمد الله
الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين بنصره وانهزام عدوهم
فاذا وصل اليك كتابي هذا فاقسم الغنيمة بين المسلمين وفضل
اهل السيف منهم واعط كل ذي حق حقه واحفظ المسلمين
واكلأهم واشكر لهم صبرهم وفعالهم واقم بموضعك
حتى ياتيك امري والسلام عليك وعلى جميع من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وسلمه لحذيفة بن
اليماني فاخذ حذيفة الكتاب وسار حتى وصل الى ابي عبيدة
فوجده على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله الكتاب
فلما قراه على المسلمين امر بالغنايم فمثلت بين يديه فجعل
يقسمها على المسلمين فاصاب الفارس اربعة وعشرون الف
مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية الاف وكذلك

وكذلك من الفضة واعطى للفرس الهجين سهما وللفرس العربي سهمين
والحق البراذين بالعرب ثم قال ابو عبيدة اني قسمت عليكم
كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه الغنيمة فلم يقبلوا
قوله وكتب الى عمر بن الخطاب بذلك ويعلمه اختلاف الناس
في الخيل الهجن والعرب فكتب اليه عمر رضي الله عنه اما
بعد فانك قد فعلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
تتعد حكمه فاعط الفرس العربي سهمين والفرس الهجين سهما
واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرب العربي وهجن
الهجين يوم حنين فجعل للهجين سهما وللعربي سهمين فلما ورد
الكتاب على ابي عبيدة وقراه على المسلمين قال والله ما اراد
ابو عبيدة ان يحقر رجلا منكم ولكن تبعت سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الواقدي رحمه الله
فلما قسم ابو عبيدة الغنايم على المسلمين قال له خالد بن الوليد
رضي الله عنه ان رجلا من المسلمين قد تشفع بي اليك ان تلحق
فرسه الهجين بفرس عربي وتعطيه سهمين فابا ابو عبيدة وقال
ان سف التراب احب الي من ذلك فروى غانم بن عبد الله بن
الزبير قال شهد جدي الزبير بن العوام يوم اليرموك ومعه

فرسان يتعاقب عليهما يركب هذا يوما وهذا يوما فلما كان وقت
قسمة الغنايم اعطاه ابو عبيدة ثلاثة اسهم لفرسيه سهمين
وله سهم فقال له الزبير اما تصنع بي كما صنع بي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان معي فرسان فاسهمني نبي الله
خمسة اسهم لفرسي اربعة اسهم واعطاني سهما فقال المقداد
ابن عمرو قد كنت انا وانت يوم بدر ومعنا فرسان فرسان
فاعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما سهما لفرسينا
فقال له ابو عبيدة انك لصادق يا مقداد الان تتبع
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر قال واقبل
جابر بن عبد الله الانصاري فشهد عند ابي عبيدة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى الزبير بن العوام يوم
خيبر خمسة اسهم فلما فعل ذلك اعطى رجال من العرب
لكل واحد منهم اربعة افراس وخمسة افراس فقالوا الحقنا
بالزبير فاستاذن عمر في ذلك فقال صدق الزبير ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاه يوم خيبر خمسة انهم
فلا نعط غيره مثله **قال الواقدي** رحمه الله حدثني
لؤي بن عبد ربه عن سالم مولى حذيفة عن القاسط بن

سلمة عن عدي بن عاصم عن من حدثه عن فتوح الشام قال لما
هزم الله الروم في وقعة اليرموك على يدي المسلمين وبلغ الخبر
الى هرقل بهزيمة جيشه وقتل ماهان قال قد علمت ان الامر
يجري الى هذا ثم اقام ينتظر ما يكون من المسلمين **قال
الواقدي** رحمه الله واما ما كان من امر المسلمين فانهم
اقاموا على دمشق شهرا فجمع ابو عبيدة امرا المسلمين اليه
وقال لهم ايها الناس اشيروا علي بما اصنع واين اتوجه فانه
قد اتفق رأيي على المسير الى قيسارية والى بيت المقدس فما
الذي ترون من الرأي فقالوا انت الرجل الامين وما نسير
الى موضع الا ونحن نتبعك فقال له معاذ بن جبل ايها الامير
اكتب الى عمر امير المؤمنين فحيث امرك استعن بالله وسر
اليه قال له اصبت الرأي يا معاذ وفقنا الله واياك ثم كتب
الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب يعلمه انه قد عزم على قيسارية
او الى بيت المقدس وانا منتظر ما تامرني والسلام ونفذ
الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي وامره بالمسير فسار حتى
ورد المدينة وسلم الكتاب الى عمر امير المؤمنين فقراه على
المسلمين واستشارهم في الامر فقال له علي يا امير المؤمنين

من صاحبك أبا عبيدة أن ينزل بجيوش المسلمين إلى البيت المقدس
فيحدقون به ويقاتلون أهله فهو خير رأيي وبركة إن شاء الله
فإذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه إلى قيسارية فإنها تفتح
بعدها إن شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر صدق المصطفى وصدقت أنت يا أبا الحسن ثم
دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
عمر أمير المؤمنين إلى عامله بالشام أبي عبيدة أما بعد فإني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وقد وصل كتابك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجه
وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير
إلى بيت المقدس فإن الله يفتحها على يديك والسلام عليك
وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وحسبنا
الله ونعم الوكيل ثم طوى الكتاب ودفعه إلى عرفجة بن ناصح
النخعي وأمره أن يعجل بالمسير فسار عرفجة حتى قدم على أبي
عبيدة فوجده على الجابية فدفع إليه كتاب عمر رضي الله عنه
فقرأه أبو عبيدة على المسلمين ففرحوا بمسيرهم إلى بيت
المقدس فعندها دعا أبو عبيدة بيزيد بن أبي سفين وعقد

له راية حمراء ودفعها إليه وضم إليه خمسة آلاف فارس من
المسلمين وسرحه إلى بيت المقدس وقال له يا ابن أبي سفين إني
ما علمتك إلا ناصحا فإذا أشرفت أنت ومن معك على بلدة إيليا
فارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير واسأل الله بجاه نبيه
ومن سكنها من الأنبياء والصالحين أن يسهل فتحها على يدي المسلمين
فأخذ يزيد الراية وسار يريد بيت المقدس ثم دعا أبو عبيدة
شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعقد له راية سوداء وسلمها إليه وضم إليه خمسة آلاف
فارس من أهل اليمن من حضرموت وكهلان وطي وخولان
وسنبس ونبهان والأزد وقال له سر بمن معك حتى تقدم
بيت المقدس وانزل بعسكرك ولا تخلط أصحابك مع أصحاب
يزيد بن أبي سفين ثم عقد راية ثالثة وهي راية بيضاء ودعا
بالمرقال هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص وضم إليه خمسة
آلاف فارس من العرب من مضر وغيرها وسرحه في أثر
شرحبيل وقال له انزل على حصنها وليكن نزولك بمعزل
عن صاحبيك ثم عقد أبو عبيدة راية رابعة وسلمها إلى
المسيب بن نجية الفزاري وقال له دونك الحق بإخوانك

وضم اليه خمسة الاف فارس من النخع وغطفان وجشم وفزارة
وعقد راية خامسة وسلمها الى قيس بن هبيرة المرادي وضم
اليه خمسة الاف فارس من قومه مراد وعقد راية سادسة
ودفعها الى عروة بن مهلهل بن زيد الخيل وضم اليه خمسة
الاف فارس **قال الواقدي** رحمه الله فكان جملة من
سرح ابو عبيدة الى بيت المقدس ثلاثين الفا وسار الامراء في
ستة ايام كل امير يوما ليرهبوا اعداء الله كل يوم ينزل امير بجيشه
وكان اول من طلع عليهم بالراية يزيد بن ابي سفين فلما
اشرف عليهم كبر وكبر اصحابه وسمع اهل بيت المقدس
ضجيج اصواتهم فتزعزعت قلوبهم وصعدوا على سور بلدهم
فلما نظروا الى قلة اصحاب يزيد استحقروهم وظنوا ان ذلك
جميع جيوش المسلمين فنزل يزيد بن ابي سفين مما يلي باب
اريحا واقبل في اليوم الثاني شرحبيل بن حسنة وفي اليوم الثالث
المرقال هاشم بن عتبة بن ابي وقاص فنزل على الباب الغربي
واقبل في اليوم الرابع المسيب بن نجبة الفزاري فنزل مما
يلي الشمال واقبل من بعده قيس بن هبيرة المرادي فنزل في قبلتها
واقبل عروة بن مهلهل بن يزيد الخيل فنزل مما يلي طريق

الرملة بجانب محراب داود عليه السلام قال عبد الله بن عامر بن
ربيعة الغطفاني ما نزل احد من المسلمين على بيت المقدس الا صلى
بازايه ما رزقه الله تعالى وكبر ودعا بالنصر والظفر بالاعداء
واقام ابو عبيدة وخالد بن الوليد ببقية الجيش والذراري
والنساء والسواد والغنم وما افا الله على المسلمين من الماشية
والمال ولم يبرح من مكانه واقام المسلمون ثلاثة ايام نازلين
على بيت المقدس لم يبارزوهم ولا ينادوهم حربا وينتظرون
منهم رسولا فلم يكلمهم احد الا انهم حصنوا اسوارهم بالمناجنيق
والعرادات والسيوف والدرق والجواشن والزينة الفاخرة
قال المسيب بن نجبة الفزاري ما نزلنا ببلد من بلاد الشام
رأينا احسن زينة ولا اكثر عدة من بيت المقدس وما
نزلنا على قوم الا تضعضعوا لنا وداخلهم الهلع واخذهم الفزع
الا اهل ايليا فانا نزلنا بازايهم ثلاثة ايام لم يكلمنا احد منهم
ولم ينطقوا غير ان حرسهم وعدتهم كاملة فلما كان في اليوم
الرابع قال رجل من اهل البادية لشرحبيل بن حسنة ايها الامير
هؤلاء القوم صم فلا يسمعون ام بكم فلا يتكلمون ام عمي
فلا يبصرون ازحفوا بنا اليهم واهجموا بنا عليهم فلما كان

في اليوم الرابع وقد صلى المسلمون صلاة الصبح كان اول من ركب من الامراء الى حرب بيت المقدس يزيد بن ابى سفين فشهر سلاحه وجعل يدنوا من سورهم واخذ معه ترجمانا يبلغهم عنه ما يقول فوقف بازاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صموت فقال يزيد لترجمانه قل لهم ان امير العرب يقول لكم ما تقولون في الاجابة الى دعوة الحق وكلمة الصدق قول لا اله الا الله محمد رسول الله تقولوا ذلك حتى يغفر لكم ربنا ما سلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماكم فان ابيتم ولم تجيبوا فالصلح عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو اعظم منكم عدة واشد اودا وان ابيتم هاتين الحالتين حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار قال فتقدم الترجمان اليه وقال من المخاطب عنكم فكلمه قس من الاقسة عليه لباس الشعر وقال للترجمان انا المخاطب عنهم فما الذي تريدون فقال له الترجمان ان هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم الى الدخول في دين الاسلام فان ابيتم فصالحوا عن بلدكم وانفسكم باداء الجزية عن روسكم فان لم تفعلوا ذلك فالقتال بيننا وبينكم قال فبلغ القس لاهل بيت المقدس ما قال لهم الترجمان فضجوا بكلمة كفرهم وقالوا انا لا نرجع

عن دين العذرى البتول وقتلنا اهون من ذلك فبلغ الترجمان ليزيد ما قالوا فمشى الى الامرا واخبرهم بجواب القوم فقالوا اما انتظاركم فيهم قالوا ان الامير ابا عبيدة لم يامرنا بالقتال وانما امرنا بالنزول عليهم ولكن نكتب الى الامير ابي عبيدة فان امرنا بالزحف فعلنا فكتب يزيد الى ابى عبيدة يعلمه بما كان من جواب اهل بيت المقدس فما الذي ترى فكتب اليهم يامرهم بالزحف على القوم وهو قادم عقب الكتاب ونفذ الكتاب مع ميسرة بن ناصح فلما قرا المسلمون كتاب ابي عبيدة فرحوا واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح **قال الواقدي** رحمه الله لقد بلغني ان المسلمين باتوا تلك الليلة كانهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال اهل بيت المقدس وكل امير يود ان يفتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه وبالنظر الى اثار الانبياء عليهم السلام قال فلما اضا الفجر اذن المؤذنون وصلى المسلمون صلاة الفجر قرا يزيد باصحابه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم الاية فيقال ان جميع الامراء الستة قرا كل منهم باصحابه هذه الاية فكانهم كانوا على ميعاد فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير النفير يا خيل الله اركبوا قال فاول من

ولـ

برز الى القتال كانت بنو حمير ورجال اليمن وبرز المسلمون
الى الحرب كانهم اسد ضارية ونظر اليهم اهل بيت المقدس وقد
اشرفوا لقتالهم واوتروا قسيهم ورشقوا المسلمين بسهامهم فكانت
كالجراد المنتشر فجعل المسلمون يلتقطونها بالدرق والحجف ولم
يزل الحرب بينهم من الغداة الى الغروب وهم يقاتلون قتالا
شديدا والروم لم يظهروا للمسلمين فزعا ولا رعبا ولا يطمعوهم
في بلدهم فلما غربت الشمس تراجعت المسلمون الى معسكرهم
وصلوا ما فرض الله عليهم واخذوا في اصلاح عشائهم فلما فرغوا
من ذلك اوقدوا النيران واكثروا منها لان الحطب عندهم
ممكن فقوم يصلون وقوم يقرؤن وقوم يدعون وقوم يتضرعون
وقوم نيام لما لحقهم من التعب والقتال فلما كان من الغد
بكر المسلمون اليهم وانتدبوا لقتالهم وذكروا الله كثيرا
واثنوا عليه وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم
رماة النبل واقبلوا يرمون ويذكرون الله تعالى ويضجون
قال الواقدي رحمه الله ولم يزل المسلمون في القتال
عشرة ايام واهل بيت المقدس يظهرون الفرح وانه ليس
عندهم انزعاج منهم فلما كان في اليوم الحادي عشر اشرف

عليهم الامير ابو عبيدة براية يحملها سالم ومن ورائها فرسان
المسلمين وقد احدقوا بابي عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق عن يساره رضي الله عنهم اجمعين وجات
النسا والاموال فضج المسلمون ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير
فاجابتهم ساير القبايل ووقع الرعب في قلوب اهل بيت المقد س
وانقلب كبراوها وبطارقتها الى البيعة المعظمة عندهم
وهي القمامة فلما وقفوا بين يدي بتركهم سلموا عليه وصفقوا
بين يديه فقال ما هذه الضجة التي اسمع فقالوا يا ابانا قد
قدم امير القوم واشرف ببقية المسلمين علينا فهذه الضجة
بسببه فلما سمع البترك ذلك منهم انخطف لونه وتغير وجهه
وقال هي هي فقالوا وما ذلك ايها البترك الكبير والاب
الخطير فقال وحق الانجيل ان كان هو اميرهم فقد دنا
هلاككم والسلام فقالوا وكيف ذلك قال لانا وجدنا
في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين ان الذي يفتح الارض
بالطول والعرض هو الرجل الاسمر الاحور المسمى بعمر
صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم عليهم فلا سبيل لكم الى
قتاله ولا طاقة لكم بقتاله ولا بد لي ان اشرف عليه وانظر

إلى صفته فإن كان هو عملت في مصالحته وأجبته إلى ما يريد وإن
كان غيره لم أسلم إليه قط لأن مدينتنا لا تفتح إلا على يدي من
ذكرت لكم ثم وثب قائماً والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله
وقد رفعوا الصلبان على رأسه وفتحوا الإنجيل بين يديه ودارت
البطارقة من حوله وصعدوا على السور إلى أن وقفوا تجاه الطريق
التي ورد منها أبو عبيدة رضي الله عنه فنظر إلى المسلمين وهم
ينظرون إليه ويسلمون عليه ويعظمونه ثم يرجعون إلى القتال
كأنهم الأسد الضارية فناداهم رجل من الروم ممن كان
يمشي بين يدي البطريق وقال يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال
حتى نسأل لكم ونستخبر لكم قال فأمسكت المسلمون عنهم فناداهم
الرجل بلسان عربي اعلموا أن صفة الرجل الذي يفتح بلدتنا هذه
وجميع البلاد والأرض عندنا فإن كان هو لم نقاتلكم
بل نسلم لكم وإن لم يكن هو فلسنا نكف عنكم ولا نسلم إليكم أبداً
قال الواقدي رحمه الله فلما سمع المسلمون كلام ترجمانهم
أقبل نفر منهم إلى أبي عبيدة وحدثوه بما سمعوا فخرج إليهم
أبو عبيدة فلما نظروا إليه وتحققوا صورته قال البترك ليس
هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم فلما سمعوا

قوله رفعوا أصواتهم وأعلنوا بكلمة الكفر وأقبلوا يقاتلون القتال
الشديد وعاد البطريق إلى قمامة ولم يخاطب أبا عبيدة بل أمر
قومه بالحرب والقتال وعاد أبو عبيدة إلى أصحابه فقال خالد
بن الوليد ما كان منك أيها الأمير فقال لا علم لي غير أني خرجت
إليهم كما رأيت وأشرف على شياطين من شياطينهم الذين يضلونهم
فما هو إلا أن نظر إلي فصاحوا صيحة واحدة ثم ولى عني ولم
يكلمني فقال خالد يوشك أن يكون لهم في ذلك رأي يقف عليه
بعد ذلك وتعلم نبأه بعد حين ثم قال انصب عليهم الحرب
والقتال ثم صاح خالد وأبو عبيدة بالمسلمين وأمرهم بالقتال
قال الواقدي رحمه الله وكان نزول المسلمين
على بيت المقدس في أيام الشتاء والبرد وظنت الروم أن المسلمين
لا يقدرون على القعود في ذلك الوقت قال فزحف المسلمون
إليهم وتكالبوا عليهم وبرز النبالة من أهل اليمن وهم أصحاب
قسي الشرخ والنبع وبركوا لهم جاثمين ورشقوهم بالنبال
وكانت الروم غير محترزين من النبل لقلة اكتراثهم بها
حتى ورد النبل ينكسهم على رؤوسهم ويخرج من وراء ظهورهم
قال عون بن مهلهل فلله در عرب اليمن لقد رأيتهم يرمون

بالنبل والروم يتهافتون من سورهم كأنه مطر فلما نظروا إلى النبل
وما تصنع احترزوا منها وزرفنوا السور بالجحف والجلود واللبود
وغير ذلك مما يرد عنهم النبل قال ونظرت إلى ضرار بن الأزور
وقد أقبل نحو الباب الأعظم وإذا عليه بطريق كبير على رأسه
صليب من الجوهر وحوله الغلمان عليهم القراطق وبأيديهم
العمد والقسي الموترة وهو يحرض القوم على القتال قال عون بن
مهلهل فنظرت إلى ضرار بن الأزور وقد قصد نحوه وهو يختفي
تحت جحفته إلى أن قرب من البرج الذي عليه البطريق ثم أطلق
نبلة على البطريق قال عون فنظرت إلى النبلة وقد خرجت من
يده والبرج عال رفيع فقلت ما يكون من هذه النبلة مع علو هذا
الجدار وما الذي تصنع مع هذا العلج وعليه هذه اللامة المانعة
فأقسم لقد وقعت النبلة فيه فانقلب إلى أسفل حصنهم فسمعت
للقوم ضجة عظيمة وجلبة هائلة فعلمت أنه قد قتله بنبلته
ولم يزل أبو عبيدة منازلا لأهل بيت المقدس أربعة أشهر
كملا وما من يوم إلا ويقاتلهم القتال الشديد والمسلمون
صابرون على البرد والمطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس
إلى شدة الحصار وما نزل بهم من المسلمين قصدوا قمامة

ووقعوا بين يدي بتركهم وسجدوا بين يديه وعظموه وقالوا
له أيها السيد قد دام علينا حصار هؤلاء العرب ورجونا أن
يأتينا مدد من الملك وقد اشتغل عنا لا شك بنفسه لأجل هزيمة
جيشه وما من يوم يمر علينا إلا ويقتل منا خلق كثير ومنهم
أيضا إلا أنهم أشهى إلى القتال منا وإنهم من يوم نزلوا علينا
لم نخاطبهم بكلمة واحدة ولم نجبهم احتقارا منا بهم والآن
قد برح الخفا وعظم علينا الأمر وإنا نريد منك أن تشرف
على القوم وتنظر ما يريدون منا فإن كان أمرهم قريب
أجبناهم إلى ما يطلبون وإن كان الأمر صعبا فتحنا الأبواب
وخرجنا إليهم فإما أن نقتل عن آخرنا وإما أن نهزمهم عنا
قال فأجابهم البترك إلى ذلك وأشهر لباسه وصعد السور
وحمل الصليب بين يديه واجتمع القسوس والرهبان
حوله بأيديهم الأناجيل مفتحة والمجامر بالبخور وأقبل
البترك وأشرف على الموضع الذي فيه أبي عبيدة ونادى
منهم رجل فصيح اللسان بالعربية وقال يا معاشر العرب
إن عمدة دين النصرانية وصاحب شريعته قد أقبل
يخاطبكم فليدن منا أميركم فأخبروا أبا عبيدة بمقالته

فقام يمشي اليه وجماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوله
ومعه ترجمان له فلما وقف بازائهم قال ما الذي تريدون وما الذي
تطلبون هذا امير العرب قد اقبل نحوكم قال البترك للترجمان ما الذي
تريد ورمنا هذه البلدة الارض المقدسة ومن قصدها يوشك ان الله
يغضب عليه ويهلكه فاخبر الترجمان ابا عبيدة بذلك فقال له قل لهم
نحن نعلم انها بلدة شريفة ومنها اسرى نبينا صلى الله عليه وسلم
الى السماء ودنا من ربه فكان قاب قوسين او ادنى وهي معدن
الانبيا وقبورهم فيها ونحن احق بها منكم ولا نزال نازلين عليها
او يملكنا الله اياها كما ملكنا غيرها قال البترك فما الذي تريدون منا
قال ابو عبيدة الذي نريده خصلة من ثلاث خصال اولها ان
تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
فان اجبتم الى هذه الكلمة كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا قال البترك
انها كلمة عظيمة ونحن قايلون بها الا ان نبيكم محمدا ما نقر به انه
رسول الله قال ابو عبيدة كذبت يا عدو الله وانك لم توحد الله
قط ولقد اخبرنا الله تعالى في كتابه انكم تقولون ان المسيح ابن الله
لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال
البترك هذه خصلة لا نجيبكم عليها ابدا فما الخصلة الثانية قال

ابو عبيدة تصالحونا عن بلدكم وتؤدوا الجزية الينا عن يد وانتم
صاغرون كما اداها غيركم من اهل الشام جميعا قال البترك هذه
اعظم علينا من الاولى وما كنا بالذي ندخل تحت الذل والصغار
ابدا قال ابو عبيدة فما نبرح نقاتلكم او يظفرنا الله تعالى بكم نقتل
من خالف منكم ونستعبد نساكم واولادكم قال البترك انا لا نسلم
مدينتنا او نهلك عن اخرنا وكيف نسلمها وقد اعددنا فيها الة
الحصار والعدد الحسنة والرجال الشداد ولسنا كمن لاقيتم من
اهل المدن الذين اذعنوا بالجزية انما هم قوم غضب المسيح عليهم
فادخلهم تحت طاعتكم ونحن في بلدنا من اذا سال المسيح ودعا
اجاب قوله ولبى دعوته فقال ابو عبيدة كذبت يا عدو الله ما
المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا ياكلان الطعام كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين قال البترك فاني
اقسم بالمسيح انكم لو اقمتم علينا عشرين سنة ما فتحتموها ابدا وانما
يفتح بلدنا رجل نجد نعته في - كتبنا وليس الصفة معكم قال ابو عبيدة
وما صفة من يفتح بلدكم قال البترك لا نخبركم بصفته ولكنا نجد
في كتبنا وما قراناه من علمنا انه يفتح هذه البلدة صاحب لمحمد

اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه في الله
لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم قال فلما سمع ابو عبيدة ذلك من كلام
البترك تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلدة ورب الكعبة ثم أقبل عليه
وقال له فان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته
عندنا وعدد سنينه وآبائه قال ابو عبيدة هو والله خليفتنا
وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البترك فاذا كان الامر
على ما ذكرت وقد علمت صدق قولنا فاحقن الدما وابعث الى
صاحبك يأتي فاذا رأيناه وتبيننا معرفته ونعته فتحنا له المدينة
وأعطينا له الجزية قال ابو عبيدة فاني سأبعث اليه ان شا الله
ان يسير الينا أفتحبون القتال أو الكف عنكم قال البترك
يا معاشر العرب لا تدعون بغيكم وتجبركم قد صدقناكم
في الكلام لحقن الدما وأنتم تأبون الا القتال قال ابو عبيدة
لان ذلك أشهى الى قلوبنا من الحياة نرجوا به الفوز والغفران
من ربنا ثم انصرف ابو عبيدة وأمر الناس بالكف عن الحرب
ثم جمعهم اليه وأعلمهم بمقالة البترك له فرفع المسلمون أصواتهم
بالتهليل والتكبير وقالوا افعل ايها الامير واكتب الى امير
المؤمنين بذلك لعله ان يسير الينا ويفتح هذه البلدة علينا

فعندها كتب ابو عبيدة بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الله أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله ابي عبيدة عامر بن الجراح اما بعد
سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا امير المؤمنين انا منازلون لاهل
مدينة ايليا نقاتلهم كل يوم ويقاتلونا ولقد لقي المسلمون
مشقة عظيمة من البرد والامطار الا انهم صابرون على ذلك
يرجون رحمة الله عز وجل بذلك فلما كان في يوم كتبت اليك
أشرف علي بترکهم الذي يعظمونه وقال انه نجد في كتبهم انه
لا يفتح بلدتهم الا صاحب امرنا وانه يعرفه بصفته وقد سألنا
حقن الدماء وان تسير الينا وتنجدنا بنفسك فلعل الله عز وجل
ان يفتح هذه البلدة على يديك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين
ورحمة الله وبركاته ثم قال ايها الناس من ينطلق بكتابي الى
عمر واجره على الله تعالى فأسرع بالاجابة ميسرة بن مسروق
العبسي وقال ايها الامير انا اكون الرسول وارجع مع عمر ان
شا الله تعالى فقال خذ الكتاب بارك الله فيك فأخذ ميسرة الكتاب
واستوى على ناقته ولم يزل يجد السير حتى وصل الى مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخلها ليلا وقال لا نزلت على احد من اهل

المدينة ثم اناخ ناقته وعقلها ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى قبر ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان له
عدة ليال لم ينم فاخذته عيناه فما استيقظ الا لاذان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وكان عمر يغلس بالاذان فلما اذن دخل
المسجد وهو يقول الصلاة رحمكم الله قال ميسرة فقمت توضأت
وصليت خلف عمر رضي الله عنه صلاة الصبح فلما انحرف في محرابه
قمت اليه وسلمت عليه فلما نظر الي صافحني واستبشر وقال ميسرة
ورب الكعبة ثم قال ما وراك يا ابن مسروق قلت الخير والسلامة
يا امير المؤمنين ثم ناولته كتاب ابي عبيدة فقبله وقرأه على
المسلمين فاستبشروا به وقال ما ترون يرحمكم الله في ما كتب
به الينا امين الامة وكان اول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله
عنه وقال يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد اذل الروم واخرجهم
من الشام ونصر المسلمين عليهم وقد حاصر اصحابنا ايليا وضيقوا
عليهم وهم في كل يوم يزدادون ذلا وضعفا ورعبا فان
انت اقمت ولم تسر اليهم رأوا انك بامرهم مستخفا ولشأنهم
محتقرا ولم يلبثوا الا قليلا حتى ينزلوا على الصغار ويعطوا
الجزية فلما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك من مقالة

عثمان بن عفان رضي الله عنه جزاه خيرا وقال هل عند احد منكم رأى
غير هذا فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه نعم عندي غير هذا
الرأي وانا ابديه لك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا ابا الحسن
قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذلك وهو على المسلمين فتح
وقد اصابهم جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام واني
ارى ان سرت اليهم فتح الله هذه المدينة على يديك وكان لك
في مسيرك الاجر العظيم في كل ظمأ ومخمصة وفي قطع كل واد
وصعود جبل حتى تقدم عليهم فاذا انت قدمت عليهم كان لك
وللمسلمين الامن والعافية والصلاة والفتح ولست آمن ان هم
أيسوا منك ومن قبولك الصلح ان يتمسكوا بحصونهم ويأتيهم
المدد من بطارقتهم وطاغيتهم ويدخل على المسلمين هم وبلاء لان
بيت المقدس عندهم معظم واليه يحجون ولا يتخلفون عنه
والصواب ان نسير اليهم ان شاء الله تعالى ففرح عمر بمشورته
وقال لقد احسن عثمان النظر في المكيدة للعدو واحسن
علي النظر للمسلمين جزاهما الله عن الاسلام خيرا ولست آخذ
الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة وميمون الطلعة
ثم ان عمر رضي الله عنه امر الناس باخذ الاهبة للمسير معه

والاستعداد فأسرع المسلمون لأخذ ذلك واستعدوا وتاهبوا ثم
امر عمر أن يعسكروا خارج المدينة ففعلوا ذلك وأتى عمر المسجد
فصلى فيه أربع ركعات ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم عليه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وخرج عمر يومبذ من المدينة وأهلها يودعونه ويشيعونه
وهو راكب على بعير له أحمر عليه غرارتان في أحدهما سويق
وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة ماء مملوة وخلفه جفنة الزاد
وخرج معه جماعة من الصحابة كانوا شهدوا اليرموك ثم
عادوا الى المدينة منهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت
وسار عمر نحو بيت المقدس وكان اذا نزل منزلا لا يبرح
منه حتى يصلي الغداة فاذا انفتل من صلاته يقبل على المسلمين
بوجهه ويقول الحمد لله الذي اعزنا بالإسلام وخصنا
بنبيه عليه السلام وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات
على كلمة التقوي وألف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا
ومكن لنا في بلاده وجعلنا اخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد
الله على هذه النعمة واسألوه المزيد منها والشكر عليها وعلى
ما أصبحتم تتقلبون فيه من النعمة السابغة والمنن الظاهرة

فان الله تعالى يزيد المستزيدين والراغبين فيما لديه ويتمم نعمته
على الشاكرين قال ثم يأخذ الجفنة فيملأها سويقا ويصف
التمر حولها ويقول للمسلمين كلوا هنيا رحمكم الله ثم يأكل
ويأكل المسلمون معه ثم يرحلون فلم يزل كذلك مسيره قال
عمر بن مالك العبسي كنت مع عمر بن الخطاب حين سار نحو الشام
فمر على ماء لجذام وعليه طايفة منهم نزول والماء يدعى ذات
المنار فنزل بالمسلمين عليه فبينما هم كذلك وأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حوله اذ اقبل عليه قوم من جذام فقالوا
يا أمير المؤمنين ان عندنا رجلا عنده امرأتان وهما اختان
لأب وأم فغضب عمر وقال علي به فأتي بالرجل اليه فقال
له عمر ما هاتان المرأتان فقال الرجل زوجاتي قال عمر فهل
بينهما قرابة قال نعم هما اختان لأب وأم قال عمر وما دينك
ألست مسلما قال نعم قال عمر أوما علمت أن هذا عليك حرام
أوليس الله تعالى يقول في كتابه وأن تجمعوا بين الأختين
الا ما قد سلف قال الرجل والله ما علمت وما هما علي حرام
فغضب عمر وقال كذبت والله انه لحرام عليك ولتخلين
سبيل احداهما والا ضربت عنقك قال الرجل أفتحكم علي في

زوجتي قال إني والذي لا إله إلا هو قال الرجل إن هذا دين ما أصبت
فيه خيرا ولقد كنت غنيا أن أدخل فيه فقال له عمر أدن مني فدنا منه
فخفق رأسه بالدرة خفقات وقال أتشتم الإسلام يا عدو الله وعدو
نفسه وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لملائكته ورسله
وخيرته من خلقه خل وتلك سبيل احداهما وإلا جلدتك جلد
المفتري قال الرجل وكيف أصنع بهما وأنا أحبهما ولكن اقرعوا
بينهما فمن وقعت القرعة عليها ثلاثا فهي لي وأنا لها وإن كنت
لهما جميعا محبا ثم أمرهما فاقترعا فوقعت القرعة على احداهما
ثلاثا فأمسكها وأطلق سبيل الثانية ثم أقبل عمر إليه وقال له
اسمع يا ذا الرجل ما أقول لك وهو أن من دخل في ديننا ثم
رجع عنه قتلناه فإياك أن تفارق الإسلام وإياك أن يبلغني
عنك أنك زنيت بأخت امرأتك التي فارقتها فإنك إن فعلت
ذلك رجمتك والسلام قال وسار عمر حتى مر على حي من بني
مرة فإذا بقوم منهم قد أقيموا في الشمس يعذبون فقال
عمر ما بال هؤلاء يعذبون فقالوا إن عليهم خراجا فهم يعذبون
عليه قال فما يقولون قال يقولون ما نجد ما نؤدي فقال
عمر دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول لا تعذبوا الناس فإن الذين يعذبون
الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة ثم أمر أن يخلى سبيلهم
ثم سار حتى إذا كان بوادي القرى أخبروه أن شيخا نازل على الماء
له امرأة وله صديق يوده فقال له صديقه هل لك أن تجعل
لي في زوجتك نصيبا وأكفيك رعي إبلك وسقيها والقيام
عليها ولي فيها يوم وليلة ولك يوم وليلة فقال له الشيخ قد
فعلت ذلك فلما سمع عمر ذلك قال علي بهما فأحضرا فقال لهما
يا ويلكما ما دينكما قالا مسلمين قال عمر فما هذا الذي بلغني عنكما
قالا وما هو فأخبرهما بما سمع عنهما فقال الشيخ نعم قد كان
ذلك فقال عمر أوما علمتما أن هذا حرام في دين الإسلام ويحك
وما دعاك إلى أن صنعت هذا الأمر القبيح فقال الشيخ أنا كبير
وقد ضعفت ولم يكن لي ولد أتقوى به ولا أتكل عليه وقلت هذا
الشاب يكفيني مؤنة الرعي والسقي ويعينني على زماني وأجعل
له نصيبا من امرأتي والآن حيث علمت أنه حرام فلا أفعله فقال
عمر خذ بيد امرأتك فليس لأحد عليك سبيل ثم قال للشاب إياك
أن تقرب منها فإن بلغني ذلك عنك ضربت عنقك ثم ارتحل يريد
بيت المقدس حتى دنى من أول الشام وأشرف عليه نظرنا إلى

خيل مقبلة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير يا عبد الله اسرع
وانظر ما هذه الخيل فأسرع الزبير اليها فلما قرب منها اذا هي خيل
بعث بها أبو عبيدة يكشفون له خبر عمر رضي الله عنه قال الزبير
فسلموا علي وقالوا يا فتى من اين اقبلت فقلت من مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا كيف حال اهلها قلت بخير قالوا وما
خبر عمر هل توجه الينا ام لا قال الزبير ومن انتم قالوا نحن قوم
من العرب وجهنا أبو عبيدة لنأخذ خبره قال فرجع الزبير الى
عمر وحدثه فقال له اصبت يا عبد الله واقبل من بعدهم قوم
آخرون فسألوا عن عمر فقيل لهم هذا عمر فما تريدون قالوا
يا أمير المؤمنين لقد أرقت العيون وطالت الأعناق بالتطاول
الى قدومك لعل الله تعالى أن يفتح بيت المقدس قال ثم ولوا على
أعقابهم حتى أشرفوا على عسكر أبي عبيدة ونادوا برفيع
أصواتهم أبشروا يا معاشر المسلمين بقدوم عمر بن الخطاب
فارتج الناس وهموا أن يركبوا لاستقباله بأجمعهم فقال
أبو عبيدة عزيمة مني على رجل يخرج من مركزه ثم سار أبو
عبيدة في أناس من المهاجرين والأنصار حتى أشرف هو ومن
معه من المهاجرين على عمر رضي الله عنه فنظر الى أبي عبيدة

وهو راكب على قلوص مغطى بعباءة قطوانية وخطام قلوصه من
شعر وهو لابس سلاحه فلما نظر أبو عبيدة الى عمر أناخ قلوصه
وأناخ عمر بعيره وترجلا وتصافحا وتعانقا وسلم بعضهما على بعض
وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبا أمام الناس وسارا
وتحدثا ولم يزالا كذلك حتى نزلا فلما أصبح الصباح صلى
عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم خطبة حسنة قال فيها
الحمد لله الحميد المجيد الفعال لما يريد ثم قال إن الله تعالى أكرمنا
بالإسلام وهدانا بمحمد عليه السلام وأزاح عنا الضلالة
وجمعنا بعد الفرقة وألف بين قلوبنا بعد البغضاء فاحمدوه على
هذه النعم تستوجبوا منه المزيد لأن الله تعالى قال ولئن شكرتم
لأزيدنكم ثم قرأ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له
وليا مرشدا فلما تلى عمر ذلك قال قس من النصارى كان جالسا
بين يديه فقال إن الله لا يضل أحدا فلما أن كررها قال عمر
انظروا إن عاد فاضربوا عنقه فعرف القس ما قال فسكت
ومضى عمر في خطبته وقال أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله
عز وجل الذي يبقى ويفنى ما سواه الذي بطاعته تنتفع أولياؤه
وبمعصيته تشقى أعداؤه أيها الناس أدوا زكاة أموالكم

طيبة بها انفسكم لا تريدون به اجرا من مخلوق ولا شكرا افهموا اما
توعظون ربه فان الكيس من احرز دينه والسعيد من وعظ بغيره الا
وان شر الامور مبتدعاتها وعليكم بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
فالزموها فان الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة
والزموا القران فانكم تجدون فيه الشفا والفوز ايها الناس
انه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي فيكم وقال
الزموا اصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب
حتى يشهد من لم يستشهد ويحلف من لم يحلف فمن اراد بحبوحة
الجنة فليلزم الجماعة فان الفذ معه الشيطان ولا يخلون احد
بامراة فانهن حبايل الشيطان ومن سرته حسنة وساته سيئة
فهو مؤمن حقا والصلاة ثم الصلاة فلما فرغ من خطبته جلس
وجعل ابو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم وعمر ناصت له
فتارة يبكي وتارة يهدا ولم يزل كذلك الى ان حضرت
صلاة الظهر فدعا عمر بلالا وقال يا بلال ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونك ان تؤذن لهم
وتذكرهم اوقات نبيهم فقال له نعم قال فلما قال الله اكبر
خشعت جوارحهم واقشعرت ابدانهم فلما قال اشهد ان لا اله

الا الله اشهد ان محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا حتى
كادت قلوبهم ان تنصدع عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد
بلال ان يقطع الاذان لما لقي الناس من الخوف والحذر والبكاء
عند ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم فلما فرغ الاذان صلى عمر
بالمسلمين فلما فرغ من صلاته وجلس قال بلال يا امير المؤمنين ان
امرا اجناد الشام ياكلون لحوم الطير والخبز النقي وما لا يلحقه
ضعفاء المسلمين ولا تناله ايديهم فقال له يزيد بن ابي سفين ان
سعر بلدنا هذا رخيص وانا لنصيب ما قال بلال ها هنا بمثل ما كنا
نقوت به انفسنا في الحجاز فقال عمر ان كان الامر على ما ذكرت
فكلوه هنيا مريا ولست ابرح من مكاني حتى تجمعوا الى من في المنازل
يعني تكتبوا الى فقرا المسلمين الذين في المدن والقرى افرض لاهل
كل بيت ما يكفيهم من البر والشعير والعسل والزيت والعدس
والخل وما لا بد لهم منه فحضروا فقال لهم عمر لكم من امرايكم
كذا وكذا وان قطع احد منهم لكم شيا اخبروني اعزلهم عنكم
ثم امر بالرحيل فلما هم بالركوب على بعيره لبس مرقعة من
الصوف فيها اربعة وعشرون رقعة من ادم بعضها وبعضها
من غيره **قال الواقدي** رحمه الله بلغني ممن اثق

به أنه لما لبس مرقعته قال له المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت
بدل بعيرك جوادا ولبست ثيابا فإن ذلك أعظم لهيبتك في
قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به إلى أن أجابهم إلى
ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير أحسب أنها
كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهما وطرح على
كتفيه منديلا من الكتان ليس هو بالجديد ولا بالخلق دفعه له
أبو عبيدة وقدم له برذونا أشهب من براذين الروم فلما صار
عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر إلى ذلك وفعاله
نزل مسرعا وقال أقيلوني عثرتي أقال الله عثراتكم يوم القيامة
لقد كاد أميركم أن يهلك لما داخله من الكبر لأني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان
في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ولقد كاد يهلكني
ثوبكم الأبيض وبرذونكم المهملج ثم إن عمر نزع ما كان لبسه
ولبس مرقعته **قال الواقدي** رحمه الله كنا نقرأ
يوما في فتح بيت المقدس عند قبر أبي حنيفة وكان القارئ
عياد بن عمر الدينوري من أهل الفضل يشجع كلامه فلما وصل

إلى ما ذكرناه من لبس المرقعة قال قد سنح خاطري بما أنا قايله قال
الواقدي فقلت له قل الصدق ولا تخالف فتهوي في النار فإن
الصدق أمانة والكذب خيانة فقال لما لبس عمر مرقعته جعل
يتبختر في أسمال فقره • والكاينات تعجب من زهده وصبره •
تزينت له الدنيا في حلل ملابسها • وقد أزوت عنه مصايد
لهوها • وتراءت له في حلل أمنيتها • بواسطة سرعة حدثان
شيبها • وقد جعلت تاج شهواتها • على قمة مفرق استنادها
وأقبلت راكضة في رجليه مطلقة أعنة الطمع في طلب زوال
مجاهدته • معرضة ملابس جمالها على سوق معارضته •
صاقلة مرآة تبرجها في أعين مشاردته • وإنها على قدم
الاستدانة إلى ترك خدمته • بادلة بترددها ذريعة
إلى وصلته • وعمر ممسك عرى طاعته • بيد عصمته •
فلما نصبت له حبايل هواها • ولم تره وقع في أشراك هواها
سمعت خطابا في معناها • قد شغفها حبا إنا لنراها • فقالت
يا عمر قد توليت أرضي • فلا بد من القيام بفرضي • فقال
عمر إذ هي فلست من رجالك • ولا ممن يقع في حبالك وأوحالك
أما علمت أني قد تجردت لمعاندتك • فلا حاجة لي في مشاهدتك

وها انا قد قمت على قدم لاجابة دعوة سيد الامم حتى افتح بلاد الروم والعجم ثم شهر في وجهها صارم اجتهاده عملا بقوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده قال الواقدي رحمه الله وسار عمر طالبا صعود العقبة فلقيه قوم من المسلمين عليهم لباس الديباج من كسب اليرموك فامر عمر ان يحثى التراب في وجوههم وان تخرق عليهم ثيابهم ولم يزل حتى قطع العقبة واشرف على بيت المقدس فلما نظر اليه قال الله اكبر الله اكبر اللهم افتح لنا فتحا يسيرا واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا قال واستقبلته القبائل والعشاير واصحاب العقود ولم يزل حتى نزل في موضع ابي عبيدة فضربت له خيمة من شعر فجلس فيها على التراب ثم قام وصلى اربع ركعات قال وعلت للمسلمين ضجة كبيرة وصياح مزعج بالتهليل والتكبير وسمع اهل بيت المقدس الضجة فقال لهم البترك يا ويلكم انظروا ما شان العرب وما هذه الضجة من غير قتال فاشرف عليهم رجل من المتنصرة وقال يا معاشر العرب اخبرونا ما قصتكم قالوا ان امير المؤمنين عمر قد قدم علينا من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الضجة من فرح المسلمين

به قال فرجع المتنصر واخبر البترك بما قال المسلمون قال فاطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر وقال لابي عبيدة يا ابا عامر تقدم الى القوم واعلمهم اني قد اتيت قال فخرج ابو عبيدة وصاح بهم وقال يا اهل هذه البلدة ان صاحبنا امير المؤمنين عمر بن الخطاب قد اتى فما تصنعون فيما قلتم قال فاعلموا البترك فخرج من كنيسته وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسيسون والاساقفة وقد حمل بين يديه صليب عظيم لا يخرجه لاهل البلد الا في عيدهم وسار معه الناطليق وهو الوالي عليهم وقال للبترك ان كنت لم تعرف صفته فلا تفتح له ودعنا وهؤلاء العرب فاما ان يبيدونا واما ان نبيدهم قال البترك اني فاعل ذلك ثم علا على السور ووقف الناطليق الى جانبه والصليب امامه ثم قال لابي عبيدة ما تريد ايها الشيخ البهي فقال هذا امير المؤمنين الذي ليس امير الا هو قد وصل فاخرجوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة وادوا اليه الجزية فقال البترك ان كان صاحبكم الذي اتى ليس امير الا هو كما زعمت فقل له يدنوا منا فانا نعرفه بصفته ونعته وافردوه من بينكم واوقفوه

بازاء الحصن حتى نراه فان كان صاحبنا الذى نجد نعته فى الانجيل
نزلنا اليه وعقدنا معه الامان والذمة واقررنا له بالجزية وان
كان غير الذي نجد صفته ونعته فما لكم منا الا القتال قال فرجع
ابو عبيدة الى عمر واخبره بما قال البترك فهم عمر بالقيام فقال
له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا امير المؤمنين تخرج
اليهم منفردا وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة ونخشى عليك
ان يكون منهم غدر ومكر فينا لون منك قال عمر قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم امر
ببعيره فقدم اليه فاستوى في كوره وعليه مرقعته وليس عليه
غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية قد عصب بها رأسه
واخذ معه ابو عبيدة وسار الى ان قرب من الحصن ووقف
بازاء البطريق والناطليق وقال ابو عبيدة يا هؤلاء هذا
امير المؤمنين قد اتى فمد البطريق عنقه فلما رآه زعق وقال
والله هذا الذى نجد صفته ونعته فى كتبنا ومن يكون فتح
بلادنا على يديه لا محالة فى ذلك ثم قال يا اهل بيت المقدس
يا ويلكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة فهذا
والله صاحب محمد بن عبد الله فلما سمعت الروم كلام البترك

نزلوا مسرعين اليه وكان قد ضاقت انفسهم من الحصار ففتحوا
الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد والذمة ويقرون له
بالجزية فلما نظر اليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه على تلك
الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بعيره ثم
اقبل عليهم وقال ارجعوا الى بلدكم ولكم الذمة والعهد
حيث سألتمونا واقررتم بالجزية لنا قال فرجع القوم الى حصنهم
ولم يغلقوا الباب ورجع عمر الى معسكره فبات فيه ليلته فلما
كان من الغد دخل الى بيت المقدس وذلك يوم الاثنين
واقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا وهو موضع مسجده
وتقدم وصلى باصحابه صلاة الجمعة فهمت الروم بقتل المسلمين
وكان عندهم ابو الجعد الذي نصب عليهم باليرموك من اجل اهله
وماله فقالوا له ما الذى ترى بغدرنا لهؤلاء العرب اذا اشتغلوا
بالصلاة وسجدوا وليس معهم آلة الحرب ولا ما يحترزون به
من الضرب فقال لهم ابو الجعيد يا قوم لا تفعلوا ولا تغدروا
فانكم ان فعلتم ذلك اديل لكم عليهم عند الغدر ولكن
اتركوهم فان كانوا اصحاب دنيا ولها يطلبون دون الآخرة
اشرت عليكم بما تصنعون فقالوا له وما الذى نصنع قال

أبو الجعيد أظهروا لهم ما لكم من الزينة والمتاع فإن الدنيا وما فيها
لا يضر صاحبها عنها فإن هم طلبوها وهموا بالغدر فدونكم
وما تريدون قال فأقبل القوم على ما يقدرون عليه من المال
والمتاع الحسن فأظهروه وصفوه في طرق المسلمين وشوارعهم
فجعل المسلمون ينظرون إلى ذلك ويتعجبون منه وقالوا الحمد لله
الذي أورثنا ديار قوم لهم مثل هذا من الدنيا ولو سويت الدنيا
عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء قال عون
ابن سالم فوالله ما من المسلمين من جعل يده على شيء من متاعهم
فقال أبو الجعيد هؤلاء الذين وصفهم الله في التوراة والإنجيل
أنهم لا يزالون على الحق ولا يقوم أحد بحربهم ما داموا على
ما هم عليه **قال الواقدي** رحمه الله وأقام الإمام
عمر رضي الله عنه في بيت المقدس عشرة أيام قال شهر بن
حوشب سمعت كعب الأحبار يقول إن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه لما صالح أهل بيت المقدس ودخلها أقام فيها عشرا فأقبلت
نحوه وكنت في قرية من قرى فلسطين فقدمت لأسلم عليه
وذلك لأن أبي كان أعلم الناس بما أنزل الله تعالى على موسى
ابن عمران وكان لي محبا وعلي مشفقا ولم يكتم شيئا إلا أعلمني به

فلما حضره الموت دعاني إليه وقال يا بني إنك تعلم أني ما ادخرت
عنك شيئا أعلمه خشية أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه
وقد جعلت هاتين الورقتين في هذه الكوة التي ترى فلا تتعرض
لهما ولا تنظر ما فيهما حتى تسمع بخبر نبي يبعث في آخر الزمان
اسمه محمد يخرج من أرض تهامة فإن يرد الله سبحانه بك خيرا
فأنت تتبعه ثم إنه مات بعد وصيته إياي قال كعب الأحبار
فدفنته فلم يكن شيء أحب إلي من أن ينقضي المأتم حتى أنظر إلى ما في
الورقتين فلما انقضى المأتم أقبلت إلى تلك الكوة ففتحتها ثم
استخرجت الورقتين ونشرتهما ونظرت ما فيهما فإذا فيهما
لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده
بمكة ودار هجرته طيبة الطيبة الأمينة ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب أمته الحامدون الذين يحمدون الله تعالى على كل
حال ألسنتهم رطبة بالتهليل والتكبير وهو منصور على كل من
ناواه من أعدائه أجمعين يغسلون فروجهم ويسترون أوساطهم
أناجيلهم في صدورهم وتراحمهم بينهم تراحم الأنبياء
بين الأمم وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم
قال كعب الأحبار فلما قرأت ذلك قلت في نفسي وهل علمني

أبي شيء خير من هذا ثم مكثت بعد وفاة أبي ما شاء الله إلى أن بلغني
أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ظهر بمكة وهو يظهر أمره
مرة بعد أخرى فقلت هو والله لا محالة ولم أزل أبحث عن أمره
حتى قيل إنه خرج من مكة ونزل يثرب فجعلت أرتقب أمره
حتى غزا غزواته ونصر على أعدائه فتجهزت أريد المسير إليه
فبلغني أنه قبض صلى الله عليه وسلم فقلت في نفسي لعله غير
الذي كنت أنتظره حتى رأيت في منامي كأن أبواب السماء
قد فتحت والملائكة تنزل زمرا زمرا وقائلا يقول قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي عن أهل الأرض
فرجعت إلى دار قومي وجاء الخبر أنه قد قام من بعده خليفة
من أمته اسمه أبو بكر الصديق فقلت أقدم عليه فلم ألبث
أن جاءتنا جنوده وجيوشه إلى الشام ثم جاءتنا وفاته وأنه
استخلف عليهم رجلا اسمه عمر بن الخطاب فقلت لا أدخل في
هذا الدين حتى أعلم حقيقته ولم أزل متوقفا حتى قدم عمر
ابن الخطاب إلى بيت المقدس وصالح أهلها ونظرت إلى
وفائهم لعهدهم وما صنع الله بأعدائهم فعلمت أنهم أمة
النبي الأمي وحدثت نفسي بالدخول في دينهم فوالله إني

ذات يوم نائم على سطحي وإذا برجل من المسلمين يقرأ يا أيها الذين أوتوا
الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها
فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان
أمر الله مفعولا قال كعب فلما سمعت هذه الآية خفت والله أن لا
أصبح حتى يحول وجهي فما كان شيء أحب إلي من الصباح أن يرد
فلما أصبحت غدوت من منزلي وسألت عن عمر بن الخطاب فقيل
لي إنه في بيت المقدس مقيما فقصدت نحوه وسرت إليه وإذا به
قد صلى بأصحابه صلاة الفجر عند الصخرة فأقبلت إليه وسلمت
عليه فرد علي السلام وقال من أنت قلت أنا كعب الأحبار وقد
جئت أريد الإسلام والدخول فيه وإني وجدت في الكتب
المنزلة إن الله عز وجل أوحى إلى موسى يا موسى إني ما خلقت خلقا
أكرم علي من محمد ولولاه ما خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا
قمرا ولا أرضا ولا سماء أمته خير الأمم ودينه خير الأديان
أبعثه في آخر الزمان أمته مرحومة وهو نبي الرحمة والنبي
الأمي التهامي القرشي الرحيم على المؤمنين الشديد على الكافرين
سريرته مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله القريب والبعيد
عنده سواء أصحابه متواصلون متراحمون فقال عمر حقا

تقول يا كعب قال اي والذي يسمع ما أقول ويعلم ما تخفي الصدور
فقال عمر الحمد لله الذي اعزنا واكرمنا وشرفنا ورحمنا
برحمته التي وسعت كل شيء وهدانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال
له عمر فهل لك الآن يا كعب الدخول في ديننا فقال كعب يا امير
المؤمنين انى كتابكم الذي انزل عليكم ذكر نبيكم فقال نعم ثم قرأ
ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين
فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب
الموت فقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابايك
ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ثم قرأ ما
كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين ثم قرأ ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثم قرأ اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
ثم قرأ وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو
سماكم المسلمين من قبل قال كعب الاحبار فلما سمعت ذلك قلت
يا امير المؤمنين انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
ففرح عمر باسلام كعب الاحبار ثم قال هل لك ان تسير معي الى

المدينة وتزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقلت
نعم يا امير المؤمنين انا افعل ذلك **قال الواقدي** رحمه
الله وارتحل عمر رضي الله عنه بعد ان كتب لاهل بيت المقدس
عهدا واقرهم في بلدهم على عهدهم واداء الجزية وسار بعسكره
الى الجابية فاقام بها ودون الدواوين واخذ الخمس الذي فيه
لله عز وجل مما افا الله على المسلمين ثم قسم الشام فاعطى ابو
عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وامره بالمسير الى حلب وان
يقاتل اهلها حتى يفتحها الله تعالى على يديه واعطى ارض فلسطين
وارض القدس والساحل ليزيد بن ابي سفين وجعل ابا عبيدة
واليا عليه وامر يزيد بن محارب على اهل قيسارية الى ان يفتحها
الله تعالى على يديه قال وكان قد اعطى اكثر الاجناد الى
ابي عبيدة مع خالد بن الوليد وارسل عمرو بن العاصي الى مصر
واستعمل على قضاء حمص عمير بن سعيد الانصاري ثم سار عمر
يريد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ كعبا معه
وكان الناس بالمدينة يظنون ان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يقيم بالشام لما يرى من كثرة خصبه وخيره وطيبه ورخص
اسعاره وما يخبرون عنها انها بلاد الانبيا وهي الارض المقدسة

وَمِنْهَا الْمَحْشَرُ فَبَقِيَ النَّاسُ يَتَطَاوَلُونَ الْخَبَرَ وَيَخْرُجُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى أَنْ
قَدِمَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَارْتَجَّتْ لِقُدُومِهِ وَاسْتَبْشَرَ بِهِ الصَّحَابَةُ
وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَرَحَّبُوا بِهِ وَهَنَّوْهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ فَأَوَّلُ مَا
بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَهُ وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى
أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَلَّى رَكَعَاتٍ وَدَعَا بِكَعْبِ الْأَحْبَارِ
وَقَالَ حَدِّثِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا رَأَيْتَ فِي الْوَرَقَتَيْنِ فَحَدَّثَهُمْ فَازْدَادَ النَّاسُ
إِيمَانًا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ
ابْنُ الْعَبَّاسِ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي سُفْيَانَ النَّحْوِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ
أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ نَاصِحٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ
بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الزُّرَقِيِّ عَنْ مَنْ حَدَّثَهُمْ مِمَّنْ تَقَدَّمَ
ذِكْرُهُمْ وَأَسْمَاؤُهُمْ فِي أَوَّلِ الْجُزْءِ وَحَدِيثُ الْقَوْمِ قَرِيبٌ بَعْضُهُ
مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِيذُنَا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ لِأَنَّ الصِّدْقَ
أَمَانَةٌ وَالْكَذِبَ خِيَانَةٌ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ
وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ مَا اعْتَمَدْتُ
فِي خَبَرِ هَذِهِ الْفُتُوحِ إِلَّا الصِّدْقَ وَمَا أَخَذْتُ إِلَّا عَنْ قَائِلٍ
الصِّدْقَ لِأُثْبِتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجِهَادَهُمْ
وَلِأُرْغِمَ بِذَلِكَ أَهْلَ الرَّفْضِ وَالْخَارِجِينَ عَنِ السُّنَّةِ وَالْفَرْضِ

إِذْ لَوْلَا هُمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ تَكُنِ الْبِلَادُ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا انْتَشَرَ
عَلَمُ هَذَا الدِّينِ فَلِلَّهِ دَرُّهُمْ لَقَدْ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا وَثَبَتُوا لِلِقَاءِ
الْعَدُوِّ وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَمَا قَصَّرُوا حَتَّى زَحْزَحُوا الْكُفْرَ عَنْ سَرِيرِهِ
وَتَهَيَّأَ لِمَسِيرِهِ وَأَذَلُّوا كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالْجَلَنْدِيَّ بْنَ كَرْكَرَ
إِلَى أَنْ عَلَا الْإِسْلَامُ وَظَهَرَ وَذَلَّ الْكُفْرُ وَتَقَهْقَرَ لَا جَرَمَ وَقَدْ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ
قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا **قَالَ الْوَاقِدِيُّ**
رَحِمَهُ اللَّهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمِيرَ الشَّامِ أَبَا
عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى حَلَبَ وَأَنْطَاكِيَةَ وَالْمَعَرَّةِ وَمَا يَلِيهِمْ مِنَ الْحُصُونِ
وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِي إِلَى مِصْرَ وَبَعَثَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى سَاحِلِ
الشَّامِ فَنَازَلَهَا وَكَانَتْ قَيْسَارِيَّةُ أَهِلَةً بِالْخَلْقِ الْكَثِيرِ كَثِيرَةَ
الْجُنْدِ وَكَانَ عَلَيْهَا قُسْطَنْطِينُ ابْنُ الْمَلِكِ هِرَقْلَ وَمَعَهُ ثَمَانُونَ
أَلْفًا مِنَ الرُّومِ وَمِنَ الْعَرَبِ الْمُتَنَصِّرَةِ وَالدَّوْسِيَّةِ فَلَمَّا نَظَرَ قُسْطَنْطِينُ
إِلَى نُزُولِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَلَيْهِ بَعَثَ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ هِرَقْلُ صَاحِبَ مَرْعَشَ لَاوُنَ بْنَ مِيخَائِيلَ فِي
عِشْرِينَ أَلْفًا مِنْ أَبْطَالِ الدَّوْسِيَّةِ وَنَفَذَ لَهُ الْمَرَاكِبَ وَالزَّادَ
وَالْعُلُوفَةَ فَلَمَّا نَظَرَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى ذَلِكَ وَأَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ

على قيسارية كتب الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد بن ابي سفيان العامل على
بعض الشام الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم اما بعد يا امير المؤمنين فاني نازلت اهل
قيسارية وهي مدينة اهلة بالخلق الكثير كثيرة الجند ليس لي
اليها من سبيل وان قسطنطين ابن الملك هرقل قد استنجد بابيه
وقد انجده بصاحب مرعش وهو لاون بن ميخائيل في عشرين الفا
والمراكب ترد عليه في كل يوم بالعلوفة والطعام وانا اريد
النجدة والسلام وبعث الكتاب الى عمر رضي الله عنه مع سالم
ابن حميد النخعي فلما وصل الى المدينة سلم الكتاب الى عمر بن
الخطاب فقال له عمر من اين لك هذا الكتاب فقال من عامل
ابن ابي سفيان ففكه عمر وقراه فلما اتى على اخره فكر في امر
يزيد بن ابي سفيان وما دفع اليه واذا بعلي ابن ابي طالب قد
قدم فقام اليه عمر وعانقه وسلم بعضهما على بعض ثم جلسا
فقال علي يا امير المؤمنين كيف حالك فقال عمر انا من الله بخير
وانا له المعونة فيما ولاني والله لو ضاعت شاة بالفرات

لاخذ

لاخذ بها عمر وهذا كتاب يزيد بن ابي سفيان من على قيسارية يطلب
مني النجدة فقال علي لا تغتم على المسلمين ولا تحزن فان الله تعالى
سيفتحها عليك رغما عليهم فانجد يزيد بن ابي سفيان بما قدرت عليه
فكتب عمر الى ابي عبيدة يامره بنجدة يزيد بن ابي سفيان ونفذ
الكتاب اليه **قال الواقدي** رحمه الله تعالى وكان
مع ابي عبيدة عشرين الفا ومع يزيد بن ابي سفيان ستة الاف
ومع عمرو بن العاص عشرة الاف فارس **قال الواقدي**
رحمه الله فلما وصل كتاب عمر الى ابي عبيدة بعث اليه ثلاثة
الاف فارس مع حرب بن عدي وبقي ابو عبيدة في سبعة عشر
الفا اكثرهم من اليمن وذلك ان ابا عبيدة كان قد صالح اهل
قنسرين والحاضرة عنوة على خمسة الاف اوقية من الذهب
ومثلها من الفضة البيضا والفي ثوب من انواع الديباج وخمس
مائة وقر من التين والزيت فلما تم صلحهم وجاؤا بما ضمنوا من
مدينتهم وحاضرهم كتب لهم الكتاب وشرط لهم الشروط
ودخل ابو عبيدة وخالد في خاصتهم من رجال المؤمنين
وسادات المسلمين فخطوا فيها مسجدا وبلغ ذلك اهل حلب من
صلح اهل قنسرين ومسير العرب فاضطربوا اضطرابا شديدا

وكان عليهم ربيسان وكانا أخوين لأب وأم وكانا ساكنين في القلعة
ولم تكن المدينة يومئذ محيطة بالقلعة وإنما كانت المدينة منفردة
بذاتها وكان البطريقان يقال لأحدهما يوحنا وللآخر يوقنا
وكان أبوهما ملك البلد وكانت أعماله وضياعه ورستاقه
إلى حدود الدروب وإلى حد الفرات وقد ملك حلب سنينا
لا ينازعه فيها منازع وكان هرقل طاغية الروم قد أقطعه
إياها كل ذلك خوفا من شره وعظيم مكره وكانت ملوك
الروم تهابه وتوقره ولا تحاربه كل ذلك اتقاء لملكهم ولأجل
اجتماع كلمتهم وكان قد خرج من رومية وهو غلام ليلا فمن
كثرة تدبيره وشره لما نزل بالعواصم استخلص لنفسه قلعة
حلب وبناها وحصنها وانبسط في البلاد فلما هلك ملك الأمر
من بعده ولده يوقنا وكان الكبير وكان شجاعا بطلا جامعا
للأموال مقداما في الحرب لا يصطلى له بنار وكان أخوه
يوحنا لينا وكان قد نزع يده من الملك وترهب وكان أعلم
أهل زمانه فلما بلغهم الخبر أن أبا عبيدة قد قصد إليهم
قال لأخيه يوقنا على ماذا عولت قال على قتال العرب
ولا أدعهم يقربون من أرضنا وأري العرب أني لست

من جملة من لقوا من بطارقة الشام ولا من غيرهم فقال له أخوه
يوحنا وكان قد درس الإنجيل وقرأ المزامير وليس له همة
إلا عمران الكنائس وبناء الأديرة وتشييد الصوامع وكسوة
الشمامسة والقسوس والرهبان والقيام بأمورهم فلما بلغ
هذين الأخوين فتح الحاضر وقنسرين صلحا وأن العرب نازلون
عليهما وخيلهم تضرب إلى المعرات والعواصم والبقاع إلى حد
الفرات فأقبل يوحنا على أخيه الأكبر وقال له يا أخي إني
أريد أن أخلو بك وأشاورك وأطلعك على رأيي وأحيط برأيك
قال فأنعم له بذلك فلما اجتمعا وأجنهما الليل اجتمعا في دار كانت
لأبيهما في القلعة فلما جلسا للمشورة أقبل يوقنا على أخيه يوحنا
وقال يا أخي ألا ترى إلى ما نزل بالملوك من هؤلاء العرب
الجياع الأكباد العراة الأجساد وما حل بأهل الشام
منهم من القتل والنهب وأخذ الأموال قهرا وما نزلوا على
مدينة من مداين الشام إلا فتحوها قهرا وملكوا أهلها فما ترى
ما نصنع من الرأي وكأني بهم وقد أشرفوا علينا فقال
يا أخي قد استشرتني في أمرك وإني أنصحك ولا أغشك إن
قبلت النصيحة وإن كنت أصغر منك سنا وأقل بالحروب بصيرة

فوحق المسيح والرهبان لئن قبلت مشورتي ليعلن امرك ويسلم
لك حالك ونفسك فقال له يوقنا ما علمتك الا ناصحا فما عندك
من الراي قال الراي عندي انك ترسل رسولا الى العرب وان
شئت كنت انا الرسول اليهم ونبذل اليهم شيئا من المال
ونسأ لهم في الصلح ونوافقهم على مال ندفعه اليهم في كل عام
ما دامت الغلبة لهم فلما سمع يوقنا ذلك من كلام اخيه
غضب غضبا شديدا وقال قبحك المسيح ما اعجز رايك انما ولدتك
امك راهبا وقسا ولم تلدك ملكا ولا محاربا والرهبان لا قلوب
لهم لان اكلهم العدس والزيت والبقل ولم ياكلون اللحم
ولا يعرفون النعيم وليس لهم بالقتال بصيرة ولا بملاقاة
الرجال خبرة واما انا فملك ابن ملك وليس بيني وبينهم الا
الحرب والا تنسبني الملوك الى العجز ويلك كيف نسلم
ملكنا الى العرب ونعطيهم القياد من انفسنا من غير حرب ولا
لقاء قال فلما سمع يوحنا ذلك من كلام اخيه تبسم عجبا
وقال يا اخي وحق المسيح اني اظن ان قتلك قد اقترب لانك
صاحب بغي محب لسفك الدماء وقتل النفس وما جموعك
باكثر من جموع الملك هرقل التي جمعها في اليرموك مع ما كان

ويوم اجنادين وهؤلاء القوم قد اديل لهم علينا فاتق الله ولا تعن
على قتلك فلما سمع يوقنا كلام اخيه يوحنا داخله الغضب وقال
قد اكثرت الكلام واطلت في مدح العرب واني لست كمن لاقوه
من الجموع التي ذكرتها ولا اقاس بهم ومع هذا فما اعلم ان
احدا ممن ذكرت من اهل المدن وغيرها قد سلم بلده عنوة قبل ان
يقاتل واني جمعت الاموال لادفع بها الاذى عني واني مجمع
على قتال العرب ومحاربتهم فان ظفرني الصليب بهم واعانني
المسيح عليهم طلبت العرب الى ان ادخل خلفهم الحجاز واسود على
ساير الملوك وارجع الى الشام ملكا ولا يقدر هرقل ان ينازعني
وان هزمتني العرب طلبت قلعتي هذه ولزمتها فاني قد اوعيت
فيها من الزاد والاطعمة ما يكفيني طول دهري واكون فيها
عزيزا الى ان اموت ولا القي بيدي الى العرب ولا ابذل
اموالي من غير سبب ولا تعاودني في شيء من امور العرب بكلام
يدعوني الى الصلح فابطش بك قبلهم قال الواقدي
رحمه الله واحتوى الشيطان على قلبه وقد سول له سوء الفعال
فلما سمع يوحنا كلام اخيه يوقنا قال كلامك علي حرام ابدا
حتى ترجع الى رايي وتنثني الى قولي ثم قام عنه مغضبا فلما

كان من الغد جمع يوقنا جميع من التجأ اليه من العساكر من الارمن
والمتنصرة وغيرهم وعرضهم عليه فمن كان محتاجا الى سلاح
اعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون امر العرب عليهم
ويقول انما هم قليل وليسوا بالكثير لان جموعهم قد افترقت
فمنهم على قيسارية الشام ومنهم من توجه الى مصر **قال**
الواقدي وعزم على قتال ابي عبيدة قبل ان يصل اليه
والى بلده ثم عمد الى بطريق من بطارقته (اسمه) تراكيس وضم اليه
الف فارس ووكله بحفظ بلده وان يذبوا عنه وسار
يوقنا بمن معه للقاء ابي عبيدة والمسلمين وهو في اثناعشر
الف مقاتل لابسين السلاح وغيرهم ونشر امامه الاعلام
والصليب الذي يعظمه وكان صليبا من الجوهر ومن
حوله الف علم قال مصعب بن ثعلبة الكندي اقام ابو عبيدة
على مدينة قنسرين بعد ان فتحها بالصلح حتى اتاه البريد
بكتاب امير المومنين عمر بن الخطاب يامره ان يبعث الى يزيد
ابن ابي سفين من جيشه اليه بثلاثة آلاف فارس وعول
ابو عبيدة على المسير الى حلب فدعا برجل من بني ضمير يقال
له كعب ابن ضمرة الضمري وكان بطلا مجربا شديد البأس

عظيم الاختلاس وكان اذا ثبت على وجه الارض للقتال لا
يهاب الجحافل قلت عليه او كثرت فضم اليه الف فارس وسرحه
على مقدمته وقال يا كعب لا تقاتل جيشا لا تطيقه واختبر امر
هذا العلج فاني ساير خلفك فسار كعب بن ضمرة يريد حلب وكان
يوقنا قد قدم امام عسكره عيونا ياتونه بالاخبار فوردت
عليه جواسيسه تخبره ان جيوش المسلمين ادركته تريد بلده
وتروم قتاله فقال لهم في كم اتت العرب فقالوا له في الف
فارس وهم نزول على ستة اميال من بلدك قال فكمن لهم يوقنا
كمينا ثم سار بجيشه حتى اشرف على المسلمين وهم نزول في اماكنهم
على نهر من الماء يسقون خيولهم ويسبغون الوضوء فبينما هم
كذلك اذ اشرف عليهم يوقنا بجيوشه وبطارقته والصليب
امامه فنادى المسلمون بعضهم بعضا وركبوا خيولهم وركب
كعب بن ضمرة جواده وسبق القوم حتى اشرف على جيش يوقنا
وحزر الجيش انه خمسة آلاف فارس وكان يوقنا قد قسم
عسكره شطرين النصف معه والنصف في الكمين فلما نظر
كعب الى يوقنا وجيشه انقلب الى اصحابه وقال يا انصار دين الله
اني نظرت الى عسكر عدوكم وحزرته وهم في خمسة آلاف

وهم لكم مغنما أما يقاتل واحد منكم خمسة نفر قالوا بلى والله وأقبل
يشجع بعضهم بعضا وقربت الفئة من الفئة وصاح يوقنا برجاله
وغلمانه وبطارقته وأمرهم بالحملة على المسلمين فحملوا بأجمعهم
حملة صعبة وحمل المسلمون عليهم والتقى الجمعان واشتبك الحرب
وقاتل العرب قتال الموت وقد أيقنوا بالغنيمة والظفر إذ
طلع عليهم كمين المشركين من ورائهم وكر أصحاب الكمين
بالحملة على المسلمين قال مسعود بن عون الجمحي شهدت الخيل
التي بعثها أبو عبيدة على طلايعه مع كعب بن ضمرة وكنت فيها
يوم التقى الجمعان وقد خرج علينا الكمين ونحن في القتال
لا نظن أن لهم كمينا فطلع من وراء ظهورنا وإذا بصوت حوافر
الخيل قد ارتفعت فما شعرنا إلا وقد أكبت علينا فأيقنا بالهلاك
بعد أن كنا موقنين بالظفر وصرنا في وسط عسكر الأعلاج ولم
يكن بد لنا من القتال فافترق المسلمون ثلاث فرق فرقة
منهم منهزمة وفرقة قصدت لقتال الكمين وفرقة لم تزل مع
كعب بن ضمرة وقد جهدت لقتال البطريق يوقنا ومن معه
من عباد الصليب قال مسعود بن عون فلله در رجال لقد
قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ووهبوا أنفسهم لله تعالى

قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل في مقام واحد وعمل أهل الكمين
عملا عظيما وكعب بن ضمرة قد قلق على المسلمين وجعل يجاهد
عنهم ويحول الراية وينادي يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل
معاشر المسلمين اثبتوا لهم فإنما هي ساعة ويأتي النصر وأنتم
الأعلون فجعل المسلمون يقبلون إليه حتى اجتمعوا حوله فنظر
إليهم والجراح فاشية فيهم وقد قتل من المسلمين مائة وسبعون
رجلا فأما الأعيان فمنهم عباد بن عاصم التجيبي وزفر بن
عامر البياضي من بني بياضة وحازم بن شهاب وسهم بن أشيم
البجلي ورفاعة بن محصن الظفري وغانم بن درا الضمري
وعويلم بن باهل الضمري وقيس بن طالب ومحمد بن دارم
الضمري وغسان بن سيف الضمري والحام بن ضمرة الضمري
ومخلم بن ماجد اليشكري وسنان بن عروة أحد بني طهيبة
ابن عامر السكسكي وسعد بن مفلح مولى لبني ساعدة وكان
ممن شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشهد قتال اليمامة مع خالد بن الوليد قال
مسعود بن عون لقد أشرفنا على قتله فوجدنا فيه أربعون
ضربة كلها في صدره ولم نجد واحدة في ظهره فكانت

الأعيان أربعة عشر رجلا الا ان الرجل منهم ما قتل حتى قتل اعدادا
من المشركين وشوهد الفشل في الروم حين نظروا ثبات المسلمين
وهم قليلون ولم يهولهم من قتل منهم فهموا بالهزيمة فثبتهم
يوقنا وقال لهم يا ويلكم ما العرب الا كمثل الذباب ان صدقت
ولت وان تركت طمعت فلما نظر كعب بن ضمرة الى من قتل تحت رايته
اغتم لذلك غما شديدا فنزل عن فرسه ولبس درعا فوق درعه وشد
وسطه بمنطقته ومسح وجه الفرس ومناخره وكان قد شهد معه
المواطن وجاهد عليه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان قد سماه الهطال فقال له يا هطال هذا يومك المحمود
عاقبته اثبت للقتال في طاعة ربك ثم استوى على ظهره ووقف
امام المسلمين وجعل ينظر الى القتلى ويتفكر في امره والراية
بيده وهو ينتظر من ابي عبيدة جيشا يصل اليه او طليعة
تقدم عليه فلم ير لذلك اثرا وذلك ان ابا عبيدة قطعه عن
السير اليه قدوم اهل حلب عليه وذلك انه لما سار يوقنا الى
حرب المسلمين اجتمعت مشايخ اهل حلب والروسا بعضهم الى بعض
وقالوا يا قوم انكم تعلمون ان هؤلاء العرب قد اطاعهم اهل
دين الصليب ودخلوا في ذمتهم ومنهم من دخل في دينهم

ومن قاتلهم خسر فهل لكم ان تسيروا الى امير العرب ونسأله
في الصلح لنا ونصالحه على مدينتنا وندفع اليه ما احب من اموالنا
فان ظفر المسلمون بالبطريق يوقنا نكون قد امنا لانا سبقنا
الى الصلح وان غلب ورجع سالما لم نعلمه بصلحنا واتفق رأيهم
على ذلك وخرج ثلثون رجلا من روسائهم وسلكوا طريقا غير
طريق يوقنا حتى اشرفوا على ابي عبيدة وهو نازل على قنسرين
في عسكره وقد عزم على الرحيل فنادوا الغوث الغوث وكانت
العرب تعرف ان معناها الامان الامان وكان عمر
رضي الله عنه قد بلغه ذلك فكان يكتب الى عماله بالشام انه
قد بلغني ان الغوث بالرومية الامان فمن سمعتموه يقولها
فلا تعجلوا عليه بالقتل فيطالبكم الله يوم القيامة بذلك
وعمر من ذلك بريء فلما سمع المسلمون ذلك اسرعوا اليهم
واوقفوهم بين يدي ابي عبيدة فقال خالد يوشك ان يكون
هؤلاء قوم يطلبون الصلح لانفسهم وهم من اهل حلب فقال
ابو عبيدة ارجو ان يكون ذلك ان شاء الله تعالى وان صالحوني
صالحتهم وليس عنده علم بما فيه اصحابه وكان قدومهم
عليه ليلا والنيران توقد بين يديه ومنهم رجال يصلون

ورجال يقرؤون القرآن فجعل بعضهم يقول لبعض بهذه الخصال
نصروا علينا فلما سمع الترجمان مقالتهم اخبر ابا عبيدة بذلك
فقال ابو عبيدة انا قوم سبقت لنا العناية من خالقنا وانا
رجال لا نريد بدين الله ورسوله بدلا ولا نجزع من قتل الاعداء
فاخبرهم الترجمان بذلك وقال لهم من انتم فقالوا نحن من سكان
حلب ورؤسايها وتجارها وسوقتها وقد جئناكم لطلب الصلح
فقال لهم ابو عبيدة وكيف نصالحكم وقد بلغني ان بطريقكم قد
صمم على قتالنا وحصن القلعة وجعل فيها ما يقوته سنين واتخذ
الجند واكثر من ذلك وما لكم عندنا صلح فقالوا ايها الامير
ان صاحبنا خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم فقال ابو عبيدة
ومتى خرج قالوا خرج سحيرا وخرجنا نحن من بعده وسلكنا طريقا
غير طريقه وانا نرجو انه هالك لا محالة لانه ركب طالب
للبغي ولم يرض بالصلح وقد اطاع هواه ومن اطاع هواه
وقع في سلك الردا فلما سمع ابو عبيدة بخروج البطريق
خاف على طليعته منه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم هلك كعب ومن معه انا لله وانا اليه راجعون ثم
اطرق الى الارض فقالت المشايخ للترجمان كلمه لنا في الصلح

فكلمه فقال ابو عبيدة لا صلح لهم عندنا قال فخاف الشيوخ
على انفسهم وقالوا انه قد اجتمع الينا من القرى والرساتيق
خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على
عمارتها وعشنا في ظلكم ايام عدلكم وان ابيتم ذلك نفر الناس
عنكم وطلبوا اقصا البلاد وشاع الخبر انكم لا تصالحون فلا
يبقى حولكم احد فاعلمه الترجمان بذلك فجعل ينظر اليهم واذا
قد برز من القوم رجل دحداح حسن الوجه وكان حكيما من
حكماء الروم فصيحا بلسان العرب فقال ايها الامير اسمع ما القيه
اليك من العلم الذي انزله الله تعالى في الصحف على انبيائه
فقال ابو عبيدة قل نسمع فان كان حقا عملنا به وان لم يكن
حقا لم نسمعه فقال ايها الامير ان الله سبحانه وتعالى انزل
على انبيائه انا الرب الرحيم خلقت الرحمة واسكنتها قلوب
المؤمنين من عبادي واني لا ارحم من لا يرحم فمن احسن
احسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه ومن عفى عفوت عنه
ومن طلبني وجدني ومن اغاث ملهوفا امنته يوم القيامة
وزدت له في رزقه وباركت له في عمره وكثرت له اهله
ونصرته على اعدائه ومن شكر المحسن على احسانه فقد شكرني

وَقَدْ أَتَيْنَاكَ مَلْهُوفِينَ خَائِفِينَ فَأَقِلْ عَثْرَتَنَا وَآمِنْ رَوْعَتَنَا وَأَحْسِنْ
إِلَيْنَا فَبَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ قَوْلِهِ وَقَرَأَ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللّٰهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فَبِهَذَا أُرْسِلَ وَاللّٰهِ
نَبِيُّنَا إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى هِدَايَتِهِ لَنَا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
وَهُمْ حَوْلَهُ وَفِيهِمُ الرُّؤَسَاءُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَقَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ
أَهْلُ سُوقَةٍ وَضِيَاعٍ وَهُمْ مُسْتَضْعَفُونَ وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ نُحْسِنَ إِلَيْهِمْ
وَنُصَالِحَهُمْ وَنُطَيِّبَ قُلُوبَهُمْ فَإِنَّهُ مَتَى كَانَتِ الْمَدِينَةُ فِي أَيْدِينَا
وَالسُّوقَةُ مَعَنَا فَإِنَّهُمْ يُعِينُونَا بِالْمِيرَةِ وَالْعُلُوفَةِ وَيُعْلِمُونَا بِمَا
يَقْدَمُ عَلَيْهِ عَدُوُّنَا وَيَكُونُوا عَيْنًا لَنَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
أَصْلَحَ اللّٰهُ الْأَمِيرَ إِنَّ مَدِينَةَ الْقَوْمِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْقَلْعَةِ وَلَا نَأْمَنُ
أَنْ يَدُلُّوا الْعَدُوَّ عَلَى عَوْرَاتِنَا وَيُنْبِئُوهُمْ بِأَحْوَالِنَا وَمَا أَتَى
الْقَوْمُ إِلَّا لِيَخْدَعُونَا وَهُمْ عُيُونٌ عَلَيْنَا أَمَا تَرَى بِطْرِيقَهُمْ خَرَجَ
يَبْغِي قِتَالَنَا وَحَرْبَنَا فَكَيْفَ يَطْلُبُ هَؤُلَاءِ الصُّلْحَ مِنَّا وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ
مَكَرُوا بِكَعْبِ بْنِ ضَمْرَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ
أَحْسِنْ ظَنَّكَ بِاللّٰهِ وَثِقْ بِهِ فَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى لَمْ يَخْذُلْنَا وَلَمْ يُسَلِّطْ
عَلَيْنَا عَدُوَّنَا فَرَحِمَ اللّٰهُ مَنْ قَالَ خَيْرًا أَوْ صَمَتَ وَأَنَا أَشْتَرِطُ عَلَيْهِمُ
النَّصِيحَةَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي صُلْحِهِمْ لَنَا ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى الْقَوْمِ

وَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْذُلُوا فِي صُلْحِكُمْ لَنَا مَا بَذَلَهُ أَهْلُ قِنَّسْرِينَ فَقَالُوا
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ أَهْلَ قِنَّسْرِينَ أَقْدَمُ مِنْ مَدِينَتِنَا وَأَكْثَرُ جَمْعًا
وَمَدِينَتُنَا قَلِيلَةُ النَّاسِ لِجَوْرِ صَاحِبِنَا عَلَيْنَا لِأَنَّهُ أَخَذَ أَمْوَالَنَا وَغِلَالَنَا
وَصَعِدَ بِالْجَمِيعِ إِلَى الْقَلْعَةِ وَمَا بَقِيَ عِنْدَنَا إِلَّا الضُّعَفَاءُ وَمَنْ لَا مَالَ
لَهُ وَإِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَرَفَّقَ بِنَا وَتَعْدِلَ فِينَا وَتُحْسِنَ إِلَيْنَا فَقَالَ أَبُو
عُبَيْدَةَ فَمَا الَّذِي تُرِيدُونَهُ فِي إِبْدَالِ صُلْحِكُمْ قَالُوا نُعْطِي نِصْفَ
مَا أَعْطَى أَهْلُ قِنَّسْرِينَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَدْ قَبِلْتُ مِنْكُمْ ذَلِكَ
عَلَى أَنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَتِكُمْ تُعِينُونَا بِالْمِيرَةِ وَتَبِيعُونَ وَتَشْتَرُونَ
فِي عَسْكَرِنَا وَلَا تَكْتُمُونَا خَبَرًا تَعْلَمُوهُ مِنْ أَعْدَائِنَا وَلَا تَدَعُونَ
جَاسُوسًا يَتَجَسَّسُ عَلَيْنَا وَإِنْ رَجَعَ بِطْرِيقُكُمْ مُنْهَزِمًا تَمْنَعُوهُ أَنْ
يَصْعَدَ إِلَى الْقَلْعَةِ فَقَالُوا أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَمَّا مَنْعُ الْبِطْرِيقِ عَنِ
الْقَلْعَةِ فَمَا لَنَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ وَلَا لَنَا بِهِ طَاقَةٌ وَلَا نَقُولُ مَا لَا نَفْعَلُ
لِأَنَّ أَعْوَانَهُ وَجُنْدَهُ صَعْبِينَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ تَفْعَلُوا جُهْدَكُمْ
وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ أَنَّهُمْ يُوفُوا بِكُلِّ شَرْطٍ شَرَطَهُ
عَلَيْهِمْ فَحَلَفُوا بِالْأَيْمَانِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا عَنْهُمْ وَعَنْ أَبْنَائِهِمْ
وَنِسَائِهِمْ وَعَبِيدِهِمْ وَسَائِرِ أَهَالِيهِمْ فَلَمَّا تَمَّ الْحَلِفُ قَالَ لَهُمْ
أَبُو عُبَيْدَةَ قَدْ قَبِلْنَا أَيْمَانَكُمْ فَمَتَى رَأَيْنَا أَحَدًا مِنْكُمْ قَدْ

أخلف أو علم من أمر البطريق شيئا ولم يخبرنا به فقد وجب لنا عليه القتل وأخذ ماله وولده حلالا لا يطالبنا الله تعالى بذمته ومتى نقضتم ما شرطناه عليكم فلا عهد لكم ولا ذمة ولنا عليكم الجزية من العام المقبل قال سعد بن عامر التنوخي فرضي أهل حلب بذلك وكتب أسماءهم وعزموا على الانصراف إلى بلدهم فقال لهم أبو عبيدة على رسلكم حتى أبعث معكم من يشيعكم إلى مأمنكم فقد وجب علينا حفظكم إلى أن تعودوا سالمين إلى بلدكم فقال له الدحداح أيها الأمير إنا نرجع من الطريق التي أتينا منها وما نريد أحدا معنا فتركهم أبو عبيدة وبات ليلته قلقا على كعب بن أبي ضمرة ومن معه من المسلمين قال الواقدي رحمه الله ورجع القوم من ليلتهم إلى المدينة وطلع عليهم الفجر ولم يصلوا وساروا إلى أن أشرفوا إلى حلب فنظر إليهم بعض أعلاج البطريق يوقنا وهم راجعون فأقبل عليهم وسألهم من أين أقبلوا وما صنعوا فظنوا أنه من أهل حلب فأخبروه بصلحهم مع أبي عبيدة فتركهم ومضى فأقبل عليهم أهل حلب وسألوهم فأخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك قال ووصل ذلك العلج إلى يوقنا وهو منازل أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد أحاط بهم وهو يظن أنه ملكهم وإذا بالعلج أقبل عليه وقال له أيها البطريق إنك غافل عما نزل بك ودهمك فقال له يوقنا وما ذاك يا ويلك قال إن أهل بلدك قد صالحوا العرب وكاتبهم وقد ملكوا القلعة وأخذوا الأموال وقتلوا النسوان قال فلما سمع يوقنا كلام العلج خشي على القلعة أن يملكوها في غيبته فانفسخ ما كان يؤمله من الظفر بكعب بن ضمرة ومن معه وقد قتل من المسلمين ما يزيد على مائتين وكعب قد علم أنه هالك هو ومن معه وكان في ذلك اليوم يمنع عنهم بنفسه ويقيهم بمهجته وهو متوقع الفرج من الله تعالى ولم يزل الحرب يوما وليلة فأقسم بالله إن كان أحد منا صلى أو وصل إلى زاد يأكله ولا ماء يشربه وأنا بين اليأس والرجاء أرتقب طريق قنسرين أن تطلع راية الإسلام منها ولا أرى لها أثرا إذ رأيت إلى جيش العدو وقد اضطرب من جوانبه وعلت ضجة عظيمة فقلت ما هذا إلا مدد قد لحقه من بلده أو من الملك فالتجأت إلى كلمة الشدا يد لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال كعب بن ضمرة الضمري فو عيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت هذه

الكلمة حتى رأيت جيش العدو قد انكشف عنا ورجع على عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين وما أظن إلا صائحا صاح بهم من السماء فبددهم أجمعين أو ملائكة نزلت عليهم كيوم بدر فلم أر لهم أثرا قال كعب بن ضمرة فهممت أن أتبعهم فصاح المسلمون إلى أين يا كعب ارجع إلينا أما كفاك ما نحن فيه ارجع لنؤدي الفرض ونريح خيولنا فما رد الله تعالى عنا هؤلاء القوم إلا بمشيئته وقدرته قال فنزل كعب بن ضمرة في مكانه وشربوا الماء وأسبغوا الوضوء وصلوا ما فاتهم وأكلوا أزوادهم واستعملوا الراحة

قال الواقدي رحمه الله وأبطأ خبر كعب بن ضمرة على أبي عبيدة فلما صلى صلاة الصبح التفت إلى المسلمين وخاطب من بينهم خالدا وقال يا أبا سليمان اعلم أن أخاك أبا عبيدة ما رقد البارحة من الغم ويجب علينا الشكر بما فتح الله علينا وإن النفس تحدثني أن كعب بن ضمرة ومن معه من المسلمين قد ذهبوا وقتلوا فإن الذين صالحنا هم أخبروا أن يوقنا قد سار إليهم ولم أر لهم خبرا ولا أثرا فقال له خالد وأنا والله مثلك وما نمت من الغم عليهم فماذا عزمت عليه قال على الرحيل ثم أمر المسلمين بالأهبة وساروا يريدون حلب

وعلى المقدمة خالد بن الوليد وعلى الساقة أبو عبيدة فما كان غير بعيد إذ أقبل خالد بن الوليد على المسلمين وهم نيام وقد أقاموا لهم حرسا وصاح بهم يا أنصار الدين النفير النفير فقاموا من مضاجعهم كأنهم أسود ثائرة وركبوا خيولهم واستقبلوا صاحب الراية خالد بن الوليد وإذا بكعب بن ضمرة لاقاهم ففرح به المسلمون وسلموا عليه وأقبل عليه أبو عبيدة وحمد الله على سلامته ونظروا إلى موضع المعركة والقتال وإذا القتلى مطرحين وما كان أحد واراهم فلما نظر أبو عبيدة إلى ذلك عاد فرحه ترحا فاسترجع وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال لكعب بن ضمرة يا كعب كيف قتل هؤلاء ومن لقيك فأخبره بقتال يوقنا وأنهم أشرفوا جميعهم على الهلاك حتى لم يبق فيهم حراك فهم كذلك وإذا بعياط قام بينهم وانقلبوا عنا راجعين بغير قتال فقال أبو عبيدة سبحان مسبب الأسباب ليت أبو عبيدة قتل أمامكم ولم تقتلوا تحت رايته ثم أمر المسلمين أن يحفروا لهم حفايرا ثم جمعهم وصلى عليهم وأمر بدفنهم في أسلابهم ودمائهم ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول يحشر الله الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يوم القيامة
ودماؤهم على نحورهم اللون لون دم والريح ريح مسك والنور
عليهم يتلألأ فيدخلهم الجنة بغير حساب فلما دفنوهم قال
أبو عبيدة لخالد بن الوليد إن كان عدو الله قد رجع الى بلده
وقد علم بصلح القوم لنا فسيلقون منه تعباً شديداً فالحق بهم
فقد وجب علينا أن نذب عنهم لأنهم تحت ذمتنا قال فارتحل
أبو عبيدة من ساعته يريد حلب فلما وصل اليها إذا البطريق
وجنوده قد أحدقوا بأهلها وهو يريد قتلهم ويقول يا ويلكم
صالحتم العرب على أنفسكم يا ويلكم إن المسيح لا يرضى بفعلكم
وحق المسيح لأقتلنكم عن آخركم أو تخرجون معي الى قتال
العرب وتنقضون ما بينكم وبينهم من العهد والميثاق
قال فأنكروا ولم يطاوعوه على ذلك فقال لعبيده ائتوني
بهم لأقتلهم فقد أخبرني فلان البطريق أنه لقيهم وأخبرني
بهم فهجم العبيد عليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وأبواب
منازلهم وسمع أخوه يوحنا الضجة وهو في القلعة فنزل
اليه وقد قتل منهم ثلاثمائة رجل فصاح به على رسلك لا
تفعل فإن المسيح يغضب عليك وقد نهى المسيح عن قتل العدو

فكيف بمن هو على دينك فقال يوقنا لأخيه إنهم صالحوا العرب
على البلد وصاروا لهم أعواناً فقال يوحنا وما عليهم في ذلك
وإنما أرادوا لهم الصلاح لأنهم ليسوا أهل حرب ولا قتال
فقال يوقنا وحق الصليب لا أبقيت منهم أحداً وأنت الذي
حملتهم على الصلح وأول من أبطش به أنت ثم عمد الى أخيه وقبض
عليه وجرد سيفه ليعلوه به فلما نظر يوحنا الى أخيه وقد
جرد سيفه عليه علم أنه هالك لا محالة رفع رأسه الى السماء
وقال اللهم اشهد علي إني مسلم إليك مخالف لدين هؤلاء القوم
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأن
المسيح نبي الله ثم قال لأخيه اصنع الآن ما أنت صانع فإن
قتلتني سرت الى جنات النعيم قال فورد على البطريق يوقنا
من إسلام أخيه أمر عظيم ومن أهل بلده ومن فزعه من المسلمين
فحمله الغيظ أن رمى برأس أخيه رحمه الله تعالى وانتدب
الى قتال أهل البلد وهم يستغيثون اليه فلا يغيثهم ويسألونه
فلا يجيبهم ولا يفك عنهم فكثر الضجيج وقد أخذوا البلد
من جنباته وقد أيس أهل حلب من نفوسهم وإذا بالفرج قد
أتاهم والمعونة أدركتهم وأشرفت عليهم رايات الإسلام

ومن حولها أبطال المؤمنين معلنين بكلمة التوحيد يقدمهم خالد
ابن الوليد والى جانبه أبو عبيدة فلما سمع خالد الضجيج والبكا
قال لأبي عبيدة ذهب والله أهل صلحك وذمامك كما ذكرت
ثم زعق على جواده وحمل الراية بيده وزعق بالقوم في حملته
وقال كفوا يا معاشر الأعلاج عن أهل صلحنا ثم طعن فيهم وحمل
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا السيف في الأعلاج
فلما نظر يوقنا الى ذلك انهزم الى القلعة مع البطارقة قال
محصن بن عميرة العدوي فرج الله عن قلب أبي عبيدة كما
فرج عن قلوبنا بقتل الأعلاج في يوم حلب فمن لجأ الى القلعة سلم
ومن طلب البر قتل قال محصن كان جملة من قتل يوقنا من
أهل صلحنا ثلاثمائة رجل وقتلنا نحن من أصحابه ثلاثة آلاف
وكانت وقعة عجيبة فرح بها المسلمون فلما قتل من قتل
وفرج الله تعالى عن أهل حلب ما يجدون من الخوف وأخبروا
أبا عبيدة كيف قتل يوقنا أخيه وبقصتهم كلها قال
الواقدي رحمه الله فلما سلم يوقنا من سيوف
المسلمين ودخل القلعة استعد للحصار ونصب المنجنيقات
والعرادات ونشر السلاح على الأسوار ووضع آلة الحصار

وأما أهل حلب فإنهم أخرجوا لأبي عبيدة أربعين أسيرا من
البطارقة فقال أبو عبيدة للترجمان قل لهم لأي شيء أسرتموهم
فقالوا لأنهم من أصحاب يوقنا هربوا إلينا ولم نر بإخفائهم
عنكم لأنهم ليسوا معنا في الصلح قال فعرض عليهم الإسلام
فأسلم منهم سبعة وأما الباقون فأبوا فضرب رقابهم وقال
لهم أبو عبيدة لقد نصحتم في صلحكم وسترون ما يسركم وصار
لكم ما لنا وعليكم ما علينا وهذا بطريقكم قد تحصن في هذه
القلعة أفتعرفون لها عورة تدلونا عليها حتى نقاتلهم منها
فإن فتحها الله علينا جعلنا لكم غنيمة معنا مما نغنم من قومكم
جزاء لفعلكم الجميل معنا فقالوا أيها الأمير والله ما نعرف لها
عورة وإن يوقنا سد طرقاتها وقطع مسالكها وعم محاجها
وهذا ما نعلمه فعندها وثب الى أبي عبيدة رجل من المسلمين وقال
أصلح الله الأمير انظر الى هؤلاء القوم فإن كانوا صاروا
من حزبنا ينصحونا ويدلونا على عورات قومهم فقالوا لا علم
لنا بشيء من ذلك فعندها أقبل أبو عبيدة على خالد والمسلمين
وقال أشيروا علي رحمكم الله فأقبل عليه ذلك الرجل وكان
اسمه يونس بن عمر الغساني وكان بصيرا بالشام ومدنه

وقد رعى في جميع أرضه وكان لا تخفى عليه المسالك من سهله وجبله
فقال أصلح الله الأمير أتكلم بما أعرفه من البلاد وما عندي من الرأي
فقال له أبو عبيدة تكلم يا عمر وانصح المسلمين فقال أصلح الله تعالى
الأمير إن الله قد فتح على يديك الشام وقد قتلت طاغية الكفر
وحاميته وإن بقايا عساكرهم من وراء الدروب وفي الدروب
جبال ومضايق وأوعار والقوم قد رعبوا بما قد أباد الله عز
وجل منهم وليس لهم قلوب يقاتلون بها المسلمين فحاصر هذه
القلعة وشن الغارات فما لهم زاد يقوم بهم فتبسم خالد
من كلام الغساني وقال هذا والله هو الرأي وأنا أشير
عليك بمشورة أخرى أن تزحف نحو القلعة فلعل الله يفتحها
في وقتنا هذا فإني أخشى إن طال بنا المقام عليها أن تعطف
علينا جيوش الروم مرة أخرى فيحولون بيننا وبينها قال
أبو عبيدة يا أبا سليمان لقد أشرت فأحسنت وقلت فصدقت
ثم أمر أبو عبيدة رضي الله عنه بالزحف إلى القلعة فترجلت
الفرسان عن خيولها وتجردت واختلط العبيد والسادات
واقترحت القبايل وانتسبت العشاير وتجاوبوا بالأشعار
وتداعوا بالأنساب قال مسروق بن مالك البلوي والله

ما رأيت في قتال الشام أعظم من ذلك اليوم ولقد كنا نشبه
دوران الحرب بدوران الرحى تهشم ما دارت عليه ولقد
برزنا إليهم في أول الحرب وقد تبادرت أبطال اليمن وسادات
ربيعة ونظر بعضهم إلى بعض وجعلوا يطلبون القلعة من طريق
حيث لا طريق لها فإذا علوا نحوها أخذتهم الحجارة من كل
جانب ورموا بالمناجنيق والعرادات وكنت أنا وأصحابي أقرب
الناس إلى الأرض فأسرعنا راجعين على أعقابنا ندفع بعضنا بعضا
لا نظن أن ينجو منا أحد ووقعت الخذلة في المسلمين وشدخت
الحجارة خلق كثير فقتلت بعضا وبعضا أدمته وقتل ذلك
اليوم عامر بن الأصلع ومروان بن عبيد الربعي ومالك بن
خزعل الربعي وحسان بن حنظلة الربعي وسليمان بن بادع
العامري وعطاف بن سالم الكلابي وسراقة بن مسلم بن
عوف العدوي وعاصم بن قادع العدوي ومرة بن سنين
العدوي ويزيد بن سيف العدوي وسوار بن مالك العدوي
فكان جملة من قتل أربعة من بني ربيعة ورجل من آل عامر
ورجل من بني كلاب وسبعة من بني عدي قال مسروق بن
مالك والله لقد كنا نرى نجد ذلك بسنين خلق كثير هذا

اعرج وهذا اشل قال فعندها نصب ابو عبيدة راية خارج
المدينة ونادى للمسلمين فاجتمعوا حوله فقال لهم يا ايها الناس
انكم قاتلتموهم اليوم على غرة فادفنوا الشهدا وشدوا كل
من اصابه جرح فابتدر المسلمون لدفن الشهدا وفرحت الروم
بهزيمة المسلمين ومانزل بهم فقال لهم يوقنا ان العرب لا تدنوا
من القلعة بعد هذا اليوم ابدا وحق المسيح لاكيدهم واهبط
الى عسكرهم **قال الواقدي** رحمه الله حدثني
عبيد الله بن سليمان الدينوري وكان ينقل اخبار الشام
وفتوحه من ثقات المسلمين فحدث ان يوقنا انتخب من خيار
قومه الفي فارس وامرهم بالنزول ليلا فنزلوا من القلعة
فراى المقدم عليهم نيران المسلمين تتاجج في جوانب العسكر
فجعل يدور حولهم الى ان راي النار خمدت في طرف العسكر
وكان القوم بادية من اليمن مثل مراد وبنو كعب وعك قال
عبد الله بن صفوان العكي كانت تلك الليلة غارين من عدونا امنين
لكثرتنا فلم نشعر الا والروم قد هجموا علينا وهم يصيحون
بلغتهم وكثر الرهج بينهم ووضعوا السيف فينا وكان النجيب
منا من استوى على متن فرسه وطلب النجاة وهو لايدري من اين

ادهى ولا كيف يتخلص وقد وقعت الحملة في عسكر المسلمين والقوم
ينادون النفير النفير دهينا ورب الكعبة واسرعوا الى خيمة
ابي عبيدة وهم ينادون ايها الامير كبسنا يوقنا بعسكره
واصحابه فعندها ركب ابو عبيدة في الرجال وداروا حول
العسكر ففطن صاحب الروم ان العرب لحقته فصاح باصحابه من
اخذ شيا فليتركه وليطلب النجاة لنفسه قال عبد الله بن صفوان ن
فاخذوا من رجالنا خلقا كثيرا نحو من خمسين رجلا سوى من قتل
في المعمعة واكثرهم من حمير واقبل الروم يحمي بعضهم بعضا
يطلبون القلعة فلما نظر خالد الى ذلك حمل في فئة ووضع السيف
في الروم فقتل منهم نحو من مائة رجل فلما وصل اصحاب يوقنا
الى القلعة فتح لهم ودخلوا فلما اضا الفجر وطلعت الشمس طلب
يوقنا الخمسين رجلا فاوقفهم في موضع بحيث ان المسلمين
ينظروهم ويسمعوا كلامهم وهم يقولون لا اله الا الله
محمد رسول الله وقتلهم عن اخرهم فلما نظر ابو عبيدة الى
ذلك امر مناديه فنادى في عسكره عزيمة من الله ورسوله
ومن الامير ابي عبيدة على رجل امر غيره ان يحرسه وليكن
كل منكم حارس لنفسه ولايتكل بعضكم على بعض فاخذ القوم

اهبتهم وحذرهم واقبل يوقنا يدبر في مكيدة اخرى ليكيد
بها المسلمين اذا حاصروه ومع ذلك فان جواسيسه تاتيه
بالاخبار في الليل والنهار وكان من اعظم جواسيسه متنصرة
العرب غير انهم يحسنون لسان الرومية فبينما يوقنا ذات يوم
في قلعته وحوله البطارقة والعمالقة وقد اضر بهم الحصار
واشتد ما عليه ان اهل المدينة لا ينظرون الى رجل من اصحابه
يعرفونه الا اخذوه وسلموه الى المسلمين فهو كذلك يشاور
اصحابه في امره وكيف الحيلة الى مكيدة يكيد بها المسلمين
اذ اقبل اليه جاسوس من عيونه فقال له ايها البطريق العظيم
ان اردت ان تكيد القوم فهذا يومك ووقتك فقال يوقنا
وكيف ذلك وما عندك من الخبر فقال له ان جماعة منهم
خرجوا الى وادي قطنان وقد صالحوا اهله وعلوفة العرب
وميرتهم منه وقد رايت لهم جمالا وبغالا ومعها طايفة منهم
وعليهم الفرا الخلقة وبايديهم الرماح المشعبة وهم قاصدون
الوادي في طلب العلوفة وهم قوم قليلون وليس هم في كثرة
قال فلما سمع يوقنا ذلك من كلام جاسوسه اختار الف
رجل من اصحابه من سادات قومه وقال لهم اصلحوا شانكم

فو حق المسيح لاضيقن على العرب مسالكهم فلما اقبل الليل واظلم
الافق فتح لهم باب السر وسار الجاسوس امامهم حتى سلكوا الطريق
وساروا في جنح الليل فبينما هم سايرون واذا براع معه سرح
من البقر يريد بها بلده وهو سايرا سيرا عنيفا فاسرعوا نحوه
وقالوا له هل رايت احدا من العرب قال نعم قد مضوا والشمس
قد اصفرت وهم نحو من ماية رجل على خيول مسرعة ومعهم
جمال وبغال يحملون بها الميرة من هذا الوادي فقالوا له فكيف
سلمت ببقرك منهم فقال ان اهل هذا الوادي في صلحهم
ولسنا نخاف منهم فقال له المقدم على الالف لقد حدثتنا
بصلح اهل هذا الوادي ما لم يكن عندنا منه خبر فبحق المسيح
اخبرني عن اي طريق ذهبت العرب قال من هاهنا واومى
بيده الى الشرق فسار البطريق ومن معه ولم يتعرضوا
لصاحب البقر فلما قرب الصبح اشرفوا على خيل المسلمين وكان
عليها امير يقال له مناوش بن الضحاك الطايي فلما نظر مناوش
الى خيل الروم اقبل على المسلمين وقال لهم يا بنى العرب ثبات
هذا بطريق من بطارقة الروم قد اقبل الينا فدونكم والجهاد
والصبر على الشدة لتنالوا الجنة ثم حملوا على بعضهم بعضا

واقتتلوا قتالا شديدا وقتل مناوش ابن الضحاك وفضيلان بن
مساور والعريف بن ثابت ومنيع ابن عاصم وكهلان بن مرة
ومطر بن حمير وسنان بن عوف وبشر بن سراقة وشيبة بن
الاضلع ومنهال بن بشكر ولجام بن عقيل ومسيب بن نافع وحنظلة
ابن ماجد ومناوش بن سليط وربيعة بن فارع ومرة بن ماهر
ونوفل بن عدي وعطا بن يسار وعقال بن جماهر وسليم
ابن خفاف وفضيل بن ثابت الاقرع بن بارع ومعيط بن
عامر والكل من طي وكان جملة من قتل من المائة ثلاثون
رجلا وملكت الروم ما كان معهم من الدواب والابل
ورجع المسلمون منهزمون فعندها اقبل البطريق على اصحابه
وقال ارموا الاحمال عن هؤلاء الطوال الاعناق يعني الجمال
واعقروها بالاسنة وخذوا هذه الدواب بما عليها تكون
لكم ميرة واطلبوا الجبل واختفوا عن اعين العرب فكاني
بهم الساعة وقد اقبلوا على خيولهم كالرياح فتدهمكم
حتى اذا جن الليل طلبنا القلعة واعتصمنا بها قال فعندها
عمدت الروم الى الابل فالقوا ما على ظهورها ونحروها بالاسنة
وعطفوا بالدواب وهي محملة نحو الجبل الى قرية فيه فاقاموا

بقية نهارهم فيه يطلبون الليل ليرجعوا الى القلعة وجعلوا
لهم ديدبانا يحرسهم من العرب قال عون بن صباح الطائي
كنت في الخيل يومئذ لما قتل عمي مناوش ونحن في قلة وقد
دهمتنا خيل الروم فلما نظرنا الى كثرتهم وشدة باسهم مع
قلة عددنا اخترنا انفسنا ورجعنا من ورائنا الى ان اشرفنا
على المسلمين والخيل تتقاطر في اثرنا فبادرالينا ابو عبيدة
وقال ما وراكم قلنا ورانا الحرب والقتل قد قتل مناوش
وقتل معه خلق كثير من فرسان طي وزبيد واخذ ما كان
معنا من الزاد والدواب فقال ابو عبيدة وما الذي دهاكم
والروم محاصرون وما يجسر احد منهم ان يخرج فقالوا لا
علم لنا غير انا راينا بطريقا عظيما قد اشرف علينا في عدة
حسنة وخيول كثيرة مستعدين للقتال لا نعلم عدتهم ولا
نعلم من اين مددهم فحملوا علينا ونحن سايرون فاصيب
اميرنا وقتلت رجالنا واخذ ما كان معنا من الدواب
والزاد فلما سمع ابو عبيدة ذلك دعا بخالد اليه وقال يا ابا سليمان
انت لها والمعد لمثلها واني واثق بالله وبك مع انني استخير
الله في جميع الامور فخذ معك من المسلمين ما تختار وسر حتى

تشرف على موضع الوقعة واقف آثار القوم الذين قتلوا رجالنا
واطلبهم حيث كانوا فلعلك أن تقع بهم وتأخذ بثار المسلمين
واعلم أننا قد صالحنا أهل الوادي ونحن لا ننقض عهدا ولا
نحل عقدا إلا أن يكون القوم قد مكروا بنا فنجد إلى قتالهم
سبيلا سر رحمك الله قال فأسرع خالد إلى خيمته ولبس سلاحه
وركب جواده وهم بالمسير وحده فقال له أبو عبيدة إلى أين
يا أبا سليمان قال إلى ما أمرتني به قال خذ معك من المسلمين ما
أردت كيف تمضي وحدك وعدوك في كثير من العدد قال
وكم يكون العدد ولو كانوا ألفا أنا لهم بمعونة الله تعالى
قال أبو عبيدة إنهم كذلك ولكن خذ معك رجالا فأخذ
رجالا من طي فيهم ضرار بن الأزور وربيعة بن عامر وسار
بمن معه إلى موضع المعركة فوجدوا القتلى مطروحين
وأهل الوادي يبكون خوفا على أنفسهم وذراريهم أن
العرب يطالبونهم بهم فلما طلع عليهم خالد تصارخ
القوم في وجهه وألقوا أنفسهم بين يديه فقال خالد لترجمانه
الذي كان معه ما يقولون هؤلاء القوم قال يقولون
إنهم برآء من دماء أصحابك فاستحلفهم خالد أنهم لا يعلمون

من قتالهم فحلفوا له أنهم لا يعلمون ذلك غير أن يوقنا له عيون
تأتيه بالأخبار فأرسل بطريقا معه ألف فارس ففعلوا ما رأيت
قال ففي أي طريق سلكوا فقالوا هذا الطريق العالي وقصدوا
نحو الجبل فقال خالد لأصحابه لا شك أن القوم قد علموا أنه لا
بد لنا من طلبهم فطلبوا الجبل فإذا جاء الليل رجعوا إلى القلعة
ثم إن خالدا أخذ معه رجلا من المعاهدين يدله على الطريق
ويقفوا آثارهم إلى أن وقف المعاهدي في مكان وقال لخالد
اعلم أيها الأمير أنه ليس لهم طريق إلى القلعة غير هذا فاكمن
لهم فإنك تظفر بهم إن شاء الله تعالى فنزل خالد ومن معه
وجعلوا يرقبون الطريق إلى أن مضى من الليل جانب وإذا بهم
قد سمعوا وقع حوافر الخيل في الظلام والبطريق أمامهم
والخيل من ورائه وهو يزجرهم ويستحثهم في المشي فعندها
صاح خالد من مكمنه صيحة شديدة كأنه الأسد وخرج
عليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان
لخالد طلب غير بطريقهم المقدم فظن أنه يوقنا فاستقبله
بضربة رماه بها بنصفين ووضع المسلمون السيف فيهم وجعلوا
يطلبونهم وهم في الهرب فلم ينج منهم أحد وحازوا

الاسري وردوا بهم ورجعوا الى ابى عبيدة فوجدوه منتظر
قدوم المسلمين فلما اشرف خالد ومعه الاسري والسلب
الكثير واصحابه يهللون ويكبرون فاجابهم ابو عبيدة
واصحابه بالتهليل والتكبير فاعرض خالد ثلثماية اسير على ابى
عبيدة وسبع مائة راس اودونها فاعرض على الاسارى
الاسلام فابوا وقالوا نحن نعطيك الفدا فقال خالد الصواب
عندى ضرب اعناقهم بمشهد من اهل القلعة لنوهن بذلك
عدو الله وعدو المسلمين فلما سمع ابو عبيدة ذلك امر
بضرب رقابهم فضربت ويوقنا واصحابه ينظرون اليهم
ثم قال خالد لابى عبيدة اعلم اننا نظن انا نحاصرون
القوم واذا الامر بخلاف ذلك لانهم يرتقبون غفلتنا
ويأخذون غرتنا وجما لنا وردوا بنا والصواب ان تامر
رجالك بالاهبة والتيقظ وتجعل عليهم الحرس في كل طريق
ولا تمكنهم ان يخرجوا من قلعتهم وضيق عليهم ما استطعت
فقال ابو عبيدة جزاك الله خيرا يا ابا سليمان عن مشورتك
فلما كان من الغد صلى ابو عبيدة بالمسلمين صلاة الصبح
والتفت الى اصحابه ودعا بعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق

رضى الله عنه وضرار بن الازور وسعيد بن عمرو بن نفيل العدوى
وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق ففرقهم حول القلعة
وامرهم بحفظ الطرق والمسالك على يوقنا حتى لو طار طاير
اليها اقتنصوه فطال بالقوم المقام على الحصار وضجر ابو عبيدة
لطول مقامه ثم امر الناس بالرحيل عن القلعة وعزم ان
يتباعد عنها لينتهز فرصة او وثبة يصل اليها قال فبعد
عن المدينة اميا لا يرجوا بذلك حيلة يصل بها الى اللعين
هذا ويوقنا لا ينزل من القلعة ولا يفتح بابها فانكر الامير
ابو عبيدة عليه غاية الانكار وقال لخالد يا ابا سليمان
اظن ان جواسيس عدو الله تنقل اليه اخبارنا وتخوفه منا
واني اقسم عليك يا ابا سليمان الا جلت في عسكرنا جولة
واختبرت امر الناس فلعلك ان تقع بجواسيس عدونا قال
فركب خالد وامر الناس ان يدوروا معه ويقبضوا على كل
من ينكرونه فبينما خالد في طوافه اذ نظر الى رجل من
العرب جالس وبين يديه عباة يقلبها فلاحظه خالد
واسترابه وانكره ثم اقبل اليه وسلم عليه وقال من اي الناس
انت يا اخا العرب فقال انا رجل من اليمن قال من ايها فاراد

ان ينتمي الى غير قبيلته تجري لسانه على الحق فقال انا من غسان فلما
سمع خالد كلامه قبض عليه وقال يا عدو الله انت من متنصرة العرب
وانت عين عدونا قال ما انا متنصر وانما انا مسلم فاقبل به خالد
الى ابي عبيدة وقال ايها الامير قد رابني امر هذا لاني ما رايته
قط الا يومي هذا وقد ذكر انه من غسان ولا شك انه من عباد
الصليب قال اختبره يا ابا سليمان قال كيف اختبره قال بالقران
والصلاة فان اجابك والا فهو من المتنصرة فقال له خالد
يا اخا العرب قم فصل ركعتين واجهر فيهما بالقراءة فلم يدر ما
قال خالد فقال له انت والله عين علينا ثم استخبر عن شانه فاقر
انه عين عليهم قال خالد انت وحدك قال لا نحن ثلاثة انا
احدهم والاثنان عاد الى القلعة ليخبروا بوقنا بخبركم وتخلفت
انا انظر ما يكون من امركم فقال له ابو عبيدة اخبرني ايما احب
اليك القتل او الاسلام فقال الغساني الاسلام انا اشهد ان لا
اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم رجع ابو عبيدة الى
حلب وحاصرها اربعة اشهر وقيل خمسة اشهر ما من يوم الا
ويلقون فيه حربا وينظرون شدة وابطا كتاب ابي عبيدة عن
امير المؤمنين عمر بن الخطاب فكتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله ابي
عبيدة سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اعلم يا ابا عبيدة ان ابطا كتابك
وانقطاع خبرك اكثر قلقي واضنى جسدي على اخواني المسلمين
وما يمضي ليل ولا نهار الا وقلبي عندك ومعك واذا لم ياتت
منك خبر ولا رسول فان قلبي طاير وفكري حاير وكانك يا امين
الامة لا تكتب لي الا بالفتح والغنيمة واعلم يا ابا عبيدة اني وان
كنت نائيا عنكم فاني داع لكم قلق عليكم كقلق المراة الحنينة
على ولدها فاذا قرات كتابي فكن للاسلام والمسلمين عضدا
والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته
وبعث الكتاب الى ابي عبيدة فلما ورد عليه وقراه قال معاشر
المسلمين اذا كان امير المؤمنين داع لكم وراض عنكم
ففي ها لكم فان الله تعالى ينصركم على عدوكم ثم كتب جواب
الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله امير المؤمنين عمر
ابن الخطاب من عامله بالشام ابي عبيدة سلام عليك فاني
احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم اعلم يا امير المؤمنين ان الله تعالى وله الحمد قد فتح على

أيدينا قنسرين وقد شننا الغارة على العواصم وقد صالحنا أهل
حلب وقد عصى يوقنا ومن معه في القلعة وكادنا مرارا وقتل
منا رجالا رزقهم الله تعالى الشهادة ثم ذكر من قتل والله من
ورائه بالمرصاد وقد عزمت على الرحيل عن محاصرته إلى البلاد
التي بين انطاكية وحلب وأنا منتظر جوابك والسلام عليك
وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب
وختمه وبعثه مع رجلين أحدهما عبد الله بن قرط اليماني والآخر
جعيدة بن جبران اليشكري فسارا سيرا حثيثا أياما ولياليا
وأخذا على طريق هيت العتيقة وجدا في السير حتى قطعا أرض
حمان والصكاصكة وهي حصون العرب بالقرب من تيما فلما
وصلا إليها عارضهما فارس على فرس وعليه درع سابغ وبيضة
عادية تلمع في شعاع الشمس معتقل برمحه كأنه قد برز
لقتال عدوه فلما نظر إليهما قصدهما قال عبد الله بن قرط
لجعدة بن جبران أما ترى هذا الفارس قد عارضنا في مثل
هذا المكان على هذه الحالة وما عسى أن تخوف فرسان
العرب رجالها وليس في هذا البلد أحد ممن رفع عمدا أو
وتدا إلا وهو معنا في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فلما

قرب الفارس منهما سلم عليهما وقال من أنتما وإلى أين قصدكما فقالا له
أما نحن فرسولان من الأمير أبي عبيدة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
فمن أنت أيها الفارس قال أنا هلال بن بدر الطائي فقالا ما لنا
نرى عليك لامة الحرب قال إني خرجت من بين قومي وأصحابي
أريد الشام للجهاد لكتاب ورد علينا من عمر بن الخطاب فلما
رأيتكما من بطن البرية قصدتكما لأختبر حالكما وأصحابي من
ورائي مقبلين ثم سلم عليهما وسارا وإذا الخيل قد أشرفت
والإبل قد أقبلت يريدون الشام وأما عبد الله بن قرط وجعدة
ابن جبران فإنهما وصلا إلى المدينة ودخلا مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسلما على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وسلماه الكتاب فلما قرأه استبشر ورفع كفيه
وقال اللهم اكف الناس شره وشر كل ذي شر ثم أمر مناديا
فنادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس قرأ عليهم كتاب أبي عبيدة
فما استتم قراءته حتى قدم عليه ركب من اليمن وآخر من
حضرموت ومأرب وسبا يسألونه أن ينفذهم إلى الشام فقال
عمر في كم أنتم بارك الله فيكم قالوا نزيد على أربع مائة فارس
وثلاث مائة مطية مردفين ومعنا أناس ماشون على أقدامهم

فان حضر امير المؤمنين ركاب نحمل عليه رجالنا حتى نصل الى عدونا فقال
لهم عمر رضي الله عنه وكم عدة من معكم قالوا اربعين ومائة رجل قال
عرب او موال قالوا عرب وموال اذن لهم ساداتهم في الجهاد
والمسير الى الاعدا فعندها دعا عمر بعبد الله وقال ات الى بمال
الصدقات فاتى القوم منها بسبعين بعيرا وسلمها اليهم ثم قال
لهم جدوا رحمكم الله الى اخوانكم واسرعوا الى حرب عدوكم
ثم كتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه اما بعد فقد ورد على كتابك
مع رسلك فسرني ما سمعت من الفتح على اعدايكم ومن قتله الله من
الشهدا واما ما ذكرت من انصرافك الى البلاد التي بين حلب
وانطاكية وتركك القلعة ومن فيها فما هذا براي اتترك
رجلا قد اخذت دياره وملكت مدينته ثم ترحل عنه فيبلغ الخبر
الى جميع النواحي انك لم تقدر عليه ولا وصلت اليه فيضعف
ذكرك ويعلو ذكره بما صنع ويطمع من لم يطمع وتجتري
عليك اجناد الروم خاصتهم وعامتهم وترجع اليك الجيوش
وتكاتب ملوكها في امرك فاياك ان تبرح حتى يحكم الله وهو خير
الحاكمين فبث الخيل في السهل والجبل والسعة واكشفها في
المضايق والجبال وبين المعرات الى حدود الفرات ومن

صالحك منهم فاقبل صلحه ومن سالمك سالمه والله خليفتي عليك وعلى
جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وقد نفذت كتابي هذا
ومعه عصبة من مشارق اليمن وغيرهم ممن وهب نفسه لله ورغب
في الجهاد في سبيل الله تعالى وهم عرب وموال فرسان ورجالة
والمدد ياتيك متواترا ان شا الله تعالى ثم طوى الكتاب وختمه
بخاتمه ودفعه الى عبد الله بن قرط ومعه جندة بن جيران وجعل
القوم يجدون في سيرهم ويسالون عبد الله بن قرط وصاحبه
عن بلاد الشام وفتح البلدان وقتال الروم الى ان سالوا عن عسكر
المسلمين فقال لهم عبد الله بن جميع المسلمين مع اميرهم محاصرون
قلعة حلب وفيها عظيم من عظما الروم معه اعلاج من اصحابه
وقد تحصنوا في القلعة فقالوا يا عبد الله لاي شي ما دخلوا في جملة
من صالح من اصحابهم فقال يا معشر العرب انا لم نر بعد وقعة الشام
اشجع من هذا البطريق وقد قتل رجالا وجندل ابطالا وانه
يغير على اطراف العرب في وقت غفلاتهم فيقتل رجالهم
وينهب اموالهم ويرجع الى قلعته وربما سرى في سواد الليل
في طلب المغتلفة فيستاسرهم وياخذ دوابهم وجميع زادهم
وميرتهم ثم يرجع الى القلعة ونحن لا نعلم به والمسلمون له محاصر

ولاصحابه محاربون ومنه خايفون قال وكان فى من يسمع كلامه
ويفهم خطابه مولى من موالى بنى طريف من ملوك كندة يقال له
دامس ويكنى بابى الهول مشهور الاسم باسمه وكنيته وكان
اسود كثير السواد بصاصا كانه النخلة السحوق واذا ركب
الفرس العالى من الخيل يخط برجليه الارض وكان فارسا شجاعا
قد شاع ذكره ونما امره وعلا قدره فى بلاد كندة واودية
حضرموت وجبال مهرة وارض الشحرة واخاف البادية
وانتهب اموال الحاضرة وكان مع ذلك لا تدركه الخيل
العتاق وكان اذا ذكرته العرب فى انديتها تعجب من صولته
وشجاعته قال فلما سمع دامس ابو الهول بذكر يوقنا وما فعل
بالمسلمين كاد ان يموت غيظا وحنقا وقال لعبد الله بن قرط
ابشر يا اخا العرب فوالله لاجتهدن حتى يخذله الله على يدى
فلما سمع عبد الله كلام العبد جعل ينظر اليه شزرا وقال
يا ابن السودا لقد منتك نفسك اما لا تبلغها وشيا لا تدركه
ويحك الم تسمع ان فرسان المسلمين وابطال الموحدين باجمعهم
له محاصرون ولاصحابه محاربون ومع ذلك لا يقدر له احد
على شر لانه قد كاد ملوك الارض وجبابرة الروم قال

فلما سمع دامس ابو الهول ذلك من كلام عبد الله بن قرط غضب
وقال والله لولا ما يلزمنى لك من اخوة الاسلام بدات بك قبله
فاحذر ان تزدرى بالرجال فان احببت ان تعرفنى فسل عنى من
حضر من اهلى وما تقدم من فعلى الذى من ذكره تطيش العقول
وتضيق الصدور من عساكر قاتلتها ومن جماعة فرقتها ومحافل
بددتها وغارة شننتها واهوال ركبتها ورجال قتلتها واموال
افنيتها وفلاة قطعتها وكل ذلك لا يؤخذ لى بثار ولا يقفا
لى اثر ولا يضام لى جار ولا يلحقنى عار بحمد الله كرار فرار
ثم تركه مغضبا وسار امام الناس فقال قوم من العرب
لعبد الله بن قرط رفقا بنفسك يا اخا العرب فانك وايم الله
تخاطب لرجل يقرب عليه البعيد ويهون عليه الامر الشديد
وانه لجلد جليد لا تهوله الرجال ولا تفزعه الابطال
ان كان فى حرب كان فى اولها يدرك من يطلب ولا يفوته
من يهرب فقال عبد الله بن قرط لقد اكثرتم وصفكم واطنبتم
فى نفسكم وارجوا ان يجعل الله على يدى فرجا للمسلمين ثم اخذ القوم
يجدون فى السير حتى قدموا على ابى عبيدة رضى الله عنه وهو
منازل لاهل القلعة محاصر ليوقنا وقد احاط المسلمون بالقلعة

من كل جانب فلما أشرف القوم بأجمعهم أخذوا في زينتهم وجردوا
سيوفهم وأشهروا سلاحهم ونشروا راياتهم وكبروا بأجمعهم
وصلوا على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم أهل العسكر
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير من كل جانب وناحية
وسلم عليهم أبو عبيدة وسلموا عليه ونزل كل قوم عند بني عمهم
وعشيرتهم هذا ويوقنا مع ذلك كله يناوشهم الحرب وذلك أنه
كان لا يقاتلهم نهارا ولا يخرج من قلعته إلا ليلا وكان أكثر خروجه
وقت غفلات المسلمين فلما نظر المسلمون القادمون تلك الليلة
إلى شدة الحرس وضجيج التكبير وعظيم حذرهم أقبل دامس
على أهله الذين نزل عندهم من بني طريف من كندة وقال لهم
أنتم المحاصرون لا محالة فقالوا وكيف ذلك قال لأن عدوكم
في رأس قلعته وأنتم في فضاء من الأرض مطمئنين لا عدو
يفزعكم ولا عسكر بإزائكم يخيفكم فما هذا الخوف وما هذا القلق
فقالوا يا أبا الهول إن صاحب هذه القلعة علج مشوم يترقب
غرتنا وما نأمن أن يغير علينا فيقتل رجالنا ونحن في منامنا قال
فبينا دامس يخاطب قومه وإذا بالضجة وقعت في طرف عسكر
المسلمين فوقف دامس منتضي حسامه متنكب حجفته وطلب

الناحية التي سمع منها الصوت حتى بلغ إليه وإذا بيوقنا في خمس مائة
فارس من الأبطال وقد وجد غرة من القوم فلما نظر دامس إلى
الروم وقع في أوساطهم وجعل • يقول
أنا أبو الهول واسمي دامس • أكر في جمعكم مداعس
ليث هزبر بطل ممارس • قال وجعل يضرب في أعراضهم
ومعه طائفة من بني طريف من فرسانهم وشجعانهم فلما نظر
يوقنا إلى ما نزل به كر راجعا إلى القلعة فقتل من خلفه مائتي رجل
ودامس يكر فيهم كرا وتبعهم إلى قرب القلعة وكندة من ورائه
فناداهم أبو عبيدة عزيمة مني عليكم أن لا يتبعهم أحد منكم
في ظلمة الليل فقالوا له يا أبا الهول الأمير يعزم عليك وعلينا
بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع دامس إلى رحله ورجع القوم
إلى رحلهم وأبلت كندة تلك الليلة بلاء حسنا وفرح
المسلمون بمن قتل من الروم فلما أصبحوا اجتمع الناس للصلاة
مع أبي عبيدة فلما قضيت تفرق الناس ولم يبق إلا نفر يسير
من المسلمين ورؤسائهم فجعلوا يتذاكرون ليلتهم فقال
خالد أصلح الله الأمير لقد رأيت البارحة كندة وقد أبلت بلاء
حسنا وتقدمت رجالها وثبتت أبطالها وأزالت عنها العدو

فقال ابو عبيدة صدقت والله يا ابا سليمن لقد اسعدت الناس
كندة بنبالها وحرابها ولقد سمعتهم يقولون احسن دامس اجاد
ابو الهول فقام الى ابى عبيدة رجل من رؤسا كندة يقال له
سراقة بن مرداس بن تكرب الكندى وقال اصلح الله الامير
اعلم ان دامس ابا الهول مولى لبنى طريف وقد قدم مع الوفد
الذى ورد بالامس الينا وهو رجل يعجز الرجال ويفتك
الشجعان ويفضح الابطال ويذل الاقران لا يهوله جمع ولا
تصعب عليه غارة فقال ابو عبيدة لخالد اما تسمع كلام
سراقة بن مرداس فى عبدهم دامس فقال خالد اصلح الله الامير
يوشك انه صادق فى قوله ولقد سمعت بذكره واخبرت
عن شجاعته وذكر لى رجل يقال له يعمر بن عمر المهرى ان
داميسا هذا كان غار عليهم وحده وهم على ساحل البحر
وكانوا سبعين رجلا من آل مهرة فطلبهم دامس هذا
لاجل ثار كان له عند القوم وكانوا يخافون من شره فكانوا
لاجل ذلك يقصدون بدوابهم واموالهم اطراف الجبال
وسواحل البحر حذرا من مكره وكان مع ذلك يسأل عن اخبارهم
ويتطلع لاثارهم فلما صح عنده نزولهم على ساحل البحر

استصرخ بقومه للغارة عليهم فلم يطاوعه احد منهم ولم يخرج
معه وكان خبيرا بالبلد سهله ووعره بره وبحره فلما يئس من
قومه دخل الى خبائه واحتمل رزمته على عاتقه فلما نظر اليه اهل
الحى من مواليه وغيرهم وهو حامل الرزمة اقبل اليه نفر منهم
وقالوا له الى اين يا ابا الهول فقال انى اريد الغارة على بنى
الشعرا واخذ الثار واكشف عنى العار فقالوا له ما راينا اعجب
منك انت تعلم ان بنى الشعرا سبعون رجلا ممن يريد ان يغير
على العدو ويأخذ معه ثيابا ما سمعنا بهذا الا منك فى هذه الساعة
ولا شك الا انك تقصد جودا وكانت جودا هذه امة
تسمى حسانس من الحضارمة وكانت بقرية من قرايا حضرموت
جارية يقال لها السفلة وكان دامس يهواها وكلما اخذه من
الاموال والخيل والابل يدفعه اليها لا يعظم عليه كثرته
وكان لا يرضى لها بالقليل ولا عليه من دفع الكثير فظن
القوم انه ماض اليها قاصد نحوها فقال وايم الله انه باطل
ما تظنون وسوف تعلمون انى ما اقول الا الحق اليقين فرجع
القوم وتركوه وحده وسار حتى اتى الى مراعى قومه فاخذ
راحلة من ابله وتقلد بسيفه واخذ حجفته بين يديه وجعل

الرزمة في شقته وجعل يسير يومه وليلته حتى اذا كان في آخر الليل
عطف بالراحلة الى واد من الاودية وابركها وحل رحلها وعقلها
بزمامها ثم ثورها ترعى وهي معقولة ثم تشرف من بين تجريبن
قريبا من الحي وخاف ان يشعر به احد فلما مضى النهار واقبل
الليل اتى الى الراحلة وحلها واستوى في كورها وسار الى ان مضى
من الليل شطره اشرف على نيران القوم فعدل بناقته وعلا
شرفا من الارض مشرفا على الحي وكان في ذلك الوادي
شجر من الطلح والسدر وابرك ناقته وربط شدقها ليلا ترعى
فيسمع القوم رغاها وعقلها وعمد الى الرزمة فحلها واستخرج
منها ازارا وقطع اعوادا من الشجر كل عود مقدار قامة الرجل
ونصب اربعين عودا صفا واحدا وجعل على كل عود ازارا
محاذية لابواب البيوت والاخبية واسند الاعواد بالحجارة
واخذ سيفه وجحفته واتشح بازار احمر ارجوان ثم هبط من
الشرف الذي فيه الاعواد وقصد الحي ودار حول خيامهم
وتفكر في امرهم كيف يحتال وقد مضى من الليل اكثره ثم صبر
الى ان طلع الفجر قام وسيفه مسلول بيده وقرب منهم وصاح
بهم دنا هلاككم انا ابو الهول ولقد صبحتم بالويل واخذتم من

البر والبحر وجعل ينادي يا آل طريف يا آل كندة فلما
وقع صوته في اسماعهم ذهلت رجالهم وتصارخت نساؤهم وجفل
القوم من بين يديه عن البيوت هاربين الى الساحل نحو الجبل وهو
من خلفهم فلما رأوه وحده شجع بعضهم بعضا ورجعوا اليه يقاتلوه
وطمعوا فيه لما رأوه وحده وجدوا في طلبه فجعل يكر عليهم
ويقتل رجلا ويرجع عنهم ولا زال كذلك يقتل رجلا بعد
رجل فلما نظروا الى شدة بأسه وعظم مراسه ارادوا ان يسبقوه
الى الشرف ليعلوا عليه من خلفه فلما نظر اليهم وقد قاربوا الاعواد
خاف ان ينظروا اليها فيطمعوا فيه ويقفوا على مكره فانبسط
في السعي حتى سبقهم وسار امامهم ثم اقبل على الاعواد وخاطبها
كأنه يخاطب الرجال ويقول يا آل كندة يا آل طريف اياكم
القوم قصدتكم الرجال احملوا عليهم فمد القوم ابصارهم عند
صياحه الى اعلا الشرف فنظروا الى الاعواد التي عليها الثياب
فلم يشكوا انها رجال فانقضوا راجعين نحو البحر وجعل دارمس
ينادي يا قوم اقسمت عليكم لا يبرح احد من مكانه ولا يزول
عن موضعه انا اكفيكم مؤنة القوم فرجع آل محفرة ناكصين
على اعقابهم هذا قد اردف زوجته وهذا امته وهذا ما قدر عليه

من أثاثه ورجع أبو الهول إلى الحي فلم يصادف فيه إلا العبيد
والصبيان والمشايخ والعجائز فأمر العبيد أن يقربوا الجمال
ففعلوا ذلك فجعل الرحال على ظهور الإبل وكتف العبيد وحمل
كل ما كان في الحي وسار يريد قومه فلما استقام على الجادة
تأخر عنهم ومر كالريح العاصف وأخذ الأزر والثياب ولحقهم
وسار حتى ورد حي قومه فعجبت العرب منه ومن فعله فلما أن سمع
أبو عبيدة ذلك من قول خالد بن الوليد أقبل على سراقة بن مرداس
الكندي وقال ادع عبدكم حتى أنظر إليه وأسمع كلامه فما كان
غير بعيد حتى أتى سراقة به فقال له أبو عبيدة أنت دامس قال
نعم أصلح الله الأمير فقال له لقد بلغني عنك عجائب وأنت وايم
الله أهل لها لأنك بطل من الأبطال واعلم أنك وقومك تقاتلون
في بلاد سهلة لا تعرفون القلاع والجبال ولقد اقتحمت البارحة
آثار أعداء الله اقتحاما منكرا فارفق بنفسك واحذر من هذا
البطريق يوقنا فقال له دامس أصلح الله الأمير لقد غزت على
مهرة وأخذت أموالها مرات وإن جبالها شاهقة رفيعة ذات
وعر وحجر وما هذا الجبل بأمنع من تلك الجبال فقال له أبو عبيدة
إني أراك نجيبا فهل حدثتك نفسك من أمر هذه القلعة بشيء

فقال دامس أصلح الله الأمير اعلم أني لما قدمت عليك في الوفد
رأيت كأني سائر في وطاة من الأرض وأنا مجد أطلب قومي
وكأني قد انقطعت عنهم وسبقوني إلى غارة أرادوها على
قوم فبينما أنا مجد أطلب قومي وإذا بهم حائرون لا يتقدمون
ولا يتأخرون فناديتهم يا قوم ما شأنكم وأي شيء قطعكم عن
مسيركم فقالوا ما ترى إلى هذا الجبل كيف عرض لنا في آخر هذه
الطريق وليس فيه مسلك ولا منفذ ولا مطلع فقلت على رسلكم
ألا ترون إلى هذه الفلحة فيه فقالوا هيهات لا طريق فيه فقلت
ولم ذاك قالوا لأن فيه ثعبانا عظيما لا يمر به أحد إلا أهلكه
وقد قتل رجالا وجندل أبطالا فقلت يا قوم ألا تحملون عليه
بأجمعكم فقالوا إنا لا نقدر على ذلك من عظم جثته فتركتهم
ثم التمست لي موضعا فلم أجد إلا مكانا صعبا ضيقا حرجا
فاقتحمته فما سلكته إلا بعد المشقة ثم أتيت إلى الثعبان من
ورائه فقتلته ثم أشرت إلى قومي أن يتبعوا أثري فما وصلوا
إلي إلا بعد الجهد وهم آمنون من عدوهم ثم استيقظت فرحا
مسرورا فقال أبو عبيدة خيرا رأيت وخيرا يكون إن شاء الله تعالى
يا دامس أما تفسير رؤياك هذه فهي للمسلمين بشارة ولعدونا

خسارة فقال له دامس وما ذاك ايها الامير فقام ابو عبيدة
قايما على قدميه ونادى برفيع صوته الله اكبر الله اكبر فتح
الله ونصر وحيانا بالظفر الامر كان على بعد فليدن ومن
كان دانيا فليسمع فان في رؤيا دامس عبرة لمن اعتبر وموعظة
لمن اذكر فاقبل المسلمون يهرعون نحوه فرحين ولما يقول
مستمعين فلما اجتمعوا اليه وصاروا بين يديه قام ابو عبيدة
على قدميه فحمد الله تعالى واثنى عليه وعلى النبي فصلى عليه
ثم قال معاشر المسلمين ان الله سبحانه وتعالى وله الحمد قد
وعدنا في كتابه وعلى لسان نبيه الغلبة لاعدائنا والظفر
بمرادنا وما كان الله ليخلف وعده رسله واني نذرت
ان فتح الله هذه القلعة على يدي ان افعل من البر ما استطعت
والآن قد هجس في نفسي ووقع في قلبي انا ظافرون بهذه
القلعة ومن فيها ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم دلني على ما ذكرت تاويل هذا الغلام ثم قبض بكفيه
على زند دامس وقال رحمك الله حدث اخوانك بما رأيت
في منامك فقام دامس على قدميه وقال اعلموا اني رأيت في
منامي كذا وكذا وقص عليهم الرؤيا من اولها الى آخرها

فلما فرغ منها اقبل المسلمون على ابي عبيدة وقالوا ايها الامير قد
سمعنا قوله فما تاويل رؤياه فقال ابو عبيدة اعلموا رحمكم الله
ان الجبل الذي ذكر انه عال شامخ شديد الامتناع فذلك
لا شك دين الاسلام وسنة نبينا عليه افضل الصلاة والسلام
واما الثعبان فهو البطريق واما جده في المسير الى ان وصل
الى قومه فهو لامر تجريه الله على يديه يفرج الله به عن المسلمين
قال ففرح الناس بتاويل ابي عبيدة ثم قالوا ايها الامير فما
الذي تامرنا به قال آمركم بتقوى الله في السر والجهر
ثم المكايدة لاعداء الله واعداء رسوله تطوعا وصبرا
ارجعوا رحمكم الله الى رحالكم واصلحوا ما تحتاجون اليه فاني
انفذكم في غداة غد الى اعدائكم الا ان يحدث لي رأي غير
هذا فاني لست ادع الاجتهاد في الرأي جهدي والمشاورة
لمن اثق به من جندي فقالوا باجمعهم وفق الله رأيك ايها
الامير وظفرك بعدوك انه سميع الدعاء ثم تفرقوا باجمعهم
الى رحالهم هذا يحد سيفه وهذا يصلح قوسه وهذا يفتقد
درعه وهذا يتعاهد فرسه ولم يزالوا على ذلك بقية يومهم
وليلتهم فلما اصبحوا دعا ابو عبيدة بدامس وقال ايها العبد

المجتهد ما ترى في أمر هذه القلعة وما الذي عندك من الحيلة فقال
دامس أيها الأمير إنها قلعة منيعة شامخة حصينة تعجز الرايد
وتمتنع عن الطالب لا ينفع في أهلها محاصرة ولا تضيق صدورهم
من القتال غير أني فكرت في حيلة أحتالها وأرجو أن يتم
ذلك عليهم فيكون فيه بوارهم وهلاكهم بمشيئة الله وعونه
ودمارهم فقال أبو عبيدة يا دامس وما هي فقال أصلح الله
الأمير أنت تعلم ما في إذاعة الأسرار من السوء والإضرار
ومن كتم سره كانت الخيرة في يده ويقال إن دامسا أول
من تكلم بهذه الكلمة فصارت مثلا فقال له أبو عبيدة ما
الذي تشير به وما الذي تعتمد في أمرك عليه قال تزحف
بعسكرك وجميع من معك من أصحابك حتى تنزل بإزاء القلعة
ليظهر لهم منا الحرص والهيبة وأعمل أنا في ذلك الحيلة
وأرجو أن يتمها الله عز وجل إن شاء الله تعالى ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم فأمر أبو عبيدة مناديه أن ينادي
بالرحيل فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة وهللوا وكبروا
وأظهروا سلاحهم وأرهبوا أعداء الله فأشرف عليهم جماعة
من الروم فهالهم ذلك لما نظروا إلى جمعهم وألقى الله تعالى

الرعب في قلوبهم حتى اضطربوا في القلعة وماجوا ومشى الكبراء
بعضهم إلى بعض وجعلوا يتشاورون فيما بينهم فقال قوم
نقاتلهم وقال قوم بل نقعد في قلعتنا فإنهم لا يصلون إلينا
ثم اجتمع رأيهم على القتال من فوق القلعة فصعدوا على
الأبراج والأبواب وجعلوا يرجمون المسلمين بالحجارة والنبل
ليلا ونهارا ثم كفوا عن القتال وأقام المسلمون على
المنازلة بإزاء القلعة سبعة وأربعون يوما ودامس مع ذلك
يعمل الحيل فلم يصل إليهم بسوء فلما كان بعد سبعة وأربعين
يوما أقبل دامس على أبي عبيدة وقال أيها الأمير قد
اجتهدت وعملت في كل يوم حيلة على أعداء الله فما وجدت
إلى ذلك من سبيل وقد فكرت في شيء أرجو به الظفر
والظهور على أعدائنا فقال أبو عبيدة ما الذي دبرت
قال تضم إلي من صناديد قومك ثلاثين رجلا وتأمرهم
لي بالطاعة وترك الخلاف علي والاعتراض فيما آمرهم
به وأفعله وأراه فقال أبو عبيدة سأفعل ذلك ثم دعا
بثلاثين رجلا من فرسان المسلمين وفتاكهم فلما حضروا أقبل
أبو عبيدة عليهم وقال معاشر المسلمين قد أمرت دامسا عليكم

وأمرتكم بالسمع والطاعة له والقبول لأمره واعلموا رحمكم الله
انى ما امرته عليكم لاجل انه اجل منكم حسبا ولا اعظم مركبا
ولا اشد باسا ولا اكثر مراسا ولا يقول احد منكم انى امرت
عليكم عبدا احتقارا بكم وبالله احلف مجتهدا لولا ما يلزمنى من
تدبير هذا العسكر لكنت انا اول من ينطلق معه فى جمعكم وانا
ارجوا من الله ان تفتح على ايديكم فاقبلوا عليه باجمعهم وقالوا
اصلح الله الامير ما نشك فى اعظامك لنا ومعرفتك بسابقتنا
وكلامك اثر فى نفوسنا وها نحن لك وبين يديك لو امرت
علينا علجا اغلف لم نخرج له من رأى اذ علمت انما تريد بذلك
نصحا فى الدين والغنيمة للمسلمين فالسمع والطاعة لله ثم لك
ايها الامير ففرح ابو عبيدة بمقالتهم ووثق بكلامهم
وجزاهم خيرا واوسعهم شكرا وقال لهم اعلموا رحمكم الله
ان نفسى تحدثنى ان الله تعالى يفتح هذه القلعة على يدى هذا
العبد لانه دقيق الحيلة حسن البصيرة فسيروا معه وثقوا
بالله وتوكلوا عليه ولتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال النصر مع الصبر ثم اقبل على دامس وقال يا دامس
ما الذى تحب بعد هذا قال ترحل انت بجيشك من وقتك هذا

فتكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل باصحابك هنالك وتأمر من
معك من الناس بقلة الحركة واتخفى ما استطاعوا ويكون لك
رجلان تثق بشدتهما ونصحهما للمسلمين فيتجسسان اخبارنا
وآثارنا من غير ان يعلم بهما احد ويكونوا بغير سلاح الا الخناجر
فاذا عاينا منا الظهور على اعدائنا والظفر يلحقا بك جميعا
فيبشراك بذلك فتلحق بنا ان شاء الله تعالى ويكونا متفرقان
ولا يكونا فى موضع واحد فان ذلك اسلم لهما وبالله المستعان
فى جميع الاحوال ثم ان العبد دامسا اقبل مع النفر الذين معه
وقد ولى عليهم وقال يا فتيان العرب امضوا بنا رحمكم الله
نكمن فى بعض هذه الجبال ما دام الناس منتشرين للرحيل
قبل ان تشرف الروم فلا يتفق لنا ان نطلب مكمنا اذا اشرفوا
بعد رحيل العرب وليأخذ كل منكم سيفه وحجفته ويترك
رمحه وقوسه ففعلوا ذلك وتكاملوا بين يديه فلبس لامته
واخفا خنجره تحت اثوابه وخرج بهم مع العسكر فلما فارقه
امرهم ان يخفوا اشخاصهم ويستترون الى ان اتى بهم الى مغارة
امرهم بالدخول فيها فدخلوا وجلس دامس على باب المغارة

قال الواقدى

رحمه الله وامر ابا عبيدة

العسكر بالرحيل كما امره دامس فرحلوا ولهم ضجات وزعقات
فأشرف عليهم اهل القلعة ونظروا اليهم ففرحوا برحيلهم
وسروا سرورا عظيما وقالوا ان العرب رحلوا عنا واخذت
المسلمون الزعقات من الروم من كل مكان حتى لم يبق احد من
المسلمين وغابوا عن القلعة فأقبلت الروم الى بطريقهم
وقالوا له ايها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج الى العرب
فبينما هم عن ذلك فلما مضى النهار وجاء وقت العتمة اقبل دامس
على اصحابه وقال لهم من فيكم يمضي الى القلعة لعله ان يأتينا
بخبر منها او يقدر على رجل يأسره فيأتينا به لنأخذ منه
خبرا فلم يجبه من القوم احد فأعاد عليهم القول ثانيا فلم
يجبه احد فقال لهم انا اعلم ان ما في الجماعة الا من هو ظنين
بنفسه كاره للموت وانا لكم الفدا فانظروا كيف
تكونون ثم تركهم دامس ومضى فغاب ساعة واتى ومعه علج
فقال لهم يا فتيان العرب دونكم فتلوه فكلمه المسلمون
بلسان العرب فكلمهم وهم لا يدرون ما يقول فقال لهم
دامس على رسلكم ثم غاب واتى بعلج اخر فكلمهم بكلام صاحبه
ولم يدروا ما يقول فقال لهم دامس على رسلكم ثم غاب واتى

ومعه اربعة فسألوهم فلم يفهموا ما يقولون ثم تركهم واتى
بثلاثة اخر فلم يكن فيهم من يعرف لغة العرب فقال دامس
لعن الله هؤلاء فما اوحش لغتهم واكثر طمطمتهم ثم خرج
عنهم فغاب الى ان مضى من الليل النصف ولم يأت فقلق
اصحابه عليه واغتموا وقال بعضهم لبعض انا نظن ان دامسا
لحقوا به فقتلوه او اسروه وهموا ان يرجعوا الى العسكر
وهم في اشد ما يكون واذا به دخل عليهم وهو يقود رجلا
منهم فتواثبوا اليه وقبلوه وسألوه عن ابطائه وقالوا له قد
حدثتنا انفسنا بالعظايم وصعب علينا ابطاؤك فما الذي
اخرك فقال لهم اعلموا رحمكم الله اني لما فارقتكم سرت حتى
قربت من سور القلعة بركت فجعلوا يرمون بالحجارة ويتكلمون
وانا ساكت كل ذلك اطلب من يتكلم بالعربية فلم ار
احدا فأيست واردت الرجوع فسمعت هدة عظيمة من اعلى
السور قد وقعت فأسرعت اليها لأنظر ما هي واذا به هذا
الرجل وقد القى نفسه من القلعة الى اسفل السور فبادرت
اليه واخذته واتيت به اليكم فانظروا ما هو فكلموه فلم
يخاطبهم الا بلغته واذا رجله مجروحة وجبهته مفتوحة

فقال لهم داميس اعلموا لا بد لهذا شان من الشان ثم خرج داميس من
عندهم واتى معه برجل قد جعل عمامته فى رقبته وهو يسحبه الى ان
اوقفه بين يدي اصحابه فقالوا له انت من المدينة او من القلعة
واذا هو يعرف بلسان العربي فقال لهم انا من القلعة فقال
له داميس انت من الروم اذا فقال لا ولكنى من العرب المتنصرة
فقال هل لك ان تطلعنا على عورة من عورات اعدائنا فى هذه
القلعة ونحن نطلقك ولا يعرض لك احد بسوء فقال يا هولاء لست
اعرف لهذه القلعة عورة ولا طريق ولو رأيت لما وسعنى فى
دينى ولا رأيت فى دينى ان ادلكم عليها وحق المسيح قال فاغتاض
داميس منه ومن قوله وقال له سل هولاء الاسرى هل فيهم احد
من اهل المدينة فان بيننا وبينهم صلحا قال فسألهم بالرومية
وقال لداميس ذكروا ان ليس فيهم احد من اهل المدينة بل هم
من اهل القلعة وانا عارف بهم فقال له داميس سل هذا الرجل لم
طرح نفسه من السور وما دعاه الى ذلك قال فسأله وقال
لداميس انه يقول ان الملك يوقنا غضب على اهل المدينة لاجل
صلحهم لكم وبعث يهددهم فلما رحلت العرب نزل يوقنا
جمع رؤسانا وصعد بهم الى القلعة وطلب منا من المال ما لا

نقدر عليه فلما نظرت الى ما نزل بنا هربت والقيت نفسى من القلعة
لاطلب الفرج وانجوا من العقوبة فلم اشعر الا وانت قبضت
علىّ وانا من اهل المدينة فان كنتم من العرب فانا فى ذمامكم
وامانكم فلا تنكثون ولا تغدرون وان كنتم من غيرهم فاطلبوا
منى ما احببتم افدى به نفسى فقال له داميس قل له نحن من
العرب فلا بأس عليك ولا خوف ولا سوء ولا ينالك منا مكروه
واراد داميس ان يريه ما يفعل باعدايه فاخر المتنصر والروم
وضرب اعناقهم واطلق الرجل المستأمن ثم عمد داميس الى
مزوده واستخرج منه جلد ماعز فالقاه على ظهره واخرج
كعكا يابسا وقال لاصحابه بسم الله استعينوا بالله وتوكلوا
عليه واخفوا امركم وقدموا الخيرة فى اموركم فانى معول
على فتح هذه القلعة ان شا الله تعالى فى هذه الليلة فقالوا له
سر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قام القوم
مسرعين يقدمهم داميس وبعث رجلان من اصحابه يخبران
ابا عبيدة يبشرانهم وان يرسل لهم الخيل عند طلوع الشمس
قال فانطلق الرجلان وصعد داميس ومن معه يخفون
امرهم تحت ظلام الليل وداميس على المقدمة يتنسم لهم

لهم الأخبار وهو يمشي على أربع والجلد على ظهره وكلما احتس
بحس قرض الكعكة كأنه كلب يقرط عظما والمسلمون من
ورائه يختفون تارة ويمشون تارة ويستترون بالحجارة ولم
يزالوا كذلك إلى أن قربوا من القلعة فسمعوا أصوات الحرس
وزعقات الرجال من أعلاها والحرس شديد فجعل دامس يدور
حول القلعة حتى أتى إلى برج من الأبراج وحارسه قد نام
وليس على الصور أقصر من ذلك البرج فقال دامس لأصحابه
أنتم ترون إلى هذه القلعة وعلوها وتحصنها وليس فيها حيلة
لشدة الحرس ويقظة الروم فما الذي ترون أن أصنع وكيف
الحيلة عندكم في الصعود إليها إلى أن نحصل في وسطها فقالوا
له يا دامس إن الأمير أمرك علينا وأنت أثبت منا جنانا وأحد
بصرا ونحن لك وبين يديك فما رأيت فيه صلاحا للمسلمين
فلا تتأخر عنه والله إن قتل نفوسنا وفقد أرواحنا أهون
علينا من الرجوع بلا فائدة فمنك الأمر ومنا السمع والطاعة
وليس منا من يتأخر عنك ولا يموت إلا تحت ظلال السيوف
في طاعة الله ورضى إخواننا المسلمين فقال دامس شكر الله
فعلكم ونصركم على أعدائكم وإذا كان هذا بغيتكم فاطلبوا

السور والزموه قال دامس وكنا ثمانية وعشرون رجلا فمضينا كما
أمرنا والتزقنا بالسور وذلك في الليل ثم قال أفيكم من يقدر على
الصعود إلى هذه القلعة فقالوا يا أبا الهول وكيف لنا أن نرقى
إليها وكيف نصل إلى أعلاها فقال علي رسلكم ثم اختار منهم سبعة
رجال كالأسود الضواري لو كلفوا حمل ذلك البرج على
مناكبهم لفعلوا وما عظم عليهم ثم أجلس رجلا منهم بإزاء الجدار
وأمر آخر أن يعلوا فوقه ويمسك الجدار حتى علا السبعة فوق
بعضهم ثم أمر الأول منهم أن يقوم فقام وطرح حيلة على الجدار
وقام الثاني فعل كذلك والثالث والرابع والخامس والسادس
وكل واحد منهم طرح حيله على الجدار فوصل أعلاهم إلى
شرافات الصور فتعلق بها وقفز فدخل الصور فنظر إلى
حارس البرج نائما وهو ثمل من الخمر فحمله وألقاه من أعلى البرج
إلى أسفله فلما وصل قطعه المسلمون قطعا ثم نظر فرأى له
صاحبين آخرين ثملين من الخمر فذبحهما وألقاهما إلى أصحابه
ثم أدلى عمامته إلى صاحبه الذي كان قائما عليه فتعلق بالعمامة
فجذبه إليه وإذا هو معه على الصور ولا زالوا كذلك إلى أن بقي
دامس فأدلوا إليه عمائمهم وجذبوه إلى أن صار معهم ثم

قال لهم اقعدوا على ممشى السور ولا يتحرك احد منكم حتى اعرف
لكم خبر القوم ثم اشرف على وسط القلعة واذا هو بسادانهم
ورؤسائهم جلوس في مجلس لهم وبين ايديهم بواطي الذهب
والفضة ويوقنا جالس في وسطهم على بساط من الديباج الاحمر
منسوج بالذهب وعليه بدنة من اللؤلؤ وهو متعصب
بعصابة من الجوهر والقوم ياكلون ويشربون والمسك
ينثر عليهم فاقبل دامس على اصحابه وقال اعلموا ان القوم خلق
كثير وان نحن هجمنا عليهم لم نامن من الغلبة لكثرتهم ولكن
نصبر عليهم الى وقت السحر فنحمل عليهم بسيوفنا فان ظفرنا
بهم واذلهم الله تعالى على ايدينا فهو مرادنا وان كان
غير ذلك كنا قريب من الصباح ولا شك ان الرجلان اعلما
الامير ابا عبيدة بامرنا فيبعث لنا خيولا ورجالا فقالوا له
ما نخالف لك قولا وقد حصلنا في قلعة هؤلاء الاعلاج ولن
ينجينا والله الا الشدة والحزم والعزم فلما سمع ذلك منهم
قال لهم على رسلكم فلعلي اقتل البواب وكان للقلعة
بابان بينهما دهليز يغلقوا البابان من داخله وفي كل ليلة
ينام ثلاث رجال بالعدة والسلاح بالنوبة فلما اقبل دامس

الى الباب وجده مغلقا من داخله فعظم ذلك عليه فقصد ركن الباب
فاحتال وقلع حجرا عظيما ودخل من موضع الحجر فاذا هو بالقوم
وهم رقود فعاجلهم بالذبح وفتح البابين جميعا الذي احدهما
خارج القلعة والاخر من داخلها وتركهما مردودين وخرج
الى اصحابه وكان وقت السحر وقال لاصحابه يا فتيان
العرب اعلموا اني فتحت لكم الباب وقتلت من هناك من الرجال
فدونكم والباب فاستبقوا اليه وخذوه عليهم فان القوم
حصيد اسيافكم ان شاء الله تعالى وطعمة خناجركم فقام القوم
واخترطوا اسيافهم وتنكبوا جحفهم واخفوا اصواتهم الى
ان وصلوا الى باب القلعة واخذ كل منهم مكانه فشعرت
بهم الروم وقصدتهم الابطال وجاءتهم الاقيال وقالوا
ليوقنا كيف تمت هذه الحيلة علينا فصرخ بهم يوقنا من كل
جانب واخترطت الروم القواضب وعلا التكبير من المسلمين
قال ابن اوس القرشي لقد قابلت الرجال وقاتلت الابطال
فما رايت مقاتلا اشد باسا ولا اقوى مراسا ذلك اليوم من دامس
ولقد عددنا في بدنه بعد انفصالنا من الوقعة ثلاثة وسبعون
جرحا قال واشتد الحرب وعظم الكرب وجرحت رجالنا

وأشرفنا على الهلاك وكنا نحمي بعضنا بعضا وأيقنا أنا نموت يدا
واحدة ونحن يومئذ ثمانية وعشرون رجلا فقتل منا أوس بن
عامر الجرمي وأبو ماجد بن سراقة الحميري والبارع بن المسيب
التميمي ومرارة بن مراد الغنوي والربيع بن جابر العبدي
من بني عبد الدار وهلال بن يعرب النخعي وأمية بن مادح
الداري والأسود بن ملاعب بن مقدام بن عروة الحضرمي

قال الواقدي رحمه الله حدثني نوفل بن سالم
عن جده عويلم بن جارح وكان مع دامس في قلعة حلب
قال قال لي نوفل أن جده حدثه قال لما قتل منا ثمانية من أصحابنا
بقي منا عشرون رجلا وتكاثرت الروم علينا في أزيد من
أربعة آلاف فارس وقد أيسنا من أنفسنا إذ أشرف علينا
خالد بن الوليد رضي الله عنه في أربعة آلاف فارس من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن الأمير أبا عبيدة
رضي الله عنه كان قلقا علينا متشرفا إلى أصحابنا وأخبارنا
وكان رأى الرجلان فأخبراه بصعودنا إلى القلعة فأقبل إلينا
مسرعا فوجدنا في القتال الشديد والحرب العنيد فلما وقع
الصايح بقدوم خالد صاحت الروم وصعدت الأصوات وأشرفوا

على خيل أبي عبيدة التي أتت مع خالد بن الوليد قال أوس فاشتدت
قلوبنا وقوي بأسنا على قتال عدونا وضربناهم ضربا وصعد إلينا
خلق كثير من المسلمين فلما نظرت الروم إلى ذلك علموا أنه لا
طاقة لهم بنا فألقوا سلاحهم وصاحوا الغوث الغوث وكتفوا
أنفسهم فكف المسلمون عنهم القتال فبينما هم كذلك
إذ أشرف عليهم أبو عبيدة في فرسان المسلمين فأخبروه
أن الروم يطلبون الأمان وأن السيف رفع عنهم إلى أن تأتي
فترى رأيك فيهم فقال أبو عبيدة وفقوا ورشدوا ثم أمر
بإحضار رجالهم ونسائهم وعرض عليهم الإسلام فكان أول
من أجاب إلى الإسلام بطريقهم يوقنا رحمه الله وجماعة
من ساداتهم فرد عليهم أموالهم وأهليهم ثم استثنى منهم
جماعة جعلهم فلاحين وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن
لا يتعرضوا لأحد من المسلمين إلا بخير ثم أطلق شيوخهم
وعجايزهم فانطلقوا يرومون الدروب وأخرج المسلمون
من الذهب والفضة والأواني ما لا يقع عليه عدد فأخرج منه
الخمس وفرق الباقي على المسلمين وأخذ الناس في حديث دامس
وحيلته وعالجوا جراحاته وأقاموا في موضعهم ذلك حتى رئي

دامس والجراحي ثم إن أبا عبيدة دعا المسلمين إليه وشاورهم
وقال إن الله وله الحمد قد فتح هذه القلعة على أيدينا وما بقي
لنا موضع نقصده إلا انطاكية وهي دار ملكهم وكرسي عزهم
وفيها بقية ملوكهم مع الملك هرقل فما ترون من الرأي الرشيد
فقام إليه البطريق يوقنا صاحب حلب وقال بلسان عربي
اعلم أيها الأمير أن الله عز وجل أيدكم ونصركم وظفركم
بعدوكم وما ذاك إلا أن دينكم الدين القيم والصراط المستقيم
ونبيكم هو المشهور المنعوت في الإنجيل وهو لا محالة
الذي بشر به عيسى بن مريم لا شك فيه ولا امترا وهو الفاروق
الذي يفترق بين الحق والباطل وهو النبي اليتيم الذي يموت
أبوه وأمه ويكفله جده وعمه فهل كان ذلك قال نعم
هو نبينا وقد كنت يا يوقنا بالأمس تقاتلنا وتكبس عسكرنا
وتقطع الطريق على علافتنا ثم تقول الآن مثل هذه المقالة
ولقد بلغني عنك أنك كنت لا تعرف بالعربية شيئا فمن أين لك
حفظها فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله وأعجب من هذا
أيها الأمير قال نعم فقال يوقنا لا شك أني كنت البارحة
منكرا في أمركم وكيف نصرتم علينا ولم تكن أمة أضعف

منكم عندنا فلما توسوست من ذلك نمت فرأيت رجلا أبهى من القمر
فسألت عنه فقيل هذا محمد وكأني أقول إن كان نبيا صادقا
يسأل ربه أن يعلمني العربية فأشار إلي فاستيقظت وأنا أتكلم
بالعربية ثم قمت إلى منزل أخي يوحنا وفتحت خزانة كتبه فطالعت
فيها فوجدت في بعض الكتب صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما
يكون من أمره وأن أبغض الناس إليه اليهود أكان ذلك أم لا
فقال أبو عبيدة نعم كانت اليهود تطلبه أشد الطلب حتى
نصر عليهم وأخذ حصونهم وقتل أبطالهم قال يوقنا ووجدت
في سيرته أن الله تعالى كان يوصيه على أصحابه وعلى من بعده
وعلى اليتيم والمسكين أكان ذلك فقال أبو عبيدة نعم أما
وصية الله له على أصحابه فقد قال الله تعالى له واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين وقال تعالى في المسكين واليتيم فأما
اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فقال يوقنا كيف نصفه
بالضلالة وهو عنده معظم فقال له معاذ الله معناه ووجدناك
ضالا في تيه محبتنا فهديناك إلى مشاهدتنا وأيضا سهلنا لك
الوصول إلى منازل المكاشفة ووفقناك للوقوف إلى مقام
المشاهدة وأيضا وجدك ضالا في بحار الطلب على مراكب الطرب

ألم يجدك يتيما فآوى
ووجدك ضالا فهدى
ووجدك عائلا فأغنى

فأواك الى سواحل الحق وقربك الى ظل حقايق الصدق وايضا
انكرت بقلبك على عبدة الاغيار وتهت فى قيعان الاستخبار
طامحا بعيون الاستبصار متمنيا ساعات الوصول والتلاق
وليس لك منا خبر ولا منعك منا اثر حتى الحنا لك لوايح الرضى
وكشفنا لك عن واضح الفضا اما علمت يا عبد الله انه لا كنز
عند المؤمن اوفى من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسد
اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العقل ولا رفيق اشر من
الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك
الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة
اخزى من الكبر ولا دوا الين من الرفق ولا دا اوجع من
الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق
ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حياة
افضل من الصحة ولا معيشة اهنى من العفة ولا عبادة احسن
من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من
الصمت ولا غايب اقرب من الموت قال فلما سمع يوقنا هذا
الكلام من ابى عبيدة تهلل وجهه وقال والله هكذا
قرات البارحة فى كتاب لاخى يوحنا وبذكر انها وجدت على

حاشية

حاشية التورية وانجيل مرقس والآن قد رسخ دينكم فى قلبى وعلمت
انه الحق وسأقاتل اعداكم وامحوا ما سلف فقال ابو عبيدة
يا عبد الله دلنا الى اين نسير فقال له يوقنا اعلم ان حصن اعزاز
حصن منيع قوى بالرجال والعدد والزاد وعليه ابن عم لى
اسمه دارس وهو ذو شدة وباس وقوة جليد فى الحرب قوى
عند الضرب وان انتم تركتموه ومضيتم الى ناحية انطاكية
غار على حلب وقنسرين واذاقهم شرا فقال ابو عبيدة وكيف
الحيلة عليه فقال يوقنا ايها الامير انى دبرت حيلة وارجو من
الله تعالى ان يتممها فقال له ابو عبيدة قد اجرى الله تعالى على
لسانك الصواب فقال يوقنا قد رايت من الراى ان اركب
جوادى وتضم الى مائة رجل من المسلمين ولكن لباسهم لباس
الروم وانا اتقدمهم ثم تنفذ اميرا من العرب معه الف فارس
على عتاق الخيل وانا فى المقدمة مع المائة فارس على ميسرة فرسخ
كانا هاربين منكم واولئك الالف فى طلبنا فاذا اشرفنا
على اعزاز القيت الصوت فاذا نظر الينا صاحبها دارس لابد
ان ينزل الينا ويلقانا فاذا سالنى اخبرته انى اسلمت زورا
ثم هربت وخرجت العرب فى طلبى فاذا سمع ذلك صعد بنا الى

القلعة وليكن صاحبك مكمنا بالقرب منا في القرية التي تسمى
الميرة فإذا كان الثلث الأخير من الليل نزلنا وسط الحصن ووضعنا
السيف في أعدائنا ويلحقنا صاحبك وقت الفجر بمن معه فلما سمع
أبو عبيدة ذلك استشار خالدا ومعاذا فقالا يا أمين الأمة إنه
رأي سديد إن لم يغدر هذا الرجل ويرجع إلى دينه فقال
أبو عبيدة إن ربك لبالمرصاد فقال يوقنا وايم الله ما رجعت عن
ديني ودخلت في دينكم إلا وقد ذهب عني ما كنت أعظم من الصور
والصلبان وما بقي في قلبي شيء سوى محبة الله عز وجل الذي لا إله
إلا هو ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم الذي رأيته في النوم
وعاينت معجزته فإن كنتم ممن تظنون بي ظنا كاذبا
فلا تتركوني لما ذكرت فقال له أبو عبيدة يا عبد الله إن أنت
نصحت المسلمين ولم تغدر كان الله لك معينا في كل ما تحاوله
فاتبع الصدق تنجو به فإن ديننا ما بني إلا على الصدق فاتبع
سبيل إخوانك المسلمين فإن المؤمن الصادق قوته ما وجد
ولباسه ما ستر ومسكنه أين وجد ولا يحزنك ما تركت من ملكك
وزينتك وحليك وأما ربك فإن الذي تركته فان والذي
طلبته باق لأن نعيم الدنيا يفنى والآخرة خير وأبقى واعلم

أنك في يومك هذا عار من الذنوب كيوم ولدتك أمك واعلم أن
الدنيا سجن المؤمن والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار
فكره والقرآن حديثه والله أنيسه والذكر رفيقه والزهد
قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع إدامه والحكمة
كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته
والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة
حرفته والجنة داره واعلم يا يوقنا أن المسيح عليه السلام قال
عجبت لثلاثة غافل وليس بمغفول عنه ومؤمل دنيا والموت
يطلبه وباني قصر والقبر مسكنه وقال نبينا عليه أفضل الصلاة
والسلام من أعطي أربعا أعطي أربعا وتفسير ذلك في كتاب الله
عز وجل من أعطي الذكر ذكره الله عز وجل لقول الله تعالى
اذكروني أذكركم ومن أعطي الدعا أعطي الإجابة لأن الله عز
وجل يقول ادعوني أستجب لكم ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة
لأن الله تعالى يقول ولئن شكرتم لأزيدنكم ومن أعطي الاستغفار
أعطي المغفرة لأن الله عز وجل قال استغفروا ربكم إنه كان
غفارا حدثني عامر بن قبيصة اليشكري قال أخبرني يونس قال
كنت ممن شهد فتوح قنسرين وحلب مع أبي عبيدة وكنت كثيرا

ما أصحب الا الروم الذين دخلوا في ديننا فلم أر فيهم أشد اجتهادا
ولا أخلص نية ولا أبلغ في الجهاد ولا أعظم في قتال الروم من
يوقنا والله لقد نصح المسلمين وجاهد في المشركين وأرضى رب
العالمين ولقد فعل في الروم ما لم يفعله غيره من أبناء جنسه رحمه الله

قال الواقدي رحمه الله لما فرغ أبو عبيدة من وعظ
يوقنا ضم إليه مائة رجل من المسلمين وألبسهم دروع الروم
وزيهم وكان كل عشرة منهم من قبيلة وأسماؤهم طي
ونهد وخزاعة وسنبس ونمير ومراد وتميم وحمير وباهلة
وجعل على كل عشرة نقيبا فأما نقيب طي خزعل بن عاصم
وعلى نهد مرة بن مزاحم وعلى خزاعة سالم بن عدي وعلى
سنبس مسروق بن سنان وعلى نمير أسيد بن حازم وعلى
الحصارمة ماجد بن عمير وعلى حمير ملكهم ذو الكلاع
وعلى باهلة سيف بن فادع وعلى تميم سعيد بن جبير وعلى
مراد مالك بن فياض فلما رتب أبو عبيدة هذا الترتيب
قال لهم اعلموا رحمكم الله إني مرسلكم مع هذا الذي
وهب نفسه لله ولرسوله وقد جعلت على كل طايفة منكم
نقيبا فاسمعوا له وأطيعوه ما دام على مرضات الله عز وجل

قال فلبسوا وركبوا وساروا ومعهم يوقنا على المقدمة فلما أبعد
بفرسخ أنفذ أبو عبيدة مالك بن الحارث الأشتر النخعي وضم
إليه ألف فارس من قومه وقال يا ابن الحارث سر في أثر هذا
العبد وانظر ما يؤول من أمره فإذا قربت من أعزاز اكمن إلى
وقت السحر فأنجد إخوانك سر وفقك الله وأرشدك قال
فسار مالك الأشتر على مقدمة الألف فارس وساروا بقية
يومهم أجمع إلى أن دخل الليل فوصلوا إلى التربة فكمنوا فيها
وأما يوقنا فإنه أخذ على طريق الجادة وسار مع المائة فارس
طالبا إعزاز **قال الواقدي** رحمه الله حدثني
الشديد بن مازن عن جده خزعل بن عاصم قال كنت في خيل
يوقنا لما وجهنا أبو عبيدة معه قال لما شارفنا أعزاز أقبل
علينا يوقنا وقال يا فتيان العرب قد شارفنا بلد العدو
فكونوا على يقظة من أمركم فإذا رأيتموني قد بطشت
بصاحب هذه البلدة فثوروا على اسم الله ثم ساروا وما
عندهم خبر من الغدر بهم **قال الواقدي** رحمه الله
حدثني سليمان بن عبد الله اليشكري قال حدثني نعيم بن
عبد الرحمن المديني وكان ممن كتب فتوح الشام قال

أخبرني الأكوع المازني قال كنت مع مالك الأشتر النخعي في جملة الألف
لما سرنا في أثر البطريق يوقنا فلما أكمنا ننتظر الصباح وإذا
بجيش من ورائنا قال فرأينا مالك الأشتر قد تعبأ وقصد الجيش
فغاب عنا غير بعيد وعاد ومعه رجل من العرب فلما توسط به
الكمين قال يا فتيان العرب اسمعوا ما يقول هذا الرجل فقالوا له
وما الذي يقول قال اسألوه فإنه يخبركم فسألوه وقالوا من
أي الناس أنت فقال من غسان من بني عم جبلة بن الأيهم فقال
مالك الأشتر ما اسمك فقال اسمي طارق بن سنان فقال يا طارق
بحق ذمة العرب لا تكتمنا أمرا تعرفه من أعدائنا فقال والله
لا كتمتكم أمرا أعرفه ولكن خذوا على أنفسكم قبل قدوم عدوكم
فقال مالك الأشتر وكيف ذلك قال لأنكم جئتم تريدون
خديعة عدوكم والعدو قد مكر بكم فقال مالك الأشتر
وكيف ذلك قال لأن البارحة ورد على صاحب إعزاز
جاسوسه من عندكم وهو عصمة بن عرفطة التميمي وكان
عندكم وسمع الحيلة التي دبرها يوقنا على صاحب إعزاز
فلما تحققها من يوقنا ومنكم كتب رقعة وربطها في ذنب حمام
كان عنده في ظاهر عسكركم وأرسله إلى صاحب إعزاز

اليوم فوصل إليه قبل صلاة ظهركم فلما قرأه أرسلني إلى صاحب
الراوندان وهو لوقا بن سامر يستنجد به عليكم فمضيت إليه
بالرسالة فقدم في خمسمائة فارس وكأنكم به وقد أقبل
فتأهبوا للقائه **قال الواقدي** رحمه الله وأما ما
كان من يوقنا رحمه الله فإنه سار حتى وصل إلى حصن إعزاز
فوجد صاحبها قد حصن القلعة وأخذ على نفسه وحذر أجناده
وألبسهم وصفهم خارج الحصن وكان اللعين يركب في
ثلاثة آلاف من الروم وألف من العرب المتنصرة سوى من
لجأ إليه من سواد أهل بلده فلما قدم عليه يوقنا لم يوهمه شيء
من أمره بل استقبله وترجل له وأقبل عليه كأنه يقبل
ركابه وكان في يده سكين أمضى من القضا فقطع لها حزام
السرج ثم نثر يوقنا نثرة وقع على أم رأسه وحملت الأربعة
الآلاف فارس على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يمهلوهم حتى أخذوهم قبضا باليد وشدوهم بالوثاق
وبصق داريس في وجه يوقنا وقال لقد غضب الصليب
عليك إذ فارقت دينه ورجعت مع أعدائه فوحق المسيح
لا بد لي أن أبعث بك إلى الملك الرحيم فيصلبك على باب

انطاكية بعد أن أضرب رقاب هؤلاء العرب ثم صعد بهم الى القلعة
قال الواقدي ومن خيرة الله تعالى للمسلمين أن الجاسوس لم
يكتب في مطالعته لصاحب اعزاز بمسير مالك الأشتر النخعي في ألف
فارس وأما ما كان من مالك الأشتر فانه لما سمع قول طارق
المتنصر أخذوا الحذر وأقاموا ينتظرون صاحب الراوندان
فلما مضى قليل من الليل سمعوا بقعقعة اللجم ودوي الخيل فلم يتكلم
مالك حتى توسطوا الكمين فعندها أطبق عليهم وصار كل اثنين
على فارس من الروم فأخذوهم أخذا باليد وأوثقوهم وأخذوا
ثيابهم ولباسهم وراياتهم وصلبانهم والتفت مالك الأشتر
الى المتنصر وقال له هل لك أن ترجع الى دين الله عز وجل ودين
نبيه ويمحا عنك ما سلف من الكفر بالايمان وتصبح معنا من جملة
الاخوان فقال والله ان قلبي يحب دينكم وأنا كنت أول من أسلم
على يد عمر مع ملكنا جبلة بن الأيهم وقد سمعنا عن نبيكم أنه قال
من بدل دينه فاقتلوه فقال له مالك الأشتر لقد صدقت في
قولك ولكن نسخ هذا الحديث بقوله تعالى إلا من تاب وآمن
ولقد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة وحشي بعد
أن قتل عمه حمزة وأنزلت فيه الآيات فلما سمع ذلك الغساني

قال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال
مالك الأشتر قبل الله توبتك وثبت ايمانك لكن أريد منك
يا عبد الله أن تذهب الآن الى صاحب اعزاز وتبشره بقدوم
صاحب الراوندان الى نصرته فقال سأفعل ذلك وان كنت في
شك من أمري أرسل معي من تثق به ليسمع ما أقول فان الليل
تنصف والحرس شديد وأبواب القلعة مغلقة وما أكلمهم الا
من شفير الخندق قال فأرسل معه ابن عمه راشد بن قيس وأوصاه
أن يكون متيقظا وسارا الى أن وصلا الى اعزاز فوجدا الحرس
شديد والروم تضرب بالبوقات والأصوات صاعدة من
وسط الحصن فقال طارق لراشد أما وحق أبي ما هذه الا
أصوات قتال وحرب ثم صنتا واذا الأمر كذلك
قال الواقدي وكان سبب ذلك ان لصاحب اعزاز
اسمه لاون وكان دارس يبعثه في كل وقت الى يوقنا بالهدايا
والتحف وكان يقيم عند يوقنا الشهر والاثنين يحضر
عنده في بعض الكرات في عيد الصليب في البيعة التي هي اليوم
الجامع وكان يدخل على زوجته فرأى ابنة يوقنا في جوارها
وخدمها فوقعت بقلبه وأحبها حبا شديدا فكتم أمره وعاد

إلى اعزاز وشكا حاله إلى أمه فقالت له أنا أخاطب أباك في ذلك وآمره
أن نبعث إلى صاحب فيزوجك بابنته ثم اشتغلوا بمسير العرب إلى
قنسرين وحلب فلما قدم يوقنا إلى اعزاز وكان من أمره ما كان
وقبض عليه ابن عمه دارس وعلى المائة الذين معه أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألقاهم في دار ابنه لاون ووصاه عليهم
فقال الغلام وحق ديني إن هذا البطريق يوقنا أعلم مني
بالأديان ولولا أنه رأى الحق مع هؤلاء العرب ما تبعهم
وأيضا فإن الملوك ما طاقتهم وإن الله نصرهم على ضعفهم وقلبي
متعلق بابنته وإني أرى من الرأي الرشيد أن أحل هؤلاء القوم
من الوثاق وأرجع إلى دينهم وهو الحق وأنال بذلك الفوز
وأتزوج بابنته فلما حدثته نفسه بذلك أقبل إلى يوقنا وجلس
بين يديه وقال له اعلم أني عولت على أن أحلك من وثاقك
وأحل أصحابك هؤلاء وقد اخترتكم على أبي وملكي وأنت تعلم أن
فراق الأهل صعب ولكن الإيمان أوفق من الكفر وقد علمت
أن هؤلاء القوم دينهم صحيح ولكن بشرط أن تزوجني بابنتك
والمهر الذي تأخذه مني هو عتقك وعتق أصحابك فقال يوقنا
يا بني إن كنت معولا على الإسلام فلا يكن لأجل غرض من أغراض

الدنيا وليكن لله خالصا فإن الله تعالى يثبتك على ما تفعله وأنا
إن شاء الله أبلغك ما تريد وتنال عز الدنيا والآخرة فقال لاون
أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ثم حل يوقنا
وأصحابه من الشد ونا ولهم سلاحهم وقال ثوروا على اسم الله
وها أنا ماض إلى عند أبي فإذا قام وهو ثمل من الخمر قتلته في
رضى الله عز وجل ثم أسرع لاون إلى دار امارة أبيه فوجد
أباه بلا رأس ووجد أمه وإخوته عنده فقال من فعل هذا
بأبي فقلن نحن فقال ولم ذلك فقلن أرذن بذلك وجه الله عز
وجل وقد سمعنا ما تحدثت به مع يوقنا وأصحابه فخفنا عليك
أن لا يتم لك ما تريد فيقتلك فإنه لا بد أن يبلغه خبرك فقتلناه
لأجلك ففرح لاون بذلك ورجع إلى يوقنا وإلى أصحابه وأعلمهم
بما جرى فرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وصلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووضعوا السيف في الروم ووقع الصائح
في الحصن وتبادرت الروم تقاتل قتال الموت وفي تلك الساعة
قدم طارق بن سنان وابن عم مالك الأشتر فلما صحنا وعلما
أمر القتال عادا إلى مالك الأشتر وحدثاه بما سمعا في اعزاز
فقال لأصحابه اركضوا الخيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظيم قال فساقوا الخيل الى أن وصلوا الى باب اعزاز فاحس بهم
لاون بن دارس فامر غلمانه أن يفتحوا باب السر لهم ففعلوا ذلك
بعد أن قال لهم لاون هذا صاحب الراوند ان أقبل لينصرنا
فلما حصل مالك الاشتر في اعزاز هو ومن معه أعلنوا بالتهليل
والتكبير فلما نظر اهل اعزاز الى ما حل بهم وانهم هلكى رموا
السلاح وطلبوا الامان فرفع مالك الاشتر السيف عنهم وأخذ
جميع ما في الحصن والاسرى وشكر يوقنا ومن كان معه فقال
اشكروا الله وهذا الغلام ثم حدثه بأمره فقال مالك الاشتر
اذا اراد الله امرا هيأ اسبابه **قال الواقدي** رحمه الله
حدثني ابو عتبة عن صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير
عن أبيه قال سألت ابا لبابة بن المنذر وكان ممن حضر
فتوح الشام وكيف كان سبب قتل دارس أن يحدثني بصحة
الخبر قال لما وضعت الحرب أوزارها وضم مالك الاشتر
الاسرى والمال والثياب وآنية الذهب والفضة وأمر
باخراج ذلك كله الى ظاهر اعزاز ووكل به قيس بن سعد
وكان ممن حضر اليرموك وأصابه سهم فعوره وكذلك
أبو لبابة بن المنذر وكلاهما حضر بدرا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم فلما لم يبق أحد باعزاز قام مالك الاشتر يمشي في
الحصن ويتفقده فرأى دارس مقتولا فقال من قتل هذا اللعين
فقال لاون قتله اخي يوقنا وهو أكبر مني سنا فأمر مالك
الاشتر باحضاره فلما حضر قال له لم قتلت اباك وما سمعنا ان
ابنا قتل اباه من الروم سواك فقال حملني على ذلك محبة دينكم
وذلك ان في بيعة هذا الحصن قسا من المعمرين وكنا نقرأ عليه
الاناجيل ويعلمنا علم الروم ففي بعض الايام كنت عنده وحدي
فقلت له يا أبانا ألا ترى الى بلاد الشام كيف استولت عليها
العرب وملكوا اكثرها وهزموا جيوش الملك وما كنا نظن
ان العرب تقدر على ذلك لأنه ليس في الامم امة اضعف منهم
وان الله تعالى قد نصرهم على ضعفهم فهل قرأت ذلك في كتب
الروم وملاحم اليونانيين أم لا فقال نعم يا بني قرأت ذلك
وأخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوعه وذلك انه جمع اليه
الملوك والاساقفة والبطارقة وأخبرهم ان العرب لابد لهم
ان يملكوا ما تحت سريره وقد بلغنا عن نبي القوم انه قال
زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها واعلم يا بني ان في كتبنا ان نبي العرب يبعث

من الحجاز وقد بشر به المسيح ولا أدري هل هو هذا أم لا فعلمت أنه
كتم عني الامر مخافة ان اذيعه عنه فكتمت الامر الى البارحة
فلما رأيت يوقنا واصحابه أسرى قلت هذا يوقنا قتل أجناده
وعاند العرب وقاتلهم ثم رجع الى دينهم وما ذاك الا انه قد
علم ان الحق مع هؤلاء العرب فقلت أقتل أبي وأخلص يوقنا
ومن معه وأرجع الى دين محمد فهو الحق لا شك فيه فلما نام أبي
وهو ثمل من الخمر قتلته وسرت الى خلاص يوقنا ومن معه فوجدت
أخي لاون قد سبقني الى ذلك فقال له مالك الأشتر يا غلام لم
فعلت ذلك فقال محبة في دينكم وانا أشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال له مالك
قبلك الله ووفقك ثم خرج مالك من الحصن وولاه لسعيد بن
عمر الغنوي وترك عنده المائة الذين كانوا مع يوقنا
قال الواقدي حدثني عبد الملك بن محمد عن ابيه عن حسان
ابن كعب عن عبد الواحد بن ابي عون عن موسى بن عمران اليشكري
عن حميد الطويل قال هكذا حدثني عبد الله بن قرط الأزدي
ان اعزاز كان فتحها كذا والذي ذكر ان المرأة وبناتها قتلن
دارس لم يصح ثم ان مالكا الأشتر بعد أن ولى على اعزاز سعيد

ابن

ابن عمر العدوي أراد أن يرحل الى حلب بما معه من الغنايم ثم عرض
سبي اعزاز فكان ألف رجل من شبان الروم وماتين وخمسة
وأربعين من الشيوخ والرهبان وألف امرأة من البنات وغيرهم
ومائة وثمانون عجوزا ونظر من بينهم الى شيخ من الرهبان مليح
الشيبة واضح الهيبة فقال ان صدقني حزري هذا القس الذي
حدثني به لوقا أخو لاون ثم طلب لوقا وقال له هذا الذي حدثتني
بحديثه قال نعم فقال له اذا كنت من علماء أهل دينك فكيف
تكتم الحق فقال والله ما كتمته عن مستحقه ولكني خفت من
الروم أن يقتلوني لأن الحق يقتل فقال له مالك أترجع الى
ديننا فقال القس لا أرجع الى دينكم الا أن أسألكم عن مسايل
وجدتها في انجيل لوقا فقال له مالك قل مسايلك لأسمعها
فلما أراد القس أن يتكلم بها وقع الصايح بأعلى القلعة فار تاع
المسلمون لذلك ووثب مالك الأشتر لينظر ما الخبر وظن أن
الروم غدرت بالمسلمين واذا بجماعة يقولون خذوا الأهبة
على أنفسكم فانا نرى غبرة على طريق منبج وبزاغة ولا ندري
ما تحتها قال فركب مالك الأشتر ومن معه وساروا ينظرون
ما الذي دهاهم واذا بالغبرة قد انجلت ولاح من تحتها

جيوش العرب واما مهم السبايا والاموال والرجال فنظر مالك الاشتر
واذا هم الف فارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقدمهم الفضل بن العباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد بعثه ابو عبيدة غارا على منبج وجسرها وبزاعة وربشتا فقا فوقع
التكبير من الفئتين فسلم مالك على الفضل بن العباس وسلم المسلمون
بعضهم على بعض وسال الفضل مالكا عن قصته فحدثه ان الله قد
فتح اعزاز واذل من فيها وحدثه بما كان من حديث المسلمين
ويوقنا وقال له ما منعنا من الرحيل الى حلب الا هذا القس وسواله
فقال الفضل ايها القس قل ما انت قايله فقال اي شي خلق الله من
مخلوقاته قبل السموات والارض قال الفضل اول ما خلق الله
اللوح المحفوظ والقلم ويقال العرش والكرسي ويقال الوقت
والزمان ويقال العدد والحساب ويقال خلق اولا جوهرا
فصيره ماء ثم صير منه العرش لقوله في كتابه وكان عرشه على
الما ويقال خلق اولا العقل لانتفاع الخلق بعقله وقيل اول
ما خلق الله نورا وظلمة ثم دعاهما الى الاقرار به فانكرت
الظلمة واقر النور فخلق الجنة من النور لرضاه عنه والنار
من الظلمة لسخطه عليها وخلق ارواح السعدا من النور وارواح

الاشقيا من الظلمة لاجل ذلك يرجع كل واحد منهم الى مستقره ويقال
اول ما خلق الله نقطة فنظر اليها بالهيبة فتضعضعت ومالت
فصيرها الفا فجعلها مبدا كتابه فسبحان من الف كتابه من نقطة وخلق
خلقه من نقطة ثم يميتهم بقبضة ثم يحييهم بنفخة فلما سمع القس
ذلك من كلام الفضل قال اشهد ان هذا هو العلم الذي استاثر
الله به انبياءه وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله فلما نظر اهل اعزاز الى قسهم قد اسلم
اسلموا عن اخرهم الا القليل **قال الواقدي** حدثني
عامر بن يحيى عن اسد بن مسلم عن دارم بن عباس عن جده قال لما
اسلم اهل اعزاز باسلام قسهم عول الفضل ومالك ومن معهم
بالمسير الى حلب فقال يوقنا اما والله ما لي وجه اقابل به المسلمين
فاني كنت قلت قولا ودبرت حيلة فلم تتم على اعدا الله واني
معول على المسير الى انطاكية لعل الله تعالى ينصرني وبالاعدا
يظفرني فقال له الفضل ان الله تعالى قال لنبينا ليس لك من
الامر شي فقال والله انا على دينه ولا ارجع الا بامر يبيض الله
به وجهي عند المسلمين ثم نظر واذا قد صحب الفضل ماتان
من بني عمه واهل بيته ممن رسخ الايمان في قلوبهم ولهم

الاطفال والعيال بحلب فأخذهم يوقنا فلما مضى جانب من الليل
اختار اربعة من بني عمه وقال للباقين خذوا على طريق ارتاج
كأنكم هربتم من العرب وامض انا وهؤلاء الاربعة على هذا
الطريق وهو الطريق الاقصر ونجتمع بانطاكية ان شاء الله قال
ففعل القوم ذلك ولم يزل سايرا حتى وصل الى دير سمعان المشرف
على البحر الاسود فوجد هنالك خيلا ورجالا فلما نظروا الى
يوقنا ومعه الاربعة بادروا اليهم واستخبروهم عن حالهم
فقال يوقنا انا صاحب حلب وقد هربت من العرب فمسكوا
يوقنا واصحابه واتوا بهم الى الملك فوجدوه في الكنيسة
يصلي فوقفوا حتى فرغ من صلاته اوقفوا يوقنا واصحابه بين يديه
فسلموا له وقالوا له ان بوطس صاحب حرس دير سمعان قد وجه
بهولاء اليك وهذا يزعم انه صاحب حلب فلما سمع هرقل ذلك
التفت اليه وقال انت يوقنا ما الذي جاء بك وقد بلغني عنك انك
رجعت الى دين العرب فقال ايها الملك رأيت لي الخلاص في ذلك
ولكني ما اسلمت الا لأكيد القوم واتخلص من شرهم ومن كريه
منظرهم ونتن رائحتهم واتفقت معهم ان اسلم لهم اعزاز
واقتل صاحبها واخذت مائتي سيد من ساداتهم وسرت بهم

وامرت اميرهم ان يبعث الى الفا منهم حتى اذا حصلت في اعزاز
انصب عليهم واجعلهم في الحصن وانفذ الكل اليك فاستعجل
علينا دارس ولم يدر ما اضمرنا ووثق بجاسوسه ولم يبق بنا
وقبض علينا ولما وصلت العرب الى حصن اعزاز وضعوا السيف
في اهلها وذلك ان لوقا قتل اباه وحل العرب وحلنا في الجملة
فلما اشتغلوا بالقتال وبالنهب هربت انا وهؤلاء الاربعة
بدينا اليك ولولا محبتي لديني ما كنت بالذي اقتل اخي يوحنا
واصبر على قتال العرب وحصارهم سنة كاملة واعانته
البطارقة والملوك وقالوا صدق يوقنا وما فينا اصدق منه
ولا اخلص من يقينه ثم قال يوقنا ايها الملك سيظهر لك
فعلي وعملي وجهادي قال فاهتز الملك لقوله وخلع عليه ما
كان لابسه من زي المملكة وسواره ومنطقته وتوجه وقال
ان كانت حلب اخذت منك فانا اوليك على انطاكية قال فسكع
له يوقنا ودعا له فبينما هم كذلك واذا الموكل بجسر الحديد
قد بعث اليه يقول له ايها الملك اعلم انه قد قدم علينا مايتا
بطريق من فرسان حلب يزعمون انهم من بيت واحد من
الروسية وهم من بني عم يوقنا وقد هربوا من العرب قال

فلما سمع الملك ذلك قال ليوقنا اركب واشرف على هؤلاء القوم فان
كانوا من بني عمك فاهلا بهم وضمهم اليك ليكونوا في ركابك
وان كانوا غيرهم فائت بهم لأرى رأيي فيهم وإياك ان يكونوا من
قبل العرب ممن رجع عن دينه من اهل شيزر وحماه والرستن وحمص
وبعلبك ودمشق وحوران فقال يوقنا نعم ايها الملك ثم ركب
وركبت معه الهرقلية والسريرية الى ان وصلوا الى جسر الحديد
فوقفوا هناك ثم امر ان يعرضوا عليه المائتين فلما رآهم رحب
بهم فنظروا اليه في حشمه وخلعة الملك عليه فترجلوا بين
يديه وباسوا ركابه فقال لهم كيف خلصتم من ايدي العرب
فقالوا انا خرجنا مع اميرهم وعبرنا على منبج وبزاغة فلما رجعنا
نريد حلب اخذنا طريقنا على حصن اعزاز فوجدناها قد ملكت
فلما جاء الليل هربنا قال وحجاب الملك يسمعون ذلك فأمرهم
يوقنا بالركوب فركبوا وسار بهم الى الملك فحدثه الحجاب بما
سمعوا فخلع الملك عليهم وانزلهم واعطى يوقنا دارا بازاء قصره
فقال ايها الملك انت تعلم ان هذه الدنيا لا يدوم نعيمها
وان المسيح شبهها بالجيفة وطالبيها بمنزلة الكلاب تتجاذبوها
كما روي ان المسيح رأى طيرا حسنا مزينا بكل زينة فنزع

جلده عنه فرآه اقبح شيء فقال له من انت فقال انا الدنيا ظاهري مليح
وباطني قبيح وانما ضربت لك ايها الملك هذا المثل الا لانه ما خلا
جسد من حسد واذا اقبلت الدنيا على احد كثر حساده واخاف
من الحساد ان يتكلموا في عرضي بما ليس افعله من القبيح فان كان
قلب الملك ينفر مني فليول غيري هذا الامر ولست ابرح من
ركاب الملك فقال له الملك ايها الدمستق ما وليتك هذا الامر
الا وقلبي يثق بك ومن تكلم فيك بشيء سلمته اليه تفعل فيه
ما شئت فباس يوقنا الارض بين يديه واراد الخروج من عنده
واذا بخيل البريد قد اقبلت الى الملك هرقل من مرعش وذكروا
انهم رسل ابنة الملك وانها تريد القدوم على الملك هرقل لانها
خايفة من العرب وتنظر ما يؤول من امر الملك وتسأل لك في جيش
تسيره اليها فلما سمع الملك ذلك قال ليس لها غير الدمستق يوقنا
فباس يد الملك وقال السمع والطاعة لك ثم ضم اليه الفي فارس
من المدنجة والقياصرة وسار يوقنا في الفي فارس وما تيسر من
اصحابه وقد رفع الصليب على رأسه والجنائب بين يديه الى ان
وصل الى مرعش واخذ زينون ابنة الملك وهي الصغرى وكان
الملك قد ولاها على تلك الارض وزوجها بنسطورس وكانوا

يسمونه سيف النصرانية لشجاعته وكان قد مات على اليرموك لجراحات اصابته **قال الواقدي** فلما اخذ يوقنا ابنة الملك وعاد يطلب انطاكية اخذ طريقه على الجادة العظمى لعله يلتقي باحد من جواسيس المسلمين او باحد من المعاهدين يبعث معه الخبر الى ابي عبيدة انه قد تمكن من انطاكية فلما كان في بعض الليالي اشرف على مرج الديباج وكان الليل قد تنصف واذا بخيول الروم قد اوقفت اذانها فعادت بسرعة الى يوقنا فقال لهم ما وراكم فقالوا ايها الدمستق العظيم لما اشرفنا على وسط المرج ونظرنا واذا بعسكر نازل فتجسسنا عليهم واذا بهم عرب نيام والخيل تاكل عليقها ولسنا نشك الا انهم من المسلمين فلما سمع يوقنا ذلك قال خذوا على انفسكم وايقظوا خواطركم وجاهدوا اعداكم وقاتلوا عن حرمة الملك ولا تسلموها لاعدايها وكونوا خير جند قاتلوا عن نعمة صاحبكم واذا اشتبكت الحرب بيننا وبينهم فاعتمدوا على الاسر واياكم والقتل واعلموا ان العرب مع اميرها لا بد لهم من مشورته ومن المصاف فان اسر منا احد كان لنا من نفادي به وقد وجد في كتاب لبعض الحكما من نظر في عاقبة زمانه وشح بتوبيخ

امانه ومن اهمل امره ضاع قصده ومن اكثر الغدر حل به الامر سيروا على بركة المسيح قال فشرعوا الاسنة وارخوا الاعنة وقصدوا من في المرج فلما احس بهم اهل الحرس ايقظوا اصحابهم وقالوا انا نسمع قعقعة اللجم ودوي الخيل ولا ندري من القوم قال فاستيقظ القوم وركبوا واستقبلوا يوقنا وقالوا من انتم اوجزوا وانجزوا من قبل ان تحكم الصوارم في الجماجم فلما سمع يوقنا قولهم قال لهم من انتم فقالوا نحن من اصحاب الملك الرحيم هرقل ورجال ملك العرب جبلة بن الايهم الغساني سيد اليمن ومقدمنا ولده الهايم فلما سمع يوقنا ذلك ترجل يوقنا اعظاما له وترجلت الالفان والمايتان في يد واحدة وسلم عليه وسلمت الروم على المتنصرة فقال الهايم ابن جبلة ليوقنا من اين قدمت قال من مرعش وقد جئت بابنة الملك فمن اين جئت انت قال من الميرة والعمق حملت ميرة الى اهلها فلما رجعت اريد الملك عبرت بمرج دابق فالتقيت بكتيبة من الفرسان وهم زهاء عن مايتي فارس فلما شارفناهم حملوا علينا بعزم جليد وحرب شديد واذا المقدم عليهم رجل لا يصطلى له بنار ابادنا منا رجالا وجندل منا ابطالا ونحن في

ألف فارس فما كان فينا الا كالنار في الحطب فما زالوا يكرّوا
علينا ونكرّ عليهم حتى أسرنا المائتين بعد أن قتل الرجل منهم الاثنين
منا والثلاثة وبقي أميرهم في آخر القوم فقصدنا جواده بالسهام
فقتلناه فلما وقع الجواد هاجمناه وأخذناه أسيرا واستخبرنا
القوم وإذا هم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقدم
عليهم ضرار بن الأزور وها هو معنا نسير به إلى الملك هرقل
قال فأظهر يوقنا الفرح وقال لهم وحق ديني لقد فزت بالفخر
العميم بأسرك لهذا الغلام ولقد بلغني عنه ما فعل بأبطال
الشام وفرسان الروم ثم سار القوم يريدون الملك هرقل

قال الواقدي رحمه الله حدثني بشار بن عوف عن صالح
ابن عبد الله عن جده مسروق عن عباد بن مازن عن عمران بن
حصين قال لما فتح المسلمون اعزاز وترك مالك الأشتر عليها
سعد بن عمر الغنوي والتقى بالفضل بن العباس ورجع المسلمون
بالغنائم إلى حلب واستبشر أبو عبيدة بسلامة الناس وبفتوح
اعزاز وسأل عن يوقنا فحدثه مالك في السر بقصته وأنه
قد مضى إلى انطاكية لينصب على كلب الروم ولم يكن له وجه
يعود به إليك فقال أبو عبيدة الله ينصره ويظفره ثم كتب

إلى عمر كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة عامر
ابن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فإني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
أما بعد فإن الله تعالى قد من علينا نعمة نستوجب بها الشكر
والحمد من جميع المسلمين إذ فتح الله علينا ما استصعب من قلاع
الكفار وأذل لنا ملوكهم وأورثنا أرضهم وديارهم وإن الله
عز وجل قد فتح علينا بقلعة حلب وأردفها باعزاز وإن البطريق
يوقنا أسلم وحسن إسلامه وقد رجع عونا للمسلمين على الكافرين
وقد كتبت إليك هذا الكتاب ونحن معولون على المسير إلى انطاكية
نقصد طاغية الروم فما بقي سواه من أعدائنا ونحن معولون
وطامعون بأخذ سريره وكنوزه كما وعدنا نبينا صلوات
الله وسلامه عليه فزودنا بالدعاء فإنه سلاح المؤمنين ودمار
على الكافرين والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة
الله وبركاته ثم استخرج الخمس وسلمه إلى رباح بن غانم
اليشكري وضم إليه مائة فارس من الأنصار فيهم قتادة بن
نعمر وسلمة بن الأكوع وعدي بن بشار وجابر بن عبد الله
ومثل هؤلاء فأخذوا الخمس وساروا ثم إن أبا عبيدة دعا

ضرار بن الأزور وضم إليه مائتي فارس من العرب وأمره أن يقصد
شمالي الشام ويشن الغارة على الروم فركب ضرار والمائتان
وسار بهم ومعهم سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يزل ضرار يسير هو ومن معه وقد قدم أمامه رجل من
المعاهدين يدلهم على الطريق فلما وصل إلى دابق قال لهم
المعاهدي علقوا على خيولكم واستريحوا ساعة فإن بلد العدو
قريبا منكم فإذا كان وقت السحر غيروا عليهم قال فنزلوا
هنالك وعلقوا على خيولهم وناموا فما شعروا إلا والهايم بن
جبلة قد كبسهم فلما وقع الصايح ركب ضرار بن الأزور جواده
ومعه مائة كانوا بالقرب منه وأما المائة الأخرى فإنهم
ما استيقظوا إلا وقد داستهم الخيل بسنابكها ونفرت
خيلهم ووقع الصايح فقاتلوا رجالة وما وصل إليهم عدوهم
حتى قتل كل واحد منهم خصمه ثم أسروا المائة وأما ضرار
فإنه صاح بأصحابه وقال يا فتيان العرب هؤلاء أعداؤكم
قد هاجموكم على حين غفلة منكم وهم عرب مثلكم وهذه
أفضل الساعات عند الله عز وجل فقدموا عزمكم ولا تفشلوا
لأنكم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة

تحت ظلال السيوف وقد قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين قال سمرة بن عامر
وكان في جملة من حضر معنا في مرج دابق ربيعة بن أبي معمر
ابن أبي عون وهو أبو عمر بن ربيعة الشاعر وكان من
أفصح العرب لا يتكلم إلا بالسجع ينظم كلامه ويحسن نظامه
وكان إذا تكلم على البديهة يحير سامعه من حسن ما يتكلم به
وكنا نصغي إلى سجعه ونحفظه منه فلما سمع ضرار وهو يحرضنا
صار في وسطنا وقال يا فتيان ربيعة ومضر هذا يوم له ما
بعده • وقد علمتم قربه وبعده • ولن تنال الجنة إلا بالصبر
على المكاره • ولله في عرض السموات جنة ولكنها محفوفة بالمكا ره
وأعلى الدرجات درجة الشهادة • فارضوا عالم الغيب
والشهادة • فهذا الجهاد قد قام على ساقه • وبدا النفاق في
أسواقه • واختفى نفاقه في إنفاقه • أما أنتم أصحاب بني
العصر • أفأيستم من الثبات والنصر • بشروا روح المصطفى
بثباتكم • وقدموا العزم بصفا نياتكم • وإياكم أن تولون
الأدبار • فتستوجبون غضب الجبار • واعلموا أن الصبر
والثبات جندان منصوران • فمن طلب البقا • هان عليه

اليوم ما يلقى • فصححوا طلبكم • تنالوا اربكم • وحققوا املتكم •
تنالوا بغيتكم • واطعنوا الصدور • تنالوا الحور • وشرعوا
الاسنه • تنالوا الجنه • واعتمدوا الصبر • تنالوا النصر
واياكم ان توافقوا الكفار في فعلهم • واعدلوا عن طريق
قولهم • قال الله العالم بفعلهم وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم • ثم قال معلنا • وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا • ثم بين من يعلم السر
المكنون • فقال يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد
ذلك فاولئك هم الفاسقون • بشروا فقد سبق المفردون
واجتهدوا فقد فاز المجتهدون • يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون • قال سمرة بن عامر
والله لقد انتعشت انفسنا لقوله وحملنا على المتنصرة وضرار
يقدمنا وهو • **يقول**

الا فاحملوا نحو اللئام الكواذب • واروو اسيوفا من دما الكتائب
وذبوا عن الدين المعظم في الورى • وارضوا اله العرش رب المواهب
فمن كان فيكم يبتغي عتق رقبه • من النار في يوم الجزا والمآرب
يحمل هذا اليوم حملة ضيغم • ويضرب في الاعدا بحد القواضب

ثم حمل ضرار ونحن من ورايه وبذلنا اسيافنا في المتنصرة وجرى
لنا من الحرب ما لا يوصف وضرار كالنار في الحطب والهايم
ابن جبلة يتعجب من حملاته وضرباته فامر قومه ان يقصدوا
جواده باسنتهم وسهامهم ففعلوا ذلك فوقع الجواد فتكاثرت
عليه المتنصرة فاخذوه اسيرا وشدوه كتافا واوثقوه رباطا
واخذوا بقية اصحابه وساروا يريدون انطاكية فالتقوا
بيوقنا وابنة الملك كما ذكرنا **قال الواقدي**
رحمه الله ولقد حدثني معمر بن رواحة عن موسى بن قاسم عن
حرام بن عمر عن ابن المنكدر ان سفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في حرب ضرار بن الازور وحضر
اسره فلما كان الليل انطلق هاربا يلتمس الوصول الى
ابي عبيدة واذا هو باسد عظيم قد عارضه فقال له يا ابا
الحارث انا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
من امري كيت وكيت فاقبل يبصبص بذنبه حتى قام الى جانبه
وزار فسرت وهو الى جانبي حتى اتيت موضع صلحنا ثم
تركني ومضى **قال الواقدي** وتوصل سفينة الى الجيش

وحدث المسلمين بأسر ضرار ومن معه فصعب ذلك على المسلمين فبكى أبو عبيدة وخالد على أسر ضرار بن الأزور وقال أبو عبيدة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبلغ خبره لأخته خولة فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون يا ابن أمي في السلاسل أو تقول أم بالحديد تقدوك

ثم أنشأت تقول

ألا مخبرا بعد التفرق يخبرنا ۰ فما الذي يا قوم أشغلكم عنا
ولو كنت أدري أنه آخر النوى ۰ لكنا وقفنا للوداع وودعنا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبري ۰ وهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الأيام تزهو بقربهم ۰ نغلوا وكانوا كما كنا
ألا قاتل الله النوى ما أمره ۰ وأقتله ماذا يريد النوى منا
ذكرت ليالينا ونحن جماعة ۰ ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما إلى دار عزهم ۰ لثمنا خفافا للمطايا وقبلنا
ولم أنس إذ قالوا ضرار مطرح ۰ تركناه في أرض العدو وودعنا
فما هذه الأيام إلا معارة ۰ وما نحن إلا مثل لفظ بلا معنا
أرى القلب لا يختار في الناس غيرهم ۰ إذا ما ذكرهم ذا الرحمن أو أنا
سلام على الأحباب في كل ساعة ۰ وإن بعدوا عنا وإن منعوا منا

قال الواقدي ولقد بلغني عن واحد بن عون أنه قال اجتمعن النساء من العربيات ممن أسر لها أسير مع ضرار بن الأزور مع خولة بنت الأزور وفي جملتهم مزروعة ابنة عملوق الحميرية وكانت أفصح أهل زمانها وكان ولدها صابر بن أوس فيمن أسر فجعلت تندب ولدها

وتقول

أيا ولدي قد زاد شوقي تلهبا ۰ وقد حرقت منه الشئون المدامع
وقد أضرمت نار المصيبة شعلة ۰ وقد حميت مني الحشا والأضالع
وأسأل عند الركب أن يخبروني ۰ بحالك كيما تستكن المواضع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق ۰ ولا فيهم من قال أنك راجع
فيا ولدي مذ غبت كدرت عيشتي ۰ فقلبي مصدوع وجفني دامع
وفكري مقسوم وعقلي موله ۰ ودمعي مسفوح وداري بلاقع
فإن تك حيا صمت لله حجة ۰ وإن تكن الأخرى فما الحر جازع

فقالت لهن سلمى ابنة سعيد بن زيد وكانت من الزاهدات العابدات أبهذا أمركن الله عز وجل إنما أمركن بالصبر ووعدكن على ذلك الأجر أما سمعتن ما قال الله عز وجل الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وفي ثواب الله عوض مما أصبتن به وفي ما استقر عندكن من نفاد الدنيا وبقاء الآخرة

قال فسكتن عن البكاء **قال الواقدي** رحمه الله ولما ورد الخمس على امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكتاب ابى عبيدة مع رباح بن غانم اليشكري فلما قدم المدينة وقع الصايح بقدومه فاجتمع الناس في المسجد ليسمعوا ما تجدد من قصة حلب فلما قدم رباح سلم على عمر وقبل يده واعرض عليه الخمس وسلم اليه الكتاب فلما قراه على المسلمين ضجوا بالتهليل والتكبير وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب عمر الى ابى عبيدة بالمسير الى انطاكية ولا يصده عن ذلك شيء **قال الواقدي** رحمه الله اخبرني مازن بن عبد ربه عن مالك بن اسيد عن جده مروان بن الحرث ان الجواب لما ورد على ابى عبيدة سار من يومه يطلب انطاكية واما ما كان من يوقنا رحمه الله والهايم بن جبلة ومن تبعهم فانهم ساروا الى انطاكية وسبق البشير الى الملك هرقل بقدوم ابنته والهايم بن جبلة ويوقنا والمايتي اسير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الملك بالبيع فزينت واظهرت الروم زينتها ووقعت الصدقات والخلع على فقرا الروم وخرج الملك الى لقايهم في موكبه مع ابن اخيه قورين

ودخل القوم المدينة وترجلت الملكية بين يدي ابنة الملك وخرج كل من في انطاكية وكان يوما مشهودا وقدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشدودين بالقد والروم تلعنهم وقد دار بهم رجال الهايم بن جبلة وزفت ابنة الملك الى قصر ابيها ودخلوا على الملك وسجدوا بين يديه فخلع على الهايم بن جبلة وعلى يوقنا وكبار اصحابه وامر باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثلوا بين يديه وهم في الحبال فلما وقفوا صاحت بهم الخدام والحجاب الارض للملك فلم يلتفتوا اليهم ولا عبوا بكلامهم فقال لهم الحاجب الكبير سورند ما منعكم ان تعظموا بساط الملك بالسجود بين يديه فقال له ضرار ابن الازور لانا لا نرى السجود لمخلوق وقد نهانا نبينا صلى الله عليه وسلم عن ذلك **قال الواقدي** رحمه الله حدثني سهل بن قادم عن السليل بن حازم عن الحكم بن مازن قال لما وقف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي هرقل خاطبهم بغير ترجمان واراد بذلك ان تسمع بطارقته وحجابه ما كان حدثهم به حين بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه كان جمعهم اليه وقال لهم هذا هو

النبي المبعوث الذي بشر به المسيح وهو صاحب الوقت ولا بد لدينه
أن يظهر حتى يملأ المشرق والمغرب ثم دعاهم لأداء الجزية فأرادوا
قتله فأراد يومه ذلك أن يبين لهم حقيقة قوله وإنه ما أراد
بذلك إلا صلاحهم فقال للصحابة من يخاطبني منكم عما أسأله
عن العلم فأشاروا إلى قيس بن عامر الأنصاري وكان شيخا
معمرا شهد جميع أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه
فلما أشارت الصحابة إليه قال للملك قل ما أنت قايله فقال
هرقل كيف نزل الوحي على نبيكم في مبدإ أمره فقال قيس بن
عامر سأل هذا السؤال رجل لنبينا عليه السلام والسايل من
أهل مكة اسمه الحرث بن هشام فقال يا رسول الله كيف
يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا
يتمثل لي الملك فأعي ما يقول وأحيانا يأتيني مثل صلصلة
الجرس وهو أشده علي وينفصم عني وقد وعيت ما قال
قالت عايشة رضي الله عنها ولقد كان ينزل عليه في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرشح عرقا وأول
ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت

مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلا فكان يخلو بغار حرا فجاءه الملك
فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني
الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت وما أقرأ قال اقرأ باسم ربك
الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي
علم بالقلم فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده فدخل على خديجة
بنت خويلد فقال زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع
فأخبر خديجة الخبر وقال لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة
كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وذكر الحديث كله
ولقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا
أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك
الذي جاءني بحراء وهو جالس على كرسي بين السماء والأرض
فرعبت منه ورجفت وقلت دثروني دثروني فأنزل الله
عز وجل يا أيها المدثر إلى قوله فاهجر ثم حمي الوحي وتتابع
ثم قال قيس بن عامر لملك الروم كنت يوما مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسجد فجاء أعرابي على جمل فأناخه
وعقله ثم قال أيكم محمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم متكئ

فقلت هذا الرجل الأبيض المتكي فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد أجبتك فقال للنبي صلى الله عليه وسلم
إني سائلك ومشدد عليك في المسألة فقال اسأل عما بدا لك فقال
أسألك بربك ورب من قبلك الله أرسلك إلى الناس كلهم فقال
اللهم نعم فقال أنشدك بالله الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس
في اليوم والليلة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله الله أمرك
أن تصوم هذا الشهر في السنة قال اللهم نعم فقال أسألك
بربك الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها
على فقرائنا قال اللهم نعم قال الرجل آمنت بما جئت به وأنا
رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أحد بني سعد
ابن بكر فقال هرقل بحق دينك ما الذي رأيت من معجزاته
قال كنت معه في سفر فأقبل أعرابي فدنا منه فقال له المصطفى
قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال ومن
يشهد على ما تقول قال هذه السارية يعني الشجرة فدعاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي فأقبلت
تخد الأرض حتى وقفت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فقالت
أنت محمد رسول الله ثم رجعت إلى منبتها فقال له هرقل أنا

نجد في علمنا أن الرجل من أمته إذا عمل سيئة كتبت عليه واحدة وإذا
عمل حسنة كتبت له عشرة فقال له قيس بن عامر هذه صفة أمة
نبينا لأن في كتابنا الذي هو القرآن من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها فقال له الملك واعلم
أن النبي الذي بشر به المسيح هو الشاهد في الدنيا والشاهد
على الناس يوم القيامة قال قيس بن عامر هذه صفة نبينا هو
الشاهد في الدنيا لقول الله عز وجل إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وأما شهادته في
العقبى فلقول الله عز وجل وجئنا بك شهيدا على هؤلاء فقال
هرقل أن الذي ذكرته لك يأمر الله العباد أن يصلوا عليه في
حياته وبعد موته فقال قيس قال الله تعالى في كتابه العزيز إن الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما قال هرقل أن النبي الذي وصفه المسيح يعرج به إلى
السماء ويخاطب العلي الأعلى فقال قيس بن عامر هذه صفة
نبينا قال الله تعالى في كتابه سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فقال هرقل إن الذي وصفته
لك يأمره الله وأمته بصوم شهر يقال له رمضان قال قيس

قد ذكر الله ذلك في كتابه فقال شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان قال قيس بن عامر
وكان بطريق القوم يسمع كلامنا وهو رأس دينهم فقال أيها
الملك إن الذي ذكرت لم يبعث بعد فقال له ضرار بن الأزور
كذبت هذه اللحية الخنزيرية يا كلب الروم وإنه هو النبي
المبعوث المشهور وهو نبينا ولكن حجاب الكفر يمنعكم من معرفته
فقال هرقل لقد أسأت الأدب إذ أخرقت بعمدة ديننا فمن
أنت فقال قيس بن عامر هذا ضرار بن الأزور فقال الملك هذا
الذي بلغني عنه أنه يقاتل مرة راجلا ومرة راكبا ومرة بسلاح
ومرة بغير سلاح **قال الواقدي** رحمه الله ولقد
بلغني أن البترك لما سمع إخراق ضرار به أورى الحرد والغضب
وقام من حضرة الملك قال فغضبت البطارقة والحجاب لغضب
البترك فلما نظر هرقل إلى غضبهم خاف على نفسه منهم وقال
قطعوه بأسيافكم فأخذته السيوف من كل جانب ونالته
ضربات الكلاب فضربوه أربعة عشر ضربة إلا أنها غير قاتلة
لما يريده الله تعالى من نجاته فلما رأى البترك ذلك حلس وقال
اقطعوا لسانه فلما سمع يوقنا ذلك قال لولده وكان في جملة

المائة والله لا تركت هذا اللعين يتمكن من رجل من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتقدم وباس الأرض وقال أيها الملك ليس
هذا بالصواب وإن من الرأي ترك هذا الغلام فإن عاش إلى صبيحة
غد أخرجناه إلى باب المدينة وضربنا عنقه ونشفي بذلك صدور
الروم إذ على قلوبهم منه ما لا يوصف لقتله آباءهم وأبناءهم
ويبلغ الخبر إلى العرب فنوهنهم بذلك وإنما أراد يوقنا بذلك
خلاص ضرار بن الأزور وقال إذا بات ليلة انكسر عنه غيظ
الروم قال فاستصوب الملك رأيه وقال ليوقنا ولولده خذاه
واحفظاه الليلة قال فأخذاه وأتيا به إلى دارهما واعتبرا
جسده وإذا الضربات مشتطبة لم تقطع عرقا ولا عصبا لطفا
من الله عز وجل به فخيطا جراحاته وطرحا فيها الدواء وأطعماه
وسقياه الشراب ففتح ضرار عينيه ولم يكن له علم بأن يوقنا
قد رجع على الروم وإنما ظن أنه قد ارتد فقال إن كنتما
كافرين فقد سخركما الله لي حتى داويتماني وإن كنتما مؤمنين
فمرحبا بكما وهنيئا لكما ولعل الله ببركتكما يجمع الله تعالى شملي
بعجوز في الحجاز قد أعلها الصباح والبكا تدعوا ليلا ونهارا
ولقد كانت تحسب لي هذا الحساب لأني آخر من بقي لها من

الأحباب ولي أخت في عسكرنا ذلك وقد خفي عليها أمري وأند فن
سري فإن قدر تما بلغا أختي سلامي وأعلماها بمقامي وكيف كان
لذكا فرين من كلامي فهي تعلم أمي وتكاتبها بأمري ثم صبر
إلى الليل وقال لهما اكتبا عني لأختي ثم أملى عليهما **هذه الأبيات**

ألا أيها الشخصان بالله بلغا • سلامي إلى أطلال مكة والحجر
فلقيتما ما عشتما ألف نعمة • بعز وإقبال يدوم مع النصر
ولا ضاع عند الله ما تصنعانه • فقد خف عني ما وجدت من الضر
بصنعكما بي نلت خيرا ونعمة • كذلك فعل الخير بين الورى تجري
وما بي وبيت الله موتي وإنما • تركت عجوزا في المهامه والقفر
ضعيفة حيل ليس فيها جلادة • على نائبات الحادثات التي تجري
معودة سكنى القفار مقيمة • على الشيح والقيصوم والعشب والزهر
وكنت لها ركنا بعيد رجالها • وأكرمها جهدي وإن مسني فقري
وأطعمها من صيد كفي أرانبا • من الوحش واليربوع والضب والعفر
مع الظبي والغزلان والبيق نحن • مع البقر الوحش المقيمة في البر
وأحمي حماها أن تضام فلم أزل • لها ناصرا في موقف الشر والضر
وإني أردت الله لا شيء غيره • وجاهدت في جيش الملاعين بالسمر
وأرضيت خير الخلق أعني محمدا • لعلي أنال الفوز في موقف الحشر

فمن خاف يوم الحشر أرضى إلهه • وقاتل أنا الصليب ذوي الكفر
كذلك أختي جاهدت كل كافر • وما برحت بالطعن في الكر والفر
تقول وقد حان الفراق بحينه • ألا يا أخي ما لي على البين من صبر
ألا يا أخي هذا الفراق فمن لنا • بحسن رجوع قادم منك بالبشر
إذا سافر الإنسان من أرض أهله • فإما رجوع أو هلاك إلى الدهر
ألا بلغاها عن أخيها تحية • وقولا غريب مات في قبضة الكفر
جريح طريح بالسيوف مبضع • على نصرة الإسلام والطاهر الطهر
ألا يا حمامات الأراك تحملي • رسالة صب لا يفيق من السكر
حمامات نجد بلغا قول شايق • إلى عسكر الإسلام والسادة الغر
وقولي ضرار في القيود مكبل • بعيد عن الأوطان في بلد وعر
حمائم نجد اسمعا قول مفرد • غريب كئيب وهو في ذلة الأسر
وإن سألت عني الأخية خبري • بأن دموعي كالسحاب أو القطر
حمائم نجد غردي عند موطني • وقولي ضرار قد بحن إلى الوكر
حمائم نجد إن أتيتي خيامنا • فقولي كذا الدهر عسرا على يسر
وقولي لهم إن الأسير بحرقة • له غلة بين الجوانح والصدر
له من عداد العمر عشر وسبعة • وواحدة عند الحساب بلا نكر
وفي خده خال بحلته مدامع • على فقد أوطان وكسر بلا جبر

مضى سائرا يبتغي الجهاد تبرعا ... فوافاه أبناء اللئام على غدر
ألا فادفناني بارك الله فيكما ... ألا واكتبا هذا الغريب على قبري
ألا يا حمامات الحطيم وزمزم ... ألا خبري أمي وذلي على أمري
عسى تنسخ الأيام منها بزورة ... لقبر غريب لا يزار من الذكر

قال فلما كتب يوقنا عن ضرار هذه الأبيات ختمها وسلمها لرجل يثق به وبعثه إلى عسكر المسلمين قال الواقدي رحمه الله حدثني جابر بن عبدان الدوسي عن عامر بن سهل الدوسي عن أبي هريرة الدوسي قال كنا في عسكر أبي عبيدة وكنا في أرض يقال لها الملاط وكان معن بن أوس المخزومي تركه أبو عبيدة على المقدمة فجاء برجل من الروم وقال لأبي عبيدة هذا يزعم أنه رسول فاستخبره أبو عبيدة فقال أنا رسول بكتاب إليك فقال ممن فقال من أسير بأنطاكية اسمه ضرار فأخذه أبو عبيدة وقرأه على المسلمين فبكوا وبلغ الخبر إلى أخته خولة فأتت أبا عبيدة وقالت يا أمين الأمة سمعني أبيات أخي فقرأ عليها بعضها ولم يتمها فاسترجعت وقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والله لآخذن بثاره قال الواقدي رحمه الله وحفظ الناس أبيات ضرار وتداولوها بينهم وكان

أشد الناس عليه حزنا خالد بن الوليد رضي الله عنه قال الواقدي رحمه الله حدثني عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد بن أبي عون عن موسى بن عمران اليشكري عن عامر بن يحيى عن أسيد بن مسلم عن دارم بن عياش أن أهل حازم والراوندان وما سوى ذلك فتح المسلمون حصونهم صلحا ولم يزل أبو عبيدة بالمسلمين حتى نزل بهم جسر الحديد وبلغ الخبر إلى هرقل فتمكن الخوف من قلبه وأمر بطارقته بالتأهب لقتال العدو ونصب سرادقه مما يلي جسر الحديد وضربت الملوك خيامها وفساطيطها وفتح الملك خزائن السلاح وفرقها على رجاله وأبطاله وخلع على يوقنا وقال أيها الدمستق قد وليتك على جيشي هذا كله فكن مدبره ثم سلم إليه صليبا كان في بيعة القسيسين وكانوا لا يظهرونه إلا في يوم عظيم وقال له أيها الدمستق قدم هذا الصليب بين يديك واعتمد عليه فهو ينصرك فأخذه يوقنا وسلمه إلى ولده وأمره أن يحمله بين يديه ثم إن الملك هرقل لما خلع على يوقنا ركب إلى كنيسة القسيسين وركب معه الملوك والحجاب فوصل إلى الكنيسة وصلى صلاة النصر ثم أمر بالماسورين من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤتى بهم فيقربوهم قربانا
فباس يوقنا يده وقال يا عظيم الروم ما ولاك الله على البلاد
والعباد إلا وقد علم أن حلمك يحتمل ذلك وقد ذكر ديسقورس
الحكيم أن للعقل مرقاة جليلة وصاحبه نبيل لأنه عز الأجسام
ومصباح الأنام واعلم أن العرب قد قصدتنا بعددها وعددها
ولا بد لنا من القتال ولا ندري على من تكون الدايرة فإن
قتلت هولاء العرب ووقع أحد منا في أيديهم لا يبقون عليه
والصواب تركهم إلى أن نرى ما يؤول من أمرنا فإن أسر من أصحاب
الملك أحد وجدنا من نفادي به فقال أرباب الدولة أيها
الملك لقد صدق الدمستق في قوله فتكلم البترك وقال
أيها الملك مر بإخراجهم إلى هذه الكنيسة فإنها أحسن
كنايسنا وقد اختفلت بالنساء والبنات واعرض عليهم التنصر
فإنهم إذا انظروا إلى نسائنا وحسنهن وجمالهن وطيب رايحتهن
فلعل أن تميل أنفسهم إلى الدنيا وزينتها فيرجعون إلى ديننا
ويكون ذلك وهنا للمسلمين فأمر الملك بإحضارهم فحضروا
فلما توسطوا البيعة رفعت الأقسة أصواتها بقراءة الإنجيل
وأطلقوا البخور والند وأظهروا زينتهم وجمالهم فرفع

المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا كذب من اتخذ مع
الله إلها آخر ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله وكان
في الصحابة رجل من اليمن من فصحائهم وعلمائهم يكتب بالحميرية
واطلع على الكتب السالفة وكان اسمه رفاعة بن زهير
يقول الشعر وينظم القول فلما رأى الكنيسة آهلة بأهل
الكفر ورآهم يعظمون الصلبان ويسجدون للصور قال
الله أكبر الله أكبر • لا إله إلا الله محمد رسول الله كذب
أصحاب الشيطان • ولا إله إلا الرحمن • الذي ليس في عدد
محسوب • ألفرد الذي لا إلى شيء منسوب • ليس له ضد
ولا ند • ولا قد ولا حد • أوجد الموجودات • وصور
المصنوعات • وخلق المخلوقات • ودبر الكاينات
أول لا افتتاح لوجوده • وآخر لا عدم لشهوده • لا
يموت ولا يفنى • ولا يزول ولا يبلى • لا شريك له ولا
وزير • ولا صاحبة ولا مشير • ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير • قال فاضطربت الكنيسة لقوله ومالت
القسوس بعكاكيزها إليه فأشارت حجاب الملك إليهم أن
يتركوه فافترقوا عنه فقال الملك هرقل يا أخا العرب ما

إسمك فقال أيها الملك وما تريد من اسمي ولست من جنسكم
فتستخبروني فقال البترك صدق أيها الملك ليس هو من جنسنا
ولا له علم ولا خبر بالحكمة فننسبه له وإنما هو بدوي بادي
يعلم سكنى القفار وصحبة الأشرار والحكمة من بلادنا
ظهرت ومن حكمائنا اشتهرت فنبعت من اليونانيين ووعاها
صدور السريانيين ومن أين للعرب حكمة يتوارثوها
وعلوما يتدارسوها وإنما الفضائل كلها في علمائنا والعدل
في ملوكنا منا الاسكندر وبطليموس وأرموند وجرجس
وأرسطاطاليس وفينا عورس التوحيدي وهو الذي بنا
أرمنا وكان بيننا ملكا وبلوس وهو الذي بنا انطاكيا
وطاطاغورس الذي بنا الرها ومنبج وأطسيس وكان كاهنا
وهو الذي أخبر ملك زمانه أنه قد ولد مولود يخاطب الرب
ويكون له شأن عظيم ونبأ ويهلك على يديه فيلاطون وهو
فرعون ومنا قيطس الحكيم ومعناه بحر العلوم ومنا رميثوا
وهو الذي بنا رومية الكبرى وباسمه سميت وطابوس
وهو واضع الكتاب الأول الذي فيه صورة الأرض وجبالها
وبحارها وبنائها وحيواناتها ووصف أمة كل إقليم بألوانها

ر ووصف ما في الإقليم من معدن ذهب أو فضة أو جوهر
وأحصى عيون الأرض جميعها بأسمائها وكذلك جبالها
وأوديتها وشعبها وغدرانها وعجائبها ومعادنها **قال الواقدي** رحمه الله وإنما تكلم البترك بهذا الكلا
بين يديه هرقل طعنا في العرب ليسمع جبلة بن الأيهم لأجل
عداوة كانت بينهما وذلك أن البترك كان بنى ديرا
عظيما وجعل له عيدا في السنة وكانت الروم تقصده
من كل مكان بالنذور والأموال والستور والشموع وكان
ذلك كله برسم البترك فأعطى الملك جبلة تلك الأرض
فتغلب على الدير وبنا حوله مدينة وسماها باسمه جبلة
قال الواقدي رحمه الله حدثني سليمان بن عامر
عن ابن منصور الجوني قال حدثنا حجاج بن خديج قال أخبرني
عمر بن يحيى بن عمارة بن أبي حسن قال لما سمع رفاعة بن
زهير قول البترك تبسم من كلامه وقال أيها البترك
لقد مدحت قوما ليس لهم إلى الفضل من سبيل • ولا فيهم
فاضل ولا نبيل • إلا من وحد الملك الجليل • الذي ليس له
مثل ولا عديل • وإنما الفضل لولد اسمعيل بن ابرهيم الخليل

الذى لهم البيت الحرام • وزمزم والمقام • والمشعر الحرام
ومنهم التبابعة والاقيال • والحماة الاشبال • الذين
ملكوا الارض • بالطول والعرض • ومنهم الملك الصعب
ذو المكايد وهو الاسكندر الاول الذى ملك قرنى
الدنيا ودخل الظلمات واطاعته اهل الارض وبلغ مطلع
الشمس ومغربها واذل الملوك وجعل منهم اعوانا وجندا
وسماه الله ذو القرنين ومنهم سبا بن يعرب وشداد
ابن عاد وعمرو ذو الاذعار وهزار بن سكسك وهارل
ابن عنان الذى كان يتكلم بالحكمة ثم تبع المتوج ووايل
ابن حمير المتوج ثم نبى الله حنظلة بن صفوان نبى اهل الرس
ثم نفيلة بن عبد المدان بن خشرم عاش خمس مائة سنة وهو
الذى بنى المصانع واستخرج الكنوز وقاد الجيوش ورزقه الله
علم نبيه حنظلة بن صفوان وقد ختم الله تعالى شرفنا ورفع
قدرنا اذ جعل محمدا منا فنحن السادة وانتم العبيد قال
الواقدى رحمه الله حدثنى سفين بن عبد ربه قال
قال حدثنى دجيم قال حدثنى الوليد بن زياد عن حزام بن
حكيم قال بلغنى ان رفاعة بن زهير كان قد طالع الكتب

وعلم اخبار الماضين فلما تكلم بحضرة هرقل هذا الكلام
اراد البترك ان يعجزه بسؤال يلقيه عليه فقال بالهمم
العالية والقرايح الذكية تصل القلوب الى نسيم هذا العقل
الروحانى وترتقى فى ملكوت الضيا والصور الخفية الغايبة
عن الابصار من الادناس والافكار النورانية ويصفوا
كدر الاخلاق المحيطة بالافكار وتعيش الارواح عيش
الابد الذى لا يصل اليه الخلال ولا اضمحلال فحينيذ
يخلو العنصر بالعنصر ويتحد الصفو بالصفو ويرسب الكدر
الى الكدر فقال له رفاعة بن زهير ما اصبت ايها
البترك فى مقالتك قال ولم قال رفاعة رحمه الله كيف
تركن القلوب الى علم الغيوب وقد حجب عنها صواب المصيب
ام كيف يتخلص الصفو من الكدر بغير تهذيب من الفكر
وكيف يلحق الافكار غوامض الاسرار وهى فى حجب
الاغترار بل اذا تناهت الاهوا الى مقارها وقربت
الهمم من مواضعها وعادت الفكر الى عناصرها ورجعت
متحركات الفطن الى مساكنها وعاليات الاذهان
الى اماكنها وانحازت الاشكال عن الاشكال بتاثير الهوى

وانكبت مشرقة على هياكلها من أقطار عناصرها ثم قال
أيها البترك هذا كلام العرب الذي زعمت أن الحكمة
ليست من أخلاقهم ولا تباع في أسواقهم قال الواقدي
رحمه الله حدثني الثقات أن رفاعة لما تم كلامه قال
للبترك اعلم أنه كان ملك من ملوك اليمن اسمه سيف بن ذي
يزن الذي بشر بنبينا يتكلم على غوامض العلوم وتجويد
التسجع في المنثور والمنظوم • أجرى الله على لسانه الحكمة
ووشحه بوشايح شكر النعمه • ومن جملة ما قال فصيح من
فصحائنا اسمه قيس بن ساعدة هذه الأبيات وادعاها الحلاج
ولبست له

وهي هذه

ألا إننا من معشر سبقت لهم • أيادٍ من الحسنى فعوفوا من الجهل
ولم ينظروا يوما إلى ذات محرم • ولا عرفوا إلا التقية في الفعل
وفينا من التوحيد والعقل شاهد • عرفناه والتوحيد يعرف بالعقل
نعاين ما فوق السموات كلها • معاينة الأشخاص بالجوهر المجلي
ونعلم ما كنا ومن أين بدونا • ومن نحن بالتصوير في عالم الشكل
وإنا وإن كنا على مركز الثرى • فأرواحنا في عالم النور تستعلي
وما صعدت كي تختبره وإنما • رأت ذاتها بالنور في العالم العلوي

فلم ترض بالدنيا مقاما وآثرت • حقيقة ممثول وجلت عن المثل

قال الواقدي رحمه الله حدثني محمد بن سعيد قال
حدثني بن أبي شيبة عن عبد الله بن ربيعة قال قلت لرفاعة بن
زهير لما خلص من قصة الروم كيف كان البترك يفهم كلامك
قال له يا بني ما رأيت أفصح من اللعين بكلام العرب وقد سألت
عن ذلك بوقنا فقال اعلم أن ملوك الروم والبطارقة لا
يستقيم ملكهم إلا أن يتعلموا كلام العرب فلما حدث
رفاعة بمناظرته للبترك كتبها أكثر الناس قال الراوي
رحمه الله وكان لرفاعة ابن عاق قد أسر معه وكان قلبه
يميل إلى الكفر وكان أبوه يدعو عليه فلما حضر أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كنيسة القسيان واشتغل رفاعة بن
زهير مع البترك في المناظرة أقبل ولده يحدق نظره إلى
البيعة وإلى زينتها وصورها وصلبانها وتأمل نساء الروم
وزينتهن فبادر إلى تقبيل الصليب وأشرك بالله سبحانه
فلما نظر إليه أبوه رفاعة بكا وقال يا ويلك أكفر بعد إيمان
يا ويلك طردت من باب الرحمن يا ويلك كفرت بصاحب
القدرة وما بكاي على فراقك في الدنيا لأن فراق الدنيا لا

بد منه وإنما بكائي على فراقك في الأخرى إذ سلكت أنت في طريق وأنا في طريق إذ مضيت إلى دار الأبالسة • وحشرت مع هؤلاء الرهبان والقساقسة • وتكون في طبقة النار السادسة • وأنا أمضي مع أمة محمد إلى دار فيها الأزواج يا بني لا تطلب الدنيا يا بني لا تختر على الآخرة شهوات تفنى واخجلتي من فعالك إذا وقفت بين يدي العزيز الوالي يا بني لقد فضحت شيبة أبيك إذ كفرت بصاحب السر والنجوى يا بني لقد خاب أملي فيك والرجا يا بني كيف طاب قلبك أن تتبرأ من محمد المصطفى ممن يطلب منه الشفاعة غدا • ثم قال

• أبني غرتك الحياة • فصرت تكفر بالعليم •
• أبني صرت إلى الشقا • من بعد كونك في النعيم •
• أبني ما تخشى العذاب • إذا عبرت إلى الجحيم •
• ما تختشي من أحمد • يوم القيامة والخصوم •
• أما أبوك فقد غدا • من بعد كفرك في هموم •
• أين المفر إذا دعاك • الله في اليوم العظيم •
• ويقول يا عبدي كفرت • بواحد صمد قديم •
• أما أبوك فإنه • يبقى على عيش ذميم •
• أنسالك يا ولدي بما • قد كان في الزمن القديم •
• من جنتي وتعطفي • حال الرضاعة والفطيم •
• إلا رجعت إلى الذي • غطاك بالستر العميم •

فقال ولده قد أسبل الحجاب وأغلق الباب قال فأمر به البترك فحل من الوثاق وأمر به إلى ماء المعمودية ودارت به الأقسة والملوك والشمامسة ونصروه ووقعت عليه الخلع من البطارقة والملوك ووهب له الملك مركوبا وجارية ومنزلا وضمه إلى أصحاب جبلة بن الأيهم الغساني ثم قال البترك يا هؤلاء العرب ما منعكم أن تدخلوا في ديننا كما فعل صاحبكم فقالوا يمنعنا من ذلك صحة ديننا وثبات يقيننا وما كنا بالذي نبدل بالإيمان كفرا ولو قتلنا بالصوارم صبرا فقال لقد طردكم المسيح عن بابه وأبعدكم عن جنابه فقال رفاعة بن زهير الله يعلم أينا المطرود فقال هرقل يا معاشر العرب قد بلغنا أن خليفتكم يلبس المرقعة وقد وصل إليه من أموالنا وذخائرنا ما يكل عنه الوصف فما منعه أن يتزيا بزي الملوك قال رفاعة بن زهير منعه من ذلك حب الآخرة

والخوف من جبار الجبابرة فقال هرقل صفه لي قال يحكم بالحق
ويعدل بين الرعية ولا تأخذه في الله لومة لائم فقال هرقل
ما صفة دار امارته قال مبنية بالطين قال فمن حجابه قال
ذو الفقر والمساكين قال فما بساطه قال العدل والتمكين قال
فما سريره قال الفقه واليقين قال فما خزانته قال الثقة برب
العالمين قال فمن جنده قال ابطال الموحدين اما علمت ايها
الملك ان جماعة قالوا يا عمر قد ملكت كنوز القياصره
وذللت البطارقة والاكاسرة فهلا لبست ثيابا فاخرة
فقال انتم تريدون زينة ظاهرة وانا اريد رضى رب
الاولى والآخرة لا جرم انه لما ابدى هذا القول اشار اليه
منادي القدر الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال
فامر بهم الملك الى السجن ثم خرج من الكنيسة الى العسكر ليشرف
على الخيم والسرادقات فرأى سرادقات الملوك قد نصبت
وبازا كل كنيسة من الخشب مدهونة والاجراس على ابوابها
قال وكان زي الروم ذلك وهذه البيع الخشب يتنافسون
فيها وفي صنعتها لتكون معهم في اسفارهم وفي عساكرهم

فطاف الملك على عسكره جميعه واراد الدخول الى انطاكية
واذا بفرسان تركض اليه فقال الحجاب ما وراءكم فقال
بعضهم قد ملكت العرب جسر الحديد وحصلوا معنا قال فايقن
الملك بزوال ملكه وقال كيف اخذت العرب البرجين وفيهما
ثلاثمائة مقاتل فقالوا ايها الملك سلمها اليهم المقدم عليها
قال الواقدي رحمه الله وكان من حسن صنع الله
بالمسلمين ان حاجب الملك كان يمضي كل يوم في موكبه الى
الجسر ويوصي من في البرجين بالحفظ والحرس ففي بعض الايام
مضى على عادته ليشرف عليهم فوجدهم يشربون الخمر وليس
عندهم حفظ ولا حرس فمسكهم وضرب كل واحد منهم
خمسين مقرعة وهم ان يقتل مقدمهم ثم امسك عنه عفة
وخيفة من عتب الملك ثم تركهم وعاد فعمل الحقد في قلوبهم
فلما قدم ابو عبيدة والمسلمون اخذوا منه امانا وفتحوا له
الباب ودخل جيش المسلمين فلما سمع الملك ذلك ابى ان
يدخل الى السرادق وامر اصحابه بلبس السلاح والتأهب للحرب
ففعلوا ذلك قال حدثني ناشر بن عبد الرحمن قال اخبرني
نازل الصيد لاني وكان اخبر الناس بفتوح الشام قال

بلغني عن المسلمين لما صاروا بأرض انطاكية قال ابو عبيدة لخالد
رضي الله عنهما يا ابا سليمان انا قد صرنا في بلد كلب الروم والساعة
نشرف على عسكرهم فما ترى من الرأي فقال خالد يا امين الامة
انت تعلم ان الله سبحانه وتعالى يقول واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة والآن مر اصحابك ان يتأهبوا ويظهروا السلاح وقوة
الايمان وابعث كل امير بجيش ولكن الكتايب تتلوا الكتايب
والمواكب تتلوا المواكب وينشروا راياتهم قال ففعل الامير
ابو عبيدة ذلك وعقد راية اولى لسعيد بن زيد بن عمرو
ابن نفيل العدوي وضم اليه ثلاثة آلاف فارس فيهم من
الانصار والمهاجرين وسيره على المقدمة ثم عقد راية
اخرى وسلمها لرافع بن عميرة الطائي وضم اليه الفي فارس
من طي وغيرها ثم بعثه في اثر سعيد بن زيد ثم عقد راية
ثالثة وسلمها الى ميسرة بن مسروق العبسي وامره على
ثلاثة آلاف فارس من اليمن وبعثه في اثر رافع بن عميرة
الطائي ثم عقد راية رابعة وسلمها لمالك بن الحارث الاشتر
النخعي وضم اليه ثلاثة آلاف فارس من النخع وغيرهم ثم
بعثه في اثر ميسرة بن مسروق ثم عقد راية خامسة

وسلمها الى خالد بن الوليد وهي العقاب التي عقدها ابو بكر
الصديق بيده حين بعثه الى الايلة وسار خالد في عسكر الزحف
في اثر مالك الاشتر فلما ابعد خالد رحل في اثره ابو عبيدة
ببقية الجيش وفيهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي وذو
الكلاع الحميري وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وعبد الله
ابن عمر بن الخطاب وابان بن عثمان والفضل بن العباس
وابو العباس صخر بن حرب وراشد بن سعد ورافع بن سهل وزيد
ابن عامر وعبيد بن اوس وعبد الله بن ظفر وابو لبابة بن
المنذر وعوف بن ساعدة وعابس بن قيس وعايد بن عيينة
ورافع بن عجدة وساعدة وسمرة بن عامر وعبد الله بن قرط
الازدي وواجد بن ابي عون ومثل هؤلاء السادة وسار
من ورائه النسوة اللاتي لهن الاسري وفيهم خولة بنت
الازور وعفيرة بنت عفار ومزروعة ابنة عملوق الحميرية
وام ابان ابنة عتبة قال وليس فيهم اشد خوفا من خولة بنت
الازور **قال الواقدي** رحمه الله ومما بلغني انها
قالت في اسر اخيها **هذه الابيات**

ابعد اخي يلذ الغمض عيني ... وكيف ينام مقروح الجفون

سأبكي ما حييت على شقيقي • أعز علي من عيني اليمين •
فلو أني لحقت به قتيلا • لهان وإنه غير المهين •
وكنت إلى السلو أرى طريقا • وأعلق منه بالحبل المتين •
وإنا معشر من مات منا • فليس يموت موت المستكين •
وأنف أن يقال مضى ضرار • ولم يفصم عرى الحرب الزبون •
وقالوا كم بكا قلت مهلا • ألا أبكي وقد قطعوا يميني •

قال وسار أبو عبيدة بموكبه كما ذكرنا فبينما الروم في خيامها ومعسكرها إذ وقع الصائح بقدوم العرب فركبوا خيولهم وصفوا صفوفهم فأول من أشرف عليهم برايته كان عبد الله بن أبي بكر الصديق ثم بعده المسيب بن نجبة الفزاري ثم من بعده ميسرة بن مسروق العبسي ثم من بعده خالد بن الوليد ثم أشرف من بعده أبو عبيدة في موكبه ونزل كل أمير بقومه فلما نظر الملك هرقل إلى جيش العرب وأنهم نزلوا بفنايه نزل على جيشه حاجبه الكبير سطاروس وكان شجاعا بطلا ثم دخل الملك إلى كنيسة القسوس وجمع الملوك والبطارقة والحجاب وقام فيهم خطيبا وقال يا أهل دين النصرانية وبني أهل المعمودية قد قرب ما حذرتكم منه من زوال

ملككم وذهاب عزكم وقد كنت حذرتكم من هذا المقام فلم تقبلوا وأردتم قتلي وقد حل القوم بدار ملككم وتاج عزكم فقاتلوا عن حريمكم وأموالكم وأنفسكم وإياكم والفشل ولا يلحقكم في الجهاد كسل فقد جاهدت عنكم جهدي وأبذلت مالي وخزايني ورجالي عن دينكم وملككم فلم تسعدني سعا
ده ولا بلغت من هولاء القوم إرادة فإن أنتم كسلتم وتقاعستم ولم تجردوا لهولاء العرب عن سيف العزم وإلا كان العار عليكم والأذية تصل إليكم أين آباؤكم ومن سلف من إخوانكم
لهم ما تركوا أما غير ليام وسكنت ديارهم العرب الطغام وأموا وكنايسهم صيروها جوامع وخربوا البيع والصوامع وأذلوا ملوككم واستعبدوا الأولادكم وملكوا معاقلكم واستولوا على حصونكم ومداينكم وقد مضى ما مضى فاستانفوا الأمر وقاتلوا فكم هلكت أمم من قبلكم على حماية ملكهم وعلى الغيرة عن حريمهم ولقد كانت حكمتي ابتحت لكم أن تنسجوا منوال المصالحة بينكم وبين هولاء العرب فأبيتم ذلك لأن ظلمة جهلكم لم تقبل ضوء نور الحكمة أما علمتم أنه وجد لوح من الحجر الأخضر على قبر طيما وث مكتوب فيه الحكمة سلم

العالم الأعلا من عدمها فقد عدم القرب إلى باريها الحكمة
حياة القلوب ونعيم الأذهان ونزهة النفوس وأنوار أرباب
العقول من لم يكن حكيما لم يزل سقيما من تدبر نظر ومن نظر
عرف ومن عرف عمل ومن عمل لقح ذهنه وعقله ومن تهذب
عقله صفت نفسه فقام إليه جبلة بن الأيهم وقال أيها الملك
إنما يقاتلون هؤلاء العرب طاعة لأجل خليفتهم عمر الذي
بالمدينة فلو أذنت لي أن أبعث رجلا من غسان يقتله فإذا
سمعوا بقتله ولوا عنا ويكون ذلك سبب فنائهم وانتزاع
الشام من أيديهم فقال هرقل هذا تمن لا يصح أمله ولا ينقص
على أحد أجله لأن الآجال مقدرة والأنفاس مقررة ولكن
هو شيء تطيب النفوس لسماعه فافعل ما أردت قال فبعث
جبلة رجلا من قومه يقال له واثق بن مسافر الغساني وكان
جريا مقداما في الحرب وقال له انطلق إلى يثرب فلعلك أن
أن تحتال على عمر فتقتله وإنك إن فعلت ذلك أعطيتك
ديتك قال فانطلق واثق بن مسافر نحو المدينة ودخلها مساء
فلما أصبح الصباح صلى عمر بالناس صلاة الصبح ودعا وقرأ
ما أذن له وخرج إلى ظاهر المدينة يتنسم أخبار المجاهدين

فسبقه المتنصر وجلس في طريقه على شجرة بإزاء حديقة أبي
الدحداح الأنصاري وتستر بأغصان الشجرة فأقام عمر ظاهر
المدينة إلى أن تنصف النهار وعاد وحده إلى أن قرب من الشجرة
نام في الحديقة تجرد المتنصر خنجره وهم أن ينزل وإذا
بأسد قد أقبل فطاف حول عمر ولحس قدميه وأقام يحرسه
إلى أن استيقظ ثم تركه ومضى فنزل المتنصر من الشجرة
وقبل يد عمر وقال يا عمر عدلت فأمنت بأبي والله من الكائنات
تحفظه والسباع تحرسه والملائكة تكنفه والجن تعرفه
ثم حدثه بأمره وأسلم قال الواقدي حدثني
أبو محمد قال أخبرني أبي قال حدثني حسان قال حدثني السدي
عن مسهر بن عباس البروي عن من حدثه عن نزول أبي عبيدة
بجيش المسلمين على أنطاكية قال لما وعظ هرقل قومه بكنيسة
القسيان واستحلفهم أن لا ينهزموا ويكونوا فئة واحدة
فحلفوا ثم خرج الملك بعسكره ورفعت الصلبان وقرا
القسوس والرهبان وارتفع الضجيج من أهل الكفر والطغيان
وزحفوا للقتال فعندها ركب أبو عبيدة والمسلمون وأوقف
كل أمير في مركزه ونشرت رايات الإسلام ووقف

أبو عبيدة في موكبه كهيئته يوم قدومه وأشار إلى ربيعة بن
معمر وهو أبو ربيعة الشاعر وكان فصيحا أديبا لا يتكلم
إلا بالكلام المسجع كما ذكرنا من قبل فقال يا ربيعة فوق سهام
وعظك إلى قلوب المسلمين وحرض المجاهدين على المشركين
قال فتقدم ربيعة أمام الصفوف وكان جوهري الصوت
يسمعه القريب والبعيد • فقال أيها الناس إلى متى هذه المهلة •
فتأهبوا للحملة • فهذه طيور الأرواح • قد عولت على فراق
أقفاص الأشباح • وقد ارتاحت إلى باريها • وأجابت
صوت مناديها • وها هي تخاطبنا بصوت إشارتها •
عن نطق عبارتها • ما هذا التوقف عن بذل أنفسكم •
وقد اشتراها مؤيدكم • أفأخلدتم إلى حب الحياة الفانية •
والأنفس الوانية • وهذه أوقاتكم بالنصر مؤيدة •
وهمتكم عن طلب زينة الدنيا متجردة • والمواعظ الصادقة
بكلام الحق مقيدة • أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة • وهذه طوالع سعودنا بالإقبال طالعة
وثمرة آمالنا بالتأييد يانعة • فلله درهم لقد زهرت
نجوم المحبة في أفلاك إرادتهم • وتبلج فجر الغسق في

سماء شوقهم • وأشرقت شمس المعرفة من مشارق عشقهم
فلما هموا بالحملة وحققوا • وقدموا همم النفوس إلى
رضى القدوس واستبقوا • وزاحم بعضهم بعضا ولم
يرفقوا • نودوا من صفاء سرائرهم من المؤمنين رجال
صدقوا **قال الواقدي** رحمه الله حدثني يزيد بن
إسمعيل قال حدثني جعفر بن عوف قال حدثني عياش بن أبان
عن صابر بن أوس قال كنت حاضرا في مصاف أبي عبيدة على
انطاكية حين وعظنا ربيعة بن معمر وكان أول من
خرج من الروم للبراز شجاع الروم بسطارس بن بهيا كأنه
برج من حديد فلما توسط الميدان طلب البراز فخرج إليه
دامس أبو الهول مولى بني طريف الفاتح لقلعة حلب وهو
يومئذ فارس فحمل بعضهما على بعض فلما اشتعلت نار الحرب
بينهما عثر جواد دامس فسقط من ظهره فمال عليه بسطارس
فأخذه أسيرا وقاده حقيرا إلى سرادقه ثم رجع بسطارس
وطلب البراز فخرج إليه الضحاك بن حسان الطائي وكان
يشبه خالدا في ركبته وصفته فلما برز قال قائل من الروم
ممن شهد قتال خالد في المواطن وعرفه هذا فارس المسلمين

الذي فتح بلادنا فتطاولت الصفوف لينظروا الى المبارزة وهم
يظنون ان الضحاك بن حسان خالد بن الوليد قال فازدحمت
الخيل وقطعت حبال السرادقات وكان في جملة ما تقطع
سرادق بسطارس فخاف الفراشون ان عاد ورأى السرادق
على تلك الحال قتلهم ولم يجدوا احدا يعينهم على رفع السرادق
لان كل من في العسكر مشغول بالنظر الى بسطارس وخصمه
فاتفق رأي الفراشين على حل دامس ابي الهول وقالوا نحن نحلك
من وثاقك وتعيننا على رفع عمود هذا السرادق واذا جاء
البطريق سألناه فيك يخلي سبيلك على شرط انا نردك الى الاسر
قال نعم قال فخلوه من وثاقه فلما وجد الراحة من القد هجم
على الاثنين واخذ الواحد بيمينه والاخر بشماله وداربهما
ثم ضرب باحدهما الثالث فدوخه وضرب احدهما بالاخر
فقتلهما ثم قتل الثالث وفتح صندوقا من الصناديق واذا
فيه ثياب بسطارس فلبسها وركب جوادا من خيوله وتنكر
وقصد عسكر المتنصرة ووقف بازا حازم بن عبد يغوث
الغساني وكان جبلة بن الايهم قدمه على عساكر المتنصرة
وجبلة واقف مع ولده الهايم ووجوه بني عمه عن يسار موكب

الملك **قال الواقدي** رحمه الله ولم يزل القتال
بين بسطارس وبين الضحاك بن حسان الى ان تعبت الجوادان من
الكر والفر ولم يقدر احدهما على خصمه فافترقا وطلب بسطارس
سرادقه ليستريح فيه من التعب الذي ناله فوجد الفراشين
قتلى ونظر فلم ير دامسا فعلم ان المصيبة منه فمضى الى الملك
واعلمه بذلك فقال وحق ديني ما هؤلاء العرب الا شياطين
وماج العسكر لصنع دامس وقالوا اما قصد الا جيش المتنصرة
لانه من جنسهم قال فلما نظر دامس الى العسكر وموجه علم
ان ذلك من اجله فسحب السيف من غمده على حين غفلة وكان
سيفا ماضيا اخذه من السرادق وضرب به حازم بن عبد
يغوث فابان رأسه عن جسده قال فبهتت المتنصرة من فعله
وامسك الله ايدي غسان عنه ففي حال دهشة القوم اطلق
عنان جواده وقصد عسكر المسلمين فلما رأوه وقع التهليل
والتكبير ووقف امام ابي عبيدة وسلم عليه وحدثه بحديثه
مع القوم فقال له لا شلت يداك قال وسمع الملك هرقل
وجبلة بقتل ابن عمه حازم بن عبد يغوث فغضب واقبل
الى الملك هرقل وباس يده وقال له يا عظيم الروم لا نقدر

على الصبر والقصد ان تحمل على هؤلاء الذين تعدّ واطوّرهم وجهلوا قدرهم فهمّ الملك ان يامر بطارقته وحجابه بالحملة واذا بخيل اقبلت تركض اليه فقال ما وراكم قالوا قد قدم الى بصرتك فليطوس صاحب رومية الكبرى وباسم جدّه سميت وكان قد وضع فيها هيكلا عظيما سماه اباسوفيا وجعل صورة من النحاس المطلى بالذهب والفضة وله سبعة ابواب من ذهب على كل باب هيكل مدوّر على راسه رجل بيده عدة الواح من ذهب في كل عام يعلوا احدهم على الهيكل تلقا الشمس فينظر كاهن ذلك الهيكل في ذلك اللوح فيعلم ما يجرى في الاقليم المختصّ بذلك اللوح وكذلك كل هيكل من تلك الهياكل السبعة فيعلم اهل رومية الكبري ما يجرى في العالم بعلوم حكمايهم الاقدمين وفي وسط تلك الهياكل قبة مثمنة على اعمدة من نحاس مطلية بالذهب بدايرها صور وعلى راسها صورة من حجر لا يعلم ما هو بل هو اسود منقط ببياض فاذا كان وقت استواء الزيتون في مشارق الارض ومغاربها سمعوا منه صوتا هايلا تكاد العقول ان تنفطر منه فاذا كان من

الغد اقبل من آفاق الارض زرازير في مناقرها وارجلها الزيتون فتلقيه على راس ذلك الشخص فلا تزال كذلك حتى يمتلي ذلك المكان العظيم فيعصرون منه زيتهم وما يكفيهم الى العام القابل وكان في داخل الهيكل الاعظم بيت مقفل لم يفتح منذ بنيت رومية فلما اراد فيلطانوس الملك النهوض الى حضرة هرقل احتاج الى المال لينفق على عسكره فاتى الى البيت وهمّ بفتحه فقال له عماطوس وهو القيّم بامر الهياكل والكنيسة اعلم ايها الملك ان لهذا البيت منذ قفل سبع مائة سنة وذلك من قبل ظهور المسيح عيسى بمائة وسبعين سنة وما من احد يلي هذه الهياكل الا ويوصى على هذا البيت ان لا يفتح فلا تزل حكمة قد اسسها من كان قبلك من الحكما والملوك القدما ولقد بلغنا ان جدّك ملك ثلاثمائة سنة وكان يوصي ان هذا البيت لا يفتح ثم اوصى ابوك الذي عمّر ثلاثمائة سنة وسبعين سنة واوصى ان لا يفتح ولك انت في الملك مائة سنة فلا تزل حكمة اسسوها ولا طلسمات صنعوها قال فلم يسمع الكلام وفتح الباب فلم يجد في البيت شيئا الا صورة بيت المقدس ومدن الشام

وصفة ملوكهم وعددهم وفى آخرهم صورة فليطس وهو
هرقل وكانه ينظر الى لوح بين يديه وفى اللوح مكتوب
باليونانية يا طالب العلم عليك بكثرة القراءة فيه وكلما تكرر
مرور النكت على المسامع فتعلمها فيكون ذلك اشد قوة واحكم
لتصرف العلوم اذ العلوم كلها انما تستخرج بالعقل والقياس
ويكون ذلك بكثرة الرياضة فيه والعلم موضع العقل والعقل
المتمم لاشكال العلوم وقد رأينا فى الحكم والاسرار
الخفية ان سحاب العماية وظل الضلالة اذا حميت على صفحة
الارض خرج مصباح الهداية من ارض تهامة فيذهب
بظلام الجهل المظلم للحس ويدعوا الناس الى دينه لتوحيد
الصانع وهو صاحب الجمل الاورق فيذهب بالاديان
والملل وتطبق دعوته السهل والجبل فاذا غلبت لطافة
نوره على كل كثيف وانتقلت روحه المطهرة الى العالم
الروحانى ولى بعده رجل خفيف الصورة قلبه منور بنور
الصدق يشيد ملته ويصدق شريعته وويل للشام وما
دايحل بها من الرجل الاحور الذاهب بملك قيصر هو الرجل
الكثيفة صولته المربعة صورته العدل صفته والحق

بغيته قرنه مرتفعته وسيفه درته في ايامه تذهب
الدول وتحول وتضمحل الاكاسرة وتزول
واول ذلك اذا فتح هذا البيت المصور بصور الحكمة المحيطة
باحاطة النعمة فطوبى لمن رسخت الحكمة في قلبه واشرقت
مصابيحها فى صميم لبه واتبع الحق والفه وجانب
الباطل وخالفه قال فلما قرا فلطانوس اللوح اخذه العجب
وقال لصاحب الهياكل والقيم بامرها ايها الاب الشفيق
ما تقول فى هذه الحكمة فقال ايها الملك وما عسى ان اقول
فى حكمة وضعتها العلماء وتكلمت بها الحكماء وانما العلوم
الغامضة تصل الى الحس الجوهري بنور العقل وانى ارى
ان دولة فليطس قد وهى عمود ملكها وعزها وانهدت
قبة ملكها وانتقال ملك الروم منها الى القسطنطينية
وبذلك اخبر فيرارس الحكيم فى كتابه الذى صنفه وسماه
اسلاروس يعنى جواهر الحكمة ومن جملته اذا ظهر نور
التهامية المصانة من الادناس بنور حكمته وصرفت
الظلمة المتكاثفة فى سماء الجهل بقوة عزيمته ودعا
الناس الى لطيف دعوته وقادهم بازمة لطافته

ويعلوا على الافلاك ويل لارض ايليا من صولة صاحبه المتوشح
بوشاح الهيبة المتوج بتاج الفضل صاحب فتوح الارض ومذلت
ملوكها العدل قسطاسه والمرقعة لباسه في زمانه ينتكس
الصليب وتخرب الهياكل وتندرس المذابح وتذل بنوا
المعمودية فلا نجاة من صولته الا باتباع شريعة صاحبه قال
فلما سمع قليطانوس ذلك من القيم بامر الهياكل كتم الامر
في نفسه وقال لا بد لي من النظر الى العرب والمسير الى نصرة
الملك هرقل لا سيما وقد جاءني كتاب البترك وهو يندبني
الى نصرة هذا الدين وليس لي تاخير ثم اختار من جيش رومية
ثلاثون الفا وهم الكراجية واستخلف ولده على منصبه
واستخرج من بيت الاسكندر اليوناني وكانت منسوجة
بالذهب واللؤلؤ وهي التي نشرها يوم فتحه الواحات من
ارض تلنوس وكانت لا تنشر الا يومين في السنة يوم
عيد الصليب ويوم الشعانين فرفعت على راس قليطانوس
وسار حتى وصل انطاكية ونزل على باب داوس ومعناه
باب فارس فلما وليت العرب استثقلوا هذه الكلمة
فسالوا ما معناها فقيل فارس فسمي الباب باب فارس

قال وركب الملك هرقل في موكبه الى لقايه وضرب سرادقه بازاء
سرادق الملك وفرحت الروم وتفالت بالنصر وضربت الاجراس
وخفقت النواقيس ووقعت الضجة في جيوش الملك وارتفعت
اصوات القوم بانطاكية فتحير المسلمون عند اصوات القوم
واذا هم بعيون ابي عبيدة رضي الله عنه وهم المعاهدون قد
اقبلوا اليه من عسكر الروم يخبرونه بقدوم قيلطانوس ملك
رومية فرفع ابو عبيدة كفيه وقال اللهم شتت كلمتهم ودمر
جيوشهم وزلزل اقدامهم واجعل كلمتنا العليا وكلمتهم السفلى
وانصرنا عليهم قال وامن المسلمون على دعايه **قال الواقدي**
رحمه الله حدثني ابرهيم بن العلى قال اخبرني يوسف الكندي
عن ابي جعفر الرازي عن الربيع عن انس قال اخبرني حفص بن
ميسرة بن مسروق العبسي قال لي يا عم لما قدم قيلطانوس
ملك رومية بجنوده خاف المسلمون ولكن الله ثبتهم قال
ثم ان ابا عبيدة ارسل معاذ بن جبل ومعه ثلاثة الاف من طي
وغيرها وقال له يا صاحب رسول الله ان الروم قد تجمعت من
سواحل الشام لنصرة دينها فانهض وشن الغارة على بلاد السواحل
واحفظ بالمسلمين ولا يوتى الناس من قبلك قال فسار معاذ

رضي الله عنه وشن الغارة على اللاذقية واحتوش اموالها واخذ
غنايمها ورآى على باب جبلة واليها عنان بن جزهم الغساني ابن
عم جبلة بن الايهم ومعه الف دابة محملة برا وشعيرا لعسكر
هرقل قد جمعها من طرابلس وعكا وصور ومن بلاد قيسارية
قد بعث بها قسطنطين بن الملك هرقل مع حاجبه الى ابيه فلما
وصلت الى مدينة جبلة سلمها للمتنصر وعاد فوقع بها معاذ بن
جبل على باب المدينة والمتنصر ينتظر عسكر الملك ليبعث بها
الى انطاكية فاخذها معاذ ورجع الى ابي عبيدة بما معه من
الاموال والبغال والميرة فارتفع ضجيج المسلمين بالتهليل
والتكبير وسمع الملك ضجيج الموحدين فبعث جواسيسه فغابوا
غير بعيد واتوه بالخبر فصعب عليه اخذ الميرة الذي كان
يعتمد عليها لعسكره وقال للبطارقة ما بقي بيننا وبين هؤلاء
القوم الا المصاف ويعطي الله تعالى النصر لمن يشاء ثم ارسل الى
اصحاب الرايات والعقود والبطارقة والهرقلية والقياصرة
والارمن يامرهم بالتاهب وركب هرقل الى جانبه قيلطانوس
صاحب رومية وصاحب مرعش وصاحب قلعة حلب وصاحب
طرسوس والمصيصة وانطاكية ودرساس وماهية واقصرا

وقيسارية الشام الاقصا وصاحب صارخة قال الواقدي
رحمه الله واقبل نوقنا يرتب الصفوف ويعبيها تعبية الحرب
كل ملك بجيشه وكل بطريق مع اصحابه ثم اراد قيلطانوس
ملك رومية ان يتقرب الى هرقل بمبارزة العرب فباس
قربوص سرجه للملك هرقل وقال له ما تركت ملكي واقبلت الى
خدمتك من ماتي فرسخ الا حرمة لك ورضي للمسيح وكل من بين
يديك من الحجاب وغيرهم قد قاتلوا وجاهدوا واريد ان ابرز
اليوم الى هؤلاء العرب واشفي فوادي منهم فاراد الملك
ان يطيب قلبه فقال له الزم مكانك ولا تخرق حرمة الملوك
فانك اقدم في المملكة مني ودع غيرك يكون لهذا الامر فما بلغ
من شان العرب ان تخرج اليهم انت بنفسك فقال قيلطانوس
واي حرمة بقيت لنا مع هؤلاء العرب وقد اهملوا امرنا
واذلوا اعز اهل ديننا والجهاد مفروض على الصغير والكبير
اما علمت ايها الملك انه من نظر الى الدنيا بعين المحبة جذبته
همة الشهوات الى التعلق بها وبزخارفها فاذا فعل ذلك ركب
غيم كاثف الجهل على صفحة صدره فمنعه ذلك عن طلب معاده
ومن سارع الى طاعة خالقه بترك شهواته ارتقى الى دار دايرة

القدس في محل الأنس ولما علم القديم الأزلي بركونكم انفسكم
المحجوبة بحجب الغفلة الى طلب ما يفنى سلط الله عليكم اضعف امة
فاخرجوكم عن دياركم وابعدوكم عن اوطانكم وما ذلك الا
بركونكم الى الأهواء الجاذبة الى مهاويكم في المهالك لأنكم
حكمتم بغير الحق وجرتم على الرعية بطلبكم ما ليس لكم بحق من
اخذ الأموال وفساد الأحوال وكثرة الزنا واتباع الخنا
فلأجل ذلك لم تنصروا وكانت دايرة السوء عليكم فتكلم
حاجب الملك الكبير وصاح ايها السيد لا تحمل قلب الملك من
العتب ما لا يطيق فقد وعظه اكبر منك فلم يسمع قوله **قال**
الواقدي رحمه الله فصعب على قيلطانوس صياح الحاجب
عليه وكتم الأمر الى الليل فلما مضى جانب من الليل طلب حجابه
وخواص قومه ممن يموتون لموته ويحيون لحياته وقال لهم
ارضيتم ان يزعق على حاجب الملك هرقل ويوبخني بين الملوك
وانتم تعلمون ان بيتي اعظم من بيته ونسبي اعلا من نسبه
وملكي اقدم من ملكه ولقد قال إسليس الحكيم لا تسعى بقدمك
لمن تراك دونه فتصغر عنده واجعل عزة نفسك في مقابلة
كبريا عجبه فان عزة النفوس تقابل جاه الملوك ولا تضع

صنيعك في غير مستحقه فانما تجلب اليك شرا من قبل ذلك فان
الاحسان يزكوا عند ذوي الأصول وينقص عند السفها الأراذل
لا تصف ودك للئيم فانك تريد منفعته وهو يريد هوى نفسه
باذيتك وقد جئنا من مسافة مايتي فرسخ او اكثر الى خدمة
رجل يرى اننا قصدنا دار ملكه وصرنا من جملة خدمه وان
نور العقل المجوهر بجوهر الحس يمنعني من اتباع الجهل المظلم
للحواس وان نفسي تأبى ذلك والعز محله جليل ومقامه نبيل
والذل وبيل وصاحبه قليل وقد عولت ان اسير الى هؤلاء
العرب وانصر ملتهم فانها الملة الواضحة بالحق المؤيدة بالصدق
فمن كان عليها امن في معاده من الهول الأكبر فما انتم
قايلون فقالوا ايها الملك وكيف يطيب قلبك بترك دينك
وملكك وتتبع اقواما لا فضل عندهم ولا حكمة ترفعهم فقال
قيلطانوس انما الحكمة البالغة عندهم مقرها وفي نفوسهم
وطنها لأن نور توحيدهم صفاها لهم ونورها لهم
ببركة صاحبهم المنبا بعلم الغيوب لأن مغناطيس حكمته
الربانية جذب جوهر عقولهم الى متابعته والاقتدا بشريعته
ومن اراد ان يرقى الى عالم عليين فلا يقعد على صفحة ارض

الجهل اما علمتم ان النور انور من الظلمة وغاية الحياة الموت قال
فلما سمعوا قوله قالوا ايها الملك نحن ما تبعناك نطلب عزا اخره
ذلا ونهايته الغلبة واذا كنت تطلب بنا طريقا تؤدي الى دار
البقا وتذهب بالشقا فالاحق اتباع الحق ونفي الباطل ونحن
لك وبين يديك فقال لهم خذوا على انفسكم فاذا كان ليلة
غد ركبنا كانا نطوف بالجيش نحرسه ونطلب جيش العرب
قال ففعل القوم ذلك وافترقوا واخذ فيلطانوس امواله
وذخايره وعول على ما ذكرناه **قال الواقدي**
رحمه الله اخبرني يونس بن عبد الاعلى قال اخبرني بن وهب
قال اخبرني معوية بن صالح عن ابي موسى الاشعري قال لما
عزم فيلطانوس ان يسير الى جيش ابي عبيدة جاه يوقنا
برسالة من الملك هرقل فلما ادى الرسالة وهم بالقيام قال
له فيلطانوس من انت من حجاب الملك قال انا يوقنا صاحب
حلب قال له كيف تركت ملكك حتى استولت عليه العرب
فحدثه بحديثه فقال له فيلطانوس ما الذي ظهر لك من هولاء
القوم فقال ايها الملك اني رجعت الى دينهم حين اطلعت
على امرهم وكشفت سرهم ورايت القوم لا يتبعون الباطل

ولا يحيدون عن الحق لا ينامون الليل لكثرة اجتهادهم ولا
يتكلمون بغير ذكر ربهم ورايتهم ينصفون المظلوم من الظالم
ويواسي غنيهم فقيرهم الامرا منهم في زي المساكين والعزيز
والذليل عندهم سوا فقال له فيلطانوس فاذا قد وقفت على
سرهم ورايت قصدهم فما منعك ان تقيم بينهم فقال يوقنا
منعني من ذلك محبة ديني وصحبة قومي لاني لم ارد فراقهم
فقال فيلطانوس ان النفوس الزاكية والالباب الثاقبة اذا
اذا رات الحق جذبها جاذب اليقين الى محض طلب الخلاص من
العيشة الذميمة الى ترقي اعلا عليين قال فخرج يوقنا وقد
رسخ قول فيلطانوس في قلبه وقال والله ما تكلم بشي الا
وهو منقوش على صفحة صدره وكلامه يشهد بقبول عقله
لصحة دين الاسلام واقام يوقنا في قلق من ذلك الى ان جن
الليل اتى مختفيا ودخل على فيلطانوس فوجده في همة
الركوب الى ما ذكرنا فلما وقف بين يديه سلم فقال له
فيلطانوس اما ترى حجاب المضلين عن اتباع سبيل المومنين
الحق واضح على من طلبه والباطل خفيف على من اتبعه فقال
ايها الملك ما معنى هذا الكلام الذي اشرت به الي فقال له

فيلطانوس لو رأيت يا يوقنا بعين البصيرة ما رأيت أنا لما رجعت عن
ملتهم ولا طلبت بدلا بغيرهم وإنما أنت طلبت نعيما يؤول إلى الزوال
ويفضي بصاحبه إلى النكال قال فسكت يوقنا وخرج من عنده
وجعل يتجسس عليه ووقف له في طريق المسلمين وركب فيلطانوس
وأخذ بني عمه ووجوه قومه وهم أربعة آلاف فارس وساروا
يدا واحدة يطلبون جيش الموحدين وقد فارقوا ملكهم وتركوا
عزهم فلما قربوا من جيش المسلمين ظهر لهم يوقنا ومعه بنو عمه
والمايتان فقال له يوقنا أيها الملك عولت على كبس جيش المسلمين
قال لا والملك القديم وإنما أنا قاصد لدينهم حتى أكون في جملتهم
فمن نظر إلى الدنيا بعين الفنا عمل للآخرة التي هي دار البقا فما الذي
يمنعك يا يوقنا أن توافقنا على ما عولنا عليه فقال له يوقنا أيها
الملك لقد جذبك جاذب الحق عن طريق الضلالة ثم حدثه بحديثه
وأنه عازم على أن يغدر بالروم فقال له فيلطانوس كيف تقدر
على ذلك وما أرى معك إلا نفرا يسيرا من قومك فقال يوقنا إن
في داخل المدينة مايتا فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقام عشرين ألفا ولقد رأيت من الرأي أن تعود أنت
وقومك ونبعث رجلا منا إلى الأمير أبي عبيدة ونخبره بما نحن

عليه معولون فإذا كان غداة غد تقف أنت وجيشك حول
هرقل وندخل إلى المدينة ونحل المايتان المأسورين من أصحاب
محمد ونناولهم سلاحهم ويحمل جيش العرب كله وتحمل أنت بعسكر
على مواكب هرقل وتقصده أنت بنفسك وتقبض عليه فتكون
قد جاهدت وأثور أنا وبنو عمي والمايتان من داخل المدينة
فنملكها إن شاء الله تعالى وإن أردت أن ترجع إلى دار ملكك ويكون
الأمر مكتوما عن الروم فول أمر جيشك من تثق به من قومك
فقال فيلطانوس ما فعلت ذلك ولي نية في ملك الدنيا فإذا انقضى
هذا الأمر ونصرنا الإسلام وأهله قصدت بيت المقدس وأقمت
فيه إلى أن أموت فمن ينهض إلى العرب برسالتنا ويخبرهم بما
عليه عزمنا فقال يوقنا اعلم أن لهم عندنا جواسيسا من أهل
حلب ممن هو تحت الذمة وأنا أخبرهم بالقصة فيعلموا أبا عبيدة
بالأمر فبينما هم كذلك تحت ستر الليل وإذا بشيخ قد قصد
نحوهما فلما قرب نظره يوقنا وإذا هو عمرو بن أمية الضمري
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على يوقنا وعلى
من معه وقال له إن الأمير أبا عبيدة يقول لك جزاك الله عن
دينك خيرا فإنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة

وحدثه بما كان من أمر صاحب رومية وبما تحدث به مع قومه
وبما عزمتم عليه وبشره إن غدا تفتح انطاكية إن شاء الله تعالى
قال الواقدي رحمه الله أخبرني أبو جعفر أحمد بن عبيد
ابن ناصح قال أخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمر السلمي قال حدثني
محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري عن عبد الله بن زيد الهذلي
وأسامة بن زيد وعبد الله بن الحارث وكل حدث بما سمع وبلغه
من أخبار الشام وقد زاد بعضهم على بعض في الرواية واختصر
آخرون قال حدثني صابر بن عامر عن جده عياض بن مزاحم أن
أبا عبيدة رضي الله عنه رأى ليلة الفتح كأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويقول يا أبا عبيدة أبشر برضوان
الله تعالى وبرحمته وغدا تفتح المدينة صلحا على يديك وإن
صاحب رومية الكبرى قد جرى من أمره مع يوقنا كذا وكذا
وهم بالقرب من جيشك فنفذ إليهم تجاز الأمر قال فاستيقظ
أبو عبيدة وقص رؤياه على خالد بن الوليد وأرسل عمرو بن
أمية الضمري كما ذكرنا فلما سمع فيلطانوس ذلك اقشعر
بدنه وارتعدت فرايصه وقال أشهد أن هذا الدين هو الدين
القويم ثم إنهم عادوا وطافوا بجيش الملك كأنهم يحرسونه

فبينما يوقنا قد انفصل من أصحابه وقد قوي عزمهم على ما ذكرنا
من أمر كبسهم على الملك وجيشه وإذا بحاجب الملك قد التقاه
والمشاعل بين يديه وقد خرج من انطاكية وأمامه ضرار بن الأزور
والأسرى وقد عول الملك على قتلهم تلك الليلة فلما رآهم يوقنا
قال للحاجب ما عول الملك أن يصنع بهم قال يقتلهم ويطرح
رؤوسهم إلى المسلمين قال فلما سمع يوقنا ذلك أظلمت الدنيا في
عينيه وقال أيها الحاجب الكبير أنت تعلم أن المصاف غدا واقع
بيننا وبين العرب وإذا قتلتم هؤلاء وطرحتم رؤوسهم إليهم
فلا يبقون بأحد منا إلا قتلوه فاتق الله ولا تعجل وراجع الملك
في أمرهم ودعهم عندي إلى أن نرى ما يؤول من أمرهم وأمرنا
قال فترك الأسرى عند يوقنا ومضى إلى الملك وتحدث معه
في أمرهم فقال دعهم عند يوقنا فرجع إليه برسالة الملك
وقال احتفظ بهم فأنت القيم عليهم فأخذهم يوقنا وسار
بهم إلى خيمته وصعب عليه إخراجهم من انطاكية لأنه كان
عول على أن يملك بهم المدينة فلما حصلوا عنده حلهم من وثاقهم
وسلم إليهم لامة حربهم وحدثهم بما عزم عليه فيلطانوس
من القبض على هرقل فقال ضرار بن الأزور والله لأرضين

الرب غدا بجهادنا في سبيل الله قال ولم يدعهم يوقنا في سرادقه بل
فرقهم على بني عمه لكل رجل منهم رجلا **قال الواقدي** حدثني
سعيد بن أبي مريم قال أخبرني يحيى بن أيوب قال حدثني ابن لعبد الله
ابن مسعود أن الذي أمر بإخراج أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سجن انطاكية لم يكن هرقل وكان هرقل أخذهم من
يوقنا ألقاهم في سجنه وإنما أمر بإخراجهم للقتل باليس ابن
رسوس مملوك الملك وسبب ذلك أن الملك رأى تلك الليلة
في منامه شخصا نزل من السماء فأقلبه عن سريره وكأن شخصا
يقول له بعد أن طار التاج من على رأسه قد قرب ما بعد من
زوال ملكك وقد ذهبت دولة الشقاق وجاء الله تعالى
بمذهب الوفاق وكأن الشخص قد نفخ في عسكره فأشعله
نارا فاستيقظ مرعوبا وفسر ذلك بزوال ملكه وكان قد
عبا خزائنه وجميع ما يعتمد عليه وألقى في البحر من الزاد
والعدة وآلة الحرب ما قدر عليه فلما رأى تلك الليلة ما رأى
في نومه بعث بابنته إلى المراكب مع جميع حرمه ثم دعا بأهل
مملكته وأخبرهم بما رأى في النوم وأعلمهم بما عول عليه
في هروبه وأمرهم بالخروج معه ثم دعا بمملوكه الخاص بسره

وكان اسمه تاليس وهو أشبه الخلق به فألبسه زيه ومنطقته وتوجه
وقال له كن غدا في موقفي فإني أريد أن أكيد العرب وآمن
خلفهم ثم سار الملك مع خواصه إلى أن ركب البحر فعندها أمر
باليس بإخراج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم يوقنا
وكان من أمرهم ما كان **قال الواقدي** رحمه الله
حدثني محمد بن أبي عدي عن سعيد بن قتادة عن أبي الصديق الناجي
عن أبي سعيد قال ما خرج هرقل من انطاكية إلا وهو مسلم وذلك
أنه كتب إلى عمر رضي الله عنه في السر من قومه إن بي صداعا
لا يسكن فأنفذ لي بالدوا فبعث عمر إليه قلنسوة فكان إذا
وضعها على رأسه سكن ما به وإذا رفعها عن رأسه عاد الصداع
فتعجب من ذلك وأمر بتفتيشها وإذا فيها رقعة فيها مكتوب
بسم الله الرحمن الرحيم فقال ما أكرم هذا الدين وأعزه
حيث شفاني الله بآية واحدة منه قال فلما كان من الغد ركب
جيش المسلمين وتقدم خالد ومعه عسكر الزحف وركب فيلطانوس
وأصحابه وركب يوقنا ومعه بنو أعمامه المائتان وأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم متنكرون تحت السلاح في موكب مفرد
ليس معهم سواهم وكان أول من حمل خالد بن الوليد بجيش

الزحف وتبعه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي وحمل من
بعده قيس بن هبيرة وحمل من بعده ميسرة بن مسروق بأصحابه
وحمل من بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وحمل من بعده ذو
الكلاع الحميري وحمل بعده الفضل بن العباس بن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحمل معه مالك الأشتر النخعي وحمل عمرو
ابن معدي كرب وحمل أبو عبيدة ببقية الجيش وأطبق العسكران
بعضهما على بعض فلما اشتعل الحرب حمل يوقنا ببني عمه وحمل
ضرار بن الأزور بأصحابه فلله دره لقد أعطى السيف حقه
وأخذ بثاره من الروم وكلما قتل قتيلا صاح وأنا رات
ضرار وكان قصده بعسكر المتنصرة والمسلمين أصحابه
أن لا يفارقونه هذا ورفاعة بن زهير الجرهمي يعظهم ويقول
احملوا وإياكم أن تفشلوا . واعلموا أن الجنة قد زخرفت
قصورها . وزين سورها . وأشرفت حورها .
ومرح ولدانها . وتجلى ديانها . ثم صاح يا فتيان العرب
أيكم يرغب في زواج الحور . ويجعل بذل نفسه المهور .
من يريد عروسا في الجنان . من يحب أن يقوم على الولدان
من يرغب فيما قال الديان . متكئين على رفرف خضر

وعبقري حسان . أيكم توافق همته من شهد بدرا وحنين
قال فبينما ضرار في الأعادي يذيقهم كأس الردى إذ التقى بفا رس
يفرق الكتائب وهو يصيح وأنا رات ضرار ابن الأزور فتأمل
الفارس وإذا به أخته خولة فقال لها لله درك يا ابنة الأزور
أنا والله أخوك فسلم بعضهما على بعض وترامت عليه فقال
لها إليك عني فإن قتال الكفار أفضل من كلامك يا ابنة أمي
اجعلي عنانك مع عناني وسنانك مع سناني وجاهدي في سبيل
الله فإن مات أحدنا التقاه الآخر في المحشر عند حوض
سيد البشر قال فبينما هو يخاطبها بذلك وإذا بجيوش
الروم قد تقهقرت وكتائبها قد انهزمت وكان السبب
في ذلك فيلطانوس لأنه لما رأى الحرب قد اضرمت نارها
وعلا قتامها دخلها حمل بأصحابه وقبض على باليس وهو يظن
أنه الملك وشاع الخبر أن فليطانوس قد غدر بالملك
وقبض عليه فولت الروم الأدبار وقتل المسلمون منهم
مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها إلا بأجنادين واليرموك وقتل
من المتنصرة ما يزيد عن اثنا عشر ألفا وطلب جبلة بن الأيهم
وابنه الهايم فلم ير لهما خبرا قال الرواة إنهما انهزما

وكان رقومهما الى جانب البحر وركبوا في مراكب الملك وهرب
من المتنصرة مع جبلة بن الأيهم وابنه الهايم خمسمائة رجل من
ساداتهم منهم عرفصة بن عصمة وعروة بن وائق ومرهف
ابن واقد ومخامر بن سالم ومثل هؤلا وأخذت السرادقات
والخيام والثياب وأسر ثلاثون ألفا وقتل سبعون ألفا وولت
الروم والمتنصرة فمنهم من أخذ نحو دروب انطاكية ومنهم من
طلب قيسارية الى قسطنطين بن الملك هرقل فلما وضعت
الحرب أوزارها وخمدت نارها جمعت الأموال والأسلاب
والأسارى بين يدي أبي عبيدة رضي الله عنه فلما نظر المسلمون
اليها بشر بعضهم بعضا وجاء ضرار وأصحابه ويوقنا وبنو اعمه
فسلم المسلمون عليهم وفرحوا بخلاصهم من أيدي أعدائهم
وجاء فليطانوس وأصحابه فقام المسلمون للقائهم وتقدم
للسلام عليهم كبراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول إذا أتاكم كريم
قوم فأكرموه فلما نظر فليطانوس الى تواضعهم وحسن
سيرتهم فقال والله هؤلاء القوم الذين بشر بهم المسيح ثم أسلموا
قال ونظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى حصن انطاكية

ومن فيها من الأمم فقال اللهم اجعل لنا اليها سبيلا وافتح لنا
فتحا مبينا **قال الواقدي** رحمه الله وكان على انطاكية
من قبل الملك وال اسمه صليب بن فطس وكان جاهلا في
قومه فعزم على القتال من داخل السور فاجتمع الكبراء بالليل
الى البطريق وقالوا له اخرج الى هؤلاء العرب وصالح بيننا
وبينهم على ما قدرت عليه فخرج البطريق الى أبي عبيدة وتحدث
معه في الصلح فأجابه الى ذلك وكان ما صالح عليه أهل
انطاكية ثلثمائة ألف دينار فلما تقرر الصلح قال له أبو عبيدة
احلف لنا يمينا أن لا تغدروا بنا فان مدينتكم ما نعة كثيرة
الجبال والوعر فقال نعم فقال من يحلفه فقال يوقنا أنا
ثم وضع يده فوق يد البطريق وقال له قل والله والله
أربعين مرة والا قطعت زناري وكسرت صليبي ولعنني
الشمامسة والديرانيون وخلعت دين النصرانية وذبحت
الحمل في ماء المعمودية ونجستها ببول مولود وقتلت كل
الشهود والا حرقت سراويل مريم وغصبت لها راهبا
والا ذبحت القسوس وصبغت بدمهم ثوب عروس والا
جعلت في المذبح زعفران وكذبت ما جاء في الانجيل

من البيان ولا جعلت المسيح ميتا لا يقوم ولا جعلت مريم زانية
به ولا تركت على المذبح خيضة يهودية ولا طفيت قناديل كنيسة
جرجس ولا تزوجت يهودية طمثة حتى لا أتقى أبدا ولا غسلت
أثوابي صبيحة يوم الجمعة ولا هدمت الكنائس والبيع واجتنبت
الأعياد والجمع ولا عبدت اللاهوت وجحدت الناسوت ولا
أكلت لحم جمل في عيد الشعانين ولا صمت رمضان عاطشا
وأكلت اللحم ناهشا ولا صليت في ثياب اليهود وقلت إن
عيسى دابغ الجلود لا غدرنا بك ولا بمن معك وكان دخول
أبي عبيدة انطاكية لخمسة أيام خلون من شعبان سنة سبع
وعشرين من الهجرة فدخلها وبين يديه اللواء الذي عقده له
أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يمينه خالد بن الوليد
وعن يساره مسروق وبين يديه القاري يقرأ سورة الفتح
ولم يزل يسير إلى أن وصل إلى باب الجنان فنزل هنالك
وبنى مسجدا في مكانه وبه يعرف إلى يومنا هذا ثم مسك
واليها صليبا فقتله قال ميسرة بن مسروق بن عمرو الخزاعي
فنظرنا إلى بلد طيبة كثيرة الماء والخيرات فما أحد من المسلمين
إلا استطابه ووددنا لو أقمنا فيه أشهرا لنستريح من تعبنا

فما تركنا أبو عبيدة نقيم سوى ثلاثة أيام ثم كتب إلى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كتاب الفتح وهو بسم الله الرحمن الرحيم
من أبي عبيدة عامر بن الجراح إلى أمير المؤمنين سلام عليك
فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو على ما رزقنا من الفتح والغنيمة
والنصر وأعلمك يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل فتح على المسلمين
كرسي النصرانية ومدينة الطاغية العظمى وقتلت واليها
وكسرت عساكرها ونصرنا الله عليهم وهرب هرقل في البحر
وإني لم أقم بها لطيبها وخشيت على المسلمين أن يوافقهم
هواها ويغلب حب الدنيا على قلوبهم فيقطعهم ذلك عن طاعة
ربهم وإني معول على المسير إلى حلب وأنا منتظر أمرك فإن
أمرتني أن أسير إلى داخل الدروب فعلت وإن أمرتني بالمقام
أقمت واعلم يا أمير المؤمنين أن العرب العظام قد نظروا
إلى أولاد الروم فدعتهم أنفسهم إلى التزويج فمنعتهم من
ذلك وإني أخشى عليهم الفتنة إلا من عصمه الله فيشرح
صدره فعجل بما تأمر به والسلام عليك وعلى جميع المسلمين
وطوى الكتاب وختمه وقال معاشر المسلمين من يبرع
بهذا الكتاب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأسرع بالإجا بة

زيد بن وهب مولى لعمير بن سعيد وقال أيها الأمير أنا أوصله
إن شاء الله تعالى فقال له أبو عبيدة يا زيد أنت لست مالك أمرك
وإنما أنت مملوك وإن أردت المسير استأذن مولاك قال فأسرع
زيد إلى مولاه وقبل رأسه فمنعه عمير من ذلك وذلك أن عميرا
كان رجلا زاهدا ما يملك من الدنيا إلا سيفا ورمحا وفرسا
وبعيرا ومزادة وقصعة ومصحفا وكان الذي يصيبه من المغنم
لا يدخر منه شيئا ولا يأخذ منه إلا ما يتقوت به وكان
يفرقه على أهله وقرابته ويبعث بالباقي إلى عمر بن الخطاب
ويقول له فرقه على فقراء المهاجرين والأنصار فلما أقبل
زيد بن وهب ليقبل رأسه ومنعه من ذلك وقال له ما الذي
تريد قال يا مولاي تأذن لي أن أكون رسول المسلمين إلى
عمر بن الخطاب بالبشارة فقال يا زيد تريد أن تسير لتبشر
المسلمين وأمنعك من ذلك إني إذا لئيم اذهب حيث شئت
فأنت حر لوجه الله تعالى وأرجو بعتقك أن يحرزني ربي على
النار ففرح زيد بذلك وأخذ الكتاب من أبي عبيدة بعد أن
حدثه بأمر سبيله ثم استوى على ظهر نجيب دفعه له أبو عبيدة
من نجب اليمن وكان سابقا وسار وطلب أقرب الطرق

قال زيد بن وهب فقدمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد بقي من ذي القعدة خمسة أيام فرأيت بها ضجة عظيمة والناس
يهرعون إلى باب البقيع فقلت لهم أمر لعلهم يريدون حربا
أو قتالا فسلمت على رجل من المسلمين لأسأله فرد علي السلام
ونظر إلي فعرفني وقال زيد بن وهب قلت نعم قال الله أكبر
ما وراءك يا زيد من الأخبار قلت الفتح والبشارة والغنيمة ما
حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال إن أمير المؤمنين خارج
من المدينة يريد الحج إلى بيت الله الحرام وقد أخرج أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم ليحج بهن والناس له يشيعون قال
زيد بن وهب فنزلت عن النجيب وعقلته بفاضل زمامه ثم
أسرعت مهرولا حتى وقفت بين يدي عمر بن الخطاب وهو
يمشي راجلا ومن ورائه مولاه يرفا يسوق بعيره وقد رحله
بعباءة قطوانية وزاده وجعبته عليه والهوادج بين يديه
سايرة وعن يمينه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعن يساره
العباس بن عبد المطلب ومن ورائه جماعة من المهاجرين
والأنصار وهو يوصيهم بالمدينة قال زيد بن وهب فلما وقفت
بين يديه ناديت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله

وبركاته فقال وعليك السلام من أين أقبلت ومن أنت فقلت يا أمير
المؤمنين أنا زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد أتيت مبشرا فقال
عمر بشرك الله بخير ما بشارتك قلت هذا كتاب عاملك أبي عبيدة
يخبرك أن الله عز وجل قد فتح على يده انطاكية قال زيد بن وهب
فلما سمع عمر بذكر انطاكية وفتحها خر لله ساجدا يمرغ وجهه
في التراب ثم رفع رأسه من سجوده وقد تترب وجهه وشيبته
وهو يقول لك الحمد ولك الشكر على نعمك المتتابعة ثم
قال هلم الكتاب يرحمك الله قال فسلمت إليه الكتاب فلما قرأ ما
فيه بكا فقال له علي رضي الله عنه مم بكاؤك فقال لما صنع
أبو عبيدة بالمسلمين وإن النفس لأمارة بالسوء ثم دفع الكتاب
إلى علي فقرأه إلى آخره قال زيد بن وهب فلما هدى عمر من كآبه
زاد فرحه ثم أقبل علي على زيد وقال يا زيد أرغدت وأمعنت
في أكل تينها وأعنابها فاحمد الله تعالى كثيرا فقلت يا أمير
المؤمنين ليس هذا زمانه قال ثم جلس عمر على التراب ودعا
بدواة وبياض وكتب إلى أبي عبيدة بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبي عبيدة سلام عليك
فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأشكره على ما وهب من

النصر للمسلمين وجعل العاقبة للمتقين ولم يزل معنا لطيفا أما
قولك إنك لم تقم بانطاكية لطيبها فإن الله عز وجل لم يحرم
الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات قال الله تعالى في
كتابه المبين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني
بما تعملون عليم وكان يجب عليك أن تريح المسلمين من تعبهم
وتدعهم يرغدون في مطعمهم ويريحون أبدانهم الذي قاتلت
من كفر بالله وأما قولك إنك تنتظر أمري فالذي آمرك به
أن تدخل خلف العدو وتقتحم الدروب فإنك شاهد وأنا غائب
وقد يرى الشاهد ما لا يرى الغائب وأنت بحضرة عدوك
وعيونك تأتيك بالأخبار وإن رأيت أن دخولك إلى الدروب
بالمسلمين صواب فابعث إليهم بالسرايا وادخل معهم بلادهم
وضيق عليهم المسالك وإن طلبوا منك صلحا فصالحهم وف
لهم بما تقدر عليه وأما قولك إن العرب أبصرت نساء الروم
ورغبت في التزويج فمن أحب ذلك فدعه إن لم يكن له أهل
بالحجاز ومن أراد أن يشتري الإماء فدعه فذلك أصون لفروجهم
والسلام عليك وعلى جميع من معك من المسلمين ورحمة الله
وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه

وسلم ودفعه إلى زيد بن وهب وقال له انطلق رحمك الله وأشرك
عمر في ثوابك فأخذ زيد الكتاب وأراد المسير فقال له عمر على
رسلك حتى يزودك عمر من قوته ثم أناخ بعيره وأخرج له
صاعا من تمر وقال له خذه واعذر عمر فهذا ما أمكنه ثم إنه
قبل رأس زيد فبكى وقال يا أمير المؤمنين بلغ من قدري إنك
تقبل رأسي وأنت أمير المسلمين وصاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ختم الله بك الأربعين فبكى عمر وقال أرجو أن
يغفر الله لعمر بشهادتك لي قال زيد بن وهب فاستويت
على ظهر ناقتي وأردت المسير فسمعته يقول اللهم احمله
عليها واطو له البعيد وسهل له القريب إنك على كل شيء قدير
قال زيد ففرحت بدعوة عمر لأن الله لا يرد دعوته
ثم سرت والأرض تطوى تحت مطيتي إلى أن وصلت إلى
أبي عبيدة في ثلاثة أيام فوجدته رحل عن انطاكية ونزل
على حازم قال زيد بن وهب فلما أتيت عسكر المسلمين وجدت
لهم ضجة عظيمة وعساكر قد أقبلت من بلاد اليمن فسألت
ما سبب هذه الضجة فقال فرحا بما فتح الله على المسلمين لأن
خالد بن الوليد سار إلى شاطئ الفرات وأغار بخيله ورجله

على منبج وبزاغة وبالس وأخذ أموالها وغنايمها فصالحوه على أن
يرد عليهم أموالهم وغنايمهم فردت عليهم وفتحت صلحا
وكان فتح منبج وبزاغة وبالس وقلعة نجم وجسر منبج في العشر
الأوسط من المحرم سنة ثمان وعشرين من الهجرة ووقع الصلح
على مائة ألف وخمسين ألفا وسار صاحبها بأثقاله وخيوله وأهله
إلى بلد الروم وولى على منبج عباد بن رافع التميمي وعلى الجسر
نجم بن مفرج الفهري وباسمه سميت وولى على بزاغة أوس
ابن جابر الربعي وعلى بالس زياد بن عون الحميري وبنا له
قلعة وسماها باسمه وعاد خالد بن الوليد بالأموال يوم قدوم
زيد بن وهب قال فأتى زيد إلى أبي عبيدة فرأى إلى جانبه خالد
ابن الوليد وقد قدم له مال الصلح فسلم عليه وناوله الكتاب
فقرأه وأعاد قراءته على المسلمين وقال معاشر المسلمين
إن أمير المؤمنين قد فوض أمر دخول هذه الدروب إلي وقال
أنت الشاهد وأنا الغايب وأنا لا أفعل شيئا إلا عن رأيكم
فما تشيرون به رحمكم الله فسكتوا ولم يبدوا جوابا فأعاد
أبو عبيدة الكلام وقال معاشر المسلمين إن الشام قد
ملككم الله إياه وأخرج عدوكم منه بالذلة والهوان

وأورثكم أرضهم وديارهم كما ضمن لنا نبي الله ورسوله فما
تشيرون به أتدخلون في هذه الدروب الى عدوكم فسكت المسلمون
ولم يردوا جوابا فأعاد أبو عبيدة الكلام ثالثا وقال ما هذا
السكوت أفشل لحقكم بعد الشجاعة أم كسل بعد النشاط أم قد
اكتفيتم من الحسنات ولم يبق عليكم سيئات فالحسنات لكم كثيرة
وليس عليكم خطيئة فالرغبة الى الله عز وجل أن يعينكم على الجهاد
فهو خير لكم من الدنيا وما فيها فكان أول من تكلم ميسرة
ابن مسروق العبسي وقال أيها الأمير إننا لم نسكت لجزع لحقنا
ولا لفزع أرهقنا وإنما بعضنا ينتظر بعضا واعلم أيها الأمير
أن ليس لنا تجارة ولا عمل غير الجهاد لأعداء الله وطلب ما عند الله
ونحن بين يديك منك الأمر ومنا الطاعة لك ولله ورسوله
وأما أنا فلا أملك إلا نفسي فوجهني حيث شئت تجدني سامعا
مطيعا مسارعا فقال أبو عبيدة معاشر المسلمين من له رأي
ومن حضرته مشورة فليقلها ويظهر ما عنده فقال خالد لأبي
عبيدة أيها الشيخ والله إن إقامتنا عن طلب القوم وهن
وعجز علينا وطعن في ديننا وطلبهم هي الغنيمة والنصر
والذي أشير عليك به يا أمين الأمة أن تبعث الجيوش في كل

درب من هذه الدروب فذلك مما يرعب قلب العدو وتقرب به
عين الصديق فجزاه أبو عبيدة خيرا وقال يا أبا سليمان إني
رأيت أن أعقد لميسرة عقدا وأبعث معه رجالا من اليمن لأنه
أول من سارع الى هذا الأمر وأشار به فيقتحم الدروب
ويغير على ما قرب من بلاد العدو ويرجع إلينا إن شاء الله تعالى
ويخبرنا بخبر البلاد فنعمل على حسب ذلك فقال خالد أصبت
الرأي رحمك الله فأخذ أبو عبيدة قناة تامة وعقد على
رأسها راية سوداء مكتوب عليها ببياض لا إله إلا الله محمد رسول الله
وهز الراية في كفه وسلمها الى ميسرة بن مسروق رحمه الله
وقال يا ميسرة إنك كنت أول مشير على المسلمين بالمسير الى
بلاد الروم واقتحام الدروب عليهم فخذ هذه الراية وكن
أنت المتولي لذلك وافتح لك بها فتحا تذكر به في الدنيا والآخرة
ثم انتخب أبو عبيدة من قبائل اليمن وقبائل العرب ثلاثة
آلاف رجل من الشجعان وألفا من العبيد ولبسوا أكمل سلاحهم
واشتهروا بزيهم المعروف في القتال من الأبراد والعمائم
العربية والمحازم الأدم وأما العبيد فلبسوا لباس الأحمر
وجعلوا على رؤسهم العمائم الصفر وتوشحوا بالسيوف

وجعلوا في أيديهم الحراب اللامعة وكل عبد منهم يقول إنه
يحمل على كتيبة وجعل أبو عبيدة دامسا أبا الهول أميرا على
العبيد وقال له يا أبا الهول كن تحت طاعة ميسرة بن مسروق
ولا تخالفه فيما أشار به عليك فإنه مبارك المشورة ميمون
الغرة رشيد الأمر فقال دامس سمعا وطاعة وأجابت العرب
مقالة أبي عبيدة إلا رجال من طي فإنهم كرهوا المسير
تحت راية ميسرة بن مسروق وقال بعضهم لبعض كيف عقد
أبو عبيدة راية لرجل من عبس وترك ساداتنا من طي وملوك
اليمن **قال الواقدي** رحمه الله وبلغ الخبر إلى
أبي عبيدة فدعاهم وقال يا آل طي إنكم مشكورون عند المسلمين
وفيا لكم إنما هو عن المسلمين فلا يداخلكم الكبر فتهلكون
واعلموا أنه لا نصر بكثرة عدد ولا بقوة وجلد وإنما
الغلب بنصر الله قال الله تعالى إن ينصركم الله فلا غالب لكم
وإن أكرمكم عند الله أتقاكم والله إن ميسرة لأقدم منكم
سبقا إلى الإسلام وهجرة إلى دار السلام وصحبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فسكتت طي عند ذلك وأسرعوا
حتى وقفوا تحت راية ميسرة بن مسروق فلما تكاملوا
للمسير أقبل ميسرة إلى أبي عبيدة وقال أيها الأمير إني جاهل
بالطرق وبهذه الديار غير خبير وما أعرف والله أين أدخل ولا
إلى أين أتوجه والأرض قاتلة لمن جهلها وإن أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب أمرك في كتابه أن تبعث معنا الأدلاء ولا بد لنا من
دليل يدلنا ويرشدنا إلى طريق نسلكه فقال أبو عبيدة لقد
ذكرتني ما كنت ناسيا ولا بد لكم من الأدلة ثم عرض أبو عبيدة
المعاهدين من كل مكان ممن كان في الذمة وعرف خيره وشره
فاختار منهم أربعة وضمن لهم الجعل وطرح عنهم الجزية ثم
استشارهم في أي درب يكون دخول المسلمين في طلب
العدو فكل أشار عليه بالدرب الأعظم من بلاد فورص
وقالوا أيها الأمير إن هذا الدرب ليس كمثل البلد الذي
افتتحتموه لأنه شديد البرد كثير الحجر عظيم الشجر وفيه
مضايق وشعاب وكهوف وأودية فقال أهل اليمن للأدلاء
سيروا أمامنا فإنكم ترون عجبا قال فعند ذلك هز ميسرة
ابن مسروق الراية وسار بعد أن سلم على أبي عبيدة وعلى
المسلمين وهم يضجون بالتكبير والقرآن قال عطاء بن بعلة
الغساني وسرنا والدليل أمامنا إلى أن وصلنا بقعة جندارس

ثم سرنا الى ان عبرنا نهر الساجور واقبلنا الى قورس فنزلنا بها وبتنا فلما
اصبحنا سرنا الى الدروب ولم نزل نسير في طرق خشنة وعرة واشجار
مشتبكة ومياه جارية ومضايق ليس فيها للفارس مجال فقلت في نفسي
ان طال علينا مدا هذه الاودية خشيت على المسلمين ان يظفر بهم
عدوهم وسارت الادلا امام المسلمين وتعلقوا بهم في جبال
شاهقة في الطول صعب على خيل المسلمين الصعود اليها قال فلم
يبق احد من الناس الا ترجل عن فرسه وقاده من ورايه قال
عبد الرحمن بن ميسرة بن عبيد كنت مع ميسرة بن مسروق في
سريته وقد اخترقنا الدروب فنظرت الى جبال شاهقة وشجر
متكاثف وادوح مشتبك قال عبد الرحمن وكان لي خفا فمن
ادم اليمن فلما نزلت عن الجواد لبستهما وسرت فوالله ما كان
الا قليلا حتى طار نعلهما وبقيت رجلاي تشخب دما من صعوبة
الطريق وشدته ولم نزل الادلا نسير ونحن في اثرهم ثلاثة
ايام وما من يوم نسير فيه الا والدليل يقول للمسلمين كونوا
على حذر من عدوكم فانه ان اخذ عليكم المجاز والطريق هلكتم
فلما كان في اليوم الرابع خرجنا الى زهرة واسعة وكان دخولنا
الى بلاد الروم في اول الصيف وما احد من المسلمين الا وقد

نزع فروته عن جسده فلما خرجنا الى تلك الارض رجع كل رجل منا
يلبس ما كان يلبسه في الشتاء ويطلب الدفاء ونحن ننظر الى الثلج
يلوح عن ايماننا وعن شمايلنا قال وكان دامس ابو الهول لم ياخذ معه
الا خفين وبردين فلما دخل تلك الارض سفقه البرد الشديد العظيم
واصابه القر ولم يكن معه ما يلقيه عليه للدفاء فقال قبح الله هذه
العلوج اذ هذا القر في بلدهم في الصيف فكيف يكون في الشتاء
اما يقتلهم الله بهذا الثلج والبرد الشديد ثم جعل ينظر ويرعد
فنظر اليه رجل من المسلمين فقال له يا ابا الهول ما لك تتقفقف
قال اخذني القر فقال ما لك لا تدفا فقال ليس معي غير ما علي وما
يجزي ذلك قال فاخبر ميسرة بن مسروق بذلك فدفع اليه فروة
كانت على جسده فلما لبسها ابو الهول على جسده قال كساك الله
يا ميسرة من قطف الجنة

قال الواقدي

رحمه الله
وسار بهم الدليل والمسلمون في اثره الى ان وصلوا الى ارض
طيبة كثيرة الماء قليلة الشجر فامر ميسرة الجيش بالنزول
ولم نر احدا من الروم في طريقنا فنزل الناس هنالك حتى تكامل
الجيش رحل بهم ميسرة بن مسروق وسار يقدم الجيش والراية
بيده ونحن لا نرى احدا لان الروم حذرة منا قال سعيد بن

عامر فلما كان في اليوم الخامس ونحن سايرون لاح لنا سواد في طرف
جبل فأسرعت خيل المسلمين نحو السواد فلما قربوا منه إذا هي قرية
من قرى الروم فارغة من الناس ليس فيها أحد إلا أنهم سمعوا أصوات
الديوك ونعا الغنم قال سعيد بن عامر فلما نظرنا إلى ذلك علمنا
أنهم قد هربوا فصاح ميسرة بنا وقال خذوا على أنفسكم فإني
أظن القوم علموا بنا فهربوا قال وابتدر المسلمون إلى القرية
وأخذوا ما كان فيها من طعام وأثاث وغير ذلك قال سعيد
بن عامر فنظرت إلى أبي الهول وهو حامل على عاتقه ثلاثة
أكسية وقطيفتين فقلت له يا أبا الهول ما هذا الذي معك
فقال لبرد هذه البلدة الذي ما أنساه أبدا فقلت له يثقلك
فقال خل عني فقد قتلني برد هذه البلدة قال وأخذ المسلمون
ما كان في القرية من طعام وغيره ثم سار الدليل إلى أن
أشرف بنا على مرج يقال له مرج القبايل وكان مرجا واسعا
فمرحت الخيل فيه يمينا وشمالا ونزل ميسرة فيه وهم بالرجوع
فإن أبا عبيدة أمره أن لا يبطي عنه وأن يكون حذرا ولا
يتوغل في بلاد العدو فبينما هم كذلك آمنون من عدو
يدهمهم إذ أقبل رجل من المسلمين ومعه علج يسوقه ومن

ورائه دابة إلى أن وقف على ميسرة وقال له أيها الأمير إني سبقت
أصحابي في السير فنظرت إلى شخص يلوح مرة ويخنس مرة فأسرعت
إليه فأخذته فدعا ميسرة بن مسروق برجل من المعاهدين ممن
صحبه فلما وقف بين يديه قال له اسأل هذا العلج ما عنده من
الأخبار قال فسأله المعاهدي وأطال معه الكلام فقال له
ميسرة يا ويلك ما الذي يقوله هذا العلج قال أيها الأمير إنه
يقول إن الملك هرقل لما ركب البحر قصد بمن معه من أهله
وحرمه إلى قسطنطينية فقصدته الروم من كل مكان المنهزمين
وغيرهم وبلغه الخبر أن انطاكية فتحت صلحا وقتل واليها صليب
فصعب عليه ذلك وبكى وقال السلام عليك يا أرض سورية
إلى يوم اللقا ثم جمع بطارقته وحجابه وقال إني خايف من
العرب أن يتبعونا ثم حضر ثلاثين ألفا مع ثلاثة من البطارقة
يحفظون له الدروب فقال ميسرة وكم بيننا وبينهم فقال
ذكر هذا الرومي أن بينكم وبينهم فرسخين قال فلما سمع ميسرة
ذلك أطرق إلى الأرض لا يبدي جوابا فقال عبد الله بن
حذافة وكان من أبطال المسلمين وشجعانهم وكان له عمود
من حديد يقاتل به لا يحمله أحد غيره لميسرة بن مسروق مالي

أرأن أيها الأمير مطرقا إلى الأرض كإطراق الحصان لصلصلة
اللجام الرجل منا يقاتل ألفا من الروم فقال والله يا عبد الله ما أطرقت
خوفا ولا جزعا ولكني أخاف على المسلمين أن يصابوا تحت رايتي وهي
أول راية دخلت الدروب فيلومني عمر بن الخطاب وكل راع
مسؤول عن رعيته فقال المسلمون والله ما نبالي بالموت ولا نفكر
في الفوت لأنا قد بعنا أنفسنا واشتري الله ومن يعلم أنه منتقل
من دار الفناء إلى دار البقا فلا يبالي بما حصل عليه من الكفار
ثم قال أيها الناس أترون أن نلقاهم في موضعنا هذا أو نسير
إليهم فقالوا اسأل هذا العلج إن كان هذا الموضع أفسح من
موضع القوم ثبتنا موضعنا فسأل المعاهدي الرومي فقال ليس
بعد عمورية مرج أوسع من هذا المرج فإن عولتم على الجيش فاثبتوا
وإن عدتم إلى ورايكم كان خيرا لكم من قبل أن يشرف عليكم
عدوكم قال فعرض عليه ميسرة بن مسروق الإسلام فأبى فأمر
به فضربت عنقه فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم صلبان الروم
وراياتهم ونزلوا بالقرب من المسلمين فكانوا كالجراد المنتشر
وأضرموا نيرانهم بالليل فلما كان من الغد صلى ميسرة بن
مسروق بالناس صلاة الصبح فلما فرغ من الصلاة قام فيهم

خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس هذا يوم له ما بعده لأن
رايتكم هذه أول راية دخلت الدروب واعلموا أن الدنيا دار ممر
والآخرة دار مقر واسمعوا ما قال نبينا صلى الله عليه وسلم الجنة
تحت ظلال السيوف فلا تنظرون إلى قلتكم وكثرة أعدائكم
قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع
الصابرين فقال المسلمون اركب بنا إلى لقائهم فإنا نرجو النصر
قال فاستبشر لقولهم وركب من وقته وركبت الجيوش وانفصلت
العبيد من العرب ووقفت تحت راية أبي الهول دامس وانحازت
العرب تحت راية ميسرة بن مسروق وقد أخذوا على أنفسهم
لقتال عدوهم واستنصروا بالله عز وجل فقال ميسرة قبل حملته
أيها الناس أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وكونوا كقوم
أشرفت عليهم الموت فلم يجدوا منه مهربا ولاحت لهم الجنة
بحذافيرها ونظروا إلى ما أعد الله لهم فيها من النعيم المقيم فأحبوا
السرعة للدخول إليها وهذه الجنة أمامكم وأنتم اليوم جيش
الإسلام ثم عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجعل على الميمنة عبد الله
ابن حذافة السهمي وجعل على الميسرة سعيد بن أبي سعيد الحنفي
وقدم ألف عبد وجعلهم أمام القلب ووقف أميرهم أبو الهول

تحت رايته وركب جيش الروم ومدوا صفوفهم ثلاثة صفوف في
كل صف عشرة الآف وجعلوا امامهم الصلبان وعليهم لباس الحديد
فلما استوت الصفوف خرج رجل من الروم يعرف الكلام العربي
من متنصرة العرب فقرب من عسكر المسلمين وقال اعلموا ان الباغي
ابدا يرديه بغيه اما كفاكم ما ملكتموه من الشام العظيم حتى
اقتحمتم هذه الدروب وهذه الجبال وانما ساقكم الينا الاجل
وهذه ثلاثون الف عنان ممن حلف بالصليب انه لا ينهزم ابدا
او يقع ميتا فان اردتم ان نبقي عليكم فاستسلموا للاسر لنحملكم
الى الملك هرقل فيحكم فيكم بما يريد قال فخرج اليه دامس وهز
الراية وقال له صدقت ان الباغي ابدا يرديه بغيه ويرجع عليه
واما قولك انا نلقي بايدينا الى الاسر حتى تبقوا علينا فهذا هو
البغي بعينه واعلم اني عبد من عبيد العرب لا قدر لي عندهم وي
الرتب فاقرب مني حتى اجدل لك صريعا تخور في دمك ثم ان
دامسا قدم السنان وطعنه طعنة ارداه عن فرسه قتيلا
ففرح دامس بقتله ولوح رايته فلما نظرت الروم الى صاحبهم
قتيلا غضبت وخرج اليه علج من الروم فما تركه يقرب حتى
طعنه قتله بالطعنة فهال الروم ذلك ونظروا اليه وقالوا

هذا عبد من عبيد العرب قد فعل بنا ما ترونه فما حال الباقين فوقفت
الروم ولم يجسر احد يبارزه فرجل دامس وقتل واحد من القلب
ورجع فعجب المسلمون والروم من فعله فجال بين الصفين وطلب
البراز فخرج اليه صليب من الروم تحته عشرة الآف فارس وهو
بالخيل فلما نظر المسلمون الى فعل المشركين لما حملوا على دامس صاح
ميسرة بن مسروق بالمسلمين وقال الحملة الحملة فحمل المسلمون على
المشركين والتقى القوم بالقوم قال ميسرة بن مسروق فلله در
العبيد لقد ابلوا بلاء حسنا واستنقذوا دامسا من الهلاك وهم
يقولون نحن عبيد لعباد الله وضربنا مثل الحريق في الله نقتل
من كفر بالله خوفا من الله وحبا في الله قال ولم يزل الحرب بينهم
النهار اجمع لا يفترق بعضهم من بعض حتى اذنت الشمس للغروب
وحمي الحرب واشتد الكرب والمسلمون موقنون بالنصر
والكفار موقنون بالخذلان وافترق الجمعان عن تعب شديد
وقد قتل من المشركين خلق كثير واسر من المسلمين عشرة
وهم عامر بن الطفيل وراشد بن زهير ومالك بن حاتم وسالم
ابن مفرج ودارم بن صابر وعون بن بارز ومسعر بن حسان
ومفرج بن عاصم ونبهان بن مرة وعدي بن شهاب وقتل

خمسون رجلا منهم الحارث بن يربوع وسهم بن جابر وعبد الله بن صاعد
وجرير بن صباح والاغيد بن باهر والنعمن بن بحير وزيد بن ارقم
ومرارة بن حاتم ورواحة بن سهل ومثل هولاء السادة وأسر من
الروم تسع ماية فارس وقتل ما يزيد على ألف وماية فلما افترق
الجمعان افتقد المسلمون دامسا فلم يروه بينهم فحزنوا عليه
حزنا عظيما وقلق الناس عليه وطلبوه في القتلى فلم يجدوه فانكر
المسلمون ذلك فقال ميسرة بن مسروق معاشر المسلمين من
فيكم ينطلق ويأتيني بخبر دامس ومن اسر معه من المسلمين فلم
يجبه أحد إلى ذلك ثم ان الروم حملوا على المسلمين في اليوم الثاني
واقتتلوا قتالا شديدا وكان الرجل من المسلمين يجتمع عليه
العشرة من الروم والماية فيقتلونه أو يأسرونه وكان
ميسرة في أربعة آلاف من العرب ومواليهم والروم في ثلثين
ألفا ولقد جاهدوا في الله حق جهاده وميسرة يصيح في خلال
ذلك أيها الناس أذكروا الدار الآخرة واعلموا انها أقرب لأحدكم
من رجوعه إلى أهله فاستقبلوها استقبال الوالدة لولدها
ولا تدبروا عنها وتولوا كما تولى المعز من فزع الأسد فإن أصاب
القوم منا خشيت أن يكون ذلك وهنا منا وجرأة منهم علينا ثم

نادى

نادى بصوت عال حطموا جفون سيوفكم واقبضوا على نصالها فإن
ذلك طريق النجاة قال فلم يبق أحد من المسلمين إلا كسر جفن سيفه
فلما نظرت الروم إلى فعل المسلمين فعلوا كفعلهم فسميت تلك الوقعة
باسمين وقعة مرج القبايل ووقعة الحطمة لأجل ما كسر من أغماد
السيوف **قال الواقدي** رحمه الله واقتتلوا بالسيوف
حتى ظنوا أنها لا تقطع والمسلمون متوكلون على الله عز وجل والروم
تصيح بكلمة الكفر ويقولون غلب الصليب والمسلمون يطلبون
فرجا يأتيهم والسودان يقاتلون قتال الموت وكان شعار
المسلمين النصر النصر والسودان يا محمد يا محمد قال عطية
ابن ثابت فأخذني على المسلمين قلق عظيم وسمعت للروم ضجة هايلة
فالتفت وإذا بغبرة عظيمة فتأملتها وإذا بها قد انجلت من وراء
عسكرهم فقلت هذا جيش أقبل إليهم قال عطية فأطلقت عنان
فرسي واقتحمت الغبرة لأنظر ما هي وإذا بالروم في قتال عظيم
مع طايفة من المسلمين وهم في وسط عسكرهم والزعقات منهم
قد علت وسمعت قايلا يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله
فقلت هذه أصوات الملايكة فتبعت الصوت وإذا به
دامس أبو الهول ومن حوله عشرون من المسلمين والروم منكبة

عليهم وليس عندهم فكرة بقتالهم وأبو الهول يجاهدهم وحده
ويمنع عن أصحابه كلما حملت عليه كتيبة يضرب فيهم الضربة
والضربتين قال عطية بن ثابت وسمعته يقول •

توثقني الأعدا في الحديد • وناصري وسيدي المبيد •
مهلك عاد وبني ثمود • أعانني بعونه الشديد •
محمد الطاهر الرشيد • فحل عني القيد والحديد •
ذاك رسول الملك المجيد • الطاهر المطهر السديد •

قال فناديته يا دامس ما وراك وأين كنت فقد أغتم
الناس من أجلك فقال يا أخي ما كنت إلا في القتال وأسرت
وأيست من نفسي وليس هذا وقت السؤال قال فأسرعت إلى
الأمير ميسرة وإذا به قد خضب الراية من دماء الكفار
فناديته أيها الأمير البشارة فقال وما بشارتك رحمك الله
هل أتتنا نجدة من أصحابك فقلت لا ولكن أتتنا النجدة من
عند نبينا وقد خلص دامسا أبا الهول من وثاقه قال عطية بن
ثابت فبينما أنا أخاطب ميسرة بن مسروق في نحره وإذا بأبي
الهول قد أقبل وأصحابه وهم كأنما سبحوا في بحر من دم
قال وأقبل الليل وافترق الجيشان وقد قتل من المسلمين خمسين

رجلا أو أقل باثنين وقتل من الروم ثلاثة آلاف سوى ما قتل أبو الهول
من الكتيبة التي أخذت به فلما نظر إليه ميسرة بن مسروق هم أن
ينزل عن فرسه فأقسم عليه أبو الهول أن لا يفعل وأقبل إليه وصافحه
وقال له يا دامس كيف كان أمرك قال إعلم أن الروم كانت أسرتني
وغللتني بالقيود وكذلك فعلوا بأصحابي وأيسنا من نفوسنا فلما جن
الليل نمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لا بأس عليك
يا دامس إعلم أن منزلتي عند الله عظيمة ثم مر بيده الكريمة
على القيود فانحلت وعلى الأغلال فزالت وكذلك فعل بأصحابي
وقال أبشروا وابتصروا بالله فأنا محمد رسول الله ثم غاب عنا
فأخذنا سيوفنا من بين القوم وحملنا عليهم فنصرنا الله ورسوله
وهذا حديثنا قال فضج الناس بالتهليل والتكبير وصلوا على
النبي صلى الله عليه وسلم **قال الواقدي** رحمه الله
وكان بطريق القوم اسمه حارس فلما رأى ما حل بأصحابه
جمعهم إليه وقال وحق المسيح لقد خاب ملك أنتم حماته ولئن
لم تقاتلوا بشدة عزم لأقتلنكم قبلهم وأخبرت الملك
بقصتكم قال فتحالفت الروم أن لا ينهزموا أبدا أو يقتلوا عن
آخرهم فلما استوثق منهم بالأيمان أمر بالنيران أن تضرم

فوق الجبال والمراقب وجعل يستنفر أهل تلك البلاد بأسرها هذا
والروم تأتي من كل ناحية ومكان كالجراد المنتشر فما مضت يومان
حتى جاء من الروم والأرمن عشرون ألفا هذا والمسلمون لم يكترثوا
بهم قال فلما كان من الغد صلى ميسرة بالمسلمين صلاة الخوف
وهو أول من صلاها بالدروب وأول راية دخلت مع ميسرة
ابن مسروق فلما فرغ من صلاته قام في الناس خطيبا وقال يا أيها
الناس اثبتوا لما نزل بكم فإن الصبر عند المصائب من أعظم
المواهب وهذه رحمة من الله لنا إذ نحن في صدور الأعداء
وقد دار بنا جيش عظيم ونحن لا نقاتل إلا بنصر الله لنا وإن
الأمير أبا عبيدة كان أمرني أن لا أبعد بكم وبيننا وبين
الجيش سبعة أيام وليس عند الأمير أبا عبيدة خبر انا وقعنا في
مثل هذا الجيش العرمرم فقال له سعيد بن زيد بن عمرو بن
نغيل العدوي ما الذي تريد بهذا الكلام إن كنت تريد أن
تحرضنا فنحن أشوق إلى لقاء الله تعالى من الضمآن الشديد إلى
شربة من الماء فقال ميسرة ما أردت بذلك إلا مشورتكم
وقد رأيت من الرأي أن أنفذ إلى أبي عبيدة يخبرنا لعله ينجدنا
فقال سعيد بن زيد نعم ما قلت فدعا رجلا من أهل الذمة ووعده

بكل خير وقال امض إلى الأمير أبي عبيدة وحدثه أن النفير من العدو
قد لحقنا من الحصون والضياع وساير بلادهم وقد نزلوا بإزائنا
وحدثه بحديثنا قال فلبس المعاهدي زي الروم وسار يطلب
عسكر أبي عبيدة وجد في السير إلى أن وصل إلى جيش أبي عبيدة وكان
نازلا على حلب فقصد خيمة أبي عبيدة إلى أن وقف بين يديه كالبغل
الهرم مما أصابه من التعب وشدة السير فلما رآه أبو عبيدة
على تلك الحالة علم أن له أمرا فدعا له بماء فشرب وبطعام فأكل
وقال له ما وراك يا أخا الذمة أهلكت الكتيبة فقال لا والله
أيها الأمير إلا أن العدو جاءهم من كل قلعة وبلد وأحاطت
بهم الجيوش من كل جانب وناحية ثم أخبره بما كان بينهم
من الحرب والقتال وأسر أبي الهول وكيف خلص وما هم
فيه فلما سمع أبو عبيدة ذلك قام مسرعا حتى أتى قبة خالد رضي
الله عنه فوجده يصلح درعه ويتفقد زرده فلما رآه قام
له ورحب به وسلم عليه وقال له خير أيها الأمير فأخذ بيده
وسار به إلى رحله وقال للمعاهدي قم وحدثه بما رأيت فحدثه
بالحديث إلى أن فرغ فقال خالد إن الله تعالى نصرنا وما خذلنا
فلله الحمد على ذلك وقد أمر بالصبر على الشدائد فقال يا أيها الذين

آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
وقال تعالى ان الله مع الصابرين وأما أنا فقد جعلت نفسي حبسا
في الجهاد ولا أبخل بنفسي على الله ورسوله فلعله أن يمنحني جنته
وعساه أن يرزقني الشهادة ثم أسرع الى خيمته ولبس لامته
وألقى القلنسوة المباركة على رأسه وتقلد بسيفه وركب
جواده واعتقل برمحه ووقع النفير في المسلمين فأقبلوا اسراعا
يهرعون من كل جانب ومكان طوعا اليه والى الله ورسوله
فلولا أن أبا عبيدة منعهم لساروا بأجمعهم فانتخب منهم ثلاثة
آلاف فارس وأردف عياض بن غنم بألف فارس وسار
خالد بالجيوش **قال الواقدي** رحمه الله حدثني
أحمد بن هاشم قال حدثني عياض بن مالك عن من حدثه قال لما
سار خالد بالجيش الى معاونة ميسرة بن مسروق قال اللهم
اجعل لنا اليهم سبيلا واطو لنا البعيد ولا تسلط علينا من لا
يرحمنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال وساروا في الدروب
وأما ميسرة بن مسروق رضي الله عنه فانه دارت به الروم
من كل جانب وكانوا يقتتلون في كل يوم ولا يفترقون
الى أن يقبل الظلام وفي كل يوم يزيد عدد الروم من غير

تنل يقع بهم كأن الموت حجب عنهم **قال الواقدي**
رحمه الله حدثني معمر بن راشد عن الزبير قال لما سار خالد بن الوليد
الى معاونة ميسرة بن مسروق سجد أبو عبيدة سجدة أطال فيها
وقال اللهم اني أسألك بمن قرنت اسمه مع اسمك وعرفت فضله
لأنبيائك ورسلك الا طويت لهم البعيد وسهلت عليهم الصعب
الشديد وألحقتهم بأصحابنا يا رب العالمين قال وميسرة ومن
معه ينتظرون فرجا يأتيهم ونصرا ينزل عليهم قال عبد الله
ابن الوليد الأنصاري حدثنا ثابت بن عجلان عن سليم بن
عامر الأنصاري قال كنت مع ميسرة بن مسروق في وقعة
مرج القبائل ويوم كسر أغماد السيوف والروم تأتي من كل
مكان الى المسلمين ونحن نباكر القتال قال سليم بن
عامر فخرج في يوم من الأيام بطريق من بطارقة الروم قد
لبس درعين وساعدين من حديد وعلى رأسه بيضة تلمع كأنها
الذهب ومن فوقها صليب كأنه الجوهر وبيده عمود
من الحديد كأنه ذراع بعير فجال بين الصفين ودعا الى
البراز بلسانه وكان أحد البطارقة الذين بعث بهم هرقل
فجال بفرسه وجعل يدعونا الى القتال ويتكلم بلسانه فقال

ميسرة بن مسروق للترجمان ما الذي يقوله هذا العلج قال يذكر
انه بطريق كبير ويدعوا الى البراز وقال يخرج الى شجعانكم وابطالكم
فقال ميسرة معاشر المسلمين من يبرز اليه ويكفي المسلمين امره
فأسرع بالاجابة رجل من المسلمين من النخعية عليه درع من
دروع الروم ولباسهم فلما برز الى البطريق قال هذا من متنصرة
العرب اسلم وخرج يريد القتال فكلمه فلم يفهم المتنصر ما يقول
فحمل البطريق عليه وضربه بالعمود الذي في يده فتراجع الى
ورائه فوقعت الضربة في رأس الجواد فانصدع فوثب النخعي
على قدميه وهم أن يضرب العلج فناداه ميسرة ارجع الى ورائك
ولا تلقي بيدك الى التهلكة فرجع فتبعه العلج يريد ان يضربه
فخرج عبد الله بن حذافة السهمي وصاح صيحة عظيمة فدهش
العلج والتفت ليرى الصائح فسلم النخعي ودخل عسكر المسلمين
فحمل عبد الله على البطريق وحمل البطريق عليه وطال الحرب
بينهما وكان عبد الله اذا ضرب العلج لا يعمل في سلاحه شيئا
والعلج اذا ضرب عبد الله يأخذ الضرب في الجحفة فيوهنه من
ثقل العمود الحديد وعظم ساعد البطريق فطال بينهما
القتال والتقيا بضربتين كان السابق بالضربة عبد الله

ابن حذافة فوقعت في نحره فطار رأسه عن بدنه وأسرع الى
الفرس فأخذه وأخذ سلب البطريق ورجع الى المسلمين فعظم ذلك
على الروم واحزنهم لان البطريق كانت له منزلة رفيعة عند
الملك قال فبرز بطريق ثاني وقال صاحب الملك قد قتل ولا
بد لي من اخذ ثاره واحمل قاتله الى الملك هرقل واقول له هذا
قاتل بطريقك فاصنع به ما تريد ثم سار الى ان وقف على المقتول
فبكى رحمة له وحلف بالمسيح والانجيل والصليب انه يأخذ
ثاره وسار الى ان قرب من عسكر المسلمين وصاح بلسان فصيح
معاشر المسلمين يوشك ان الله عز وجل يستهلككم ببغيكم
وبغيا لكم ربنا ابرزوا الي قاتل هذا البطريق حتى أخذ منه بالثار
ولا ابقي بعده على اصحابه فلما سمعه عبد الله بن حذافة السهمي هم
بالخروج اليه فمنعه ميسرة بن مسروق من البراز شفقة عليه
لانه قد تعب وهم ميسرة بالخروج فقال له عبد الله ايها الامير
يدعوني باسمي واتخلف عن الخروج اليه اني اذا العاجز فقال
ميسرة اني اشفق عليك لانك قد تعبت فقال عبد الله اتشفق علي
من التعب في الدنيا ولا تشفق على من حرارة نار الآخرة وسعير
جهنم وعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبرز اليه احد

غيري ثم خرج عبد الله وتحته فرس البطريق وعليه لبسه وبيده
سيفه وحجفته فلما راى البطريق فرس صاحبه وعبد الله راكبه
ما امهل وحمل عليه كانه انصر من علو وتشبث بعبد الله وجذبه
اليه فاقتلعه من سرجه واخذه اسيرا واتى به الى قومه وقال
لهم اوثقوه بالحديد واحملوه الى القسطنطينية واعلموا الملك
انه قتل قليص بن جرج قال فكبل بالحديد وحمل على خيل البريد
الى القسطنطينية ثم عاد البطريق الى مكانه من الحرب مفتخرا
بما صنع وطلب البراز فخرج اليه ثلاثة من المسلمين فقال ميسرة
ابن مسروق لنفسه يا ميسرة اما تستحي من الله عز وجل وانت
واقف براية المسلمين تتفرج عليهم وقد اسر عبد الله بن حذافة
وخرج لهذا اللعين ثلاثة من المسلمين وانت تتخلف عن القتال
فما عذرك عند الله عز وجل يوم الحساب والسؤال ثم استدعى
بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي رضي الله تعالى عنه
وسلم الراية اليه وقال له كن للراية لازما حتى اخرج الى هذا
اللعين فان قتلني فاجري على الله واقع وان قتلته كان فداء
لعبد الله بن حذافة فاخذ سعيد الراية وخرج ميسرة بن مسروق
نحو البطريق كانه اسد وجعل يقول

قد علم المهيمن الجبار ... بان قلبي قد كوي بالنار
على الفتى القايم بالاسحار ... سيعلم العلج مع الاشرار
اني اللهوف اخذ بالثار ... بعون رب سيد غفار

ثم حمل على البطريق وحمل البطريق عليه وجالا وعظم الامر بينهما
ثم تدانيا وتقاربا تحت الغبرة وغابا وكل فرقة تنظر ما يكون
من صاحبها وتدعو اله بالنصر وانكشفت الغبرة وهما الى التفرق
اقرب من التقارب ثم ان البطريق قال لميسرة يا مسلم بحق دينك
اخبرني عن هذه الراية التي طلعت من وراء عسكرنا فلم يقبل ميسرة
كلامه وقال وما ذلك على الله بعزيز فقال وحق ديني ما قلت لك
الا حقا وهو كاذب فالتفت ميسرة يرجو ان الله ياتي بالفرج
وينظر تحقيق ما قال البطريق فحمل البطريق عليه ومكن يده
منه لياخذه اسيرا واذا براية قد طلعت وهي تشرق بالنور
في يد خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه فلما نظر المسلمون
اليها كبروا باجمعهم فلما عظم تكبيرهم استرخت يد
البطريق عن ميسرة والتفت ينظر ما حالهم فقبض صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على البطريق واراد ان يقتلعه
من سرجه فلم يجد اليه من سبيل لانه مزرفن بالحديد فجعل

يجذب يده يريد أن يطرحه ونظر العلج إلى راية خالد بن الوليد وهي
تقرب منه وقاصدة إليه فعلم أنه هالك لا محالة فرفع سيفه يريد
أن يضرب به ميسرة فوقع السيف على يد البطريق الشمال فقطعها
فهرب البطريق إلى أصحابه ويده مقطوعة وهو في ألم عظيم فتلقاه
غلمانه وحجابه وأتوا به على أعناقهم وكووا يده وأما ميسرة بن
مسروق فإنه سار إلى أن التقى بخالد وسلم بعضهما على بعض وحدثه
ميسرة بما جرى له مع الروم وكيف أسر عبد الله بن حذافة
فضرب خالد بيده على الأخرى وقال أسر عبد الله بن حذافة
والله لا فارقهم خالد حتى يخلصه إن شاء الله تعالى وأقام خالد
بقية يومه ذلك فلما كان من الغد نظر وإذا بشيخ قد
خرج من جيش الروم وعليه المسوح وأقبل حتى وقف بإزاء جيش
المسلمين وأومى بالسجود إلى خالد بن الوليد فمنعه خالد من ذلك
وقال له ما الذي تريد فقال إن البطريق المتولي على الجيش
مذعن لكم بالطاعة وإنه لما رأى هذا الجيش الذي أقبل إليكم
علم أنه لا طاقة له بكم ولا يقاتلكم وأنه يقول لكم
هل لكم في الصلح ونحل أسيركم ولكم ما تريدون من الأموال
وترجعون عن بلدنا فقال خالد أما الرجوع عنكم فما نرجع إلا بقضا

وأما الأسير فإن لم تطلقوه طوعا أطلقتموه كرها فقال الشيخ
لخالد أنت أمير العرب فقال نعم قال إن رأيت أن تؤخرنا يومنا
وليلتنا فافعل لندبر الرأي بيننا وليهدأ هذا البطريق من وجع
يده ويخرج إليكم فيجيبكم إلى ما تريدون قال قد أجبناكم إلى ذلك
فرجع الشيخ إلى قومه وذكر له ما قال له خالد وقال قد أجاب
ووضعت الحرب أوزارها ونزل خالد والمسلمون إلى أماكنهم
فلما دخل الليل أمر البطريق أصحابه أن يضرموا النيران على أبواب
الخيم ويزيدوا في وقودها ففعل القوم ذلك وحملوا أثقالهم
ورحالهم وتركوا الخيم على حالها والنار مشعولة على أبوابها
وساروا من ليلتهم فما أصبح الصباح ولهم خبر يعرف فلما كان
من الغد ركب المسلمون وانتظروا أن يخرج إليهم أحد من
الروم فلم يروا أحدا فعلم المسلمون أن الروم هربوا فعض خالد
على أنامله من الغيظ وقال إنا لله وإنا إليه راجعون على خلاصهم
من يدي ثم هم خالد بالمسير خلفهم فمنعه ميسرة من ذلك
وقال إنها بلاد وعرة شاسعة والصواب أن نرجع إلى عسكر
المسلمين قال فأخذوا الخيام وما بقي من رحال القوم ورجع
الجيش منصورا حزين على عبد الله بن حذافة السهمي إلى أن وصلوا

إلى أبي عبيدة فتلقاهم وفرح بسلامتهم وأقبل ميسرة وسلم على أمين الأمة
فعانقه ورحب به وحدثه بأمره وما كان من الروم وما قتل من
المسلمين وبأسر عبد الله بن حذافة فلما سمع بأسر عبد الله حزن عليه
وقال اللهم اجعل له من أمره فرجا ومخرجا ثم كتب إلى أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب كتابا يخبره بأمر السرية التي دخلت الدروب وما كان
من أسر المسلمين وأسر عبد الله بن حذافة وأرسل إليه الكتاب فلما
قرأه فرح بنصر المسلمين على عدوهم واغتم لأسر عبد الله بن حذافة
ثم قال وعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكتبن إلى هرقل كتابا
حتى يبعث إلي بعبد الله بن حذافة وإن لم يفعل سرت إليه بالجيوش
والعساكر ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وصلى الله على محمد رسوله ونبيه
من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أما بعد فإذا وصل إليك كتابي
أرسل إلي الأسير الذي في أسرك وهو عبد الله بن حذافة فإن
فعلت ذلك رجوت لك الهدى به وإن أبيت ذلك أرسلت إليك
رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والسلام على من
اتبع الهدى ثم طوى الكتاب وبعث به إلى أبي عبيدة وأمره أن
يبعث به إلى هرقل ملك الروم فلما وصل إليه دعا برجل من المعاهدين

وضمن له جعلا ودفع إليه الكتاب فسار المعاهدي بالكتاب مسرعا إلى
القسطنطينية فلما وصل إليها أعلموا الملك به فقال أدخلوه وكان
أرسل خلف عبد الله بن حذافة فدخل عليه والتاج على رأسه والبطارقة
حوله فلما وقف بين يديه قال له من أنت قال أنا رجل من قريش
قال أنت ابن نبيكم قال لا أنا ابن عمه فقال هرقل هل لك أن تدخل
في ديني وأزوجك ابنة بطريق من بطارقتي وأجعلك من أكابر
أصحابي فقال لا أفارق دين الإسلام وما جاء به محمد عليه أفضل
الصلاة والسلام ثم دعا بسفط من الجوهر وقال له إن دخلت في
ديني أعطيتك إياه فقال لا أفارق دين الإسلام ولو أعطيتني
كل ما تملك فاصنع ما أنت صانع فغضب من كلامه وقال
اسجد لهذا الصليب سجدة وأنا أخلي سبيلك فقال والله ما كنت
بالذي أفعل ذلك فقال اشرب كأسا من هذا الخمر فقال لا أفعل
ذلك فقال لغلمانه اجعلوه في بيت واجعلوا عنده خمرا ولحم
خنزير فإنه إذا جاع أكل اللحم وإذا عطش شرب الخمر
قال ففعل الغلمان ذلك وجعلوا معه اللحم والخمر وأغلقوا
عليه الباب وتركوه **قال الواقدي** رحمه الله حدثني
عامر بن سهل قال أخبرني يونس بن عمران النحوي قال حدثني

سفين بن خالد ان هرقل كان قد مات بعد هروبه من انطاكية مما
جرى له ومما حمل على قلبه من فراق سورية ويقال انه مات مسلما
والذى فعل بعبد الله بن حذافة ذلك كان ولده قسطنطين وكان
تسمى باسم ابيه هرقل فلما كان فى اليوم الرابع قال ما فعل الاسير
فقالوا ايها الملك على حاله فقال وزيره ايها الملك ان هذا الرجل
شريف فى قومه ولا نرى بذله وكلما فعله الملك معه يفعله
المسلمون بمن ملكوا منا فاستدعى به الملك وقال ما فعل باللحم
والخمر فقالوا ايها الملك على حاله فقال له ما منعك ان تاكله قال
خوفا من الله ورسوله وايضا فانه احل لى بعد ثلاثة ايام ولكن
خفت من شماتة المسلمين بى فبينما الملك كذلك اذ ورد عليه
كتاب امير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما قراه اعطى لعبد الله مالا كثيرا
ولؤلؤا وثيابا وبعث معه هدية الى عمر بن الخطاب وارسل
معه خيلا توصله الى الدروب وعاد واعنه وسار الى ان وصل
الى ابى عبيدة ففرح بسلامته وارسل معه خيلا الى ان وصل
الى عمر بن الخطاب فلما راه سجد لله تعالى شكرا وهناه بالسلامة
ثم دفع اليه اللؤلؤ فلما راه امير المؤمنين اعرضه على تجار المدينة
فلم يعرفوا له قيمة وقالوا يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد حباك

به نحذه اليك بارك الله لك فيه قال فامر الناس ان يجتمعوا فى المسجد
فاجتمعوا حتى غص بالناس ثم رقا المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال
ايها الناس اعلموا رحمكم الله ان كلب الروم قد وجه الى بهذا
اللؤلؤ هدية وقد جعلنى المسلمون منها فى حل فما تقولون فقالوا
بارك الله لك فيها يا عمر فقال لا اله الا الله محمد رسول الله
ان كنتم قد جعلتمونى منها فى حل فكيف اصنع بمن غاب من المسلمين
وبمن فى البطون والاصلاب من اولاد المهاجرين والانصار
والمجاهدين فى سبيل الله فلا طاقة لعمر بمطالبتهم يوم القيامة
ثم باعها وجعلها فى بيت مال المسلمين قال الواقدى
رحمه الله اخبرنى عمر بن سالم قال اخبرنى عبد الله بن عامر
قالوا جميعا لما فتح ابو عبيدة انطاكية صلحا وكان من امر
ميسرة بن مسروق ما كان اقام ابو عبيدة بحلب وانتظر ما
يكون من امر عمرو بن العاصى على قيسارية وكان حملة من سار
معه خمسة الاف فيهم عبادة بن الصامت وعمرو بن ربيعة
وبلال بن حمامة وربيعة بن عامر قال سبع بن حمزة كنت مع
عمرو بن العاصى فنظرت الى كرم فى دار فيه عناقيد مدلات
اكبر ما يكون فاخذنا منها عنبا فاكلناه فبردنا ولحقنا البرد

من شدة برده فقلت قبح الله هؤلاء العلف بلدهم بارد وعنبهم بارد
وماؤهم بارد وانا نخاف الهلاك من شدة برد بلادهم قال فسمع
رجل من نصارى الشام كلامي فاراد التقرب الي لا بقي عليه
ولا اقتله وقال يا اخا العرب ان كنت وجدت البرد من مائه
فاشرب من مائه قال سبيع بن حمزة فدلنا على دير كبير فيه خمر
فشربت انا وجماعة من عرب اليمن واتينا عسكرنا نتمايل سكرا
فعلم عمرو بخبرنا فكتب الى ابي عبيدة يخبره بذلك فكتب اليه
اما بعد فمن شربها فحده عليها واقم حدود الله بامر الله ولا تخف
لومة لائم فلما وصل الكتاب الى عمرو دعا بسبيع بن حمزة واصحابه
فجلدهم بالسياط قال سبيع فلما جلدني عمرو واوجعني فقلت
والله لاقتلن العلج الذي دلني على الخمر حتى شربته فاخذت
سيفي ودخلت القرية وطلبت العلج فوجدته فلما وقعت عيناي
عليه جردت السيف وهممت بقتله فولى بين يدي هاربا
فتبعته وهو يقول اي ذنب اذنبت لك فقلت لانك دللتني
على شرب ما يغضب الرب فقال والله ما علمت انه محرم عليكم
قال سبيع بن حمزة فناداني عبادة بن الصامت يا سبيع اياك
ان تقتله فانه تحت الذمة قال فتركته فمضى واتاني بتين

وجوز وقال كل من هذا فانه يدفيك فقلت له لحاك الله اين كنت
قبل ان اضرب بالسياط قال وارتحل عمرو بنا الى ان نزلنا بموضع
يقال له نحل فبلغ الخبر قسطنطين بن الملك هرقل وكان معه
من انهزم من عسكر ابيه ومن ساير بلاد الروم ومن البطارقة
فبلغ جيشه ثمانين الفا فدعا برجل من العرب وقال له امض رعة
وتجسس خبر العرب وفي كم هم وائتني بالخبر قال فمضى الجاسوس
الى ان دخل جيش العرب ومر باوله واخره فراى جماعة من
اليمن يصطلون نارا فاوى اليهم وجلس بينهم ليسمع منهم
كلاما فلما اراد القيام عثر في ذيله فقال باسم الصليب
كلمة زلت بها لسانه فلما سمعوا قوله علموا انه متنصر وجاسوس
للروم فوثبوا اليه وقتلوه فوقع الصايح في العسكر فسال عمرو
عن الخبر فقيل ان قوما من عرب اليمن وقعوا بجاسوس فقتلوه
فغضب عمرو من اجل ذلك ودعى بهم وقال يا هؤلاء ما
حملكم على قتل الجاسوس هلا اتيتموني به لاستخبره فكم
من عين تكون علينا والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ثم
نادى في جيشه من وقع بغريب او جاجوس فلياتي به الينا
قال فلما ابطى الجاسوس على قسطنطين علم انه قد قتل فارسل غيره

ليأتيه بالخبر فأشرف الجاسوس على تل وعاين جيش المسلمين وحرره ثم
عاد إلى الملك قسطنطين وقال أيها الملك قد أشرفت على جيش العرب
وإذا هو خمسة آلاف إلا أنهم أسود ضراغم ونسور قشاعم يرون
الموت مغنما والحياة مغرما فلما سمع قسطنطين ذلك فقال وحق
المسيح والقربان لأبذلن في قتالهم جهدي فإما أن أبلغ المراد
وإما أن أقتل صبرا ثم جمع بطارقته وأراجيته ومذبحته واختار
منهم عشرة آلاف فارس وعقد راية على قصبة من الفضة على
رأسها صليب من الذهب الأحمر وسلمها إلى بطريق اسمه مكلاوكرز
وهو صاحب جيشه وقدمه وقال له قد وليتك على هؤلاء فسر
بهم فأخذ البطريق الراية وسار بالعشرة آلاف من يومه ثم
إن قسطنطين عقد صليبا ثانيا وسلمه إلى دمستق العسكر واسمه
جرسلوا وضم إليه عشرة آلاف وأمره أن يلحق بالبطريق
الأول وخرج قسطنطين في اليوم الثالث في بقية الجيش
وترك في قيسارية بسطاويل ومعه عشرون ألفا قال بشار بن
عوف فبينما نحن في تل إذ أشرف علينا البطريق الأول
فلما قرب منا فرحنا وقلنا نحن في خمسة آلاف وعدونا في عشرة
آلاف كل واحد منا يقاتل اثنين فبينما نحن كذلك إذ أشرف

علينا البطريق الثاني ومعه عشرة آلاف فقال عمرو اعلموا أنه من
أراد الله تعالى واليوم الآخر فلا يرتاع من كثرة العدو ولا ترايد
المدد فإن الجهاد أوفى متجر وأي فخر أعلا ممن يقتل في الجهاد في
صفوف الكفار ويكون حيا أبدا يرتع في مروج الجنة وينال من
الله سابغ المنة قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ولو أن الجاسوس الذي قتلتموه
لم تعجلوا عليه كان أخبرنا بمسير هذه الجيوش وكثرتها وكنا
أخذنا على أنفسنا بالأحوط لكن أمر الله تعالى لا يغالب ثم قال
رأيت من الرأي أن أبعث إلى أبي عبيدة يمدنا بالأبطال والرجال
فإن هذا جيش عظيم ثم قال أيها الناس من يركب ويسير إلى أمين
الأمة ويعلمه بما قد دفعنا إليه لعله ينجدنا كما أنجد يزيد
ابن أبي سفين على قنسرين وأجره على الله تعالى فقال له ربيعة
ابن عامر الق بنا العدو واتكل على الله تعالى فإن الذي نصرنا
في مواطن كثيرة ونحن في قلة ينصرنا على بغية الكافرين
قال فانتفع عمرو بوصية ربيعة بن عامر وقال والله لقد
صدقت ثم أمر الناس بالتأهب إلى لقاء العدو فركب المسلمون
ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فأجابهم الجبال والتلال

والأوعار والأشجار وسكان تلك الأرض من العمار قال فارتاع المشركون
عند سماع أصواتهم وكأنما الأرض سايرة بأهلها ونظر قسطنطين
إلى جيش المسلمين فزاد في عينه وقال وحق ديني لما أشرفت على القوم
ما كانوا في أكثر من خمسة آلاف وقد زاد الآن عددهم وكثر
مددهم ولا شك أن الله قد أمدهم بالملائكة ولقد كان رأيي
على بصيرة من هؤلاء العرب وليس جيش بأعظم من جيش ماهان الأرمني
لما لقيهم باليرموك في ألف ألف ولقد ندمت على خروجي إليهم
وإنني سوف أدبر الحيلة على هؤلاء العرب ثم دعا بقس عظيم القدر
عنده وهو قس قسارية وعالمها وقال له اركب إلى هؤلاء العرب
وقل لهم بالتي هي أحسن أن ابن الملك يريد أن تنفذوا إليه أفصحكم
لسانا وأجراكم جنانا فابعثوا إليه رسولا ولا يكون من طغام العرب
قال فلبس القس ثوبا من الديباج الأسود ومن فوقه برنس من الشعر
وركب بغلة شهباء وأخذ بيده صليبا من الجوهر وسار حتى أشرف
على عسكر المسلمين بحيث يسمعون كلامه وقال يا معاشر
العرب إني رسول إليكم من الملك الرحيم قسطنطين بن هرقل
وهو يريد صلحكم ولا يبغي قتالكم لأنه عالم بدينه بصير بأمره
وليس يحب سفك الدماء ولا إفساد الصور ولا تبغون علينا

فالباغي مقهور والمبغي عليه منصور وقد قال المسيح لا تقاتلون إلا
من بغى عليكم والملك يريد أن تنفذوا إليه رجلا من أفصحكم لسانا
وأجراكم جنانا ولا يكون من طغام العرب ثم سكت فلما سمع عمرو
ابن العاصي كلامه قال أيها الناس قد سمعتم ما قال هذا الأقلف
فمن منكم يبادر إلى مرضات الله ورسوله ويمضي إلى كلب الروم
فقام بلال بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
غلاما أسود طويلا في الرجال كالنخلة السحوق نصاص السواد
عيناه حمراوتان كأنهما العلق جوهري الصوت وقال يا عمرو أنا
أسير إليه فقال يا بلال قد حطمك الحزن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأيضا فإنك من جنس الحبشة ولست من العرب
لأن العرب فصحاء اللسان فقال بحق رسول الله إلا تركتني
أمضي إليهم فقال عمرو أقسمت علي بعظيم اخرج واستعن بالله
ولا تهابه في الخطاب وافصح في الجواب وعظم شرايع الإسلام
فقال تجدني إن شاء الله كما تحب فخرج بلال رضي الله عنه
كالنخلة السحوق عريض المنكبين كأنه من رجال شنوءة وكان
من عظم خلقته إذا نظر إليه أحد هابه وخافه فتقلد بسيفه
وخرج من عسكر المسلمين فلما نظر إليه القس قال إن القوم قد هنا

عليهم إذ دعينا هم لنخاطبهم فأرسلوا إلينا عبداً من عبيدهم لصغرنا
في أعينهم ثم قال أيها العبد ارجع وقل إن الملك يريد أميراً منكم ليخاطبه
فقال له بلال أيها القس أنا بلال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولست بعاجز عن جواب ملككم فقال له القس قف مكانك حتى أعلم
الملك بأمرك ثم عاد القس ووقف بين يدي قسطنطين وقال
أيها الملك إن العرب قد بعثوا إليك بعبد من عبيدهم ليخاطبك وما
ذاك إلا لأنا قد هنا عليهم وهو أسود طويل عظيم الخلق ووصفه له
فداخله الرعب من وصفه فقال ارجع وقل لهم إن ملك النصرانية
يبعث إليكم يطلب رسولاً ترسلون إليه عبداً من عبيدكم فرجع القس
إلى بلال وأعلمه أن الملك يقول لين يريد أن يخاطب العبيد بل
يريد صاحب جيشكم والمؤمر عليكم فرجع بلال وهو منكسر وأعلم عمرو
بذلك فقال شرحبيل بن حسنة أنا أمضي إليه فقال عمرو وإياي دعا
وأنا أمضي إليه فقال شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا أبا عبد الله إذا مضيت أنت فمن يخلفك على المسلمين
فقال عمرو والله لطيف بعباده وهو أرحم الراحمين بخليقته ولكن
خذ الراية واخلفني في موضعي فإن غدر القوم فالله الخليفة عليكم
فوقف شرحبيل في مقام عمرو وتسلم الراية وخرج عمرو نحو القوم

وعليه درع من تحت جبته وعلى رأسه عمامة أرخى لها عذبة وفي وسطه
منطقة من سيور وتقلد بسيفه واعتقل برمحه وسار إلى أن وقف
بإزاء الترجمان فلما رآه ضحك فقال عمرو مم تضحك يا أخا النصرانية
فقال من دناءة زيك وحملك لهذا السلاح وما أنت في حرب فقال
عمرو إن حمل السلاح شعار العرب ووطاؤها ودثارها وإنما حملته
خشية أن ألقى عندكم حرباً فيكون السلاح حصناً لي من عدوي ٥
وأحامي به عن نفسي فقال له الترجمان إنا لسنا من أهل الخديعة والمكر
فكن مطمئن القلب ثم سار الترجمان إلى الملك وأخبره بقدوم
عمرو وما عليه من السلاح فتبسم الملك وقال يقدم علي كما هو
ثم تأهب لقدوم عمرو وزين ملكه وأوقف البطارقة والمدبجة
عن يمينه وشماله والحجاب بين يديه ثم أقبل الترجمان إلى عمرو وقال
له سر يا أخا العرب فقد أذن لك الملك فسار عمرو على جواده
وعسكر قيسارية يعجب من زيه إلى أن وقف على باب قبة الملك
فترجل ومشت الحجاب أمامه إلى أن وقعت عينه على قسطنطين فسلم
بتحية العرب فقربه الملك وأدناه ورحب به وبش في وجهه
وقال مرحباً بأمير قومه وأراد أن يجلسه على السرير فامتنع عمرو
من ذلك وقال بساط الله أطهر من بساطك لأن الله جعل الأرض

بساطا وآباءنا إياها ونحن فيها نسعى وما نريد أن نجلس إلا على ما أباحه
الله لنا ثم جلس عمرو على الأرض باركا وترك رمحه أمامه وسيفه
على فخذه وقال لقسطنطين قل ما تشاء يا عظيم قومه واسأل عن ما تريد
فقال له قسطنطين ما اسمك فقال اسمي عمرو وأنا من العرب الكرام
المعظمين في قومهم فقال قسطنطين إنك لفتى كريم من عرب كرام
يا عمرو إن كنت من العرب فنحن من الروم وبيننا قرابة ورحم
متصلة ونحن وأنتم في النسب متصلون ومن يكونوا متصلين فما
لهم ينبغي أن بعضهم دم بعض فقال عمرو إن أنسابنا لاحقة من
أبينا ونسبنا الأعلى هو دين الإسلام وأما إذا كان الأخ مع
أخيه واختلفا في دين كان حلالا له أن يقتل أخاه وقد انقطع
النسب بينهما وقد ذكرت أن نسبك لاحق بنا فكيف يكون نسبك
ونسبنا واحد ونحن من قريش الكرام وأنتم بنو الروم قال
يا عمرو أليس أبونا آدم ثم نوح ثم إبراهيم أبو العيص بن إسحاق
وإسحاق أخو إسمعيل وكلاهما أولاد أبيهم ولا يجوز للأخ أن
يبغي على أخيه ويجور عليه في قسمته التي قسمها آباؤهم الأقدمين
فقال عمرو إنك صادق في قولك الذي قلته وإن العيص ولد
إسحق وإسحق عم العيص ونحن بنو أب واحد وأبونا نوح

صلوات الله عليه وإن كان قسم الأرض بين ولده فإنه قسم لهم
شططا حين غضب على ولده ولم يرضوا بها واقتتلوا عليها زمانا
وغضب بعضهم على بعض وهذه الأرض التي أنتم فيها فإنها ليست
لكم وهي أرض العمالقة من قبلكم لأن نوحا قسم الأرض بين أولاده الثلاث
سام وحام ويافث فأعطى ولده سام الشام وما حوله إلى اليمن
وحضرموت إلى عمان البحرين والعرب من ولد سام وهم قحطان
وطسم وجديس وعملاق وهو أبو العماليق حيث كانوا من البلاد
ومنهم الجبابرة الذين كانوا بالشام فهذه العرب العربا لأن
لسانهم الذي استنبطوا منه العربية وأقطع حام أرض الغرب
والسواحل وترك يافث فيما بين المشرق والمغرب واعلم أن الأرض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ونريد أن نرد
هذه القسمة ونجعلها معتدلة فنأخذ ما في أيديكم من البلاد القفر
والأنهار والعمارة فلما سمع قسطنطين كلام عمرو بن العاصي
علم أنه رجل مكين فقال له قد صدقت في قولك لأن القسمة قد
جرت وإن لم ترضوا بها كنتم باغين علينا ونعلم أنه ما حملكم على
ذلك وأخرجكم من بلادكم إلا الجهد العظيم فقال عمرو أيها الملك
أما ما زعمت أن الضر أخرجنا من بلادنا فنعم وكنا نأكل خبز

الشعير والذرة فلما رأينا طعامكم وأكلناه استحسنا ذلك ولم نبرح
حتى نأخذ البلاد من أيديكم ونصيركم لنا عبيدا ونستظل تحت أصول
هذه الشجر العالية والفروع المورقة والأغصان الطيبة الثمار
فإن منعتمونا عن ما ذقناه في بلادكم من لذيذ العيش فما تلقاكم
إلا رجال أشوق إلى حربكم من حبكم للحياة لأنهم يحبون القتال كما
تحبون أنتم الحياة فسكت قسطنطين عن جوابه ورفع رأسه إلى قومه
وقال لهم اعلموا أن هذا العربي صادق في قوله وحق الكنائس والقربان
والمسيح والصلبان ما لنا معهم يد قال عمرو فوجدت إلى وعظهم
السبيل وقلت يا معشر الروم إن الله عز وجل قد قرب لكم ما تطلبون
إن كنتم تطلبون بلدكم فادخلوا في ديننا وصدقوا قولنا بمقالة
نبينا فإن الدين عند الله الإسلام قولوا لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال قسطنطين يا عمرو
إنا لا نفارق ديننا وعليه مات آباؤنا وأجدادنا قال عمرو
فإن كرهت الإسلام فأعطنا الجزية عنك ومن قومك وأنتم
صاغرون قال قسطنطين ما أجيب إلى ذلك لأن الروم لا تطاوعني
إلى أداء الجزية ولقد أراد أبي ذلك وقال لهم فأرادوا قتله
فقال عمرو هذا ما عندي من الإعذار والإنذار وقد حذرتكم

ما استطعت ولم يبق إلا السيف بيننا حكما والله يعلم أني قد دعوتكم
إلى أمر فيه النجاة فعصيتم كما عصى أبوكم العيص على أمه فخرج من
الرحم قبل أخيه يعقوب وأنتم تزعمون أنكم أقرب منا في النسب
وإنا برآء إلى الله عز وجل منكم ومن قرابتكم إذ أنتم تكفرون
بالرحمن وأنتم من ولد العيص بن إسحاق ونحن من ولد إسماعيل
عليهما السلام وإن الله عز وجل اختار لنبينا الأنساب من لدن آدم
إلى أن خرج من صلب أبيه عبد الله فجعل خير الناس من ولد إسمعيل
وألهم إسمعيل أن يتكلم بالعربية وترك إسحق على لسان أبيه
فولد إسمعيل العرب ثم جعل خيرة العرب كنانة ثم كندة ثم
جعل خير كنانة قريشا ثم جعل خير قريش بني هاشم ثم جعل خير بني هاشم
عبد المطلب ثم جعل خير عبد المطلب نبينا صلى الله عليه وسلم
فجعله رسولا واتخذه نبيا وهبط عليه جبريل الأمين بالوحي
وقال له قد طفت المشرق والمغرب فلم أر أفضل منك يا محمد قال
فخضعت جوارح القوم حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجلت قلوبهم ودخلت الهيبة في قلب قسطنطين لما سمع
كلام عمرو وقال له صدقت في قولك كذلك الأنبياء بعثت في
بيوت قومها فأخبرني هل في أصحابك هولا مثلك يبين الكلام

اذا اتكلم كاسراع جوابك اذا سئل فقال عمرو ان كل اصحابى
لسانهم واحد وفيهم من لو كلمته لعلمت انى لا اقاربه فقال الملك
من المحال ان يكون فى اصحابك مثلك ولا واحد فقال عمرو بلى
والله ان احب الملك اتيته بهم ليقف على صحة كلامى ثم وثب
واتى الى جواده فركبه واتى الى جيش المسلمين فحمدوا الله على سلامته
وباتوا يحرسون الى الصباح فصلى عمرو بهم صلاة الفجر وامرهم
بالركوب الى قتال عدوهم قال فاسرعوا الى ذلك واستووا فى متون
خيولهم واصطفوا للحرب والقتال **قال الواقدى** رحمه
الله حدثنى فروة بن زيد عن موسى مولى الحضرميين عن موسى بن عمران
قال لما كان يوم الحديبة صف قسطنطين جيشه ثلاثة صفوف
وقدم الناسية ورتب الميمنة والميسرة ورفع الصليب وتقدم
امام الجيش فلما نظر عمرو بن العاص الى قسطنطين وقد رتب
عساكره وعزم على الحرب صف اصحابه صفا واحدا فجعل فى الميمنة
الحماة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم شرحبيل
ابن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار الليثى
عن يساره ورتب جيشه فبينما الناس كذلك اذ خرج فارس من
المشركين عليه ديباجة ودروع وجوشن وفى عنقه صليب من

الذهب فحمل وخط برمحه من الميمنة الى الميسرة ومن الميسرة الى الميمنة
ثم الى القلب ثم وقف بازا جيش المسلمين وركز رمحه بازايه واخذ
قوسه بيده وفوق فيه سهما ورمى رجلا من الميمنة فاثبت السهم
فيه فجرحه ورمى آخر فى الميسرة فقتله فنظر عمرو الى ما صنعه
فصاح بالمسلمين الا ترون الى هذا العلج اللعين وما صنع بقوسه
فمن يكفينا امره ويرد عن المسلمين شره فخرج اليه رجل من ثقيف
وعليه فروة دنسة وعمامة رثة وبيده قوسا عربية قد فوق
فيه نبلة وخرج نحو العلج يريده فنظر العلج الى الثقفى وليس عليه
شئ من الحديد يستره الا فروة دنسة وما معه من السلاح الا
قوسه فازدراه واطلق سهما من كبد قوسه فوقع السهم فى
صدره واشتبك فى الفروة غير صايب وكان اللعين ارمى
اهل زمانه قل ما رمى شيئا الا نفذ فيه فغضب من ذلك وهم ان
يرميه بسهم ثان فاخذ الثقفى نبلة ورمى بها نحو العلج فلم يرها
لصغرها فوقعت فى حلقه وخرجت من قفاه فما تمالك العلج ان
وقع صريعا فاسرع الثقفى الى جواده فركبه وترك بيضة المشرك
على راسه وجعل يسحبه نحو جيش المسلمين فاستقبله ابن عم له
وكلمه فلم يجبه من فرحته بما صنع فقال له يا اخى اكلمك فلا

تجني كأنك من أولاد قيصر فأقبل الثقفي بسلاح العلج إلى عمرو بن العاص فأعطاه إياه فلما نظر المشركون إلى ما صنع الثقفي أغاضهم ذلك ولم يعلموا كيف قتله فجعلوا يشيرون إلى السماء فعلم أنهم يقولون أن الملائكة قتلت صاحبهم وعظم ذلك على قسطنطين وقال لبعض البطارقة اخرج إلى هؤلاء العرب وحامي عن الصليب فخرج البطريق وعليه ديباجة حمراء من تحتها درع حصين ومن تحت الدرع جوشن منيع وفي عنقه صليب من الذهب والجوهر وغير ذلك ومن ورائه غلام بجنيب يحمل سيفه ودرقته فمشى إلى أن وقف بين الصفين وطلب البراز فلم يخرج إليه أحد فقال عمرو معاشر المسلمين من يخرج إليه ويهب نفسه لله عز وجل فخرج إليه رجل من العرب وهو يقول أنا أكون ذلك فقال عمرو بارك الله لك فيما تريد فحمل المسلم على البطريق وتعاركا طويلا ثم ضرب البطريق المسلم بسيفه فتلقاها في درقته فانقدت نصفين وكانت من الجلد ولم يصل إليه من الضربة شيء ثم ضربه المسلم في أثرها ضربة فقطعت البيضة ولم يصل إليه أذى فتراجع إلى ورائه إلى أن سكن روعه حمل على المسلم وضربه ضربة جرحه بها جرحا فاضحا فرجع إلى المسلمين فصاح به رجل من قومه وقال له ويحك من وهب نفسه يرجع من بين يدي عدوه فقال له أما كفاك هذه الضربة حتى توبخني إن الله عز وجل لم يأمرني أن ألقي بيدي إلى التهلكة ثم شد جرحه وأصلح موضع الضربة ورجع إلى الحرب وقد عظم عليه ما قاله ابن عمه فلما خرج قال له ابن عمه ارجع وخذ هذه البيضة فاتركها على رأسك فقال ثقتي بالله أعظم من ثقتي بحديثك ثم سار إلى البطريق وهو يقول

يقول لي عند الخروج للقا ● دونك هذه البيضة اجعلها وقا
من علج سوء قد بغا وقد طغا   أقسمت بالله يمينا صادقا
لا أترك البيضة نحو المرتقا ● بل أحسن الظن برب خلقا
وأدخل الجنة دار العشقا   مجاور الأحمد في الرفقا

قال فدعا له المسلمون بالنصر وقالوا اللهم أعطه ما تمنى قال ثم حمل على المشرك وضربه ضربة هائلة وقعت على عاتقه خرجت من علايقه ثم حمل في جيش المشركين فقتل رجالا ولم يزل كذلك حتى قتل رحمه الله تعالى فقال عمرو وهذا رجل اشترى الجنة من الله بنفسه اللهم أعطه ما تمنى **قال الواقدي** رحمه الله وكان مع قسطنطين بطريق من البطارقة اسمه قيدمون وكان أفرس الروم ويقال أنه خال الملك وكان قد

لقي عسكر الفرس وعسكر الترك وعسكر الجرامقة وكان اللعين
يحفظ سائر اللغات فقال لقسطنطين لا بد لي من قتال هؤلاء العرب
فالجهاد علي مفترض فلم يقدر قسطنطين يمنعه فلبس قيدمون
لامة حربه وخرج مبادرا فلما خرج ورآه المسلمون كأنه جبل
وكلما عليه تلمع من بريق الجوهر فرفع المسلمون أصواتهم
بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما وقف في الميدان أقبل
بعضهم يتكلم بلغته ويطلب البراز فأقبلت العرب يهرعون
إليه من كل جانب كل منهم يريد قتاله لأجل ما عليه فقال عمرو
ثواب الله خير لكم مما عليه ولا يخرج أحد لطلب سلبه فيكون
خروجه لأجل ذلك فيذهب ثوابه وليكن خروجكم لوجه الله تعالى
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته إلى الله
ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا
يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه **قال الواقدي**
رحمه الله وكان قد خرج غلام من اليمن ومعه أمه وأخته
يريدون الشام وكانت أخته تقول يا ابن أم جد بنا في السير
حتى نصل إلى الشام فإنها بلاد الخصب والسير لنا كل من خيراتها
فقال والله ما أريد المسير إلى الشام لأجل خيره وكثرة نعمه

لأن نعيم الدنيا يفنى والآخرة خير وأبقى وإنما قصدت الجهاد لأقاتل
طلبا لمرضات الله ورسوله وطلبا للحياة السرمدية لأني سمعت معاذ
ابن جبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشهداء عند ربهم أحياء يرزقون فقالت أخته
كيف يرزقون وهم أموات فقال إن الله تعالى يجعل أرواحهم في
حواصل طيور خضر من طيور الجنة فتأكل الطيور من ثمار الجنة
وتشرب من أنهارها فتغذو الأرواح من حواصل تلك الطيور
فهو الرزق الذي جعله الله لهم فلما كان يوم قتال قيسارية
خرج الغلام إلى القتال بعد أن ودع أمه وأخته وداع الموت
وقال لهم اجتماعنا عند حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم
خرج وبيده قناة موصولة ومن تحته جواد كالهجين وحمل على
البطريق وطعنه بسنانه فاشتبك السنان في درع البطريق
ولم يقدر على انتزاعه من الدرع فضرب البطريق القناة بسيفه
فقطعها نصفين وحمل على الغلام وضربه على هامته فشطرها نصفين
ووقع الغلام ميتا رحمه الله تعالى فجال قيدمون على مصرعه
وطلب البراز فخرج إليه بشر بن دراع اليربوعي فحمل عليه البطريق
وقتله فخرج إليه أسامة بن زيد فحمل عليه البطريق وقتله فلما

رأى شرجيل بن حسنة الى فعل البطريق اقبل يخاطب نفسه ويقول
تتفرجين على قتل المسلمين وانت واقفة ثم خرج والراية بيده التى
عقدها له ابو بكر الصديق رضى الله عنه يوم خروجه الى الشام فلما
رآه عمرو قد عول على الخروج قال يا عبد الله اركز الراية لئلا
تشغلك فركزها شرجيل فوقفت كالنخلة وغاصت فى حجر كأنما
هى منه فتفأل بالنصر وخرج للقاء فيدمون والمسلمون يدعون له
بالنصر على عدوه فلما رآه البطريق ضحك من زيه وكان للملعون
صوت كالرعد وله جثة عظيمة وشرجيل نحيف الجسم من كثرة
صيامه وقيامه فحمل كل منهما على صاحبه واستبقا بضربتين كان
السابق بالضربة شرجيل بن حسنة فلم يعمل سيفه فى لامة عدو الله
شيأ ووقع سيف الملعون على شرجيل فنجا منه قال سعيد بن روح
وكان ذلك اليوم كثير البرد والسحاب فنزل المطر كأفواه
القرب فنزلا عن الجوادين وتصارعا فى الطين فضرب عدو الله
بيده على مراق بطن شرجيل فاقتلعه من الارض وارماه على ظهره
واستوى على صدره وهم بنحره فنادى شرجيل يا غياث المستغيثين
فما تم كلامه حتى خرج فارس من عسكر الروم وعليه لامة مذهبة
راكب على جواد من عتاق الخيل الى ان وقف بازاء البطريق

٢٥٩

فطعن شرجيل انه اتى لاعانة فيدمون فترجل عن جواده وسحب
البطريق برجله عن صدر شرجيل وقال يا عبد الله قم فقد جاءك
الغوث من غياث المستغيثين فوثب شرجيل ينظر اليه متعجبا من
فعله ومن قوله وهو ملثم وجرد سيفه وضرب البطريق ضربة
قطع رأسه بها وقال يا عبد الله خذ سلبه فقال شرجيل والله ما
رأيت اعجب من امرك لانى رأيتك جئت من جيش المشركين فمن انت
فقال انا الشقى المنحوس انا طليحة بن خويلد الاسدي الذى ادعيت
النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبت على الله
عز وجل وزعمت ان الوحى كان ينزل على من السماء فقلت له
يا اخى ان رحمة الله وسعت كل شئ ومن تاب واقلع واناب قبل الله
توبته وغفر له على ما كان منه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول
التوبة تجب ما قبلها اما علمت يا ابن خويلد ان الله سبحانه لما انزل
على عبده ونبيه ورحمتى وسعت كل شئ طمع كل احد حتى ابليس فلما
نزل قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين
هم بآياتنا يؤمنون قالت اليهود نحن نؤمن بما انزل الله فى
التورية والمصحف فاراد الله تعالى ان يعلمهم انها لامة محمد صلى الله
عليه وسلم فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى فقال والله

مالي وجه ارجع به الى المسلمين وهم ان يسيح على وجهه فمنعه شرحبيل
وقال يا طليحة لست ادعك او ترجع معي الى عسكر المسلمين فقال ما
يمنعني من المسير معك الا الفظ الغليظ خالد بن الوليد واني اخاف
ان يقتلني فقال انه ليس معنا وهذا الجيش لعمرو بن العاصي قال
فرجع معي فلما قربنا من المسلمين تبادروا الينا وقالوا يا عبد الله من هذا
الذي معك فلقد صنع معك جميلا وكان ملثما بفاضل عمامته فلم
يعرفوه فقلت هذا طليحة بن خويلد الاسدي فقالوا او تاب الى الله
سبحانه ورجع فقال انا تايب الى الله سبحانه مما كان مني فقال شرحبيل
امض بنا الى عمرو بن العاصي فسلم عليه **قال الواقدي** رحمه
الله حدثني سالم بن عمر اليزيدي قال اخبرني صالح بن عون النخعي
قال حدثني حسان بن عامر الربعي عن جده قال بلغني ان طليحة بن خويلد
لما كان من امره ما كان وادعى النبوة وجرى له في الحروب ما جرى
مع خالد بن الوليد وسمع ان خالدا قتل مسيلمة الكذاب وسجاح الذي
ادعيا النبوة وقتل الاسود العبسي ايضا لانه قال انه نبي خاف
طليحة على نفسه فهرب لئلا يزوجته الى الشام واستجار برجل من ال
كلب كان مومنا فاجاره وجلس عنده فاستخبره عن حاله فحدثه طليحة
بجميع امره وحديثه مع خالد ووقايعه وكيف ادعى النبوة فغضب

الكلبي من كلامه وقال والله ما فعلت ذلك الا شحا على الاموال
فسلبك الله اياها ولكن من الواجب على الاغنيا ان يواسوا الفقرا بما
رزقهم الله فان ذلك من مكارم الاخلاق ثم طرده وقال له مر
عني لا جوار لك عندي فخرج من عنده واقام بالشام وتاب من صنيعه
فلما بلغه ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قد قبض قال قد ذهب من
جردت السيف في وجهه فقال من ولي بعده فقالوا عمر بن الخطاب
فقال ذاك الفظ الغليظ وهاب ان يمضي اليه خوفا منه ومن خالد بن
الوليد ان يراه بالشام فقصد قيسارية ليركب في مركب ويطرح
نفسه في بعض جزاير البحر فلما راى جيش قسطنطين وقد خرج الى قتال
المسلمين قال اسير مع هذا الجيش لعلي ان انكب بنكبة اغسل بها شيا من
اوزاري وتكون لي قربة عند الله تعالى والى المسلمين فلما وقف في صف
المشركين ونظر الى شرحبيل وقد اشرف على الهلاك فقال لا صبر
لي عنه فخرج اليه وخلصه كما ذكرنا فلما وقف بين يدي عمرو شكر
له فعله وبشره بالتوبة فقال يا عمرو اني اخاف من خالد ان يراني
فيقتلني فقال له عمرو اني مشير عليك بشي تصنعه وتامن على نفسك
في الدنيا والاخرة قال وما هو قال اكتب معك كتابا بما صنعت
بشهادة المسلمين به وتنطلق الى عمر بن الخطاب فتدفع اليه

الكتاب واظهر له التوبة فانه يقبلها منك ويسند بك الى الجهاد والى
قتال المشركين فيمحوا عنك به ما سلف من خطاياك فاجابه طليحة الى
ذلك وكتب له كتابا الى امير المومنين عمر بن الخطاب بما صنع واخذ
فيه شهادة المسلمين فاخذ طليحة الكتاب ومضى الى مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بها
فقيل له بمكة فسار حتى وردها فوجد عمر متعلق باستار الكعبة
فتعلق به وقال يا امير المومنين انا تايب الى الله عز وجل ورب
هذا البيت مما صنعت فقال له عمر من انت قال انا طليحة بن خويلد
ففزع عمر منه وقال يا ويلك ان انا عفوت عنك فما تصنع غدا بين
يدي الله عز وجل بدم عكاشة بن محصن الاسدي فقال طليحة يا
امير المومنين عكاشة رجل اسعده الله تعالى على يدي وشقيت
انا بسببه وارجوا ان يغفر الله ذلك بما عملته فقال له عمر وما
عملت فاخرج له كتاب عمرو بن العاصي فلما قراه فرح وقال له
ابشر فان الله غفور رحيم ثم امره عمر ان يقيم معه بمكة
فاقام معه فلما رجع الى المدينة ورجع معه طليحة بعثه عمر الى
قتال اهل فارس قال الواقدي رحمه الله رجعنا الى
القصة وذلك انه لما قتل الله البطريق قيدمون على يد طليحة

ابن خويلد ونجا شرحبيل بن حسنة ورجعا جميعا الى عمرو بن العاصي
اشتد المطر والبرد وقطع المسلمين عن القتال ولحقهم منه اذي
لان اكثرهم ليس له اخبية ولا بيوت فالتجاوا الى الجابية واستتروا
بجدارها وكان من رحمة الله بالمسلمين ان وقع الخوف والرعب
والفزع في قلب قسطنطين لما قتل البطريق قيدمون لانه
كان ركنه ودعامته فنادى اصحابه في الرجوع الى قيسارية وقال
يا معاشر الروم انتم تعلمون ان جيوش اليرموك ما لبثت لهؤلاء
القوم وابي ما هرب الى القسطنطينية الا من خوفهم وقد ملكوا
الشام جميعه وما بقي لهم غير هذا الساحل واني خايف ان نوتى
من قبلهم ويملكوا قيسارية والرحيل اوفق من المقام ها هنا
فاجابوه الى ذلك فلما دخل الليل ارتحل القوم والمطر ينزل
عليهم قال سعيد بن جابر الاوسي وكان ذلك كله رحمة من الله
عز وجل قال فلما كان اليوم الرابع ارتفع المطر وطلعت
الشمس فطلعنا من الجابية نطلب قتال الروم فلم نر لهم اثرا فوالله
لقد فرحت بطلوع الشمس اكثر من رحيل القوم عنا فكتب الى ابي
عبيدة عمرو كتابا الى حلب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عمرو بن العاصي السهمي الى امير جيوش المسلمين ابي عبيدة عامر

ابن الجراح سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأشكره على ما
منحنا به من نصره أما بعد يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن
قسطنطين بن هرقل خرج الى لقائنا في ثمانين ألفا وكان ملتقانا
في نخل وأسر شرحبيل بن حسنة قيدمون بن خالة هرقل وخلصه الله
تعالى على يد طليحة الأسدي وقتل قيدمون وأرسلته بكتابي الى أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانهزم عدو الله قسطنطين
وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وبعث الكتاب مع خالد بن
سعيد الحضرمي فلما وصل وقرأ أبو عبيدة الكتاب فرح بسلامة
المسلمين وانهزام العدو ومنهم ثم كتب الى عمرو أما بعد فقد
وصل كتابك وحمدت الله على سلامة المسلمين فإذا قرأت الكتاب
فانزل على قيسارية فإني قادم على المسير الى صور وعكة
وطرابلس والسلام ثم سلم الكتاب الى جابر بن سعيد وأمره
بالرجوع وعول أبو عبيدة بالمسير الى الساحل فقام يوقنا
وقال أيها الأمير اعلم أن الله تعالى قد أباد المشركين ورفع علم
الموحدين وإني أريد أن أسير قبلك الى الساحل فلعلي أفوز من
القوم بغرة فقال يا عبد الله إن فعلت شيئا يقربك الى الله
تجده بين يدي الله تعالى فوثب يوقنا وأخذ أصحابه الذين

كانوا معه بحلب وكانوا أربعة آلاف قد أسلموا وفي عسكر المسلمين
من البطارقة ثلاثة آلاف غير أصحاب يوقنا **قال الواقدي**
رحمه الله حدثني أبو جعفر عبيد بن ناصح قال أخبرني أبو عبد الله
محمد بن عمر السلمي قال حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسلم
الزهري عن عبد الله بن يزيد الهذلي وأسامة بن زيد الليثي
قالوا جميعا والله أعلم لما انهزم قسطنطين بن هرقل الى قيسارية
وتحصن بها بعث اليه أهل طرابلس يطلبون منه نجدة فأرسل
اليهم ثلاثة آلاف من البطارقة وجعل المقدم عليهم جرفاس
وساروا يطلبون طرابلس فلما قربوا منها نزلوا في مرج ليعلفوا
على خيولهم ثم أمرهم البطريق أن يلبسوا السلاح ليظهروا
زينتهم لأهل طرابلس فبينما هم كذلك إذ أشرف عليهم
يوقنا وأصحابه وكان صحبة فيلطانوس صاحب أرومة وأصحابه
معولين على زيارة بيت المقدس فلما أشرفوا على المرج ونظر
اليهم جرفاس ركب ليستخبر حالهم فلما قرب منهم وسألهم بعد
السلام عليهم من أنتم فقال له يوقنا نحن لجأنا الى هؤلاء العرب
لنكتفي شرهم وظننا أنهم على شيء وإذا هم لا دين لهم
فهربنا نحن وأصحاب قنسرين وحلب واعزاز وانطاكية

ونحن قاصدين الملك قسطنطين لنكون تحت جناحه قال فلما
سمع حرفاس ذلك من القوم انس اليهم ورحب بهم وقال لهم
انزلوا عندنا حتى تستريحوا ساعة من التعب ولا شك انكم سرتم
ليلا ونهارا فقال له يوقنا واين انتم سايرون قالوا بعثنا
قسطنطين الى طرابلس نجدة فقال يوقنا كونوا مستيقظين
فان امير العرب الذي يقال له ابو عبيدة قد تركناه في نية
القدوم الى الساحل فقال حرفاس وما ينفع حذرنا ودولتنا
قد اضمحلت وايامنا قد زالت ولست ارى ان الصليب يغني
عن اهله شيأ **قال الواقدي** رحمه الله فنزلوا عندهم
ساعة وقدموا لهم من زادهم فاكلوا ثم سلموا عليهم
وركبوا وهم حرفاس ان يركب ليركب معهم هو ومن معه فقال
له يوقنا رحمه الله اشتغل باصحابك والبسهم افخر اللباس
واحسنه فان ذلك مما يطرح الرعب في قلوب اعدايكم
حدثنا سليم عن عامر عن نوفل بن عبد الله عن خديج
البكا وكان اعرف الناس بفتوح الشام قال ما دخل يوقنا
الى ساحل البحر حتى اتقن الحيلة وذلك انه اخذ في طريقه
على وادي بن الاحمر وكان في صلح المسلمين وكان

قد نزل فيه الحارث بن سليم في بني عمه يرعون ابلهم وكانوا
في ماية بيت من العرب فاغار عليهم يوقنا فاخذهم وشدهم
كتافا ودخل بهم الى الساحل فلما جن الليل جمعهم الى بني السير
وقال لهم لا تظنون اني رجعت عن دين الاسلام وانما فعلت
بكم هذا ليتسمع الروم واهل السواحل اني غزت على العرب
واخذتهم فاطمانوا لكلامه وقالوا له ان اردت اقامة دين
الله فالله ينصرك عليهم ويظفرك بالاعدا ووكل رجالا
يسوقون الاموال فاطمان حرفاس واصحابه الى يوقنا لما راوا
معهم الاسرى من العرب والجمال والاغنام وطلب
يوقنا ساحل البحر والمسير الى طرابلس فساروا وكمنوا في
طريق القوم ليلا واما حرفاس فانه فرق الخزانة التي كانت
معه على اصحابه وعلق على الخيل وساروا ليلا فلما توسطوا
الكمين خرج عليهم يوقنا واصحابه وفيلطانوس فاخذوهم
قبضا باليد وسار بعض الخيل ينظروا ان كان افلت منهم
احد فلما حصلوا في قبضتهم وتحت وثاق اسرهم ارادوا
ان يطلقوا الحارث بن سليم واصحابه فقال الحارث انا نرى
لكم من الراي ان تتركونا على حالنا فان ثواب الله قد حصل

فصبحوا بنا بلاد العدو فانكم لن تشرفوا على بلد من بلاد السواحل
الا فتحه الله لكم فقال يوقنا اصبتم الرأي ثم سار وكمن الفين
من اصحابه واصحاب فيلطانوس مع الاسرى وقال اذا جاءتكم
رسالتي فاقدموا نحو طرابلس فلما فعل ذلك البس اصحابه زي اهل
قيسارية وساروا الى ان قدموا اطرابلس فخرج كل من في البلد
الى لقائهم وكان كتاب قسطنطين قد وصل اليهم انه بعث
اليهم ثلاثة آلاف فارس مع حرفاس فدخل يوقنا مع اصحابه
الى دار الامارة فدخل عليه مشايخ طرابلس والبطارقة وجميع
الاعيان فلما حصلوا عنده امر بالقبض عليهم وقال يا اهل
طرابلس ان الله تعالى قد نصر الاسلام واخرجنا من الظلمة الى
النور بعد ان كنا نسجد للصلبان ونعظم الصور والقربان
ونجعل له زوجة وولدا الى ان ارسل لنا هؤلاء القوم فهدانا
بهم وعمتنا بركة نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو النبي
المنعوت ذكره في الانجيل وبشر به المسيح عيسى ابن مريم وان
الاسلام حق وامة هذا النبي يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وينطقون
بالحق ويتبعون الصدق ويوحدون الله تعالى وينزهونه

عن الصاحبة والولد ويجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
وهذا الذي امر الله به انبياءه ورسله فاما ان ترجعوا الى دين
الاسلام او تعطوا الجزية والا بعتكم عبيدا للعرب وهذا ما
عندي والسلام فلما سمعوا قوله علموا ان يوقنا احتال عليهم
وصدف اصحاب الملك في الطريق فقالوا له ايها الامير مهما
امرتنا به فعلناه فعرض عليهم الاسلام فمنهم من اسلم ومنهم
من رضي باداء الجزية وعدل فيهم يوقنا وارسل الى اصحاب
الكمين فحضروا ومعهم الاسرى فاعرض عليهم الاسلام فابوا
فامر بحبسهم واطلق العرب وكتب الى ابي عبيدة كتابا يخبره
فيه بما جرى له وارسله مع الحارث بن سليم فسار بالكتاب
الى ان وصل الى ابي عبيدة وسلمه اليه فلما قراه فرح وقال
للرسول الم استاذنني ان تسير انت وبنو اعمك الى الوادي
الاحمر فمن اوصلك الى طرابلس قال اوصلني القضاء والقدر
وذلك ان يوقنا دخل علينا واخذنا اسارى وحدثه بحديثهم
فعجب ابو عبيدة من ذلك وقال اللهم ثبتهم وايدهم بنصرك
قال الواقدي رحمه الله حدثني عامر بن اوس قال
اخبرني صالح بن سالم قال حدثني موسى بن مالك الربعي قال

لما وقع المطر اقلع من الجابية ونزل على ابواب قيسارية واما
ما كان من امر يوقنا رحمه الله فانه لما ملك طرابلس واحتوى
على ما فيها حصن سورها ووكل جماعة بالابواب وقال لا
تدعوا احدا يخرج من المدينة وكان في الميناء مراكب كثيرة
فاخذها ورفع آلتها عنده كل ذلك حتى لا يعلم احد من اهل
السواحل انه ملك طرابلس قال وبعد ايام جاءت مراكب كثيرة
نحو خمسين مركبا فسالهم يوقنا من اين جاءوا فقالوا من جزيرة
قبرص ومن جزيرة اقريطش قال فما معكم قالوا معنا عدد
وسلاح وطعام خدمة للملك قسطنطين بن هرقل فاظهر
لهم الفرح وخلع عليهم وقال اني اريد ان اسير معكم ثم امر
بهم الى دار الضيافة وبعث الى قواد المراكب فانزلهم وقدم
لهم سماطا فلما اكلوا قال اني اريد المسير معكم بزاد
وعلوفة وعدة وسلاح الى الملك ولكن تقيموا عندي ثلاثة
ايام فقالوا ايها الامير انا على عجل من امورنا ونخاف من لائمة
الملك لنا فما زال بهم حتى انعموا له فقال اني اريد ادخل بالشراعات
والمقاذيف في المدينة ليطمئن قلبي بذلك فلما دبر هذا
التدبير قبض على الجميع فلما اقبل الليل سلم طرابلس لبني عم

الحارث بن سليم وشحن المراكب بالرجال وهم بالصعود اليها
واذا بخالد بن الوليد رضي الله عنه قد اقبل في الف فارس من
اصحابه فلما رآهم يوقنا سجد لله تعالى شكرا وسلم على خالد وحدثه
بما جرى وسلم المدينة اليه وقال اني عازم على الجهاد فقال له
نصرك الله وايدك ثم توجه من ليلته الى صور وكان عليها
ارمويل في اربعة الاف فارس فما اصبح يوقنا الا وهو في الميناء
فامر بالرايات فنشرت وزعقت البوقات وخرج ارمويل
واصحابه الى باب البحر فسالوا ما الخبر فقال صاحب البحر هؤلاء
اهل قبرص وجزيرة اقريطش قد اقبلوا بالعدد والعلوفات
يريدون قيسارية خدمة للملك ففرح اهل صور بهم وامروهم
بالنزول فنزل يوقنا باصحابه وبمن استخلصهم لنفسه وصنع
لهم ارمويل الاطعمة ومد لهم سماطا عظيما واحضر لقوادهم
الخلع واكرمهم ويوقنا ينتظر الليل ليثور باصحابه وكان
جملة من نزل معه تسعمائة نفس وترك الباقون في المراكب
وقال لهم ان لم يتم لنا مع القوم امر ولم نظفر بهم فلا
تبرحون من المراكب وارسلوا الى الامير خالد بن الوليد واعلموه
بالقصة قال الواقدي رحمه الله ولم يسمع

بأعجب من هذه القضية ولقد حدثني نصر بن مزاحم عن الأرقط بن
عامر عن عمار بن أسد الربعي قال لما حصل يوقنا والتسع مائة
بمدينة صور واكلوا سماط الدمستق وخلع على اكثرهم اقبل
اليه رجل في السر من بني عم يوقنا ممن تحكم الضلال على قلبه
ولبس الكفر سائر جسده فحدث الدمستق بأمر يوقنا وما عزم
عليه وانه مسلم هو ومن معه وقد فتح طرابلس وقبض على
البطريق جرفاس صاحب الملك فلما سمع ارمويل ذلك لم يكذب
الخبر وركب من ساعته وقبض على يوقنا ومن معه وعلا الصياح
وكثر الضجيج فسمع اصحاب يوقنا بالقبض على اصحابهم
فاغتموا لذلك واخذوا على انفسهم لعدو يقبل عليهم قال
ووكل ارمويل بيوقنا واصحابه الف فارس ليسيروا بهم
الى الملك يفعل بهم ما يريد ثم اقبلوا يعنفون يوقنا ويقولون
له ما الذي رأيت في دين العرب حتى تبعته وتركت دين
ابائك انت واصحابك لقد طردكم المسيح عن بابه وابعدكم
عن جنابه قال فلما هموا ان يسيروا بهم وقع الصايح من
الابواب ونفرت اهل القرى ومن كان بالقرب من صور
فسألوا عن الخبر فقالوا قد وردت العرب عليكم قال

الواقدي وكان عمرو بن العاص لما نزل على قيسارية وجه
يزيد بن ابي سفين في الفي فارس الى صور ليحاصرها فلما سمع ارمويل
ذلك امر بالابواب فغلقت ودخل بيوقنا واصحابه الى قصر
صور ووكل بهم الحرس وبات القوم يتحارسون واوقدوا
النيران على الصور واقبلوا يشربون ويرقصون طول ليلتهم
فلما كان من الغد اشرف ارمويل على عسكر يزيد بن ابي
سفين فوجده قليلا فاستخف بهم وطمع في جانبهم وقال
وحق المسيح لابد لي من الخروج اليهم وهو لاشرذمة يسيرة
ثم امر اصحابه بلبس السلاح والخروج الى القتال ففعلوا ذلك
وترك على حفظ يوقنا ابن عمه باسيل وكان باسيل هذا
ممن قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان قد
رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم في دير بحيرا الراهب
وكان باسيل قد مضى لزيارة بحيرا فلما قدمت عير قريش
وجمال خديجة بنت خويلد وفيها المصطفى صلى الله عليه وسلم
فنظر بحيرا الى القافلة والنبي صلى الله عليه وسلم في وسطها
والسحابة على رأسه تظلله من حر الشمس فقال والله هذه
صفة النبي الذي يبعث من تهامة فنزلت القافلة ونزل

وحده صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة فأورقت في الحال
ببركته صلى الله عليه وسلم فلما عاين بحيرا ذلك صنع طعاما
لقريش واستدعاهم فدخلوا الدير وتخلف صلى الله عليه وسلم
مع الإبل يرعاها فلم يره بحيرا في جملتهم فتحير وقال يا قريش هل
بقي منكم أحد قالوا نعم فتى تخلف يرعى القافلة ويرعى إبله فقال
ما اسمه قالوا محمد بن عبد الله فقال هل مات أبوه وأمه قالوا
نعم قال أكفله جده وعمه قالوا نعم قال يا قريش بجلوه
وعظموه هو والله سيدكم وبه يعظم في الدنيا فخركم قالوا له
من أين علمت ذلك قال لما أشرفتم على البرية لم يبق صخرة
ولا مدرة ولا شجرة إلا خرت له ساجدة **قال الواقدي**
فبقي باسيل في حيرة من أمره وكتم أمره وعلم أن بحيرا لم
يتكلم إلا بالحق فلما قبضوا يوقنا وأصحابه ووكلوا باسيل
بحفظهم قال والله إن الإسلام هو الدين الحق وقد بشر به
بحيرا الراهب وقد بدا لي أن أحل هؤلاء لعل الله أن يغفر لي
بذلك قال وكان من حسن تدبير الله تعالى بعباده المؤمنين
أن البطريق أرمويل لما خرج إلى لقاء يزيد بن أبي سفيان لم يتخلف
أحد من الشبان لا صغير ولا كبير إلا وخرج معه ولم يبق

إلا العوام على السور ينظرون لما يكون بين صاحبهم وبين المسلمين
فلما نظر باسيل إلى المدينة وخلوها واشتغال أهلها بأجمعهم أتى
إلى يوقنا وقال أيها البطريق الكبير كيف تركت دين آبائك
وأجدادك من قبلك وعدت إلى دين هؤلاء العرب وما الذي
رأيته من الحق حتى تبعته وقد كانت الروم تتخذك عونا
لها وعضدا فقال له يوقنا يا باسيل ظهر لي ما ظهر لك من الحق
فعرفته وقد أتاني هاتف وبشرني بالخلاص على يديك قال
فلما سمع باسيل ذلك زاد يقينه وتحقق إيمانه وقال يا يوقنا
أنطقك الله بالحق وأجراه على لسانك واعلم أن الله تعالى
قد كشف عن قلبي حجاب الغفلة وحدثه بحديث بحيرا وما رآه
ومن جملة ما قاله بحيرا أن هذا النبي الذي بشر به المسيح ابن
مريم فطوبى لمن آمن به وصدقه فلما عدت من زيارة بحيرا
سافرت إلى القسطنطينية في تجارة وأقمت في بلاد الروم
ما شاء الله ثم عدت إلى قيسارية فرأيت الروم في هرج
ومرج فسألت عن السبب فقالوا قد ظهر نبي بالحجاز اسمه
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وقد أخرجه قومه من
مكة ووصل إلى المدينة التي بناها تبع وقد ظهر على

قومه ونصر عليهم فما زلت أسأل عن أخباره وهي في كل يوم تزيد
وتنموا حتى قبض صلى الله عليه وسلم وولي من بعده صاحبه أبو بكر
الصديق رضي الله عنه ونفذ جيوشه إلى الشام فلم يلبث يسيرا
حتى مات وولي من بعده عمر بن الخطاب ففتح بلادنا وهزم ملوكنا
وأنا مع ذلك كله أترقب قدومهم إلى هذا الساحل حتى أتانا
الله بهم فقال له يوقنا فما الذي عزمت عليه فقال على أن أفارق
قومي وأتبعكم فإن الحق بين ثم رحل يوقنا وأصحابه وسلم إليهم
عدتهم وقال ليوقنا إن مفاتيح أبواب المدينة عندي والعسكر
كله خارج المدينة مشتغل بقتال العرب وليس في المدينة من نخاف
منه فانهض على اسم الله تعالى فقال له يوقنا جزاك الله خيرا
فلقد هداك إلى دينه وسلك بك طريق النجاة وختم لك بخير
والذي يجب الآن علينا أن نستظهر لأنفسنا ونبعث إلى من
في المراكب حتى ينزلوا إلينا فنكون نحن وإياهم يدا واحدة
فقال نعم الرأي ثم خرج باسيل مختفيا وفتح باب البحر وأخذ
معه رجل من بني عم يوقنا ونزلا في زورق إلى أن وصلا إلى
المراكب فأخبروهم بما كان ورجع كل مركب بما فيه من الرجال
ونزل الجميع واجتمعوا داخل المدينة وأعمى الله تعالى أبصار

الظالمين وهموا أن يثوروا فقال يوقنا ليس هذا رأي فإني أطلب
رجلا يهب نفسه لله ويخفي أمره ويخرج من باب الميناء ويدور
إلى أن يصل إلى عسكر المسلمين ويجتمع بأميرهم ويعلمه بما كان
من أمرنا ويكونوا على أهبة إذا سمعنا لا يهوله ذلك ويصدم
جيش العدو فقال رجل من القوم أنا أكون ذلك ثم خرج متنكرا
وغلق باسيل الباب خلفه وتوصل الرجل إلى يزيد بن أبي سفيان
وحدثه بما كان من أمر يوقنا فسجد لله تعالى شكرا وأخبر
المسلمين بأخذ الأهبة ليكبسوا على القوم ففعلوا ذلك وأما
يوقنا رحمه الله لما علم أن الخبر وصل إلى المسلمين أمر خمس مائة
من أصحابه بالصعود إلى السور ويقتلوا من عليه فقال باسيل
ليس هذا برأي لأن العوام لا اعتبار بهم ولعل الله تعالى
يهديهم إلى الإسلام ولكن مر أصحابك أن يلزموا مطالع السور
حتى لا ينزل أحد منهم أو يطلبون الأمان فاستصوب
رأيه ووكل الرجال بالمطالع ثم صاح يوقنا وأصحابه
صوتا مزعجا لا إله إلا الله محمد رسول الله فسمع من كان
في المدينة ومن في أعلى السور فعلموا أن يوقنا وأصحابه
قد تخلصوا من الأسر وتأهبوا للقتال فتاهت عقولهم

وانزعجت قلوبهم على أولادهم وأهاليهم فبقوا في حيرة ومن
كان في منزله لم يجسر يخرج وسمع يزيد بن أبي سفيان الضجة
فعلم أن المسلمين ثاروا في المدينة فكبر وكبر المسلمون وهلل
الموحدون وسمع بطريق القوم الضجة فعلم أن يوقنا قد أفلت من
الأسر هو وأصحابه وهم الذين فعلوا ذلك فوقع الرعب في قلوبهم
ونظروا النيران قد أشعلت في عسكر المسلمين وقد تأهبوا للحملة
فلم يبق لهم صبر لأن أموالهم وأولادهم وحريمهم داخل
المدينة وليس لهم مدد يأتيهم فولوا الأدبار وتبع المسلمون
آثارهم وملكوا خيامهم وما فيها فلما أصبح الله بالصباح فتح
يوقنا باب المدينة فدخل يزيد بن أبي سفيان ومن معه من
المسلمين واحتووا على أموال الروم وصاح من كان على
الصور الأمان الأمان فأمنوهم ونزلوا بأجمعهم فقال
لهم يزيد بن أبي سفيان اعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد فتح علينا
مدينتكم هذه عنوة وأنتم الآن عبيد لنا فما شئنا حكمنا
فيكم ولكن نحن قوم إذا عاهدنا وفينا وإذا قلنا صدقنا وقد أعطيناكم
الذمام من أنفسنا ولكن الجزية على من لم يدخل في ديننا
ومن أسلم منكم فله ما لنا وعليه ما علينا فأجاب القوم إلى ذلك

وأسلم أكثرهم وبلغ الخبر إلى قسطنطين أن صور قد أخذت
فعلم أنه لا بقاء له مع العرب فانتهز الفرصة وأخذ ما في
خزائنه من الأموال والذخائر وخرج مع حريمه ونزل في المراكب
وأقلع إلى القسطنطينية فلما نظر أهل قيسارية إلى ذلك خرج
أهلها إلى عمرو بن العاص وصالحوه على أن يسلموا إليه المدينة
فصالحوه على مائتي ألف درهم وما ترك الملك في المدينة
يكون لهم فأجابهم إلى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح ودخل عمرو
ابن العاص المدينة وأخذ بقية ما تركه الملك من مال ورجال
وكتب الجزية عليهم من السنة الآتية على كل رجل أربعة
دنانير وبذلك أمرهم عمر رضي الله عنه وبعث عمرو والي
صور باسيل بن عون بن مسلمة وكان شيخا كبيرا شهد مع النبي
صلى الله عليه وسلم خيبر والنضير وقتل أخوه مالك بن عوف
النضري فوصل إلى صور ومعه مائتي رجل من أصحابه **قال
الواقدي** رحمه الله حدثني زياد بن عامر قال أخبرني
هشام بن عبد الله العنوي قال حدثني سالم مولى عروة بن
نعيم اليشكري قال لما فتح عمرو بن العاص قيسارية
صلحا على مائتي ألف درهم وعلى ما ترك قسطنطين من بقية

أموالِه ورجالِه ودخلها يوم الأربعاء في العشر الأوسط من
رجب سنة ستة عشر من الهجرة النبوية ولعمر بن الخطاب رضي الله
عنه في الخلافة أربعة أعوام وستة أشهر وبلغ الخبر إلى أهل
الرملة وعكة وعسقلان وغزة ونابلس وطبرية فعقدوا
لهم صلحا مع المسلمين وكذلك فعل أهل بيروت وجبلة
واللاذقية وملّك الله تعالى المسلمين الشام جميعه ببركة
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تم كتاب
فتوح الشام المبارك على يد الفقير إلى الله تعالى أبي الفضل محمد بن
عبد الوهاب السنباطي الأعرج غفر الله تعالى له ولوالديه ولمن
دعا لهم بالمغفرة ولجميع المسلمين وذلك في شهر ربيع الثاني
سنة ست وتسع مائة • وحسبنا الله ونعم الوكيل
• وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما أبدا •